

# مجلة المؤرخ العربى

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

العدد الثالث عشر - المجلد الأول

مارس ٢٠٠٥م

تم الجمع والإخراج الداخلى والخارجى فى :

دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - عمارات شركة الخليج

تليفون وفاكس / ٣٨٧١٦٩٣

- \* علمية تاريخية بحثية ، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة
- \* تستهدف الحقيقة التاريخية صافية نقية ، بعيدة عن أى تيارات سياسية أو عقائدية .
- \* البحوث التى تنشر فيها محكمة ، تعبر عن وجهة نظر أصحابها ، وهيئة التحرير غير مسئولة عما يرد فيها من آراء علمية .
- \* تصدر مؤقتاً سنوياً فى مارس من كل عام ؛ على أن تصلها البحوث المقدمة للنشر فى كل عدد فى موعد غايته نهاية شهر نوفمبر من العام السابق .
- \* لايزيد حجم البحث المقدم للنشر عن أربعين صفحة ، منسوخ على الآلة الكاتبة أو الكمبيوتر ؛ ويكون البحث من نسختين أصل وصورة .
- \* تخصص أقسام فى المجلة - حسب الإمكانيات - لعرض الكتب والمراجعات العلمية وتقارير عن المؤتمرات التاريخية والندوات .
- \* البحوث والأعمال المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها فى حالة عدم إجازتها للنشر بالمجلة .
- \* يأتى ترتيب البحوث المنشورة وفق أسبقية ورودها وإجازتها للنشر مع مراعاة الترتيب الزمنى بقدر الإمكان ، مراعاة للحاسة التاريخية ، ولا علاقة إطلاقاً بين هذا الترتيب ومكانة الباحث أو درجته العلمية .

\*\*\*\*

- \* جميع المراسلات تكون باسم السيد الأستاذ الدكتور رئيس هيئة التحرير .
- العنوان : ١٠ شارع فؤاد بدوانى - الحى الثامن - مدينة نصر - القاهرة .
- تليفون / ٢٨٧٠٠٩٠ - فاكس ٢٨٧٠٠٩١





## المحتويات

### صفحة

أ.د. عبد المنعم عبد الحليم سيد	
الطرق التي اتبعها المصريون القدماء فى بناء الأهرام	
فى ضوء الأدلة الأثرية وروايات الكتاب الكلاسيكيين	٩ .....
د. عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح	
دراسة نقدية وتحليلية لمناهج البحث التاريخى لدى	
مؤرخى المدينة فى القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى	٣١ .....
د. صلاح خليل إبراهيم سلام	
ابن دحية حلقة وصل بين المشرق والمغرب فى المجال الثقافى	٦٧ .....
أ.د. يسرى عبد الله أحمد زيدان	
رؤى الهلال ومشاكلها فى مصر والشام	
والحجاز عصر سلاطين المماليك	١٠٧ .....
أ.د. عبد الطيف بن محمد الحميد	
تاريخ الوقف فى المملكة العربية السعودية ق ٨هـ - ١٤هـ	١٣٩ .....
أ.د. الشريف محمد حسين الحارثى	
الصارم الحديدى لبتز علاقة أمراء مكة الأشراف بالمذهب الشيعى الزيدى ..	١٧٩ .....
أ.د. عمر بن سالم بابكور	
الثورات فى غرب السودان على الدولة المهدية	
دراسة وثائقية ١٣٠٢ - ١٣٠٥هـ / ١٨٨٥ - ١٨٨٨م	١٩٥ .....
د. مصطفى حبشى محمد زهران	
ثورة يوليو ١٩٥٢ وموقف مصر الحيوى	
من حركة التحرر فى ليبيا	٢٤٣ .....
أ.د. عائشة عبد العزيز التهامى	
الكتابات العربية على شواهد وتراكيب القبور العثمانية	٢٦٥ .....
أ.د. كمال عنانى إسماعيل	
السيوف الأندلسية فى ضوء المصادر العربية	
وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية	٢٨١ .....





## كلمة الافتتاح

تعتبر مجلة (المؤرخ العربى) من أهم إصدارات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة . وهى مجلة علمية تاريخية تستهدف الحقيقة التاريخية ، بعيدة عن أى تيارات سياسية أو عقائدية أو فكرية . ولا تنشأ البحوث والدراسات المنشورة بها سوى إلقاء الأضواء الكاشفة على تاريخ الأمة العربية وعلاقتها بالدول المجاورة فى إطار علمى ، أساسه المنهج النقدى التاريخى الذى وضع قواعده شوامخ المؤرخين العرب ومنهم عبد الرحمن بن خلدون وأحمد بن على المقرئ وغيرهما .

ويشرفنى أن أقدم العدد الثانى عشر من مجلة المؤرخ العربى ويحتوى على مجموعة من البحوث والدراسات المتميزة المتنوعة : منها دراسة جديدة عن الطرق التى اتبعها المصريون القدماء فى بناء الأهرامات ، ودراسة عن مناهج البحث التاريخى عند مؤرخى المدينة المنورة فى القرنين الأول والثانى الهجريين ( السابع والثامن الميلاديين ) ، وبحث عن العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى . وفى تاريخ العصور الوسطى الإسلامية نجد دراسة جديدة عن رؤى الهلال فى مصر والشام والحجاز فى عصر سلاطين المماليك ، وبحث عن تاريخ الوقف فى الحجاز فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى . وفى تاريخ العرب الحديث يجد الباحث دراسة وثائقية عن الثورات فى غرب السودان فى السنوات ١٣٠٢ - ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٥ - ١٨٨٨ م ، ودراسة عن موقف ثورة يوليو ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر من حركة التحرر فى ليبيا .

ويحتوى العدد أيضًا على دراستين أثريتين أولاهما دراسة عن الكتابات العربية على شواهد وتراكيب القبور العثمانية ، والثانية دراسة عن السيوف الأندلسية وأشهر نماذجها .

ولا شك أن هذه البحوث والدراسات الجديدة التى يسعد اتحاد المؤرخين العرب نشرها فى العدد الثانى عشر من مجلة المؤرخ العربى ستكون إضافة علمية للمكتبة التاريخية العربية ، وعونًا للدراسين الباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية فى الوطن العربى .

والله من وراء القصد إنه نعم المولى ونعم النصير

أ.د/ سعيد عبد الفتاح عاشور

رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة



أ.د. عبد المنعم عبد الحليم سيد (\*)

## الطرق التي اتبعها المصريون القدماء فى بناء الأهرام فى ضوء الأدلة الأثرية وروايات الكتاب الكلاسيكيين

### ملخص البحث :

أثارت المقدرة الفائقة التى اشتهر بها المصريون القدماء فى رفع الكتل الضخمة من الحجارة إلى الارتفاعات الشاهقة وخاصة الأهرامات دهشة كثير من المؤرخين القدماء والباحثين المعاصرين وقد صمت الآثار المصرية ولم تقدم أية معلومات مباشرة عن طرق رفع هذه الكتل الضخمة ولكن بعض المؤرخين القدماء من أمثال هيرودوت وغيره قدموا تفسيرات لهذه المشكلة ولو أنها غامضة، كما حاول الباحثون فى العصور الحديثة الكشف عن هذا الغموض بالحفائر والأبحاث التى أجروها فى مناطق الأهرام وغيرها .

ومن أشهر الذين تناولوا هذه المشكلة من المؤرخين القدماء :

١ - المؤرخ اليونانى هيرودوت الذى زار مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد ويتلخص رأيه فى أن المصريين استخدموا " آلات من خشب " فى رفع الكتل الحجرية فوق درجات الهرم ، وأنهم بدأوا البناء فى الأجزاء العليا من الهرم ثم انتهوا من البناء فى الأجزاء السفلية .

\* - أستاذ التاريخ القديم والآثار غير المتفرغ - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



٢ - المؤرخ ديودور الصقلى الذى زار مصر فى القرن الأول قبل الميلاد ( ٥٩ - ٥٧ ق.م ) ويقول أن المصريين استخدموا تلالاً من الرمل أو من الملح لرفع الأحجار إلى المستويات العالية من الهرم ثم تخلصوا من تلال الملح بعد انتهاء العمل بتحويل مياه الفيضان عليها لإذابتها .

٣ - المؤرخ الرومانى بلىنى من القرن الأول الميلادى وروايته تؤيد رواية ديودور فى بناء المصريين لتلال الملح كما ذكر رواية أخرى تتلخص فى أن المصريين بنوا قناطر من اللبن لهذا الغرض .

أما الباحثون الذين درسوا هذه المشكلة فى العصور الحديثة بعد إجراء الحفائر واعتمدوا على الأدلة الأثرية فمن أشهرهم :

١ - فلنדרز بترى فى مقاله " The building of pyramid " المنشور فى مجلة " Ancient Egypt, 1930 .

وتتلخص آراؤه فى أن المصريين استخدموا المنحدرات Ramps فى رفع الأحجار وكانوا يرصون الحجارة مبتدئين من مركز الهرم ومتجهين نحو جوانبه ( أى من الداخل إلى الخارج ) وأنهم بنوا الكسوة من الداخل أيضاً .

٢ - سومرز كلارك وركس انجليباك وقد استعرضا فى كتابهما " فن البناء المصرى القديم " Somers Clarke & Rex Engelbach; Ancient Egyptian masonry, 1930 .

استعرضا مختلف الآراء حول هذا الموضوع وانتهيا إلى تأييد فكرة المنحدر التى كان فلنדרز بترى أول من نادى بها. ولكنهما اختلفا مع بترى فى إضافة تعديل إلى رأيه فى أن المصريين كانوا يقيمون ثلاثة جسور لمشى العمال حول الهرم وكانوا يبنون أحجار الكسوة من الخارج وليس من الداخل .

٣ - المرحوم سليم حسن وقد أشار إلى استخدام المصريين للمنحدرات ومعرفتهم استخدام البكر نظراً لعثوره على بكرتين أثناء حفائره فى الجيزة . وقد نشر آرائه فى كتابه مصر القديمة ج١. كما سنوضح بعد .

٤ - إدواردز I.E.C. Edwards وقد أخذ بفكرة المنحدرات التى أعلنها بترى ولكنه أضاف إليها تعديلاً فى نقطتين هما :



أ - أن المصريين كانوا يبنون منحدرًا واحدًا Ramp للوصول إلى أعلى نقطة في الهرم ولكنهم كانوا يبنون حول جوانبه الثلاث الأخرى ثلاث ممشى للعمال وقد اتفق في ذلك الرأي مع انجلباك وكلارك .

ب - أن بناء أحجار الكسوة ( فيما عدا كسوة المدماك السفلى ) كان يتم من خارج الهرم وليس من الداخل كما قال بترى . وقد نشر إدواردز آراءه هذه في كتابه :  
The Pyramids of Egypt (1947) .

وترجم إلى اللغة العربية ونشر في مجموعة الألف كتاب بعنوان " أهرام مصر " في عام ١٩٥٦ .

وفيما يلي تفصيل لما أجملنا :

### أولاً: تفسير الآلات الخشبية التي وردت في رواية هيرودوت :

كان المؤرخ اليوناني هيرودوت هو أول من أشار إلى الطريقة التي اتبعها المصريون القدماء في رفع الأحجار الضخمة إلى أعلى لبناء الهرم وذلك أثناء حديثه عن الهرم الأكبر إذ يقول :  
" بنى ( الهرم ) أولاً على هيئة سلالم يسميها البعض " درجات " والبعض الآخر هياكل . وبعد تشييده بهذا الشكل رفعوا الأحجار الباقية بواسطة آلات مصنوعة من ألواح خشبية قصيرة ، وكانوا يرفعون الأحجار من الأرض إلى الطبقة الأولى من الدرجات . وبعد رفع الحجر إلى هذه الطبقة كان يوضع على آلة أخرى قائمة على الطبقة الأولى ، ومنها يرفع إلى الدرجة الثانية ويوضع في آلة أخرى . وكانت هناك آلات بعد الدرجات ، أو لعلها كانت آلة واحدة سهلة الحمل ، كانوا ينقلونها من طبقة إلى أخرى كلما جروا الحجر ، ومن الواجب التحدث عن الطريقتين ، إذ يقال بكلتيهما ، ثم - أولاً - بناء أعلى جزء من الهرم ، ثم بعد ذلك بنوا الأجزاء السفلى بالتدرج ، وأخيراً أكملوا الأجزاء السفلى التي على الأرض " (محمد صقر خفاجة ١٩٦٦، فقرة ١٢٥ ص ٢٥٢) .

وقد وجد تفسير لرواية هيرودوت عن الآلات الخشبية عندما عثر في ودائع الأساس في معبد حتشبسوت بالدير البحري على ما يمكن أن نطلق عليه " هزاز " ( شكل ١ ) ( Clarke & Engelbach 1930, fig. 89 ) . يتكون من قطعتين من الخشب مقوستين من أسفل ومثبتتان إلى بعضهما بعضاً أو عيدان من الخشب وهو بذلك يشبه الكرسي الهزاز ، وكان

الهزاز يستخدم فى رفع الكتلة الحجرية بوضع ألواح مشطوفة من أحد جوانبها بالتبادل كما هو مبين فى شكل (٢) ، وربما كانت الكتلة الحجرية تهز فوق جانب الهرم درجة درجة إلى أن توضع فى مكانها . وقد علق كلارك وانجلباك على هذه الهزازات بأنه كانت توجد هزازات لها من المتانة بحيث تتحمل كتلاً يبلغ وزنها عشرة أطنان (Clarke & Engelbach 1930, p. 121) . وهكذا تنطبق رواية هيرودوت عن الآلات الخشبية على هذه الهزازات . وبالنسبة لرواية هيرودوت عن بناء الهرم من أعلى إلى أسفل ولو أنها تبدو غريبة وغير منطقية إلا أنه يوجد تفسير لها كما سنذكر بعد .

ويمكن أن نضيف إلى طرق استخدام الأدوات فى رفع الكتلة الحجرية إلى أعلى ، ما تردد فى وقت ما عن استخدام المصريين القدماء البكر فى هذا الغرض وقد أعلن هذا رأى المرحوم سليم حسن على أثر عثوره فى أثناء حفائره فى منطقة أهرام الجيزة على بكرتين من الحجر إحداهما بجوار هرم خنجر والأخرى فى أحد بيوت الأهرام (سليم حسن ١٩٤٠ ج ١ ، ص ٢٨٨) ولكن ثبت فيما بعد أنهما ترجعان للعصر الرومانى (إدواردز ١٩٥٦ ص ٣٢٠ و أحمد فخرى ١٩٦٣ ص ١٧) . وهناك دليل على عدم معرفة المصريين القدماء للبكر من رسوم صواري السفن على الآثار المصرية ، فرغم كثرة هذه الرسوم فلا تظهر البكرة فى قسم هذه الصواري رغم أهميتها الكبيرة فى تسهيل رفع الشراع وإنما ظهرت بدلاً منها أشكال عراوى من الخيال أو النحاس كانت حبال رفع الشراع تمر داخلها (شكل ٣) (Landstrom 1970, figs. 239-242, p. 80) .

### ثانياً : تفسير كلمة " التلال " فى روايات ديودور وبليني :

المقصود بهذه التلال فى هذه الروايات هى بدون شك " المنحدرات Ramps " ( أو كما يسميها البعض " المزالق " أو " الطرق الصاعدة " ) .

أول من أشار إلى استخدام المنحدرات ( التى لا شك أنه يعنيها بكلمة " التلال " ) هو المؤرخ ديودور الصقلى ( القرن الأول قبل الميلاد ) إذ يقول فى معرض حديثه عن الهرم الأكبر " ويُقال إن الأحجار نقلت من مسافة كبيرة من بلاد العرب « يقصد جبال الصحراء الشرقية » وقد أثبتت البحوث الأثرية أن الأحجار التى جلبت من هذه الجبال ( من منطقة طرة بالتحديد ) هى الأحجار التى أستخدمت فى بناء كسوة الهرم فقط . أما باقى أحجار الهرم فمن الصخور المحلية فى هضبة الجيزة نفسها . وأن عملية البناء قد أجريت بواسطة تلال من الرمل لأن الروافع



لم تكن قد اكتشفت بعد فى تلك الأيام وأغرب ما فى الأمر أنه بالرغم من أن عملية البناء قد أجريت فى منطقة رملية كلها ، فليس هناك من أثر للتلال ، أو لعملية صقل الأحجار حتى أنه ليبدر وكأن البناء لم تقمه تدريجيًا يد الإنسان بل كأن أحد الآلهة أقامه دفعة واحدة وسط الرمال المحيطة به . ويحاول بعض المصريين أن يصوروا هذا الأمر كأنه إحدى العجائب فيقولون أن التلال صنعت من الملح والنظرون ولما أطلقت مياه النهر عليها أذابتها وأزالتها نهائياً دون أن يكون للإنسان ضلع فى الأمر . والواقع أن هذه الرواية عارية من الصحة تماماً . فإن العدد العظيم من العمال الذين أقاموا هذه التلال الرملية أرجعوها بأنفسهم إلى ما كانت عليه من قبل . ( وهيب كامل ١٩٤٧ ، فقرة ٦٣ ، ص ١١٥ ) . وقد أورد المؤرخ بلينى ( القرن الأول بعد الميلاد ) رواية مشابهة لرواية ديودور إذ يقول " وإن أصعب مسألة هى أن نعرف كيف أمكن رفع مواد البناء إلى مثل هذا الارتفاع العظيم " . وترى بعض المصادر أنه كلما ارتفع البناء كوموا إلى جانبه تلالاً كبيرة من الملح والنظرون التى ذابت أكوامه بعد الفراغ من البناء بواسطة جرى ماء الفيضان من تحتها . ويعتقد البعض أن قناطر قد بنيت من اللبن وأنه عندما تم الهرم انتفع بهذا اللبن فى إقامة الأكواخ التى يسكنها القرويون وأوساط الناس ( محرم كمال ١٩٣٦ ، ص ٨٣ ) .

ومن الواضح - كما ذكرنا سابقاً - أن ديودور وبلينى يقصدان " بالتلال " المنحدرات " وإن كان الناس فى زمانهما قد تداولوا هذه الرواية بطريقة خيالية عندما ذكروا لهما أن هذه التلال كانت من الملح والنظرون !! .

وإزاء ذلك تتفق جمهرة المؤرخين على تصديق رواية كل من ديودور وبلينى إذا كانا يعنيان بالتلال " المنحدرات أو المزالق Ramps فى رفع الأحجار إلى المداميك العليا .

ومن أبرز العلماء الذين أخذوا بهذا رأى فى العصر الحديث العالم الأثرى فلنדרز بترى ( Flinders Petrie 1930, p. 33ff ) ثم المعماريان الأثريان كلارك وأنجلباك ( Clarke & Engelbach 1930, p. 117 ff ) وكذلك المهندس الفرنسى لوير ( Lour 1952, p. 141ff ) . وقد نهج على منوالهم أغلب الباحثين سواء منهم الأجانب أو العرب . ويشير الدكتور أحمد فخري إلى ذلك فى قوله " وإذا فحصنا بعض المباني الأثرية التى لم ينته المصريون من إتمامها فإننا نستطيع التأكيد من أنهم لجأوا إلى عمل جسور وطرق صاعدة من التراب والحصى لمثل هذا الغرض وأنهم كانوا يبنون جدراناً من اللبن ( على جانبيه ) حتى

يثبت التراب الحصى فى مكانهما ثم يزيلون ذلك كله عندما يتم البناء . ، وقد وضع لنا من الاكتشافات الأثرية فى سقارة أن القدماء أقاموا هذا الطريق الصاعد عندما كانوا يبنون الهرم المدرج الذى لم يتم وهو الهرم الذى بدأه الملك " سخم - خت " خليفة الملك زوسر كما سنذكر بعد . وقد بقى هذا الطريق الصاعد فى مكانه لأن الهرم لم يتم بناؤه ونستطيع القول بأن المصريين استخدموا هذه الطريقة نفسها عند بناء الأهرامات فيما بعد . وتشيد الطرق الصاعدة عمل كبير ومجهود ضخم لا يكاد يقل عن تشييد الهرم نفسه . وكثيراً ما عنى المعمارىون والمشتغلون بالدراسات الأثرية بهذا الموضوع وناقشوه فى بحوثهم وتتفق الأغلبية العظمى منهم على أنه لم يبن أى هرم من الأهرامات دون إقامة الطرق الصاعدة ( أحمد فخرى ١٩٦٣ ، ص ١٧٦ ) .

وبلاحظ أن ما ورد فى وصف الدكتور أحمد فخرى عن بناء جدران من اللبن على جانبي الطرق الصاعدة ( المنحدر ) لتدعيمه ، يمكن أن يفسر عبارة " قناطر اللبن " الواردة فى رواية بلىنى المذكورة سابقاً .

ومن أدق وأحدث الدراسات فى موضوع المنحدرات تلك التى وردت فى كتاب إدواردز " أهرامات مصر " فقد تناول طريقة رفع الأحجار بالدراسة التفصيلية وربطها بطرق بناء الهرم وكسوته . ويستهل إدواردز حديثه فى هذا الموضوع قائلاً : " ولعدم وجود البكرة وهو اختراع لم يُعرف فى مصر قبل عصر الرومان - لم يكن أمام المصريين إلا طريقة واحدة لرفع الأوزان الثقيلة وذلك ببناء منزلقات من الطوب اللبن والطين ترتفع إلى أعلى من مستوى الأرض إلى أى ارتفاع يريدونه فإذا أرادوا مثلاً بناء حائط قصير فإن أحجار كل مدماك بعد المدماك الأسفل كانت ترتفع إلى المنسوب المطلوب على منزلق يبنى ملاصقاً للجدار وبطوله كله ، وعند إضافة مدماك تال إلى البناء يلزم أن يرتفع المنزلق ويمتد أيضاً لكى يبقى الانحدار دون تغيير ( شكل ٤ ) . وفى النهاية عندما يبلغ الجدار أقصى ارتفاعه يزال المنزلق وتسوى السطوح الخارجية للأحجار التى لم تصقل سطوحها من قبل . يصقلونه طبقة بعد طبقة متجهين إلى أسفل فى الوقت الذى يقللون فيه ارتفاع المنزلق . ويمكننا أن نرى مثلاً لهذا المنزلق ملاصقاً للصرح الأول الذى لم يكمل بناؤه فى معبد الكرنك ( ملاحظة : صور هذا المنحدر منشورة فى



(المعروف أن بقايا المنحدر الذى يلاصق هذا الصرح يرجع إما إلى العصر البويستى أو العصر الأثيوستى ) فإن مما يثبت أن هذه الطريقة نفسها كانت متبعة قبل ذلك فى العصور القديمة مما عثر عليه من بقايا المنزلاقات عند هرم أمتحات الأول فى اللشت وعند هرم ميدوم . كما تبدو فى الصور المأخوذة من الجو بقايا واضحة من المنزلاقات مازالت تحت رمال دهشور ( إدواردز ١٩٥٦ ، ص ٣٢٠ ) .

والواقع أن إدواردز أصدر كتابه هذا فى عام ١٩٤٧ ( بارتجليزية ) أى قبل ظهور كشف جديد على جانب كبير من الأهمية أثبت وجود المنحدرات منذ بداية الدولة القديمة ( الأسرة الثالثة ) وهو كشف محمد زكريا غنيم عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ لهرم لم يتم بناؤه فى سقارة سماه " الهرم الدفين " The Buried Pyramid ويسميه بعض الأثريين " الهرم الناقص " وينسب هذا الهرم للملك " سخم - خت " خليفة زوسر . وقد وجد زكريا غنيم إلى جواره بقايا المنحدر الذى كانت ترفع عليه الأحجار إلى المداميك العليا ( محمد زكريا غنيم ١٩٦١ ، ص ١١٨ ) . وقد أضاف المرحوم الدكتور أحمد فخرى الذى راجع الترجمة العربية لكتاب إدواردز التى صدرت عام ١٩٥٦ بعنوان " أهرام مصر " - أضاف هذه المعلومة فى ص ٨ - ٩ من هذه الترجمة وسوف نوضح تفاصيل كشف محمد زكريا غنيم فيما بعد ) .

### الاعتراضات على نظرية المنحدرات :

قد تبدو هذه النظرية غير مقبولة عندما نفحص قطاعاً رأسياً فى بعض الأهرامات مثل هرم الملك سا - حو - رع من الأسرة الخامسة . ويظهر من فحص هذا القطاع أنه بعد بناء قلب الهرم إلى أقصى ارتفاعه بنيت عدة كسوات سميكة كانت كل منها تقل فى الارتفاع عن التى قبلها ابتداء من الوسط . ويميل كل من الكسوات إلى الداخل بزاوية مقدارها ٧٥ تقريباً . ( شكل ٥ ) .

ويبدو من الملاحظة الظاهرية للبناء أنها تستلزم زحزحة المنحدرات إلى الخلف لكى تفسح المكان لبناء الكسوات التالية مما يترتب عليه ضياع كبير للعمل فى حين أننا نعلم أن المصريين كانوا منظمين للعمل بدرجة فائقة ولكن الدراسة الدقيقة لهذه الطريقة فى البناء أثبتت أن هذه الكسوة كانت تبنى كلها فى وقت واحد ، وكان الغرض منها تدعيم البناء وضبط شكله المربع .

## كيفية بناء المنحدرات ونظامها :

شرح إدواردز هذه الخطورة في استخدام المنحدرات فقال : " كان المصريون يبنون منزلقاً أو منحدرًا Ramp واحداً بطول جانب واحد من الهرم أطلق عليه اسم منزلق التموين أو منزلق الإمداد Supply ramp لاستخدامه في نقل ما يلزم من حجارة وغيرها ( شكل ٦ ) . وكلما ارتفع الهرم ازداد منزلق التموين في الارتفاع فإذا كانت زاوية ميل الهرم ٥٢° وبهذا يتفادون أى انهيار جانبي . أما جوانب الهرم الثلاثة التي لم تغط بمنزلق التموين فقد كان أمام كل منها جسراً أو ممشى كان في أعلاها يسمح بمرور الرجال ومواد البناء يطلق عليه " جسر الممشى " Foot-hold embankment أو ممشى العمال ( شكل ٧ ) ونظراً لأن هذه الجسور الثلاثة لا تستخدم لرفع الأحجار من الأرض فإن درجة ميلها على السطح الخارجى يمكن أن تكون منحدره بقدر ما تسمح به المتانة اللازمة . وكانوا يبلطون سطح المنحدر والجسور ببرايطيم أو عروق من الخشب Baulks of timber لتكوين طرق متينة تتحمل مرور الزحافات وهى محملة بكتل الأحجار وقد عثر على بعض منها فعلاً في اللشت ( إدواردز ١٩٥٦ ، ص ٣٢٠ ) .

والواقع إن هذا الرأي الذى أعلنه إدواردز في كتابه عن منزلق التموين وجسور الممشى سبقه إليه أثريان معماريان هما كلارك والمجلباك وذلك في كتابهما عن « فن البناء في مصر القديمة » الذى نشره عام ١٩٣٠ ( Clarke & Engelbach 1930, p. 117-119 ) وقد أشار إدواردز نفسه إلى أنه استقى معلوماته في هذا الموضوع عنهما ( إدواردز ١٩٥٦ ، ص ٣٢٢ ) .

كما أن فلندرز بترى أخذ بفكرة منحدر التموين قبل كلارك والمجلباك بسنين عديدة ولكنه لم يذكر شيئاً عن جسور الممشى ( Petrie 1930, p. 35 ) وهذا ما دعاه إلى القول بأن المصريين كانوا يركبون حجارة الكسوة في أماكنها من ناحية الهرم وقد خالفه إدواردز قائلاً أنها بنيت من الخارج أى بالإرتكاز على منحدر التموين وجسور الممشى ( وسنوضح ذلك بالتفصيل فيما بعد ) .

## كيف أثبتت الكشف الأثرية وجود المنحدرات ؟

أثبت زكريا غنيم في كتابه الهرم الدفين نتائج كشفه حول هرم " سخم - خت " في سقارة وهو هرم لم يتم بناؤه ( لذلك يسميه بعض العلماء الهرم الناقص ) ومنها يتبين عثوره على منحدر التموين في الجانب الغربى من هذا الهرم ( زكريا غنيم ١٩٦١ ، ص ١١٨ ) وهو أقرب



الجوانب إلى الحجر . وكذلك عثر على جسور المشى فى ثلاثة جوانب من البناء ، وقد نشر صورة شمسية لمنزلق التمرين وجسور المشى للهرم المذكور ( زكريا غنيم ١٩٦١ ، ص ١١٤ و شكل ٢٥ ) .

وقد سبقت الإشارة إلى العثور على بقايا المنحدرات عند هرم أمنمحات الأول فى اللشت وعند هرم ميدوم واحتمال وجود منزلقات تحت رمال دهشور . فضلاً عن ذلك يشير الدكتور أحمد فخرى إلى وجود بقايا منحدرات وجسور هضبة الجيزة فالطريق الذى يصعد فوقه زوار الهرم الأكبر فى الناحية الشمالية من الهضبة ليس إلا جسراً مكوناً من الرديم الذى تبقى بما تخلف عن العمل . وكذلك الجزء الذى على حافة الهضبة الشرقية إلى الشمال من الطريق الموصل بين معبدى الهرم الأكبر . وما زالت هناك أيضاً بقايا جسر صاعد آخر على مسافة طويلة من الجهة الجنوبية من الطريق الموصل بين معبدى الهرم الأكبر . وقد بنيت فوقه بعض منازل الجزء الغربى من بلدة نزلة السمان ( أحمد فخرى ١٩٦٣ ، ص ١٧٨ ) . هذا ولاشك أن الزائر لمنطقة أبى الهول يلاحظ بجوار التمثال طريق صاعد يؤدى إلى هرم خفرع ، فربما كان الطريق الذى كانت تنقل عليه كتل كسوة هرم خفرع التى كانت تجلب بالسفن من منطقة طرة على الضفة الشرقية للنيل .

#### الأدلة على استخدام المنحدرات فى رفع الكتل الحجرية من الرسوم والنصوص المصرية:

لقد أمدتنا الرسوم المصرية نفسها برسم لمنحدر على جدران مقبرة الوزير رخميرع فى سقارة ( الأسرة ١٨ ) ولو أنه لم يستخدم فى بناء هرم ولكنه استخدم فى رفع كتلة عتب علوى لقاعة أعمدة ( شكل ٨ ) فيظهر فى هذا الشكل المنحدر وقد شيد من الطوب اللبن الذى ظهرت قوالب الطوب فيه على أشكال مستطيلات رفيعة رفعت فوقها كتلة الحجر التى ستستخدم لتسقيف قاعة الأعمدة المكونة من ثلاثة أعمدة وقد تكون كل عمود من أربعة مكعبات ( ذات اللون الأبيض ) شيد بينها جسران من اللبن رسمت بنفس طريقة رسم المنحدر لاشك أنه جسور المشى التى يقف عليها العمال لتركيب مكعبات الأعمدة ( Newberry, 1900, fig. 86, p. 92 ) .

والمنحدر بهذا الشكل وكتلة الحجر التى تسحب عليه وجسرا المشى بين الأعمدة لاشك تطابق تماماً المنحدر وجسور المشى التى كانت تشيد فى ملاصقة الهرم لرفع الكتل الحجرية عليها .

أما النصوص فقد ورد فى بردية أنسطاسى الأولى نص هيراطيقى يشير إلى بناء منحدر جاء فيه : " لقد عمل منحدر طوله ٧٣٠ ذراعاً وعرضه ٥٥ ذراعاً ويحتوى على ١٢٠ قسماً

ملئت بالبوص وعروق الخشب وبلغ ارتفاعه إلى قمته ٦٠ ذراعاً وارتفاع وسطه ٣٠ ذراعاً ونهايته ١٥ ذراعاً وقاعدته خمسة أذرع أما مقدار اللبن اللازم له ... " (Gardiner 1911, XIII).

### كيفية استخدام المنحدر وجسور المشى فى بناء قلب الهرم :

وصف إدواردز هذه العملية قائلاً : " لنتصور أن هرمًا من الأهرام قد بنى إلى نصف ارتفاعه النهائى ، ففى هذه الحالة لا يمكن أن يظهر شىء من مبانى الهرم لأى شخص واقف على الأرض لأن ثلاثة من الأوجه الخارجية ستكون مغطاة كلها بجسور مشى العمال وسيحجب منزلق التمرين الوجه الرابع . أما السطح العلوى من الهرم فسيكون أشبه برصيف مربع Plat-form معد لوضع المدماك التالى فوقه . وأول ما يُسحب من الأحجار إلى هذا الرصيف هى الكتل الحجرية الداخلية Core-Blocks المجلوبة من المحاجر المحلية تترك جوانبها وسطوحها العلوية خشنة ولكن تسوى سطوحها السفلى ( شكل ٩ ) واللحامات التى ترتكز عليها bed-ding-joints وتؤخذ هذه الأحجار إلى وسط الرصيف وتوضع إلى جوار بعضها البعض ، وتترك غالباً الفراغات الناتجة من عدم انتظام جوانبها دون ملئ وكانوا يعنون بأن يمتد المدماك الجديد new course فى كل الاتجاهات الأربعة بحيث يبقى دائماً فى شكل مربع تقريباً . وعلى مسافات منتظمة يجعلون جوانبه متساوية تماماً فى الطول بإضافة كسوة داخلية inter-nal casing من أحجار طرة الجيرية توضع مباشرة فوق نظيرتها من الكسوة فى أرضية الرصيف ( شكل ١٠ ) . وكانت الناحية الخارجية من هذه الكسوة تقطع بزاوية مقدارها حوالى ٧٥ درجة ولكنها تترك دون صقل ، وأخيراً تزداد مساحة المدماك الذى انتهى وضع أحجاره حتى لا يبقى من الرصيف الأصى سوى شريط ضيق على حوافه الخارجية الأربعة دون تغطية . وعندما يصل العمل إلى تلك المرحلة تُضاف كتل حشو Packing blocks من الأحجار الجيرية مع العناية الفائقة باللحامات joints بين الأحجار .

ففى الهرم الأكبر وضعت كتل الحشو بطريقة تجعلها تميل ميلاً خفيفاً إلى الداخل نحو وسط كل مدماك فنتج عن ذلك انخفاض يمكن ملاحظته متجهاً من أعلى إلى أسفل فى وسط كل وجد من أوجه الهرم . ولا توجد هذه الظاهرة فى أى هرم آخر .

### كيفية استخدام المنحدر وجسور المشى فى بناء كسوة الهرم :

عندما يتم بناء قلب الهرم لا يتبقى إلا أن تضاف الكسوة الخارجية outer-casing مسن أحجار طرة الجيرية . ويستلزم هذا العمل الدقة التامة ، لأن أى عيب فى وضع الأحجار لا



يشير المظهر الخارجى للأثر فحسب ، بل يؤدي حتماً إلى عدم انتظام الشكل الهرمى ، وعلاوة على ذلك يجب أن تكون زوايا اللحامات مضبوطة وملتصقة جداً ما أمكن . ولكى يقتصدوا فى الوقت ويحصلوا على أعلى ما يمكن من الدقة كانوا يعهدون بتوضيب اللحامات الصاعدة rising joints فى هذه الكتل ( وهى اللحامات بين الكتل المتجاورة فى نفس المدماك ) إلى أمهر البنائين ينجزونها على الأرض قبل نقل الكتل من مكانها ( وقد ثبت انجاز هذه الأعمال على الأرض من ترقيم كتل سقف حجرة الملك فى الهرم الأكبر ) ويمكن ملاحظة دقة هذه الطريقة فى اللحامات الصاعدة المائلة Oblique rising joints لأحجار الكسوة الخارجية المذكورة ( شكل ١٠ ) .

وربما يتم على الأرض أيضاً إعداد زوايا اللحامات بين الأوجه الخلفية لأحجار الكسوة وبين الأوجه الأمامية لكتل الحشو حتى إذا ما وصلت كل كتلة من كتل الكسوة فى النهاية إلى أعلى البناء تكون شبه تامة إذ لم يبق منها دون صقل سوى الوجه الخارجى المنحوت طبقاً لزاوية الهرم . وتركب الكتل مكانها على أن يصقل الوجه الخارجى فيما بعد أى بعد الانتهاء من بناء الهرم حتى قمته . ( إدواردز ١٩٥٦ ، ص ٣٢٥ وما بعدها ) .

### كيفية استخدام المنحدر وجسور المشى فى تركيب أحجار الكسوة فى مكانها :

فى الواقع يعتبر وضع كتل الكسوة الخارجية عملاً صعباً خصوصاً إذا كانت كتلاً كبيرة تزن الواحدة منها أكثر من عشرة أطنان ويصف إدواردز هذه العملية بأن البنائين كانوا يجلبونها على زحافتها إلى أقصى نقطة ممكنة فوق جسر المشى ، أى فى مكان يواجه مباشرة المكان المقرر وضعها فيه فى البناء ثم تنزل الكتلة على جانبها من الزحافة لتستقر على عوارض خشبية Batts موضوعة فوق أحجار الكسوة السفلى المناظرة ( أى فى المدماك الأسفل ) وبينما تكون الكتلة فى ذلك الوضع ، تبسط طبقة رقيقة من المونة على كل من وجهها الأسفل والوجه المجاور للكتلة الأخرى والغرض من ذلك إيجاد نوع من التشحيم يساعد على تصحيح وضع الكتلة بعد استقرارها فى مكانها لكى تلتحم تماماً مع كتل الكسوة المجاورة لها والتي تحتها وتنطبق أيضاً مع كتلة الحشو الواقعة خلفها .

ولسنا نعرف تماماً الطريقة التى اتبعت لتثبيتها فى مكانها ولكن من المحتمل أن تثبيتها كان يتم بدفعها فوق براطيم أو عروق من الخشب Baulks مربوطة بحبال إلى بعضها وتركز على هذه العروق عتلات أو روافع Levers ثم يحركونها إلى الوراء ولتيسر استخدام هذه

العتلات كان البناءون أثناء قطع السطح الخارجى للكتلة يتركون بروزات Bosses (شكل ١١) فيه وبهذه الطريقة تحرك كتلة الكسوة حتى تصبح على حذاء الخط تماماً . وقد استطاع المصريون بهذه الطريقة الوصول إلى منتهى الدقة فى اللحامات بين أحجار الكسوة فيقول بترى أن متوسط سمك هذه اللحامات لا يزيد على ١/٥٠ من البوصة !!.

### استخدام المنحدر وجسور المشى فى صقل أحجار الكسوة من أعلى إلى أسفل :

يبدأ العمل بعد ذلك فى صقل الجوانب الأربعة الخارجية للهرم بادئين بحجر القمة متجهين إلى أسفل . . . وهى العملية التى قصدها هيرودوت بقوله أن البناء كان يسير من أعلى إلى أسفل . . . التى أثارت فيما مضى حيرة الباحثين فالمقصود بقوله هذا صقل كسوة الهرم (وإن كان هناك رأى آخر يتفق مع رواية هيرودوت تماماً وهو أن كتل أحجار الكسوة بكاملها كانت تضاف بعد إتمام بناء جسم الهرم الذى تكون درجاته فى داخل الصندوق الضخم المشيد باللبن تشبه شكله اليوم بعد أن نزع كل أحجار الكسوة على يد حكام مصر عبر العصور للاستفادة بها فى مبانىهم ) . . . وكلما تقدم العمل فى صقل الكسوة فى درجة من درجات الهرم يزال منحدر التمرين وجسور المشى من أمام الدرجة الواقعة أسفل هذه الدرجة فتظهر بذلك درجة جديدة من أحجار الكسوة يبدأون فى صقلها هى الأخرى وهكذا يسير العمل . ولكى ينجز العمل بسرعة أكبر فمن المحتمل ألا تجرى عملية تخفيض المنحدر وجسور المشى تدريجياً بل فى طبقات تبلغ ارتفاع كل منها بضعة أقدام حتى يمكن إقامة سقالات من الخشب بدلاً منها ( من المؤكد أن المصريين عرفوا السقالات كما يدل على ذلك رسم سقالات فى مقبرة رخميرع المذكور سابقاً ) وبهذا استطاع استخدام عدد كبير من العمال يعملون على مناسيب مختلفة فى وقت واحد .

### أوجه الاختلاف بين آراء بترى وآراء إدواردز بخصوص بناء كسوة الهرم :

تختلف النتائج التى أثبتتها إدواردز فى كتابه عن استنتاجات فلندرز بترى (Petrie 1930, p. 33-39) الذى يعتقد أن المصريين بنوا منحدرًا واحدًا . ( أى أنه لم يذكر شيئاً عن جسور المشى التى ذكرها إدواردز ) ولذلك اختلفت طريقتهم فى بناء كسوة الهرم الخارجية (طبقاً لآراء بترى ) . . . فبينما يقول إدواردز أن المصريين ارتكزوا على جسور المشى فى بنائها وركزوا عليها العتلات لتثبيت هذه الأحجار فى أماكنها ، وإنهم لم يوصلوها من الخارج إلا بعد إتمام الهرم كله بادئين من أعلى ومنتهين بالجزء الأسفل ، يقول بترى أن أحجار الكسوة



كانت تصقل تماماً قبل نقلها إلى أماكنها وكانت توضع فى مكانها بتحريكها من الداخل أى أن الكسوة توضع أولاً فى كل مدماك ثم يُملأ وسط الهرم بعد ذلك . وبهذه الطريقة يلزم إقامة منزلق واحد فقط ويتم إنجاز أوجه الهرم الثلاثة حال وضع أحجار كسوتها . وقد دعم بترى وجهة نظره بقوله : " أن هناك فرقاً بسيطاً فى الزاوية بين كتل الكسوة عند تلاحمها مما يثبت أن الأوجه لم تصقل منذ أن بنيت معاً " .

ويرد إدواردز على ذلك ، بأن نظرية بترى تنطبق على كسوة المدماك السفلى من الهرم الأكبر ( وهى أحجار الكسوة الوحيدة الباقية فى ذلك الهرم حتى اليوم ) ولكن تعميمها على المداميك العليا غير مقبول . فجميع الأحجار التى ينطبق عليها قول بترى موجودة فى المدماك السفلى وتحتها أرضية ناعمة ورصيف Pavement من أحجار طرة الجيرية تبرز إلى خارج الهرم نحو قدمين ( برستد ١٩٢٩م ، ص ٧٤ وشكل ٦٦ )

وعلاوة على ذلك فإن هذه الأحجار بالذات أى أحجار المدماك الأسفل من الكسوة ربما وضعت قبل غيرها من أحجار قلب الهرم لكى تحدد حجم واتجاهات قاعدة الهرم ، وذلك لأنه يمكن عمل التعديلات البسيطة فى وضع أحجار كسوة هذا المدماك إذا ما كانت طليقة من الأمام والخلف أى إذا بنيت قبل بناء باقى الأحجار الداخلية من كتل حشو وغيرها . وأن أى خطأ عند بناء القاعدة يسبب الخطأ فى الأثر كله ربما أخل بنظام شكله ( إدواردز ١٩٥٦ ، ص ٣٣١ ) .

وهكذا يوافق إدواردز على رأى بترى فى أن أحجار الكسوة الخارجية بنيت من الداخل ولكن ذلك فى المدماك السفلى فقط أما المداميك الأخرى فقد شرح طريقة بنائها من الخارج .

ويسوق إدواردز دليلاً على أن أحجار الكسوة فى المداميك الواقعة فوق المدماك السفلى كانت توضع من الأمام ( أى من خارج الهرم بالإرتكاز على المنحدر وجسور المشى ) بأمثلة من الأهرامات التى لم يتم صقل كسوتها . ومثال ذلك هرم منكاورع حيث نجد أن الحجر الجيري الذى استعمل فى كساء الجزء الأعلى كان تام الصقل . ولكن أحجار الجرانيت التى تكسو الأجزاء السفلى لم يتم صقلها ، وبهذا تحددت النقطة التى وقف عندها العمل . وأن وضع الأحجار من الأمام يستلزم ترك الأوجه الخارجية للأحجار فى حالة خشنة إلى أن توضع فى مكانها . ثم يصقل بعد ذلك من أعلى إلى أسفل كلما أزيلت جسور المشى والمنحدر وهكذا يؤيد أحجار كسوة هرم منقرع نظرية المنحدر وجسور المشى ( إدواردز ١٩٥٦ ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ ) .

## تفسير المصطلحات المعمارية الواردة فى هذا البحث :

- ١ - Ramp منحدر - منزلق - طريق صاعد .
- ٢ - Supply - ramp منحدر التموين - منزلق التموين - منحدر الإمداد : وهو المنحدر الرئيسى الواصل بين أعلى البناء وبين الأرض ويستخدم فى تموين أو إمداد المشتغلين بالبناء فوق الهرم بالحجارة والأدوات اللازمة للبناء بنقلها على زحافات يجرها الرجال .
- ٣ - Foot-hold embankment = جسور المشى - جسور مشى العمال - ممشى العمال : وهى الجسور الثلاثة التى تحيط بأوجه الهرم الأخرى ( أى باستثناء الوجه الذى يلاصقه منزلق التموين ) وتستخدم لانتقال العمال ونقل الكتل الحجرية وخاصة أحجار الكسوة الخارجية كما تستخدم فى تركيز الروافع التى تثبت هذه الأحجار فى أماكنها .
- ٤ - Core-blocks = كتل القلب أو قلب الهرم : وهى كتل من الحجر الجيري تكون قلب الهرم وكانت تسوى من سطوحها العليا والسفلى فقط بينما تترك أوجهها الجانبية دون صقل .
- ٥ - Packing-blocks = كتل الحشو : وهى كتل من الحجر الجيري المحلى تفصل بين أحجار قلب الهرم غير المصقولة وبين أحجار الكسوة الخارجية المصقولة فى المدامك الواحد . لذلك كانت تصقل من الناحية المواجهة لأحجار الكسوة .
- ٦ - Platform = رصيف : يطلق على السطح العلوى للهرم أثناء بنائه ويتخذ شكل الرصيف نتيجة رص الأحجار فيه ابتداء من مركز الهرم نحو الخارج حتى حدود كتل الحشو .
- ٧ - Internal casing = التكسية أو الكسوات الداخلية : وتتكون من أحجار طرة الجيرية الناعمة التى تقطع من الخارج بزاوية ٧٥° وتترك هذه الأوجه دون صقل ، وترص على مسافات منتظمة من مركز الهرم نحو الخارج والغرض منها جعل جوانب الهرم متساوية فى الطول وحفظ شكله المربع .
- ٨ - Outer casing = التكسية أو الكسوة الخارجية : وهى أحجار الكسوة الظاهرة فى الهرم من الخارج وتتخذ من أحجار طرة الجيرية الناعمة وتصل من جميع



سطوحها وتلاصق كتل الحشو من الداخل . وجانبها الخارجى يميل بزاوية ميل الهرم .

٩ - Joints = لحامات : وهى الخطوط الفاصلة بين الأحجار .

١٠ - rising-joints = اللحامات الصاعدة : وهى الخطوط الرأسية الفاصلة بين الأحجار .

١١ - Oblique rising-joints = اللحامات الصاعدة المائلة : وهى الخطوط الفاصلة بين

الجوانب الخارجية لأحجار الكسوة الخارجية للهرم . وأوجه هذه الأحجار مائلة بزاوية ميل الهرم .

١٢ - Pavement = الرصيف السفلى : وهو العتب الذى ترتكز عليه كسوة المدماك السفلى فى الهرم وهو ظاهر فى الهرم الأكبر ويبرز إلى الخارج بمسافة قدمين تقريباً .

١٣ - Course = مدماك - طبقة - درجة من درجات الهرم ( طبقاً لارتفاع أحجار الكسوة الخارجية ) .

١٤ - Rockers-Cradles = هزازات : وهى القطع الخشبية التى تشبه هزازات الكرسي وتستخدم فى " هز " قطعة الحجر لرفعها باستخدام الخوابير wedges التى على شكل ألواح مشطوفة من أحد جوانبها .

١٥ - Baulks = عروق أو براطيم ( من الخشب ) .

١٦ - Bedding-joints = اللحامات السفلية : وهى الفواصل بين الأحجار العليا والسفلى التى ترتكز عليها كتل الأحجار .

١٧ - Levers = روافع - عتلات .

١٨ - Battens = عوارض خشبية .

١٩ - Bosses = عقد بارزة - بروزات .

٢٠ - Sleepers = فلنكات .

## المصادر والمراجع

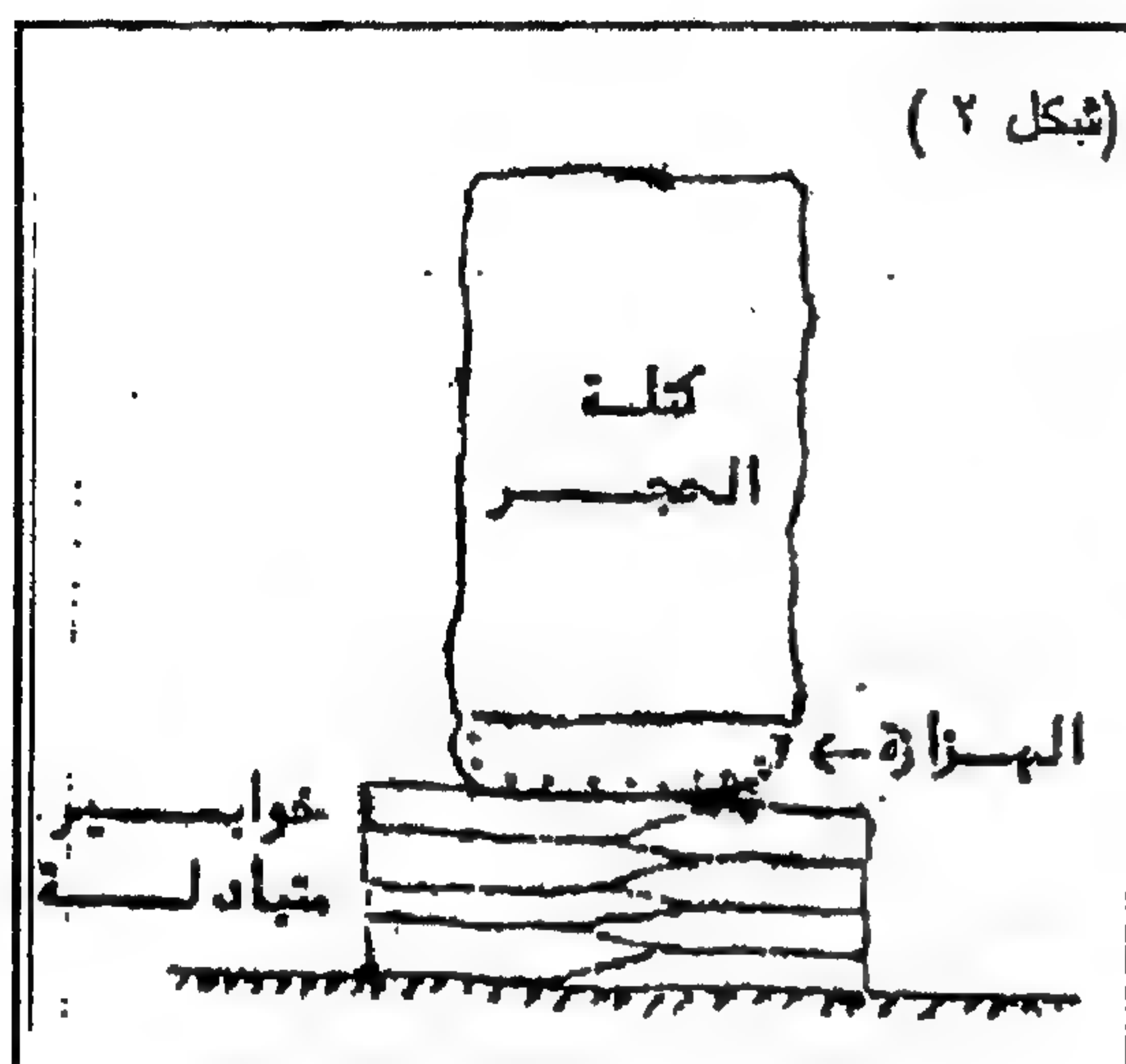
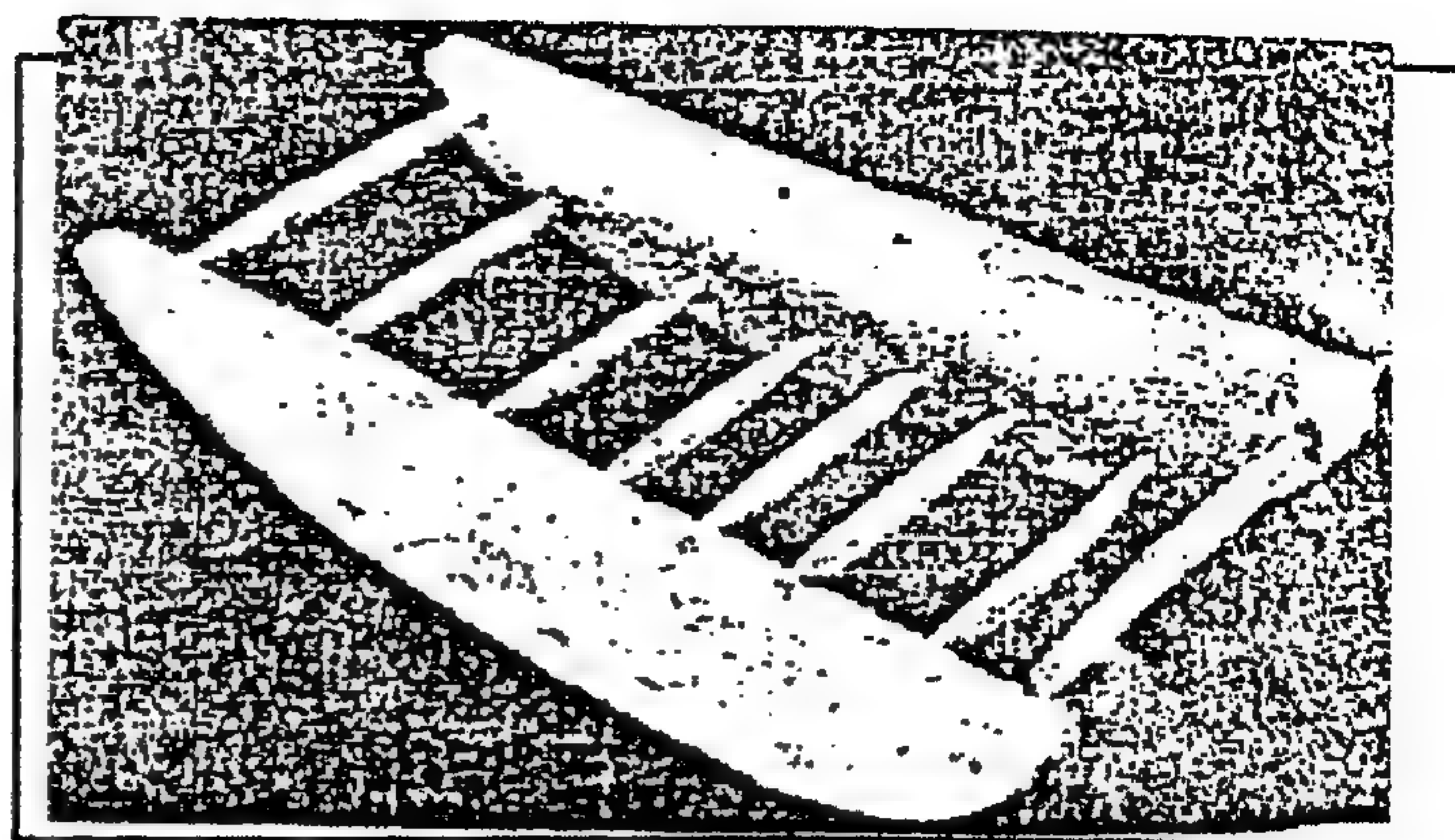
استخدمنا فى كتابة عناوين هذه المصادر والمراجع ، النظام الحديث فى المؤلفات الأوروبية والأمريكية ( وأيضاً فى بعض الدوائر العلمية العربية ) المعروف باسم Harvard Referenc-es System والذي يتلخص فى الإشارة إلى المرجع فى متن البحث باسم المؤلف وسنة الطبع ورقم الصفحة فقط ولذلك أصبح نظاماً عالمياً نظراً لتمييزه عن النظام التقليدى القديم السائد فى بعض المؤلفات العربية - تميزه بمرونته وعدم إهدار وقت وجهد القارئ فى تقليب الصفحات من أن لآخر للتعرف على المصادر والمراجع ، فضلاً عن المساحة التى يوفرها نتيجة لاختصاراته وكتابة الاختصارات فى متن البحث .

- ١ - أحمد فخرى ١٩٦٣ : الأهرامات المصرية ، القاهرة .
- ٢ - إيدواردز ١٩٥٦ : إيدواردز ، أ.أس. ، أهرامات مصر ، ترجمة مصطفى عثمان ومراجعة أحمد فخرى ، القاهرة .
- ٣ - برستد ١٩٢٩م : برستد ، ج.ه. ، كتاب تاريخ مصر ، ترجمة حسن كمال ، القاهرة .
- ٤ - محمد زكريا غنيم ، ١٩٦١م : الهرم الدفين ، تأليف محمد زكريا غنيم ( بالإنجليزية ) وترجمة زكى سوس ومراجعة جمال الدين مختار ، القاهرة .
- ٥ - محرم كمال ١٩٣٦م : محرم كمال ، تاريخ الفن المصرى القديم ، القاهرة .
- ٦ - وهيب كامل ١٤٩٧ ، وهيب كامل ، ديوبور الصقل فى مصر ، القاهرة .
- ٧ - محمد صقر خفاجة ١٩٦٦م ، هيرودوت يتحدث عن مصر ، ترجمة محمد صقر خفاجة وشرح أحمد بدوى ، القاهرة .
- 8 - Clarke & Engelbach 1930. Clarke, Somers & Engelbach, R.; Ancient Egyptian Masonry. Oxford.
- 9 - Gardiner 1911, Gardiner, A.; Egyptian Hieratic Texts, London.
- 10 - Landström 1970, Landstrom, Björn; Ships of the Pharaohs, New York.
- 11 - Lauer 1952, Lauer,J.f.; Le Probème des Pyramides de L'Egypte, Paris.
- 12 - Newberry 1900, Newberry, P.; The Life of Rakhmara, London.
- 13 - Petrie 1930, Petrie, M.F.; "The Building of a pyramid" Ancient Egypt, Part II, London.



(شكل ١) الهزاز الذي وجد بين  
ودائع أساس معبد حتشبسوت

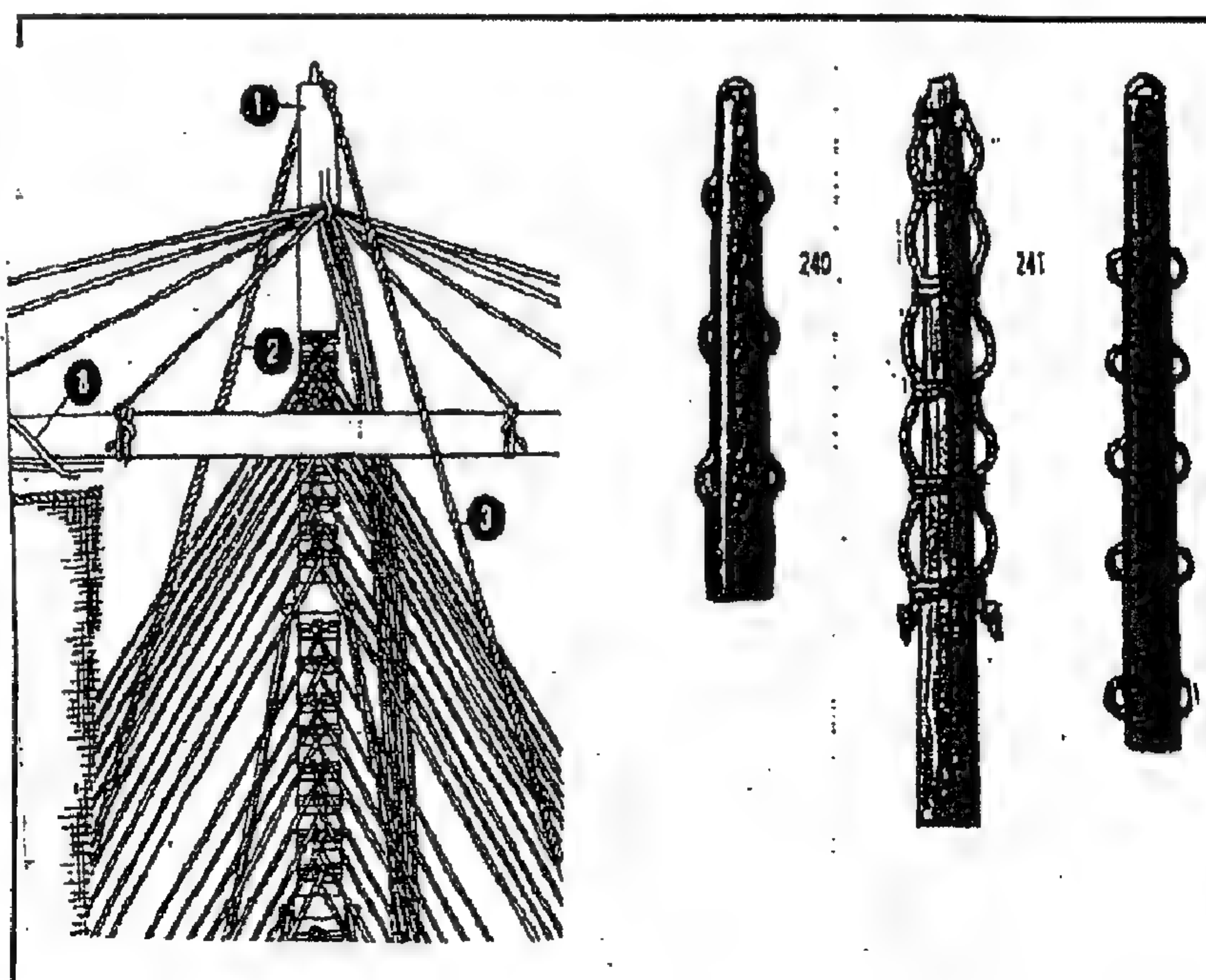
في الدير البحري  
(Clarke & Engelbach  
1930, fig.89)

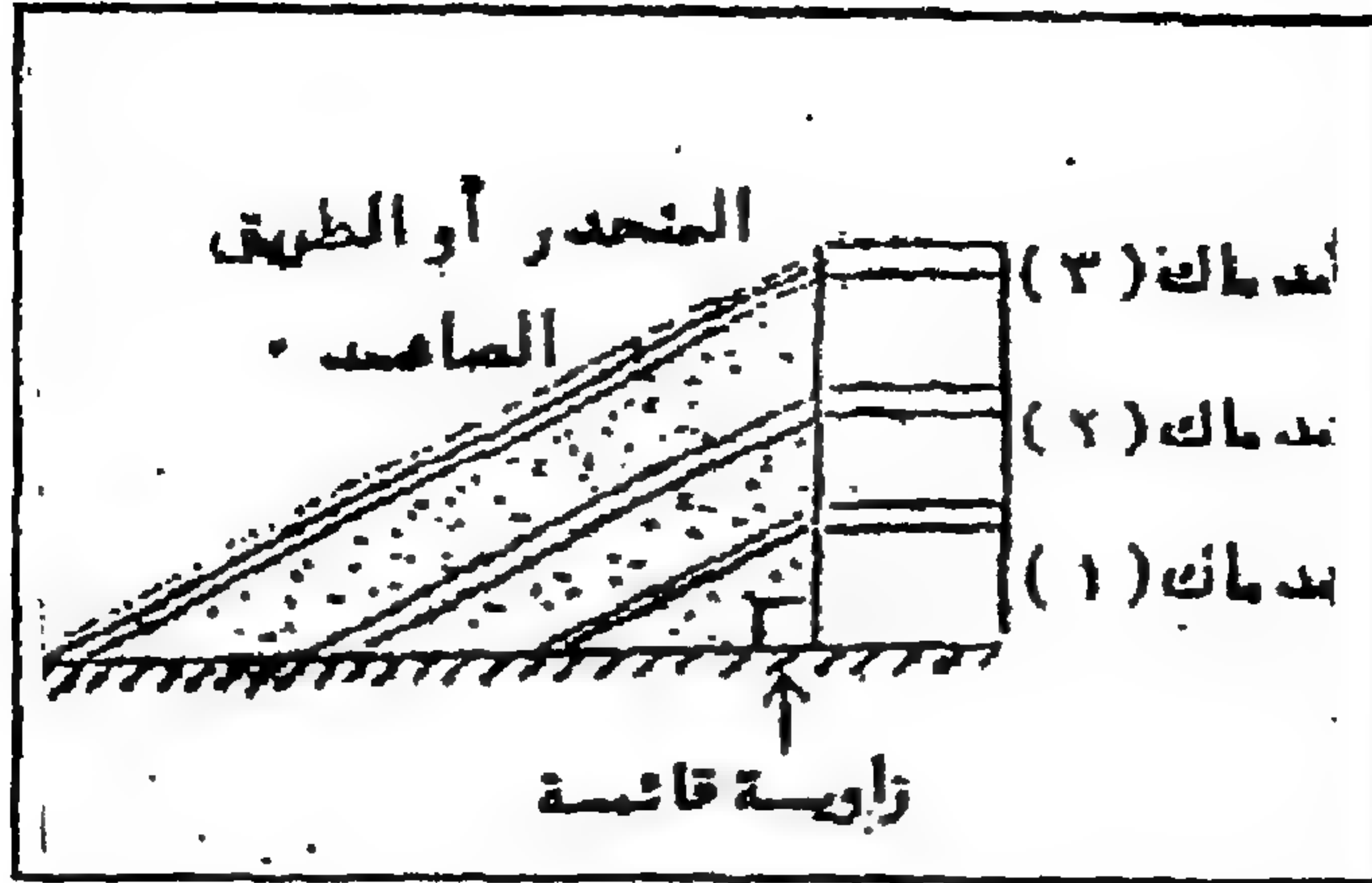


(شكل ٢) يوضح كيفية استخدام  
"الهزازات" في دفع كتلة الحجر

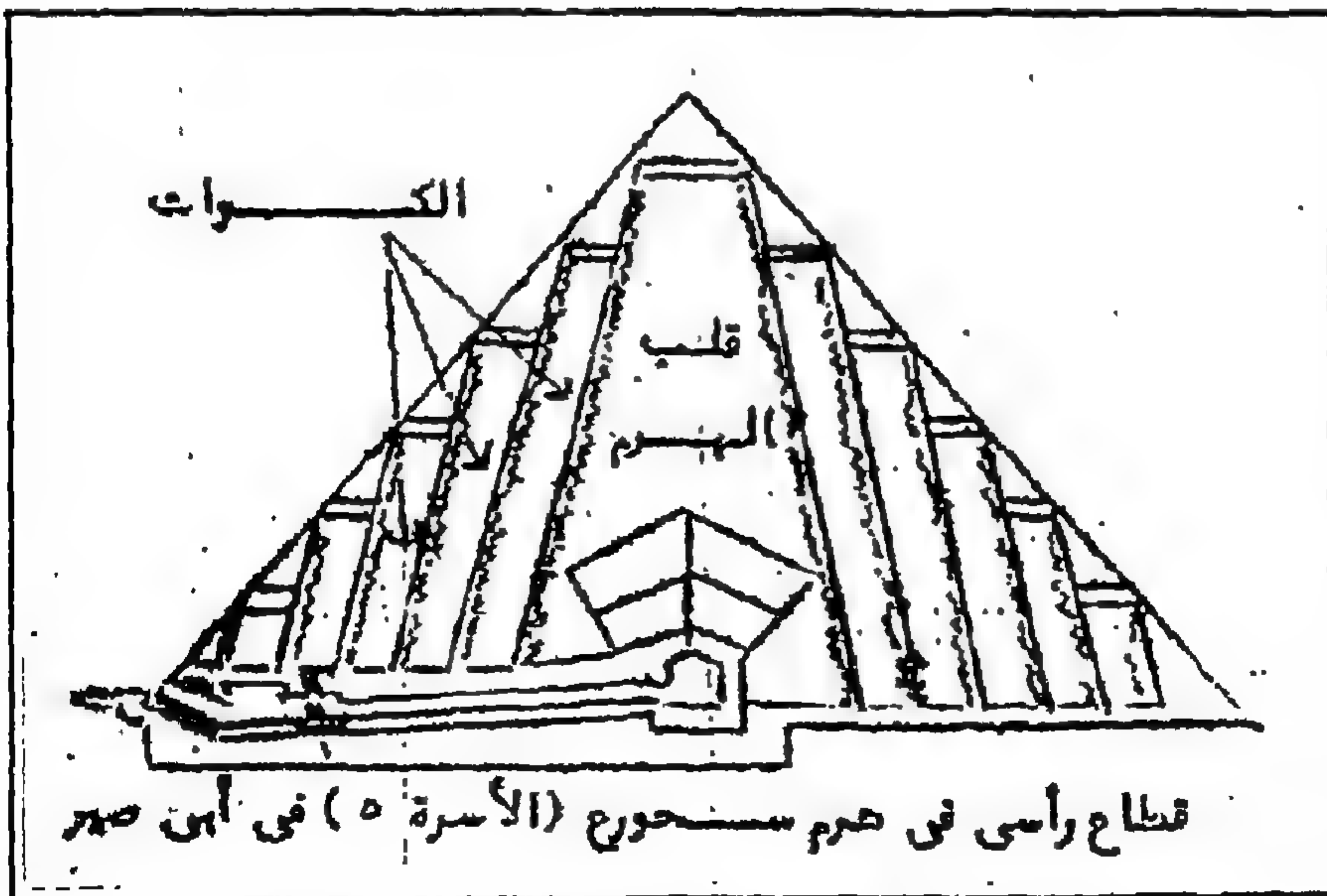
(شكل ٣) قعم صواري  
السفن كما رسمت على  
الآثار المصرية ويلاحظ  
وجود عراوي من  
الحبال لتمير حبال  
رفع الشراع بدلاً من  
البكرة التي لم  
يستخدمها المصريون  
القديما في رفع الأثقال

(Landström  
1970, fig 239-  
244)





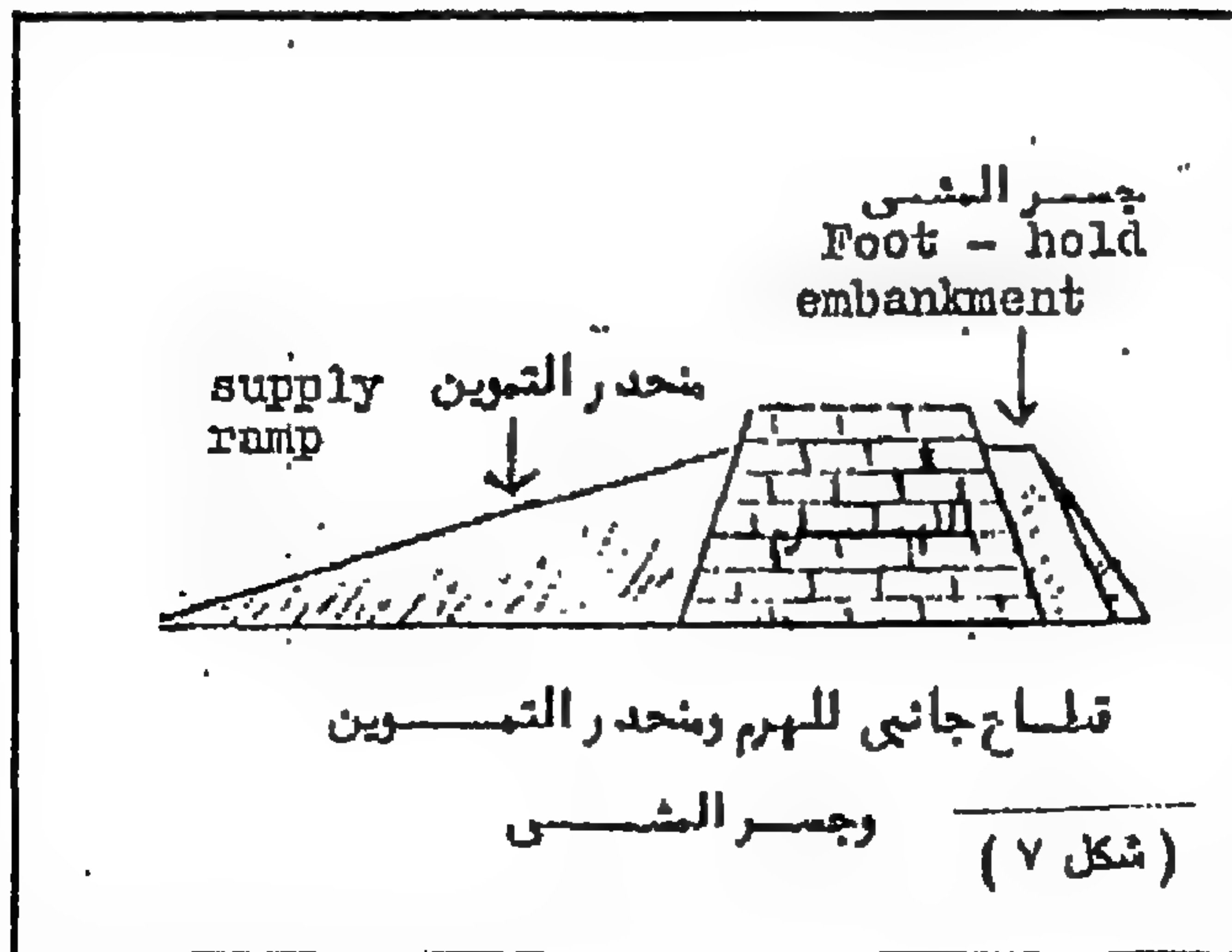
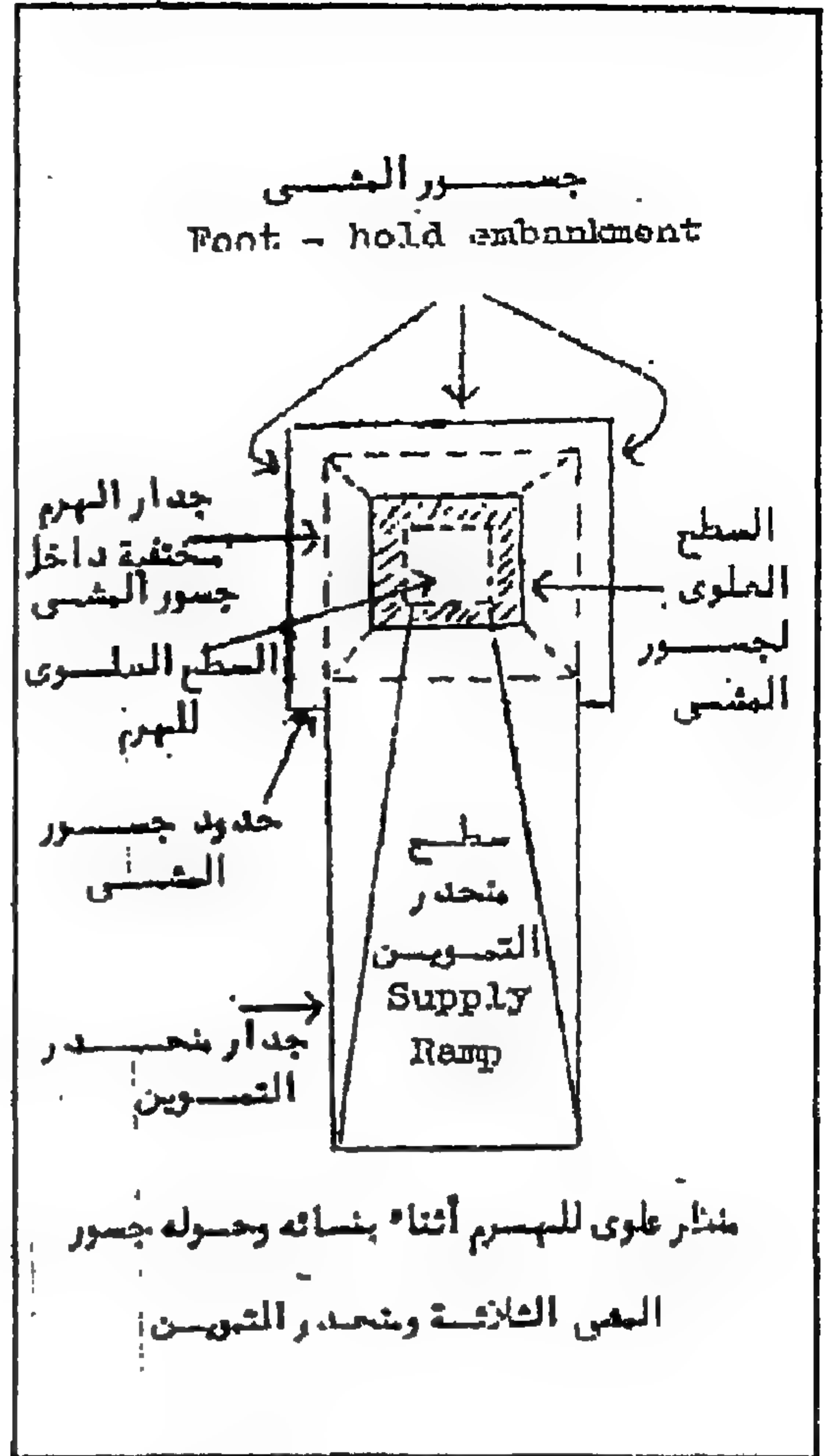
(شكل ٤) شكل يوضح مراحل تغلية المنحدر  
أمام المداميك وامتداده للمحافظة على درجة الانحدار



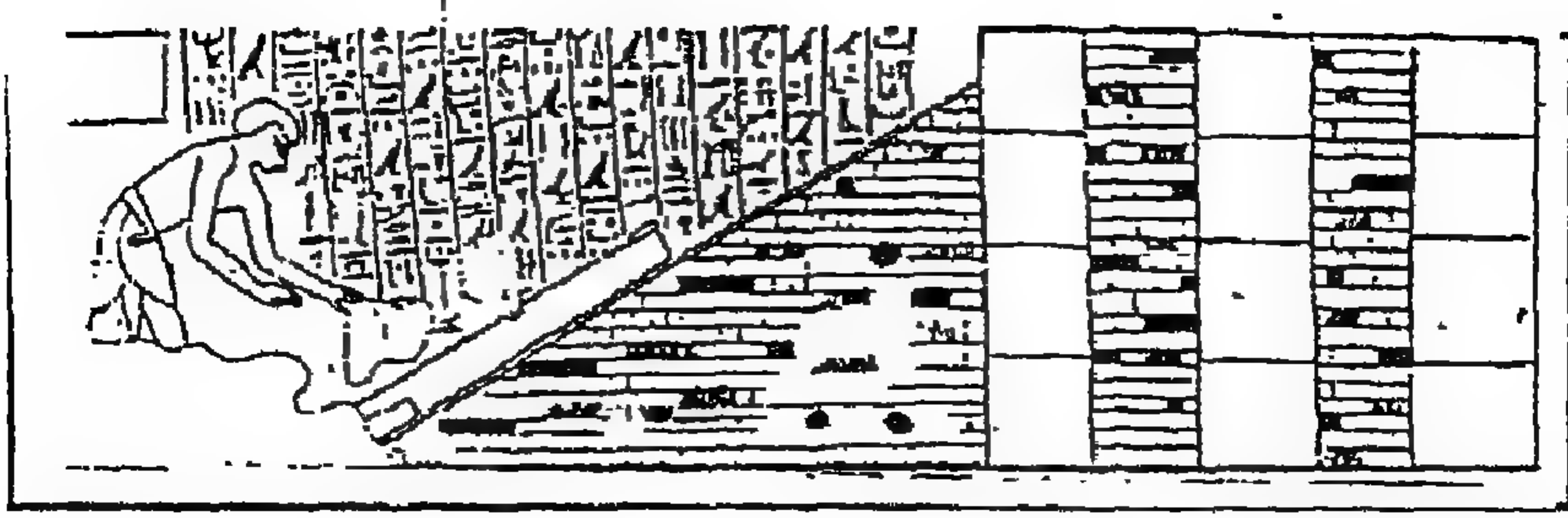
(شكل ٥) يوضح طريقة إضافة الكسوات الداخلية



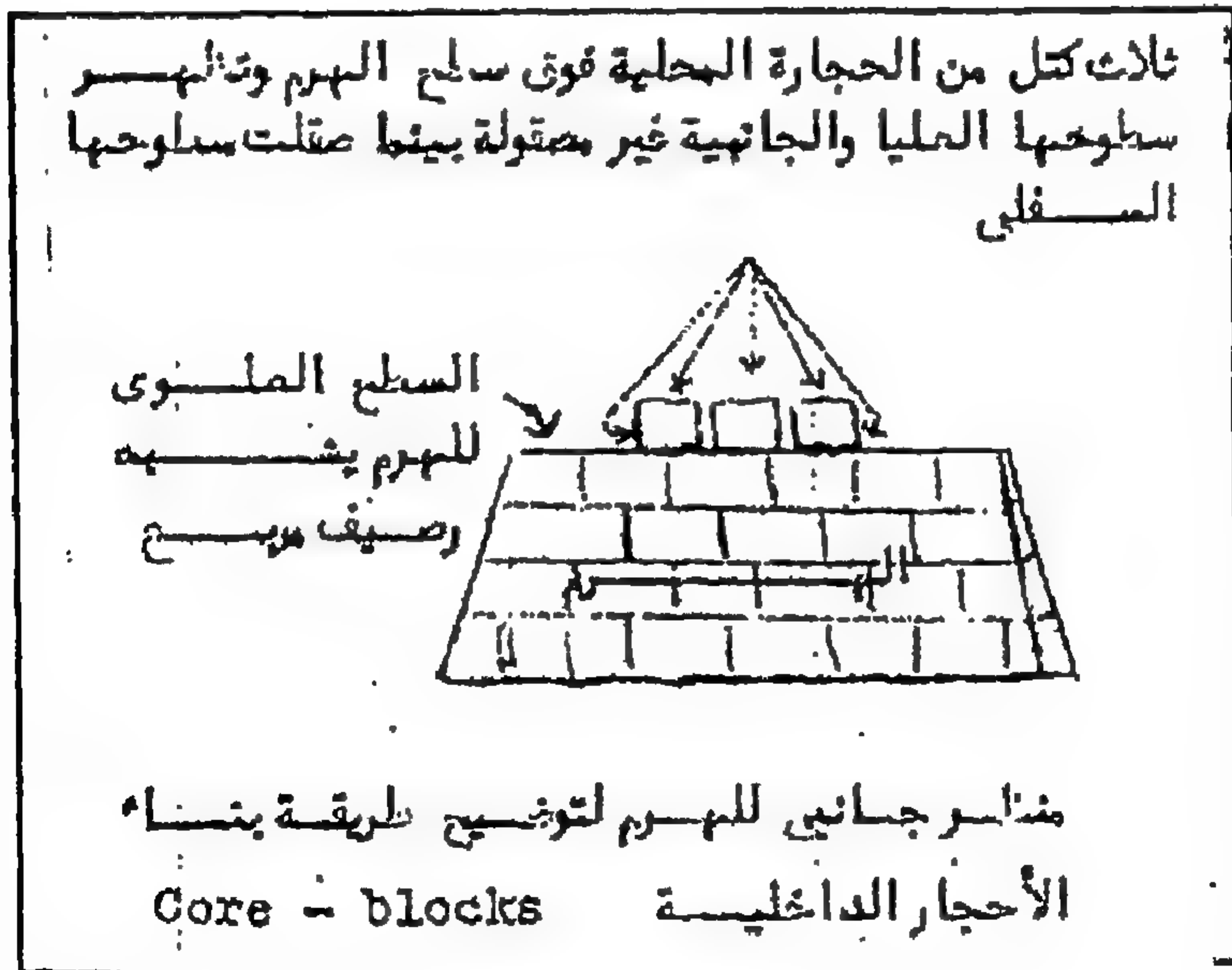
(شكل ٦)  
كيفية بناء المنحدرات ونظامها



شكل (٧)  
قطاع جانبي للهرم ومنحدر التموين وجسر المشى



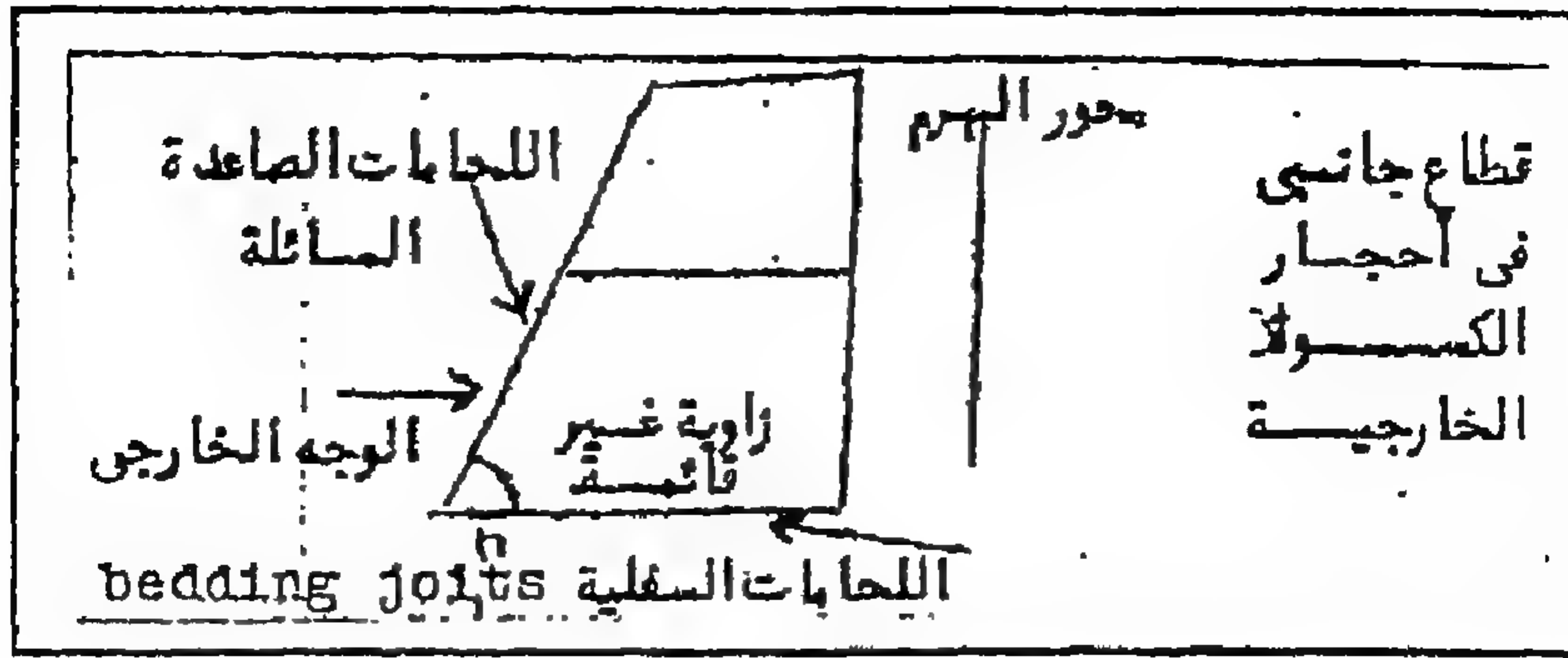
( شكل ٨ ) المنحدر المرسوم على جدار مزار مقبرة رخميرع في طيبة الغربية والغرض منه كما هو واضح في الرسم رفع كتلة العتب العلوى إلى أعلى قاعدة الأعمدة ، وقد ميز الرسام المصرى القديم المنحدر وجسور المشى بالمستطيلات الرفيعة إشارة إلى قوالب اللبن .



( شكل ٩ )

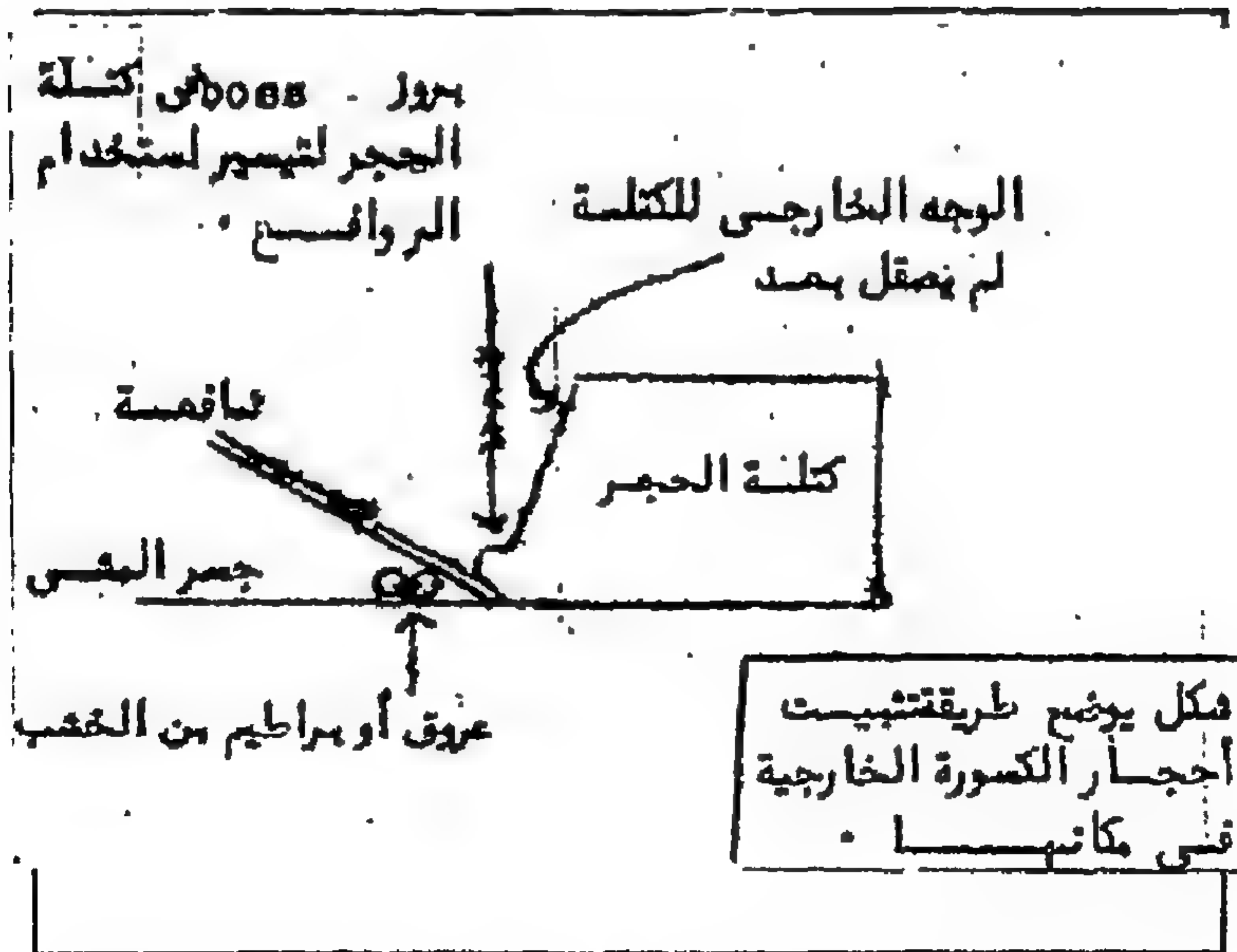
منظر جانبي للهرم لتوضيح طريقة بناء الأحجار الداخلية  
Core - blocks





( شكل ١٠ )

قطاع جانبي فى أحجار الكسوة الخارجية



( شكل ١١ )

شكل يوضح طريقة تثبيت أحجار

الكسوة الخارجية فى مكانها





د. عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح (\*)

## دراسة نقدية وتحليلية لمناهج البحث التاريخى لدى مؤرخى المدينة فى القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى

تقديم :

نقتصر فى هذا البحث - بشىء من التجوز - على دراسة مؤرخى المدينة فى القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى من خلال تسليط الأضواء على نتائجهم التاريخى ، ومناهجهم التى اتبعوها فى تدوين مؤلفاتهم .. مع القيام بتحليلها ونقدها .

وسوف نعالج - خلال الفترة الزمنية المحددة ما أمكن - مؤرخى المدينة فى ( طور النشأة ) ، ويتم تناولهم من خلال الجزئيتين التاليتين :

١ - عصر الصحابة : وفيه نقوم بدراسة الصحابييين : سهل بن أبى حشمة ، وعبد الله بن عباس من خلال الترجمة لهما ، وبيان إسهامهما فى حركة التأليف التاريخى ، لاسيما ابن عباس الذى قمت بتجميع ما تيسر لى من بقايا مروياته التاريخية ، ثم محاولة استنباط منهجه العام من خلالها ، مع تحليل ونقد ما يحتاج منها إلى نقد وتحليل .

\* - مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

٢ - عصر ما بعد الصحابة : وفيه تتم دراسة أبرز مؤرخي المدينة من الجيل التالي للصحابة وفق المنهج المذكور سلفاً . وتضم هذه المرحلة : عروة بن الزبير ، وعاصم بن عمر ابن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

وأخيراً ، أحب أن أنوه إلى أن هذا البحث يتلوه بحث مكمل له ، أواصل فيه دراسة مؤرخي المدينة في المرحلة التالية في ( طور النمو والازدهار ) ، وهو يغطي القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، إن شاء الله .

### مؤرخو المدينة في طور النشأة :

#### ١ - في عصر الصحابة :

يرى الدكتور فؤاد سزكين أن التاريخ - كسائر العلوم الأخرى - قد مرّ بمراحل ثلاث : الأولى : مرحلة السماع من الرواة الذين يقصون الأحداث التاريخية الأولى ، وعنهم ينقل الناس شفاهاً .

الثانية : مرحلة تم فيها حفظ المرويات الشفهية ، ثم استعين على تثبيتها بتدوينها بين فترة وأخرى ؛ خشية النسيان والضياع .

الثالثة : مرحلة نقل العلم للآخرين ، مع الحرص على نقل الروايات التاريخية بطريق شفهي ، يتم فيه سماع التلميذ من الأستاذ ؛ حتى لا تُنْذَس مرويات محرفة تُشَوِّه الحقائق التاريخية الثابتة . ومن هنا فالروايات الشفهية مقدمة في وثاققتها على تلك التي نُقلت من صحف مدونة (١) .

والحق أن التقسيم السزكيني السابق غير دقيق ؛ لأنه يفصل بين أمور لا يتصور الفصل بينها ؛ فالمشافهة ، والتدوين ، والنقل للآخرين ، كل ذلك يتم في آن واحد ، كما سنبين بعد قليل . وكذلك يؤخذ على سزكين أنه لم يوضح الفترة الزمنية التي استغرقتها المراحل السابقة ، فأتى كلامه مرسلاً غير محدد . - كما أن هذه التقسيمات - إن وجدت بالصورة التي يفترضها - فلا بد أنها استغرقت وقتاً ليس بالقصير ، وهو ما يتنافى مع قوله في موضع آخر: إن كتابة التاريخ - على وجه الخصوص - كانت مبكرة (٢) .

وعلى كل ، فالثابت لدينا أن المسلمين اهتموا - منذ وقت مبكر جداً - بتدوين الأحداث التي جرت في حياة النبي ﷺ ، سواء تلك التي وقعت بالمدينة ، أم تلك الإنجازات التي أنجزها



المسلمون في ربوع الدولة الإسلامية الناشئة بالمدينة . ولا ريب أن ذلك أتى في إطار اهتمام بعض الصحابة بتدوين أحاديث النبي ﷺ بكل ما تشتمل عليه من أقوال ، وأفعال ، ووقائع ، وأحداث . ولا غرو في ذلك ؛ لأن الصحابة هم أجدر وأقدر الناس على إعطاء صورة شاملة متكاملة صادقة لما كانت عليه الأوضاع في تلك الفترة .

وثمة شواهد تاريخية - هي ومضات تضيء لنا جنبات هذا الموضوع - تدلل على صدق ما تقدم ، منها ما يلي :

أ. - الصحابي سهل بن أبي حثمة (٣) الأنصاري الخزرجي المدني رضي الله عنه :

هو صحابي صغير السن ، ولد سنة ثلاث من الهجرة / ٦٢٤ هـ ، وذلك يعني بلوغه سن الثامنة عند وفاة النبي ، فكان صبيًا مميّزًا ، حفظ عنه بعض الأحاديث ، وروى عن بعض الصحابة أحاديث أخرى . ومن الصحابة الذين روى عنهم : زيد بن ثابت ، ومحمد بن مسلمة . توفي في خلافة معاوية ( ٤١ - ٦٠ هـ / ٦٦١ - ٦٧٩ م ) . (٤) .

يبدو أن هذا الصحابي دون عن كبار الصحابة شيئًا من حياة الرسول ﷺ ومغازيه ، فطالع ذلك حفيده محمد بن يحيى بن سهل ، الذي عبر عن ذلك بقوله : " وجدت في كتب آبائي " (٥) . ولم يقتصر الأمر على ذلك ؛ إذ إننا بتتبع عدد مرويات هذا الحفيد ، ألفيناه يروى عن أبيه عن جده أحيانًا (٦) ، ويروى عن عمه محمد بن سهل بن أبي حثمة أحيانًا أخرى (٧) . وقد احتفظ لنا بجانب منها بعض مؤرخي السيرة النبوية في مصادرهم الباقية ، مثل : الواقدي (٨) ، ومحمد بن سعد كاتبه (٩) .

ب. - عبد الله بن عباس رضي الله عنه :

هو ابن عم رسول الله ﷺ . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ودعا له الرسول بالفهم في القرآن . وكان يسمى البحر والحير ؛ لسعة علمه . وكان أحد الصحابة الكثيرين في الرواية ، وأحد فقهاء المدينة المشهورين . روى عن النبي ﷺ ، وأبي بكر ، وعثمان ، وعلى ، وغيرهم . ويتضح من استعراض حياته أنه مكى المولد ، مدني المقام . توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ / ٦٨٧ م (١٠) .

علومه ومعارفه :

حصل ابن عباس علومًا نافعة كثيرة ، تميز بها على أقرانه ومعاصريه ، وكان يجلس لتعليم الناس علومًا شتى . فكان يدرس الفقه لطلاب العلم في الأسبوع يومًا ، ويجعل للتأويل (

(التفسير) يوماً ، وللشعر يوماً ، ويوماً لأيام العرب ، وللمغازى يوماً . وما رُئى عالم - قط - جلس إليه إلا أقر له بالعلم الغزير والفهم العميق ، وما سأل سائل إلا وجد عنده علماً (١١) .

يعد التاريخ من العلوم الأساسية التى برع فيها ابن عباس ، وفهمها حق الفهم ، فأدرك قيمة (التوقيت) وأهميته فى واقع الناس ، وحياتهم العملية ، ولفت أنظارنا إلى إشارة القرآن إلى الأهلة (جمع هلال) ، باعتبارها وسيلة لمعرفة الناس مواقبتهم (١٢) ، حيث يستعينون بها فى معرفة أوقات صومهم وفطرم ، وحساب عدة نسايتهم ومدة حواملهم ، ووقت سداد ديونهم ، ودفع أجور أجرائهم (١٣) . وذلك يعنى أنه أصاب كبد الحقيقة ، عندما تنبه إلى أن معرفة توقيت الأحداث أمر أساسى وأصيل فى فهم التاريخ .

لزم ابن عباس كبار الصحابة - بعد وفاة النبى - من المهاجرين والأنصار ، وأخذ يسألهم عن مغازى رسول الله ﷺ ، وما نزل من القرآن فى ذلك ، فكان لا يأتى أحداً منهم إلا سر به؛ لقرايته من رسول الله ﷺ (١٤) . ولاشك أنه قد تجمع لديه قدر كبير جداً من الروايات التاريخية ، خاصة ما يتصل منها بالعصر النبوى . ولدينا نص مهم يفيد أن ابن عباس كانت لديه مدونات خاصة به . سجل فيها كثيراً من مروياته . ويبدو أن هذه الصحف كانت من الكثرة بحيث بلغت حمل بعير ، وانتقلت إلى كريب مولى ابن عباس (١٥) بعد وفاته غالباً ، ثم انتقلت - بطريقة أو بأخرى - إلى مؤرخ المغازى المشهور موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ / ٧٥٨ م) . وكان على بن عبد الله بن عباس (١٦) إذا احتاج إلى كتاب منها ، كتب إلى كريب أن يبعث إليه به ، فينسخه ، ثم يعيد إليه إحدى النسختين (١٧) .

#### جانب من مرويات ابن عباس التاريخية :

لابن عباس رضى الله عنه تأثير بعيد المدى لأجيال ممتدة ، بل لقرون تالية ، حيث أفاد منه كثير من المؤرخين ، على رأسهم : الإمام الطبرى (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ، وذلك فى جوانب شتى من التاريخ ، مثل : بدء الخلق ، والتاريخ القديم بما فيه تاريخ الأنبياء ، وتاريخ الشعوب العربية البائدة . وكذلك نقل عنه الطبرى ما يتصل بأحداث السيرة النبوية حتى وفاة الرسول ﷺ ، وبعض الأحداث المرتبطة بتاريخ الخلفاء الراشدين ، والأمويين حتى سنة ٦٠ هـ / ٦٧٩ م (١٨) . ويمكن بيان ذلك فى رؤوس موضوعات على النحو الآتى :

\* بدء الخلق : مدة الزمان (الدنيا) من البداية حتى النهاية سبعة آلاف عام (١٩) . - خلق السموات والأرض والشجر والجبال وغيرها ، وأيام الأسبوع التى تم فيها ذلك ، ونفى ما زعمه



اليهود عن الله عز وجل أنه استراح في اليوم السابع ( يوم السبت ) (٢٠) - كان إبليس من أشرف الملائكة ، وكان خازنًا على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وسلطان الأرض (٢١).

### من أحداث السيرة النبوية :

عمرو بن أسد عم السيدة خديجة وتزوجها إياها رسول الله ؛ لأن أباها مات قبل حرب الفجار (٢٢) - روايات منسوبة لابن عباس مختلفة فيما بينها تدور حول سن رسول الله عند البعثة ، والمدة التي مكثها في مكة بعد أن أوحى إليه (٢٣) - دعاء الرسول ومناشدته ربه وتضرعه الشديد إليه أن ينصره في غزوة بدر ، وموقف أبي بكر من ذلك ، وما أنزل من قرآن آنذاك (٢٤) - مشاورة الرسول أبا بكر وعمر بشأن أسرى بدر (٢٥) - توجيهات الرسول للمسلمين في أحد قبيل المعركة ، وتحديد أهم قادة المسلمين على الخيل ، وشخصية حامل اللواء (٢٦) ، وعدد المسلمين المبايعين تحت الشجرة في الحديبية (٢٧) - إرسال الرسول كتابًا مختومًا بخاتمه إلى كسرى مع عمر بن الخطاب (٢٨) - عمرة القضاء وإظهار المسلمين قوتهم أثناء الطواف حول الكعبة ، وتعليق ابن عباس على تلك الرواية (٢٩) - نص مطول عن موقف العباس لدى مقدم جيوش المسلمين لفتح مكة ، وخطوات إسلام أبي سفيان (٣٠) - ما رواه عن أخيه الفضل فيما يتعلق بخروج الرسول إلى المسلمين في مرض الموت ، وما أثر عنه من كلمات صادقات ، وعظات بالغات (٣١) - ابن عباس وروايته بنفسه ما حدث يوم الخميس السابق على وفاة الرسول ، حين أراد أن يكتب للمسلمين كتابًا ثم تراجع عن ذلك (٣٢) - غسل رسول الله ، ومن قام بذلك من المسلمين (٣٣).

### من تاريخ الراشدين :

( أبو بكر الصديق يكلف أفرادًا من القبائل المحيطة بالمدينة بحماية قبائلهم بعد خروج أسامة بن زيد بجيشه (٣٤) - اعتراض بعض القادة في اليمن على خروج الأسود العنسي (٣٥) - ما استقر عليه رأى عمر بن الخطاب والصحابه بخصوص أرض السواد بعد إتمام الفتوح الإسلامية بالعراق (٣٦) - نهى عمر أناسًا من قريش يتخذون مجالس خاصة بهم من دون الناس ؛ خشية التحزب والتناحر (٣٧) - بيان أول ما أنكر الناس على عثمان ، حيث أتم الصلاة في منى ولم يقصرها (٣٨) - حديث أبي ذر إلى عثمان بشأن وجوب أخذ الصدقات من القادرين ، وعدم الاكتفاء بجمع الزكاة المفروضة عليهم ، واختلافه وتعديه بالقول والفعل على

كعب الأحبار الذي عارضه في مجلس عثمان ، وتدخل الخليفة في الأمر (٣٩) - حديث ابن عباس عن حصار المصريين للخليفة عثمان ، وحقيقة مرقف على ابن أبي طالب منه ، وظروف الحج عام مقتل عثمان (٤٠) - كراهية ابن عباس مجئ على : كى يبايعه الناس ؛ لثلا يصيبه مكروه ، لكنه لم يستجب (٤١) - عدم استجابة على لنصح وتدبير ابن عباس (٤٢) - ابن عباس على ميمنة جيش على الخارج إلى البصرة (٤٣) ، وولايته عليها بعد ذلك (٤٤) - اشتراك ابن العباس إلى جانب على بصفين (٤٥) - ابن عباس يقبل تمثيل على في التحكيم ، لكن الخوارج يرفضون (٤٦) - مناقشة ابن عباس للخوارج وحجته عليهم (٤٧) - اعتزال ابن عباس العمل لعلى بعد الخلاف معه (٤٨) ، واستشهاد الإمام على أثناء وجود ابن عباس في مكة . (٤٩) .

من تاريخ بنى أمية : مدح ابن عباس سياسة وحكمة معاوية بن أبى سفيان (٥٠) - استجابة لنصح ابن عمر بمبايعة يزيد بن معاوية بعد أن كان أحد المعارضين لولايته (٥١) - نصح ابن عباس للحسين بن على ألا يخرج إلى الكوفة ، وقراءته المستقبلية للأحداث التي يمكن وقوعها وترتيبها على خروجه من الحجاز (٥٢) .

### بعض من مرويات ابن عباس : تحليل ، ونقد :

غطت مرويات عبد الله بن عباس جوانب عديدة عبر فترة زمنية طويلة ممتدة من التاريخ من لدن خلق الكون والإنسان حتى بداية خلافة يزيد بن معاوية ( ٦٠ - ٦٤ هـ / ٦٧٩ - ٦٨٣ م) . ولا شك أن مصادره التي استقى منها الأحداث اختلفت باختلاف الحقبة التي يعالجها . فالتاريخ القديم استقى بعض رواياته من الإسرائيليات (٥٣) ، فصار عرضة للنقد ؛ لأنه يخالف المنطق وواقع الحياة كما في الرواية التي تحدد عمر الدنيا بسبعة آلاف عام ، فهي بيئة الخطأ دون جدال . وبخصوص الرواية التي فصلت خلق الكون والإنسان ، ووزعت المخلوقات على أيام الأسبوع من الأحد حتى الجمعة ، فقد ثبت أنها من الإسرائيليات ( في سفر التكوين ) . (٥٤) ، وكذلك ما ورد فيها عن استراحة الله في اليوم السابع ( السبت ) على حد زعم اليهود (٥٥) .

ولاشك أن الرواية غير مقبولة ؛ خاصة جزءها الأخير الذي يتنافى مع جلال وكمال الذات الإلهية . وما جاء في الرواية عن استواء الله على العرش ، فهو مقبول بشرط ألا يساوى الاستراحة في المفهوم اليهودي (٥٦) ، ذلك المفهوم الذي يدحضه قوله تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا



السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٢٨) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ { (٥٧).  
أما الرواية التي تجعل الشيطان من الملائكة المقربين ، فهي غير صحيحة ؛ لأنه كان من الجن  
بنص قرآني قاطع صريح يقول فيه الله عز وجل : [ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا  
إِبْلِسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ { (٥٨).

اهتم ابن عباس بالتدقيق في نقل الروايات ، فبعضها يرويه عن أخيه الفضل ، كما في  
الرواية الخاصة بموعظة رسول الله ﷺ ، وقد خرج يتوكأ على الفضل ، يعظ المسلمين موعظة  
بليغة صادقة ، فهي موعظة مؤدع . وبذلك لمس ابن عباس هدفاً من أهداف التاريخ ( العظة  
والاعتبار ) . وأحياناً يروي لنا حدثاً رآه بنفسه ، كما هو الحال في الرواية التي أرخها بيوم  
الخميس السابق على وفاة الرسول ﷺ ، حين أراد أن يكتب للأمة كتاباً ؛ كي لا تضل بعده ،  
ثم تراجع لتنازع البعض عنده ، فاكتفى بتوجيهات ونصائح محددة للأمة . وقد يشارك ابن  
عباس في صنع الأحداث بنفسه ، ويكون طرفاً مؤثراً فيها ، فتبلغ درجة عالية من المصادقية ،  
كما هو الحال مع الروايات المرتبطة بخلافة على رضى الله عنه ، وحكم الأمويين .

شخصية ابن عباس حاضرة وواضحة في بعض المرويات التاريخية المنسوبة إليه ، فهو يدقق  
وينتقى ويختار أصحابها ، كما هو الشأن في الرواية التي تناولت زواج الرسول من السيدة  
خديجة ، وأن الذي تولى تزويجها ، عمها لا أبوها . مع ذكر السبب . وكذلك تعليقه على هرولة  
الرسول والمسلمين في ثلاثة أطواف حول الكعبة في عمرة القضية ، حيث لفت الأنظار إلى أمر  
يتفق مع علمه وفقهه ، فقال : ظن الناس أن ذلك خاص بالنبي وصحبه ، وأنهم فعلوا ذلك ؛  
لينفوا عن أنفسهم ما قالت مكة عن ضعف أبدان المسلمين . فلما حج الرسول حجة الوداع ،  
التزم الكيفية نفسها ، فمضت السنة بها (٥٩).

ثمة بعض جوانب القصور في الروايات المذكورة ، منها : إيراد روايات تذكر أن رسول الله  
أوحى إليه وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وقضى في مكة عشر سنوات بعد البعثة . وهذه  
روايات مرجوحة تخالف المتواتر المعروف الذي ورد في روايات أخرى نسبت إلى ابن عباس  
أيضاً ، وفيها أنه أوحى إليه في سن الأربعين ، ومكث بمكة بعدها ثلاثة عشر عاماً . ولم يرد  
ترجيح منه للروايات الصحيحة . ويؤخذ عليه - أيضاً - ما نسب إليه عن عدد من بايعوا  
الرسول تحت الشجرة في الحديبية بأنه ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون . والمشهور ما رواه  
جابر بن عبد الله بقوله : " كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة " (٦٠). وفي رواية أخرى لجابر  
أيضاً : " كنا - أصحاب الحديبية - أربع عشرة مائة " (٦١). وجدير بالذكر أن البخاري أورد

رواية أخرى عن جابر ، قال : كنا خمس عشرة مائة (٦٢) . وقد علق ابن حجر على هذا الخلاف بقوله : كانوا أكثر من ألف وأربعمائة . فمن قال : ألفاً وخمسمائة ، جبر الكسر . ومن قال : ألفاً وأربعمائة ألفاه . ورجح البيهقي أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة . وعلى كل ، فالأمر قائم على التخمين كما يرى البعض (٦٣) ، لكن لم يتجاوز العدد ألفاً وخمسمائة على نحو ما جاء في رواية ابن عباس موضع النقد . وأخيراً ، فإن ابن عباس ذكر رواية شاذة ، عندما جعل عمر بن الخطاب مبعوث الرسول إلى كسرى . والثابت والمتواتر لدى البخاري (٦٤) ، والطبري (٦٥) أن مبعوث الرسول إلى كسرى هو ( عبد الله بن حذافة السهمي ) .

#### ٢. - في عصر ما بعد الصحابة :

قام صحابة رسول الله ﷺ بدورهم خير قيام ، حيث نشروا العلم الذي تلقفوه عن النبي في حياته ، وتعلموا على أيديهم عدد من التلاميذ ( من التابعين وغيرهم ) النابهين ، الذين استوعبوا مروياتهم وحفظوها ، ودونوها ، ونقلوها إلى من بعدهم . وسوف نتناول عدداً من أبرز مؤرخي المدينة في ذلك العصر على النحو الآتي :

#### أ. - عروة بن الزبير بن العوام المدني :

هو إمام المدينة وعالمها ، وأحد فقهاها السبعة المبرزين ، ويعد في الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة . ولد سنة ثلاث وعشرين من الهجرة / ٦٤٣ م . روى عن أبيه قليلاً ؛ لصغر سنه ، وحدث عن أمه أسماء بنت أبي بكر ، ولأزم خالته عائشة ( رضى الله عنها ) ، وتفقه بها . روى عنه أولاده ، والزهرى ، ويزيد بن رومان ، ويزيد بن أبي حبيب ، وغيرهم . كان زاهداً عابداً صابراً على قضاء الله في فقد ابنه ، وقطع رجله . له اهتمام بالحديث ، والفقه ، والمغازي ، والتاريخ . وكان ثقة مأموناً ثبتاً . توفي ( رحمه الله ) سنة ٩٤ هـ / ٧١٢ م ، وهي التي تعرف بسنة الفقهاء ؛ لكثرة من مات منهم فيها (٦٦) .

#### مؤلفه في المغازي :

تكاد تُجمع المصادر المختلفة على أن عروة بن الزبير كان له مصنف في المغازي ، وأنه أول من ألف فيها كتاباً (٦٧) . وللأسف ضاع هذا الكتاب - ضمن كثير مما ضاع من تراثنا التاريخي - وبقيت منه اقتباسات كثيرة نقلها عنه العلماء . وقد قام الدكتور محمد مصطفى الأعظمي بجمع ما تيسر له من بطون كتب الحديث والسيرة ، والتاريخ برواية ابن لهيعة ، عن



أبى الأسود ، عن عروة ، مقارنًا إياها - فى الحواشى - برواية موسى بن عقبة عن الزهرى ، مرتبًا ذلك - فيما يتصل بالمغازى - ترتيبًا زمنيًا دقيقًا ، ذاكراً مزيداً من المصادر - فى الحواشى - التى تتناول الجزئية نفسها ، التى نقلها عروة بن الزبير لنا . وجمع ذلك كله فى كتاب سماه : ( مغازى رسول الله ) ( ٦٨ ) .

### من بقايا كتاب عروة بن الزبير :

روى الزهرى عن عروة ، عن عائشة ( رضى الله عنها ) : أن أول ما ابتدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة ، ثم حُبب إليه الخلاء بغار حراء ، ثم أحداث نزول جبريل ملك الوحي وارتعاد النبى ﷺ منه ، وما أوحى به إليه ، ثم عوده إلى بيته ، وتخفيف زوجته خديجة عنه ، والكلمات الوثيقة المشجعة التى قالتها له ، وما قاله ابن عمها ورقة بن نوفل لها ، عندما حدثته عما وقع لزوجها محمد رسول الله ﷺ ( ٦٩ ) .

روى أبو الأسود ، عن عروة ، عن عائشة : أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن مصير ورقة بن نوفل فى الآخرة ، فقال : رأيت عليه ثياب بياض ، فأحسبه لو كان من أهل النار ، لم يكن عليه ثياب بياض ( ٧٠ ) .

روى هشام بن عروة ، عن عروة : أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان يحدثه كيف دعا الرسول قومه إلى الإسلام ، وكيف عادوه لما ذكر أصنامهم ، ثم تأمرهم عليه وعلى من أسلم ، حتى اضطروا للهجرة إلى الحبشة ، ومكث سنوات يتحمل هو وأصحابه الأذى ، حتى فشا الإسلام فى مكة ، ودخل فيه رجال من أشrafهم ( ٧١ ) .

ما رواه عروة عن عائشة أن الصلاة - فى الأصل - كانت ركعتين ، ثم صار تمامها فى الحضر أربعًا ، وفى السفر ركعتين ( ٧٢ ) .

روى يزيد بن رومان عن عروة أن عظماء المستهزئين من قريش كانوا خمسة من ذوى السن والشرف فى قومهم ، وهم : الأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن الطلائة ( ٧٣ ) .

سأل عروة بن الزبير عبد الله بن عمرو عن أكثر ما رأى قريشًا ، أصابت من رسول الله ﷺ ، فيما كانت تظهر من عداوته ، فأخبره ابن عمرو أن الرسول لما نال من آلهتهم ، غمزوه ولمزوه ، فهددهم ، فأصابهم الرعب . لكنهم جاءوا فى اليوم التالى ، فخنقه أحدهم ، حتى

جاء أبو بكر رضى الله عنه ، ودافع عنه ، فانصرفوا (٧٤).

روى هشام بن عروة ، عن عروة ، عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب : أن رسول الله أمر أن يبشر خديجة زوجته ( رضى الله عنها ) ببيت من قصب ( لؤلؤ مجوف ) ، لا صخب فيه ، ولا نصب (٧٥). ( ولا تعب ) - وعن وفاتها : روى الزهري عن عروة : أنها توفيت قبل الهجرة من مكة إلى المدينة قبل أن تفرض الصلاة (٧٦).

روى أبو الأسود عن عروة مدة مكث الرسول بمكة بعد بيعة العقبة الثانية ، ثم تأمر المشركين عليه لقتله ، وما نزل من قرآن بخصوص ذلك التأمر ، وما أمر به الرسول علياً ، ثم خروجه مع أبى بكر ، وذهاب المشركين فى طلبهم فى كل وجه (٧٧).

روى عروة عن امرأة من بنى النجار : أن بلال بن رباح كان يصعد فوق بيتها بالمدينة لأذان الفجر : لأنه من أعلى البيوت المحيطة بالمسجد ، فيأتى لأذان الفجر كل غداة وقت السحر ، فيجلس منتظراً طلوع الفجر ، فإذا رآه دعا قائلاً فى كل ليلة : " اللهم إني أحمدك ، وأستعينك على قریش أن يقيموا على دينك " (٧٨).

تناول عروة غزوة بدر ، فذكر أن عدد قتلى المشركين بلغوا تسعة وأربعين ، وكان الأسرى تسعة وثلاثين ، بينما استشهد من المهاجرين ستة ، ومن الأنصار ثمانية (٧٩)، وعن غزوة أحد : أورد عدد المسلمين والمشركين فيها ، وذكر رجوع بعض المنافقين من الطريق (٨٠)، وقتل الرسول أبى بن خلف (٨١)، وعدد من مات فى أحد (٨٢)، ثم عودة الرسول بالمسلمين إلى المدينة بعد هزيمتهم ، وسيرهم فى أزقتها وبها النواح والبكاء فى الدور على الشهداء ، وتعليق الرسول فى أسى : " ولكن حمزة لا يواكى له " ، ورد فعل ذلك القول على الأنصار ، ونسائهم (٨٣).

روى عن أبى هريرة أحداث غزوة ذات الرقاع ، ومشروعية صلاة الخوف بها (٨٤) - رصد الحالة المعنوية التى بدت عليها إحدى نساء بنى قريظة رغم توقعها القتل بعد قليل من الوقت (٨٥) - حادثة الإفك - كما يرويها عروة عن عائشة - بتفاصيلها منذ خروج النبى بها فى غزوة بنى المصطلق إلى أن برأها الله مما قاله المنافقون (٨٦) - ما كتب به عروة إلى ابن أبى هنيذة صاحب الوليد بن عبد الملك بشأن امتحان المؤمنات المهاجرات من مكة إلى المدينة (٨٧) - ما كتب به عروة إلى عبد الملك بن مروان جواباً عن سؤال مفاده : هل أغار خالد بن الوليد يوم فتح مكة ؟ وبأمر من غار ؟ (٨٨) - غزوة الطائف وتوقيتها والاتفاق المعقود بين المسلمين



وأهل الطائف (٨٩) - توقيت بدء مرض وفاة الرسول (٩٠)، واللحظات الأخيرة في حياته ﷺ كما يرويها عروة عن عائشة زوج النبي (٩١).

### من مرويات عروة عن تاريخ الراشدين ، والأمويين :

( من أعمال أبي بكر العاجلة عقب توليه الخلافة : إنفاذ بعث أسامة بن زيد إلى الروم (٩٢) - توقيت وفاة فاطمة بنت رسول الله (٩٣) - أبو بكر وتنقله بين السُّنح والمدينة ، وقبيل وفاته قام برد ما حصل عليه من راتب خلال مدة خلافته إلى بيت مال المسلمين (٩٤) - مرض أبي بكر وظروف وفاته (٩٥) - خطبة عمر بعد توليه الخلافة (٩٦) - عدد من زحف بهم رُستم في القادسية للقاء سعد بن أبي وقاص (٩٧) - روايته شعراً قيل عمن فر من لخم وجذام بعد انضمام بعضهم للمسلمين في حرب الروم (٩٨) - رواية هشام بن عروة عن والده قيادة عبد الله بن الزبير جمل عائشة في موقعة ( الجمل ) ، وتبادلته الاشتباك مع الأشتر النخعي من جيش عليّ (٩٩) - جمع عمر بن عبد العزيز والى المدينة عشرة من فقهاؤها على رأسهم عروة ، وخطب فيهم ، وطلبه إعانتته على الحق ، وثناؤهم عليه ) (١٠٠).

### مرويات عروة بن الزبير : تحليل ، ونقد :

من الملاحظ أن كثيراً من النصوص التاريخية وردت إلينا منسوبة إلى عروة بن الزبير بالإسناد الآتي : ( ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ) . وهذا يعنى أن أبا الأسود روى كتاب المغازي لعروة ، وعن طريق أبي الأسود رواه مؤرخ مصر ابن لهيعة ( ت ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م ) (١٠١). بعد دخول أبي الأسود مصر سنة ١٣١ هـ / ٧٤٨ م (١٠٢). وفي بعض الروايات يروي عنه ابنه هشام ، وفي روايات أخرى يروي عنه الزهري (١٠٣)، ويزيد بن رومان (١٠٤)، وهم من الثقات .

أما عروة ، فكثيراً ما يروي عن خالته السيدة عائشة ، وهي من العدول الثقات ولا شك ، وتزداد مصداقية روايتها ، عندما ينقل عنها ما يتصل بها بطريقة غير مباشرة (مثل : تبشير خديجة بالجنة ) . أو ما تُعد المحور الأساسي الذي تدور حوله الأحداث (مثل : رواية حادثة الإفك ) ، أو عندما تكون الوحيدة التي يمكن أن تنقل عنها رواية بعينها بحكم صلتها بالنبي (مثل : الرواية التي تصف لحظات الرسول الأخيرة في دنيا الناس ) . وقد يروي عن صحابي شهد الواقعة ( كروايته عن ابن عمرو أشد ما رآه من إيذاء المشركين لرسول الله ) ، وربما يروي عن امرأة مجهولة لنا ، لصلتها بالحدث ومعاينتها إياه يومياً ، وثقته بها ( كما في رواية

امراة أنصارية من بنى النجار ما يتصل بأذان بلال بن رباح لصلاة الفجر من فوق دارها).

اضطبغت بعض رواياته بالصيغة الفقهية ؛ لأنه من كبار فقهاء المدينة فى عصره ، فاهتم بذكر الملامح والخلفيات الفقهية المرتبطة بأحداث السيرة كعدد ركعات الصلاة فى الحضر والسفر ، ومشروعية صلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع .

استخدام الآيات القرآنية لدعم الحدث التاريخى : ففى دفاع أبى بكر رضى الله عنه عن النبى ﷺ ، وتخليصه من يدى خاتمه ذكرت آية قرآنية ، وردت على لسان أبى بكر ، حرص عروة على إثباتها فى الرواية وهى : [ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ } (١٠٥) .

إبراز الانعكاسات النفسية للشخصيات : وهو ما لاحظناه فى دعاء بلال بن رباح لقريش بالهداية ؛ حينئذ إلى مكة التى كان يعيش فيها ، ويرجو العودة إليها ثانية (١٠٦) . وكذلك شديد حزن الرسول على استشهاد حمزة غريباً بعيداً عن وطنه مكة ؛ مما دفع الأنصار لإحضار نسائهن للبكاء على حمزة ، فنهاهن الرسول عن النواح .

الحرص على ذكر مواقف الأحداث التاريخية : وذلك أمر مهم ؛ إذ بغيره لا يعد التاريخ تاريخاً . وكان عروة دقيقاً فى تحديد تلك المواقف ، فذكر أن خديجة توفيت فى مكة قبل فرض الصلاة ( أى : قبل رحلتى الإسراء ، والمعراج ) ، ثم حدد ذلك التاريخ بطريقة أوضح فى إجابته عن سؤال كتب إليه به عبد الملك بن مروان يسأله : متى توفيت السيدة خديجة ؟ فقال : إنها توفيت قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين ، أو قريباً من ذلك (١٠٧) . وكذلك كان دقيقاً فى القول بوفاة السيدة فاطمة بعد النبى بستة أشهر ، وهو ما رجحه الواقدي بقوله : وهو أثبت عندنا (١٠٨) .

وأخيراً ، فهناك بعض المواضع التى انتفت فيها الدقة من رواية عروة ، مثل قوله : اشتكى رسول الله وجعه الذى توفاه الله به فى عقب المحرم (١٠٩) . وهذا يعنى أنه ظل مريضاً طيلة شهر صفر ، وأياماً من ربيع الأول حتى وفاته فى الثانى عشر منه على نحو ما هو معلوم . وليس هذا التوقيت صحيحاً ؛ لأن علته لم تطل كل هذا الوقت ؛ بدليل أنه لم يصل بالناس أياماً معدودات قبيل وفاته . ولذا فالأرجح عندى ما قاله الواقدي : إن وجعه بدأ به لليلتين بقيتا من صفر (١١٠) ، أو فى أول شهر ربيع الأول (١١١) على نحو أدق .



وكذلك لم يكن عروة على صواب ، عندما زعم أن قتلى المشركين فى بدر كانوا تسعة وأربعين ، وأسراهم تسعة وثلاثين ؛ لأن الصحيح المتواتر أنهم سبعون قتيلاً ، وسبعون أسيراً (١١٢).

#### ب - عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصارى المدني :

هو أحد العارفين الذين برعوا فى الحديث النبوى الشريف ، فأخرج له أئمة الحديث ما رواه عن أبيه ، وعن جابر بن عبد الله ، وجدته الصحابية رُميثة ، وأنس بن مالك ، وغيرهم . روى عنه ابن إسحاق ، ويكير بن الأشج ، وغيرهما . وكان جده قتادة أحد فضلاء الصحابة ، الذين حظوا بحب رسول الله ؛ إذ دعا له - يوم أحد - فردت عينه عليه (١١٣).

وفد عاصم على الخليفة عمر بن عبد العزيز فى بلاد الشام فى دين لزمه ، فقضاه عنه عمر ، وأمر له بمعونة . وعلم أنه راوية للعلم ، وله باع فى المغازى والسيرة النبوية ، فأمره أن يجلس فى مسجد دمشق ؛ ليحدث الناس بالمغازى ، وفصائل الصحابة ، ففعل . والغالب أنه عاد إلى المدينة بعد أداء مهمته سريعاً ، وتوفى بها سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٧ م (١١٤).

#### جانب من مرويات عاصم بن عمر :

روى عن رجال من قومه أن سبب دخولهم الإسلام ما كان اليهود يخبرونهم به من قرب زمان آخر الأنبياء ، وأنهم سيؤمنون به ، ويقتلونهم معه قتل عاد وإرم ، وما نزل من قرآن بهذا الشأن (١١٥) - حدث عاصم عن لا يتهم ، عن عمر بن عبد العزيز : أنه حدث عن سلمان الفارسى بما يتعلق بجانب من رحلته إلى الإيمان ، وما رأى عليه أحد الصالحين بالشام من بركة وصلاح ودعاء مستجاب لذوى الأسقام بالشفاء ، وقول الرسول له فى النهاية : لئن كنت صدقتنى يا سلمان ، لقد لقيت عيسى بن مريم (١١٦) - قول ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة العقبة الثانية نبه العباس بن عباد بن نضلة الأنصارى الحاضرين بأنهم يبائعون رسول الله على حرب الأحمر والأسود من الناس ، وسبب موقف العباس بن عباد هذا (١١٧) - حدث عاصم بن عمر أنه لما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة حل رسول الله محله فى نقابة بنى النجار ، والسبب وراء ذلك (١١٨) - حدث عاصم بن عمر أن بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا العهد مع رسول الله ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد ، وحصار الرسول لهم حتى نزلوا على حكمه ، وتدخل عبد الله بن أبى حليفهم الخزرجى رأس النفاق بشدة لدى رسول الله ، وأنقذهم من القتل (١١٩) - حدث عاصم أن وفد عضل والقارة

قدم على رسول الله بعد أحد (١٢٠) - ذكره تفاصيل مقتل خبيب بن عدى فى يوم الرجس (١٢١) - روايته شعراً عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه فى غزوة بنى لحيان (١٢٢) - روى عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخدرى غضب الأنصار من توزيع الرسول غنائم هوازن فى قرش وقبائل العرب ، وحرمان الأنصار منها ، وما دار من حوار بينهم وبين الرسول بخصوص هذا الأمر (١٢٣) - روى عاصم محاولة أحد الأنصار قتل الشاعر كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى بعد أن جاء الرسول تائباً مؤمناً ، ومنع الرسول إياه ، وساق قصيدته ( بانت سعاد ) التى ألقاها بين يدى الرسول ، وأثر هذه القصيدة (١٢٤) - ساق عاصم روايات عن النفاق والنافقين فى المدينة ، كشفت ما كان مستوراً ( ١٢٥ ) .

### التحليل ، والنقد :

من الملاحظ أن المادة التاريخية - فى ضوء ما تتبعت - تركز تركيزاً شديداً على الفترة المدنية ، وتبدأ تحديداً بالسنوات الأخيرة للرسول فى مكة ، حيث اللقاءات التى عقدها مع بعض أهل المدينة (١٢٦) ، حتى هجرته وأصحابه إليهم ، وتنتهى برواية ترجع إلى السنة العاشرة للهجرة (١٢٧) . وثمة رواية وحيدة يتجاوز فيها عاصم بن عمر عصر النبوة إلى عصر الخلفاء الراشدين ، وهى تتعلق بسنة خمس وثلاثين من الهجرة / ٦٥٥ م ، وينقلها لنا الواقدي ، فيما حدثه به محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لبيد ، الذى تناول اقتراب الثائرين على عثمان من المدينة ، ونزولهم ( ذا خُشْب ) ، وطلب الخليفة عثمان إلى على بن أبى طالب أن يردهم ، وخروجه فى ثلاثين صحابياً إليهم ، وتحدثه هو والصحابى محمد بن مسلمة إليهم ، وأقنعوا بالرجوع من حيث أتوا ، وطلب ابن مسلمة من زعيمهم عبد الرحمن بن عديس البلوى أن يتقى الله ، ويرد من قبله عن الخليفة ؛ فقد وعد أن يرجع عما أثارهم وحركهم نحو المدينة ضده . واتجه الثائرون إلى بلادهم ، بينما عاد وفد الصحابة إلى المدينة (١٢٨) . ولا أدري ما إذا كانت هذه الرواية الوحيدة الفريدة دالة على اهتمام عاصم بن عمر بتسجيل تاريخ الراشدين - علماً بأنه لم يشتهر عنه سوى العلم بالمغازى ومناقب الصحابة - أم لا .

كان عاصم بن عمر يستخدم الإسناد فى مرويته التاريخية ، مع ملاحظة أن أسانيده - أحياناً - لا تخلو من مجهولين غير معروفين لنا كقوله : حدث عاصم بن عمر عن لايتهم ، وعن ( رجال من قومه ) . وفى أحيان كثيرة لا يذكر أسانيده ؛ مما يصعب على الدارسين اختبار صحتها .



دعم ما يروى من أحداث تاريخية بذكر الآيات القرآنية المرتبطة بها نزولاً كقوله ( تعالى )  
 بحق اليهود : [ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى  
 الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ] (١٢٩). وكذلك يذكر بعض  
 الأشعار المصاحبة للأحداث كشعر كعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان ، وقصيدة ( بانث سعاد )  
 التى أنشدها كعب بن زهير بين يدى رسول الله ، عندما أتاه تائباً مؤمناً .

اهتمامه بالتركيز على بعض الروايات التى تفصل بعض الأمور المهمة ، وتكشف بعض  
 الأحداث ذات الدلالات الرائعة ، مثل : تفصيل القول بشأن خبيب بن عدى ، وما يتمتع به من  
 أخلاق المسلم الفاضل ، وإيمان الفرد الذى لا يتزعزع ، وتقديم حب الرسول على نفسه التى بين  
 جنبيه . وكذلك ما يتصل بالنفاق والمنافقين الذين افتضح أمرهم بعد هزيمة أحد ، وفى طريق  
 العودة من غزوة تبوك وتآمرهم على رسول الله ، وكذلك رصد مواطن الضعف البشرى التى لا  
 يخلو منها إنسان ، وتمثل ذلك فى احتجاج الأنصار على حرمانهم الغنائم ، وقصر توزيعها  
 ومنحها لمن هم دونهم إخلاصاً وتغانياً وجهاداً ، ومحاربة الرسول لهم عقلاً عاطفياً فى آن  
 واحد ، فسلموا له فى النهاية ، وأحسوا بخطئهم وتسرعهم وقصور فهمهم .

وأخيراً ، لم يكن عاصم بن عمر يقف سلبياً أمام الروايات التى يسردها ، لكنه - فى  
 بعض الأحيان - كانت تظهر شخصيته وتعليقاته ، وتعليقاته ، كما فى تعليقه رفض تولية  
 نقيب بنى النجار بعد موت نقيبهم أسعد بن زرارة ، وجعل من نفسه ﷺ نقيباً لهم ؛ فهم  
 أخواله . وقد كره الرسول أن يخص بالنقابة بعضهم دون بعض . وصارت نقابة الرسول عليهم  
 مثل افتخار واعتداد لهم على قومهم (١٣٠). وكذلك علل مقالة العباس بن عباد بن نضلة  
 لقومه من الخزرج فى بيعة العقبة الثانية بأنه أراد الاستيثاق من القوم ، والاطمئنان إلى صدق  
 مواقفهم من مناصرة الرسول ﷺ (١٣١). وعلق عاصم على ما جاء فى قصيدة كعب بن زهير  
 ( بانث سعاد ) من قوله : ( إذا عَرَدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ ) (١٣٢) بأنه يريدنا معشر الأنصار ؛ لما  
 كان صاحبنا صنع ما صنع ، وخص المهاجرين من قريش من صحابة الرسول بالمدح ؛ مما أغضب  
 الأنصار عليه ، فأنشد قصيدة أخرى بعد إسلامه يمدحهم فيها ؛ فهم أهل لكل خير (١٣٣).  
 ويؤخذ على عاصم أنه قد يروى الرواية وفيها رائحة الخرافة والأسطورة ، فلا يردها ولا يعلق  
 عليها ناقداً ، كتلك التى زعمت على لسان الرسول ﷺ - وهو ما لا يصح عنده - أن سلمان  
 الفارسي لقي عيسى بن مريم ، ورآه يشفى الناس من أسقامهم . ومعلوم أن هذا محال ، وأن

عيسى رفعه الله إليه { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } (١٣٤)، ولا ينزل إلى الدنيا ثانية إلا في وقت حدده المولى عز وجل قرب قيام الساعة آخر الزمان .

ج - عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني :

يعد عبد الله صاحب المغازي من أكبر شيوخ محمد بن إسحاق ، حيث روى عنه مغازيه . وكانت لأسرته مكانة مرموقة في العلم ؛ فجده عمرو بن حزم صحابي جليل ، ووالده أبو بكر صاحب الجهد الوافر في جمع الحديث النبوي الشريف ، وكان قاضياً مشهوراً ، ووالياً على المدينة للخليفة عمر بن عبد العزيز . وكانت لآل حزم حلقة في المسجد النبوي بالمدينة . ولد عبد الله سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م . روى عن أبيه ، وخالة أبيه عمرة بنت عبد الرحمن ، وأنس بن مالك ، وعروة بن الزبير ، والزهرى ، وغيرهم . وروى عنه الزهرى أيضاً ، وابن إسحاق ، ومالك ، وابن أخيه عبد الملك بن محمد بن أبي بكر ، وغيرهم . كان عبد الله ثقة كثير الحديث عالماً . توفي سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م (١٣٥) .

من بقايا مروياته التاريخية :

في السيرة النبوية : ( مكان وزمان وظروف وفاة السيدة آمنة أم النبي ﷺ (١٣٦) - وصية عبد المطلب جد النبي إلى أبي طالب عمه ، وكفالتة له ، وخروجه معه للتجارة ، حتى خاف عليه بعد لقائه بأحد رهبان الشام (١٣٧) - ما رواه عن الزهرى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف أن ملكاً دخل على كسرى إمبراطور فارس يأمره بالإسلام في وقت محدد ثلاث مرات على مدار ثلاث أعوام ، فرفض ، فكان ذلك إيذاناً بضيق ملكه ، وقتله على يد ابنه (١٣٨) - ما قاله الرسول لنقباء الأنصار الاثنى عشر بعد بيعة العقبة الثانية (١٣٩) - إسلام سعد بن معاذ بن حُضير وما بذله مصعب بن عمير من جهود لنشر الدعوة بالمدينة (١٤٠) - نزول الصحابة المهاجرين على إخوانهم الأنصار في دورهم بعد الهجرة (١٤١) - سعد بن معاذ واقتراحه بناء عريش للنبي القائد في بدر وسبب ذلك (١٤٢) - الملائكة ودورها في غزوة بدر (١٤٣) - مغنم المسلمين في خيبر (١٤٤) ، وعبد الله بن رواحة خارس خيبر (١٤٥) - غزوة مؤتة وصراع جعفر بن أبي طالب مع النفس والدنيا ، وتغلبه عليهما (١٤٦) - ما عاناه المسلمون المشاركون في غزوة مؤتة من استنكار المجتمع ، واستهجان مواقفهم (١٤٧) - موقف الرسول وزوجة جعفر بن أبي طالب لما بلغهما استشهاداه في مؤتة (١٤٨) - وصف دقيق للهيئة التي ظهر عليها الرسول عند دخوله مكة فاتحاً (١٤٩) - أحد



شهداء المسلمين وعدد قتلى المشركين أثناء دخول خالد بن الوليد مكة مع جيش الفتح (١٥٠) - بطولة أم سليم زوج أبي طلحة في حنين (١٥١) - روايته عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة (رضى الله عنها) ما يتصل بتحديد الوقت الذي دفن فيه رسول الله ﷺ (١٥٢).

### في تاريخ الراشدين :

( روى عن عمرة أن فاطمة بنت النبي (رضى الله عنها) لما توفيت ، صلى عليها العباس ، ونزل هو والفضل وعلى قبرها (١٥٣) - الجرم الذي ارتكبه الفجاءة في حق الخليفة الصديق وعامة المسلمين والعقوبة التي أنزلت به ، وما قيل من شعر بهذه المناسبة (١٥٤) - الأشعث بن قيس وعفو الصديق عنه (١٥٥) - خالد بن سعيد بن العاص وتباطؤه في مبايعة الصديق ، وتحريضه علياً وعثمان عليه ، وموقف أبي بكر وعمر منه بعد ذلك (١٥٦) - عمر ابن الخطاب وموقفه من المسلمين العائدين إلى المدينة بعد هزيمة الجسر أمام الفرس سنة ١٣هـ (١٥٧) - وصف حال جند المسلمين الرثة وخرج موقفهم أمام جموع الفرس بقيادة رستم في القادسية (١٥٨) - صلاة سهل بن حنيف ثم علي بن أبي طالب بالمسلمين أثناء حصر الثائرين للخليفة عثمان سنة ٣٥هـ (١٥٩) - عدد من رؤوس معارضى عبد الملك بن مروان قطعها الحجاج سنة ٧٣هـ ، وعُلقت بالمدينة ، ثم أرسلت إلى الخليفة الأموي (١٦٠).

### الملاحع العامة لمنهج عبد الله بن أبي بكر التاريخي (\*) :

اهتم عبد الله بن أبي بكر بتسجيل أحداث السيرة النبوية ، وامتدت اهتماماته إلى تاريخ الراشدين ، فتناول بعض أحداث الردة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولمحة خاطفة عن موقعتي : الجسر ، والقادسية في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وخبراً من نهاية عصر عثمان رضي الله عنه وخبر وحيد من العصر الأموي يرجع إلى سنة ٧٣هـ ، حين قضى الحجاج سيف عبد الملك البتار على خصومه ومناوئيه . ويعنى ما تقدم أن عبد الله بن أبي بكر لم تنحصر جهوده في التأليف التاريخي عند تدوين السيرة النبوية فحسب ، لكن رواياته المحدودة للغاية التي بقيت بين أيدينا من عصرى الراشدين والأمويين تدلل على أن السيرة نالت القسط الأوفر من عنايته ، وحظيت باهتمام المؤرخين الآخرين ، فأكثروا النقل عنه ، بينما لا ندرى سر عدم احتفاظهم بنصوص كافية مقتبسة منه تعود إلى عصرى الراشدين والأمويين . وما يلفت النظر أنه رغم اهتمامه بحياة النبي ﷺ منذ البداية ، حيث تناول طفولته ، ووفاة والدته ، وجدده ، وكفالة عمه له ، فإننا نفاجأ بعد ذلك بعدم وجود روايات

تاريخية له بين أيدينا تؤرخ للعصر المكي . وأول ما تطالعنا رواياته بعد ذلك تبدأ بأحداث بيعة العقبة الثانية ، ثم تغزر وتتوالى فى سرد أحداث العصر المدنى خاصة سراياه وغزواته ، مما يجعلنا نغفل إلى الاعتقاد بأنه ركز على هذا العصر ، ورتب أحداثه على السنين (١٦١) .

لم يعتن عبد الله بن أبى بكر بذكر أسانيد مروياته غالباً ، وفى أحيان قليلة يذكر من نقل عنه الرواية ، مثل : عمرة بنت عبد الرحمن ، وقد يذكر من نقلت عنها عمرة وهى السيدة عائشة . ومن هنا لا يستطيع الباحثون دراسة موارد التى نقل عنها مادته التاريخية ، ويكتفى بدراسة مضامين رواياته .

تقل نسبة إيراد الأشعار المصاحبة للحدث التاريخى فى مروياته عن سابقيه من مؤرخى المدينة (١٦٢) ، وفى الوقت نفسه احتفظ لنا بوثيقة تاريخية مهمة ، يبدو أن أسرته كانت تحتفظ بها لديها ، وهى رسالة رسول الله ﷺ التى أرسلها مع جدهم الأكبر عمرو بن حزم ، حين أرسله إلى اليمن مع وفد بنى الحارث بن كعب ، وفيها يعلمهم معالم الإسلام وشرائعه ، ويحدد لهم ما يؤخذ من صدقاتهم (١٦٣) .

تعرض عبد الله بن أبى بكر لبعض الأمور الغيبية ، بعضها عليه دليل قاطع كالملائكة التى قُتلت فى صورة بشر ، وشاركت المسلمين فى قتال المشركين فى بدر كما جاء فى القرآن الكريم (١٦٤) ، والحديث النبوى الصحيح (١٦٥) . لكن يؤخذ عليه إيراد رواية خرافية - رغم أنها مسندة - تشير إلى دخول ملك على كسرى يدعو إلى الإسلام . وهذا كلام مشكوك فى صحته ، فإقامة الحجّة عليه لا تحتاج إلى هذا كله ، وقد علم كسرى بأخبار بعثة النبى ، وأرسل إليه الرسول فى العام السادس الهجرى عبد الله بن حذافة السهمى - كما ذكرنا من قبل - بكتاب يدعو فيه إلى الإسلام ، فأبى ، ومزق الكتاب ، فدعا الرسول عليه أن يمزق الله ملكه ، وقد كان (١٦٦) .

**الدقة والشمول فى العرض التاريخى :** وتلك ميزة مركبة تتفرع إلى عدة فروع لوحظت من خلال فحص بقايا روايات عبد الله بن أبى بكر . فدقته تتضح فى تحديد الوقت الذى دُفن فيه رسول الله ، والدليل عليه (١٦٧) . وكذلك فى تحديد قتيل ثالث للمسلمين كان فى خيل خالد ابن الوليد عند فتح مكة ، وأعداد من قُتل من المشركين فى ذلك اليوم (١٦٨) . أما العرض الشامل المتكامل ، فيتضح فى التفاصيل الكثيرة التى أوردها (١٦٩) ، فزادت الحدث التاريخى وضوحاً ، وكشفت عن جوانب حضارية جديدة فيه ، مثل : شدة حماس المجتمع



الإسلامى التى ظهرت فى القسوة على العائدين من غزوة مؤتة ، حتى إن بعضهم كان لا يخرج للصلاة جماعة فى المسجد ؛ لما يلقاه من صياح الناس (١٧٠). وكذلك شدة تأثير الجند المسلم بعد هزيمة الجسر ، حتى طيب عمر بن الخطاب خواطرهم ، ونفى عنهم الفرار من المعركة ، وجعل رجوعهم إلى المدينة تحييزاً إلى فئة المسلمين ، وقال لهم : أنا فئتكم (١٧١). وكذلك اهتم بسياسة مصعب بن عمير وحكمته فى نشر الإسلام بالمدينة حتى أسلم كبارؤها كسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وإرساء الرسول قواعد الحكم اللامركزى - الذى سيظهر بعد ذلك - بالمدينة من خلال تعيين النقباء الاثنى عشر من الأنصار ، وجعلهم كفلاء ( ضامين ) ومستولين عن عشائرتهم أمام الرسول (١٧٢)، فهم - فيما بعد - يُصرفون شئون قبائلهم ، والرسول يتابع السياسة العامة للدولة الإسلامية ، وهم وسطاء بينه وبين عامة الرعية . كما اهتم عبد الله بن أبى بكر ببيان نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وأورد نماذج منها ، فابن مسعود نزل على معاذ بن جبل (١٧٣)، وعثمان كان أخاً لأوس بن ثابت أخى حسان بن ثابت (١٧٤)، وهكذا . كما اهتم ببيان كيفية توزيع الرسول لمغانم خيبر . وتم تسليط بعض الأضواء على سمات المرأة الاجتماعية والنفسية ، فأشار إلى شجاعة ورسالة أم سليم فى غزوة حُنين ، واهتمام أسماء بنت عميس بتنظيم وتنظيف ورعاية بيتها وأبنائها ، ثم تفجر مشاعرها الإنسانية الحزينة الملتاعة بعد ما رأت الرسول يبكى ، ويخبرها باستشهاد زوجها جعفر بن أبى طالب فى سرية مؤتة (١٧٥). واهتم عبد الله بن أبى بكر بجانب العبرة والعظة فى أحداث التاريخ ، فوصف الرسول وصفاً دقيقاً وهو داخل مكة فاتحاً على ناقته ، وإنه ليضع رأسه حتى ليكاد عُثنونه يمس واسطة الرجل ؛ تواضعاً لله ، حين رأى الفتح العظيم الذى أكرمه الله به (١٧٦).

وفى عصر الراشدين أتى بعدد من الأحداث التاريخية التى بينت فلسفة سياسة الصديق بين العقوبة الشديدة ، والعفو عند المقدرة فى موقفه المتباين من الفجاعة المخادع القاتل سافك دماء المسلمين ، وبين الأشعث بن قيس الذى رأى فى مقاومته خالد بن الوليد عصبية وحمية أكثر منها خروجاً وعصياناً ، فرأى أن العفو عنه وضمه إلى صفوف المجاهدين فيه خير للمسلمين . وأتى بمثال من الوحشية والقهر فى سياسة الأمويين على يد الحجاج بن يوسف ؛ لأجل إرهاب المعارضين الآخرين ، وانتزاعبيعة الخليفة منهم (١٧٧).

**القُدرة على إبداء الرأى والتعليق :** وذلك نجد في رواية أوردها الطبرى عن الواقدى رواها له الثورى ، وتنتهى إلى الشعبى ، حيث قال : إن إسرائفيل قرن بنبوة رسول الله ثلاث سنين ، يسمع صوته ، ولا يرى شخصه ، ثم اتصل به بعد ذلك جبريل عليه السلام . فكان الواقدى شك فى صحة ذلك ، فسأل محمد بن صالح بن دينار ، الذى نفى ذلك ، مستدلاً بما سمعه من عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، حيث كانا يحدثان فى المسجد ، ورجل عراقى يقول لهما هذا ، فأنكراه جميعاً ، وقالاً : " ما سمعنا ولا علمنا إلا أن جبريل هو الذى قُرِن به ، وكان يأتيه بالوحى من يومى نُبى إلى أن توفى ﷺ " (١٧٨).

وثمة رأى آخر أبداه عبد الله بن أبى بكر - سبق أن رأينا خلافه لدى عاصم بن عمر فيما مضى - حيث علل مقولة العباس بن عبادة بن نضلة للأنصار فى بيعة العقبة الثانية بأنه قال ما قال ؛ ليؤخر القوم تلك الليلة ؛ رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبى بن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم (١٧٩). والحق أن رأى عبد الله بن أبى بكر رأى مرجوح ؛ لأن الأنصار حرصوا على إخفاء بيعتهم عن ابن أبى ، وعن غيره من المشركين ؛ كى لا يُفضح أمرهم . وقد أثبتت الأحداث - بعد ذلك - نفاق ابن أبى الشديد ، وعداءه اللاتهاى للإسلام ولرسوله (١٨٠).



## الحواشي

- ١- تاريخ التراث العربى ( طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ) ج١ ، ص ٧٥ - ٧٦ .
- ٢ - المرجع السابق ، ج١ ، ص ٧٦ .
- ٣ - حُرِفَ هذا الاسم إلى ( خيشمة ) فى ( التاريخ العربى والمؤرخون ، للدكتور شاكر مصطفى ، ط٢ ، دار العلم للملايين ببيروت ) ، ج١ ، ص ١٥١ .
- ٤ - راجع ترجمته فى : ( تهذيب التهذيب لابن حجر ، ط. دار الفكر - بيروت ) ، ج٤ ، ص ٢١٨ ؛ وتقريب التهذيب لابن حجر ( ط. دار المعرفة - بيروت ) ج١ ، ص ٣٣٥ ؛ والإصابة لابن حجر ( ط. دار الجليل - بيروت ) ، ج٣ ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .
- ٥ - الطبقات الكبرى لابن سعد ( ط. دار صادر - بيروت ) ج١ ، ص ٣٣٢ . وقد عاصر هذا الحفيد خلافة المهدي العباسى ، وتوفى سنة ١٦٦هـ / ٧٨٢م . ( المصدر السابق ، ط. دار الكتب العلمية - بيروت ) ٤٨٠/٥ - ٤٨١ .
- ٦ - راجع - مثلاً - روايته عن مكان توزيع غنائم غزوة بدر فى ( المغازى للواقدي ، ط٣ - عالم الكتب ببيروت ) ج١ ، ص ١٠٠ ، وروايته المطولة عنبيعة العقبة الثانية فى ( طبقات ابن سعد ، ط. دار الكتب العلمية ) ج١ ، ص ١٧١ - ١٧٣ .
- ٧ - كما هو الحال - مثلاً - فى روايتين تتصلان بالغنائم والأسرى فى غزوة بدر ( المغازى للواقدي ج١ ، ص ١٠٠ ، ١٣٩ ) . وهذا العم المذكور يكتفى بـ ( أبى عفير ) ، ويروى عن أبيه . وجعله ابن سعد فى الطبقة الثانية من تابعى المدينة . ( الطبقات الكبرى ، ط. دار الكتب العلمية ) ج٥ ، ص ٢١٤ .
- ٨ - يمكن مراجعة المزيد من هذه الروايات فى ( المغازى ) للواقدي ج١ ، ص ١٨ ، ٧٨ ، ١١٤ ، ١٩٩ ، وغيرها .
- ٩ - الطبقات الكبرى ( ط. دار الكتب العلمية ) ج١ ، ص ١٧١ - ١٧٣ ، ٣٨٠ .
- ١٠ - راجع ترجمته فى : ( وفیات الأعيان لابن خلكان ، ط. دار صادر - بيروت ) ، ج٣ ، ص ٦٢ - ٦٤ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ، ج٥ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ٤٢٥/١ .
- ١١ - طبقات ابن سعد ( ط. دار الكتب العلمية ) ج٢ ، ص ٢٨١ ، وأسد الغابة لابن الأثير ( ط. دار الشعب ) ، ج٣ ، ص ٢٩٢ .
- ١٢ - يشير بذلك إلى قوله ( تعالى ) ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ) ( سورة البقرة : ٢/ جزء من الآية ١٨٩ ) .
- ١٣ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ للسخاوى ( ط٢ - مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٣م ) ، ص ٤٠٣ .
- ١٤ - طبقات ابن سعد ( ط. دار الكتب العلمية ) ، ج٢ ، ص ٢٨٣ .

١٥ - هو كريب بن أبى مسلم . يكنى : أبا رشدين . أدرك زمن عثمان بن عفان . حدث عن ابن عباس ، وأسامة بن زيد ، وأم سلمة ، وغيرهم . كان ثقة حسن الحديث . توفى بالمدينة سنة ٩٨ هـ / ٧١٦ م أواخر خلافة سليمان بن عبد الملك الأموى . ( سير أعلام النبلاء للذهبي ، ط . مؤسسة الرسالة ج ٤ ، ص ٤٧٩ - ٤٨٠ ، وتهذيب التهذيب ٣٨٨/٨ ) .

١٦ - روى عن أبيه ، وأبى سعيد الخدرى ، وابن عمرو ، وأبى هريرة ، ولد ليلة قتل على بن أبى طالب سنة ٤٠ هـ . كان يدعى السجاد ؛ لكثرة صلاته . توفى سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦ م . ( المصدر السابق ٣١٢/٧ - ٣١٣ ) .

١٧ - هاكم النص على النحو الآتى : قال موسى بن عقبة : " وضع عندنا كريب جمل بعير ، أو عدل بعير من كتب ابن عباس . فكان على بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب ، كتب إليه : ابعث إلى بصحيفة كذا وكذا ، فينسخها ، ويبعث إليه إحداها " . ( طبقات ابن سعد ، ط . دار الكتب العلمية ج ٥ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، وتقييد العلم للخطيب البغدادي ، ط ٢ ، دار إحياء السنة ص ١٣٦ ؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٤٨٠ ) .

١٨ - حصر الدكتور شاكز مصطفى عدد المرات التى ورد فيها اسم ابن عباس من خلال الروايات التاريخية المنقولة عنه فى ( تاريخ الطبرى ) ب ٢٨٦ مرة ، بدءاً من الجزء الأول حتى الخامس . ( التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ، ص ١٥٠ ) .

١٩ - تاريخ الطبرى . ( ط . دار المعارف بالقاهرة ) . ١٠/١ .

٢٠ - المصدر السابق ٢٢/١ - ٢٣ .

٢١ - السابق ٨١/١ - ٨٢ . يمكن مراجعة الإحالات المرتبطة بـ ( تاريخ الأنبياء ) فى ( السابق ج ١٠ ، ص ٣١٠ ) . ( قسم الفهارس ) .

٢٢ - السابق ٢٨٢/٢ .

٢٣ - ثمة روايات تفيد أن الرسول أنزل عليه القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة . وأقام بمكة بعد النبوة عشر سنوات . ( السابق ٣٨٣/٢ - ٣٨٤ ) . وهناك روايات أخرى ذكرت أنه أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة . ( السابق ٣٨٤/٢ - ٣٨٥ ) .

٢٤ - صحيح البخارى . ( ط . عالم الكتب ) ؛ كتاب المغازى ، باب ( قصة غزوة بدر ) . ج ٥ ، ص ١٨٠ ( رقم ٥ ) . والقرآن المنزل بتلك المناسبة قوله تعالى : ( سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤْكَلُونَ الدُّبْرَ ) ( سورة القمر : ٥٤/الآية ٤٥ ) .

٢٥ - تاريخ الطبرى ٤٧٤/٢ - ٤٧٥ .

٢٦ - المصدر السابق ٥٠٨/٢ .

٢٧ - السابق ٦٢١/٢ .



- ٢٨ - السابق ٢٨١/٤ - ٢٨٢ .
- ٢٩ - السابق ٢٤/٧ .
- ٣٠ - السابق ٥٢/٣ وبعدها .
- ٣١ - السابق ١٨٩/٣ - ١٩٠ .
- ٣٢ - صحيح البخارى ، كتاب ( المغازى ) ، باب ( مرض النبى ووفاته ) ج٦ ، ص ٢٩ .
- ٣٣ - تاريخ الطبرى ٣ / ٢١١ - ٢١٢ .
- ٣٤ - المصدر السابق ٣ / ٢٢٥ .
- ٣٥ - السابق ٢٢٩/٣ .
- ٣٦ - السابق ٣ / ٦١٧ - ٦١٨ .
- ٣٧ - السابق ٤ / ٢١٣ - ٢١٤ .
- ٣٨ - المصدر السابق ٤ / ٢٦٧ .
- ٣٩ - السابق ٤ / ٢٨٤ .
- ٤٠ - السابق ٤ / ٤٠٥ - ٤٠٧ .
- ٤١ - السابق ٤ / ٤٢٧ .
- ٤٢ - السابق ٤ / ٤٤١ .
- ٤٣ - السابق ٤ / ٤٤٥ .
- ٤٤ - السابق ٥ / ٩٣ .
- ٤٥ - السابق ٥ / ١٣ .
- ٤٦ - السابق ٥ / ٥١ .
- ٤٧ - السابق ٥ / ٦٤ - ٦٥ ، ٦٧ .
- ٤٨ - السابق ٥ / ١٤١ - ١٤٢ .
- ٤٩ - السابق ٥ / ١٤٣ .
- ٥٠ - السابق ٥ / ٣٣٧ .
- ٥١ - السابق ٥ / ٣٠٣ . ( معارضته تولية يزيد بن معاوية العهد سنة ٥٦ هـ ) ، ص ٣٤٣ . ( استجابته لابن عمر سنة ٦٠ هـ ) .
- ٥٢ - السابق ٥ / ٣٨٣ - ٣٨٤ .
- ٥٣ - الإسرائيليات - فى نظر إحدى الباحثات - هى كل ما دخل التراث الإسلامى - خاصة فى مجال التفسير - من روايات لها أصل ومصدر يهودى يمكن الوقوف عليه . أما ما ليس له أصل لديهم ، ولا

يقبله العقل أو المنطق ، وكان من رواياتهم ، أو عمن أسلم منهم فهو من الخرافات والأساطير . ( الإسرائيليات فى تفسير الطبرى . ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [ للدكتور آمال محمد عبد الرحمن ، ص ٢٦ .

٥٤ - الكتاب المقدس ( العهد القديم ) : سفر التكوين : الإصحاح الأول : الآيتان والفقرتان ١-٢ ، ص ٣-١ ( طبعة كتاب الحياة ، من الترجمة التفسيرية ، د.ت ) .

٥٥ - المصدر السابق ، سفر التكوين : الإصحاح الأول : الآية ٣ ، ص ٣ .

٥٦ - ذكرت د. آمال محمد عبد الرحمن أن ( الاستواء ) فى المفهوم الإسلامى يقابله ( الاستراحة ) فى المفهوم اليهودى . ( الإسرائيليات فى تفسير الطبرى ، ص ١٤٨ . وقد يظن البعض أنهما مصطلحان متساويان ، وهما ليسا كذلك ؛ لأن استواء الله على العرش من الأمور الغيبية التى لا تعرف حقيقتها ، وتسلم بوقوعها ، وتفرض أمر العلم بها إلى الله . أما الاستراحة عندهم ، فمفهومها مادية يتمشى مع نظرتهم إلى طبيعة الإله ، حيث يجوز عندهم أن يصاب بتعب ونصب ، وأن يُوصف بما يوصف به البشر ، وهو مرفوض تماماً من وجهة نظر الإسلام .

٥٧ - سورة ق : ٥٠/ الآية ٣٨ ، وبداية الآية ٣٩ .

٥٨ - سورة الكهف : ١٨ / من الآية ٥٠ .

٥٩ - تاريخ الطبرى ٣ / ٢٤ .

٦٠ - تاريخ الطبرى ٢/ ٦٢١ . ويؤكد ذلك حديث البراءة بن عازب ، وجابر بن عبد الله - وكلاهما شارك فى الحديبية - فى ( صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب غزوة الحديبية ) ٥/ ٢٥٩ ( رقم ١٨٠ ) ، ٢٦١ ( رقم ١٨٤ ) .

٦١ - تاريخ الطبرى ٢/ ٦٢١ . ورد بها الرقم محرفاً هكذا : أربعة عشر ومائة . والصواب ما ذكرته بالمتن . والحكمة من العدول إلى هذه الطريقة فى صياغة العدد الإشارة إلى أن الجيش انقسم إلى مئات حسب قبائلهم ، أو خصائصهم . ( فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ، ط . المكتبة السلفية ) ٧ / ٤٤٤ .

٦٢ - صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب غزوة الحديبية ٥/ ٢٦٠ . ( رقم ١٨٢ ) .

٦٣ - فتح البارى ٧/ ٤٤٠ ، ٤٤٤ .

٦٤ - صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب ( كتاب النبى إلى كسرى وقيصر ) . ج ٦ ، ص ٢٧ . ( رقم ٤١٦ ) .

٦٥ - تاريخ الطبرى ٢/ ٦٤٤ ، ٦٥٤ .

٦٦ - راجع ترجمته فى : ( طبقات ابن سعد ، ط . دار الكتب العلمية ٥/ ١٣٦ - ١٣٩ ؛ والزهد لأحمد ابن حنبل ، ط . دار الكتب العلمية ، ص ٣٧١ ؛ وجمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار ( تحقيق محمود شاكر ) ، ص ٢٧٨ ، ٢٨٣ - ٢٨٤ ؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٤٢١ ؛ وتهذيب التهذيب ( ١٦٣/٧ ) .



٦٧ - تاريخ الإسلام للذهبي ( مجلد المغازي بتحقيق : محمد محمود حمدان ) ص ٢٠٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٥٠/٦ : والوافي بالوفيات للصفدي ( ط . ألمانيا ) ٧/١ : البداية والنهاية لابن كثير ( ط . مكتبة المعارف - بيروت ) ١٠١/٩ ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ( ط . دار الفكر - بيروت ) ج ٢ ، رقم ١٧٤٧ .

٦٨ - حدد الدكتور الأعظمي في تقديمه لهذا الكتاب هدفه ومنهجه ، فقال في ص ٥٥ : هدفى هو جمع مغازي عروة بن الزبير برواية أبى الأسود عنه ، وذلك على وجه العموم . هذا ، وقد تم نشر الكتاب في مكتب التربية العربى بالرياض سنة ١٩٨١م .

٦٩ - صحيح البخارى ، بيان كيفية الروحى ج ١ ، ص ٣-٥ ( رقم ٣ ) : وتاريخ الطبرى ج ٢ ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

٧٠ - حسن ابن كثير إسناده هذا الحديث ( البداية والنهاية ، ط . مكتبة المعارف - بيروت ) ، ج ٣ ، ص ٩ .

٧١ - تاريخ الطبرى ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

٧٢ - السيرة النبوية لابن هشام ( ط ٢ - طبعة مصطفى الحلبي ١٩٥٥م ) - القسم الأول ، ص ٢٤٣ .

٧٣ - المصدر السابق ٤٠٨/١ - ٤٠٩ .

٧٤ - السيرة النبوية لابن هشام ٢٨٩/١ - ٢٩٠ : وتاريخ الطبرى ٣٣٢/٢ - ٣٣٣ : البداية والنهاية ( ط . مكتبة المعارف ) ٤٦/٣ .

٧٥ - السيرة النبوية لابن هشام ٢٤١/١ . وورد الحديث بالمضمون نفسه تقريباً ، ويلفظ مقارب من طرق أخرى في ( صحيح البخارى ، كتاب المناقب ، باب تزويج النبى خديجة وفصلها ) ج ٥ ، ص ١٢١ - ١٢٢ ( أرقام ٣٠٤ - ٣٠٥ ، ٣٠٧ - ٣٠٨ ) .

٧٦ - المعرفة والتاريخ للفسوى ( م . الإرشاد - بغداد ) ج ٣ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ : البداية والنهاية ( ط . مكتبة المعارف ) ١٢٧/٣ .

٧٧ - البداية والنهاية ( ط . مكتبة المعارف ) ١٨٣ / ٣ .

٧٨ - سيرة ابن هشام ٥٠٩/١ .

٧٩ - تاريخ الإسلام للذهبي ( مجلد المغازي بتحقيق محمد حمدان ) ، ص ٨٣ : البداية والنهاية ( ط . مكتبة المعارف ) ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

٨٠ - تاريخ الإسلام ( مجلد المغازي بتحقيق حمدان ) ص ١٣٣ - ١٣٤ .

٨١ - المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

٨٢ - السابق ، ص ١٦١ .

٨٣ - البداية والنهاية ( ط . مكتبة المعارف ) ٤٨/٤ .

- ٨٤ - تاريخ الطبرى ٢ / ٥٥٦ - ٥٥٧ .
- ٨٥ - سيرة ابن هشام ٢ / ٢٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٢ / ٥٨٩ .
- ٨٦ - تاريخ الإسلام للذهبي ( مجلد المفاز بتحقيق : حمدان ) ، ص ٢٢٥ - ٢٢٩ .
- ٨٧ - سيرة ابن هشام ٢ / ٣٢٦ - ٣٢٧ .
- ٨٨ - تاريخ الطبرى ٣ / ٥٥ - ٥٦ .
- ٨٩ - المصدر السابق ٣ / ٨٢ - ٨٣ .
- ٩٠ - السابق ٣ / ١٨٥ .
- ٩١ - السابق ٣ / ١٩٩ .
- ٩٢ - تاريخ الإسلام للذهبي ( طبعة بتحقيق : حسام الدين القدسي ) ج ٣ ، ص ١٠٠ .
- ٩٣ - تاريخ الطبرى ٣ / ٢٤٠ .
- ٩٤ - تاريخ الطبرى ٣ / ٤٣١ - ٤٣٢ .
- ٩٥ - المصدر السابق ٣ / ٤١٩ - ٤٢٠ .
- ٩٩ - السابق ٤ / ٢١٤ - ٢١٥ .
- ٩٧ - السابق ٣ / ٥٠٥ .
- ٩٨ - السابق ٣ / ٥٧١ .
- ٩٩ - السابق ٤ / ٥٢٥ - ٥٢٦ .
- ١٠٠ - السابق ٦ / ٤٢٧ - ٤٢٨ .
- ١٠١ - يمكن مراجعة علاقة المؤرخ المصرى ابن لهيعة بمدرسة الحجاز التاريخية فى كتابي : ( معالم الثقافة الإسلامية ، طبعة : دار الكتب العلمية ببيروت ) ص ٣٤٥ - ٣٤٧ .
- ١٠٢ - هو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود القرشى . يتيم عروة ( نشأ فى بيته ) ، وأخوه هشام ابن عروة من الرضاع . أوصى أبوه عروة به قبل وفاته . يعد أبو الأسود من صفار التابعين ، وفى زمرة العلماء الشقات . روى عن عروة ، وعكرمة . روى عنه الزهرى ، وهشام ابن عروة ، ومالك ، وابن لهيعة . نزل إلى مصر آخر سلطان بنى أمية . توفى سنة بضع وثلاثين ومائة . ( التاريخ الكبير للبخارى ، ط . الهند ١ / ١ / ١٤٥ ؛ الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ( ط . الهند ) ٣ / ٢ / ٣٢١ ؛ والانتقاء لابن عبد البر ( ط . دار الكتب العلمية ) ، ص ٢٦ .
- ١٠٣ - فضل ابن معين كليهما فى الرواية عن عروة ، ولم يفاضل بينهما . ( تهذيب التهذيب ١١ / ٤٥ ) .
- ١٠٤ - هو مولى آل الزبير بن العوام . كان عالماً كثير الحديث ثقة . توفى سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م . ( طبقات ابن سعد ، ط . دار الكتب العلمية ) ٥ / ٤١٢ ؛ وتهذيب التهذيب ١١ / ٢٨٤ .
- ١٠٥ - سورة غافر : ٤٠ / من الآية ٢٨ .



١٠٦ - بدليل أنه كان إذا أفاق من الحمى التي أصابته والصحابة لدى مقدمهم المدينة ، كان يضطجع بفناء البيت ، ويصبح قائلاً متشوقاً إلى مكة وجبالها ، وبلادها ، ونباتها ، وآبارها وأسواقها :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة      بفتح وحولي اذخر وجليل ؟

وهل أردن يوماً مياه مجنة      وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟

( سيرة ابن هشام ٥٨٩/١ ) .

١٠٧ - تاريخ الطبرى ١٦٣/٣ . وأضاف قائلاً : " ونكح عائشة مُتوفى خديجة . كان رسول الله رأى عائشة مرتين ، يقال له : هذه امرأتك ( وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ) " . والمقصود أنه عقد عليها فى هذه السن ، ولما كان معلوماً أنه دخل بها فى المدينة وهى بنت تسع سنين ، فتكون خديجة قد توفيت بالفعل - قبل الهجرة بثلاث سنين .

١٠٨ - المصدر السابق ٢٤٠/٣ .

١٠٩ - السابق ١٨٥ / ٣ .

١١٠ - السابق ١٨٥/٣ .

١١١ - سيرة ابن هشام ٦٤٢/٢ .

١١٢ - قال البراء بن عازب : " أصاب النبى وأصحابه من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً ، وأصابوا منا يوم أحد سبعين " . ( صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب فضل من شهد بدر ) . ص ١٨٩ ( رقم ٣٥ ) .

١١٣ - راجع ترجمته فى : طبقات ابن سعد ( ط . دار الكتب العلمية ) ج ٥ ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ ؛ والتاريخ الكبير للبخارى ( ط . الهند ) ٤٧٨/٢/٣ ؛ وميزان الاعتدال للذهبي ( ط ١ - عيسى الحلبي ) ٣٥٥/٢ ؛ وسير أعلام النبلاء ٢٤٠/٥ - ٢٤١ .

١١٤ - طبقات ابن سعد ( ط . دار الكتب العلمية ) ٣٣٧/٥ .

١١٥ - سيرة ابن هشام ٢١١/١ .

١١٦ - المصدر السابق ٢٢١/١ - ٢٢٢ .

١١٧ - السابق ٤٤٦/١ ؛ وتاريخ الطبرى ٣٦٣/٢ - ٣٦٤ .

١١٨ - سيرة ابن هشام ٥٠٧/١ ؛ وتاريخ الطبرى ٣٩٨/٢ .

١١٩ - سيرة ابن هشام ٤٧/٢ - ٤٨ .

١٢٠ - المصدر السابق ١٦٩/٢ .

١٢١ - السابق ١٧٢/٢ - ١٧٣ .

١٢٢ - السابق ٢٨٠/٢ .

١٢٣ - السابق ٤٩٨ / ٢ - ٥٠٠ .

- ١٢٤ - السابق ٥٠٣/٢ - ٥١٤ .
- ١٢٥ - السابق ٥٢٤/١ ، ٥٢٢/٢ - ٥٢٣ .
- ١٢٦ - بدءاً من دعوة الرسول لسُويد بن صامت المدني في مكة ، واستحسانه ما سمع من القرآن ( السابق ٤٢٥/١ - ٤٢٧ : وتاريخ الطبرى ٣٥١/٢ ) ، ومروراً بـلقائه مع الأوس والخزرج ( سيرة ابن هشام / ٤٢٨/١ ، ٤٤٦ : وتاريخ الطبرى ٣٥٣/٢ - ٣٦٣ ، ٣٦٤ ) .
- ١٢٧ - حيث لقاء الرسول بوقد بنى عامر بن صعصعة وفيهم : عامر بن الطفيل ( المصدر السابق ١٤٤/٣ ) .
- ١٢٨ - تاريخ الطبرى ٣٥٩/٤ - ٣٦٠ . ذا خشب : وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة . ( معجم البلدان لياقوت ، ط. دار الكتب العلمية ) ، ج٢ ، ص ٤٢٦ .
- ١٢٩ - سورة البقرة : ٢ / الآية ٨٩ .
- ١٣٠ - سيرة ابن هشام ٥٠٧/١ - ٥٠٨ .
- ١٣١ - المصدر السابق ٤٤٦/١ .
- ١٣٢ - تمام البيت : يشون مشى الجمال الزهر يعصمهم . ضرب إذا عرد السود التنايل فهو يمدح المهاجرين فى الشطر الأول من البيت والأبيات التى قبله ، ويعرض بالأنصار فى الشطر الثانى ، فيجعلهم سرداً جنباً قصاراً يقرون من الميدان . ( السابق ٥١٢/٢ - ٥١٣ ) .
- ١٣٣ - السابق ٥١٤/٢ - ٥١٥ .
- ١٣٤ - سورة النساء : ٤ / الآية ١٥٨ .
- ١٣٥ - يمكن مراجعة ترجمته فى : ( طبقات ابن سعد ، ط. دار الكتب العلمية ، ج٥ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ؛ والثقات لابن حبان ( ط. الهند ) ، ج٧ ، ص ١٠ ؛ وسير أعلام النبلاء ٣١٤/٥ - ٣١٥ ؛ وتهذيب التهذيب ١٤٤/٥ ) .
- ١٣٦ - سيرة ابن هشام ١٦٨/١ ، وطبقات ابن سعد ( ط. دار الكتب العلمية ) ، ج١ ، ص ٩٣ - ٩٤ ؛ وتاريخ الطبرى ١٦٥/٢ - ١٦٦ .
- ١٣٧ - المصدر السابق ٢٧٧/٢ - ٢٧٨ .
- ١٣٨ - السابق ١٩١/٢ .
- ١٣٩ - سيرة ابن هشام ٤٤٦/١ ، وتاريخ الطبرى ٣٦٣/٢ .
- ١٤٠ - المصدر السابق ٣٥٧/٢ - ٣٦٠ .
- ١٤١ - طبقات ابن سعد ( ط. دار الكتب العلمية - بيروت ) ج٣ ، ص ٤١ ، ١١٢ ، ٢٩٢ .
- ١٤٢ - سيرة ابن هشام ٦٢٠/١ - ٦٢١ ؛ وتاريخ الطبرى ٤٤٠/٢ .
- ١٤٣ - سيرة ابن هشام ٦٣٣/١ .



- ١٤٤ - تاريخ الطبرى ١٩/٣ .
- ١٤٥ - المصدر السابق ، ٢٠/٣ .
- ١٤٦ - طبقات ابن سعد ( ط. دار الكتب العلمية ) ٢٨ / ٤ .
- ١٤٧ - سيرة ابن هشام ٣٨٢/٢ - ٣٨٣ .
- ١٤٨ - المصدر السابق ٣٨٠/٢ - ٣٨١ .
- ١٤٩ - السابق ٤٠٥/٢ .
- ١٥٠ - السابق ٤٠٨ / ٢ .
- ١٥١ - السابق ٤٤٦ / ٢ - ٤٤٧ .
- ١٥٢ - تاريخ الطبرى ٢١٧/٣ .
- ١٥٣ - طبقات ابن سعد ( ط. دار الكتب العلمية ) ، ج ٨ ، ص ٢٣ - ٢٤ .
- ١٥٤ - تاريخ الطبرى ٢٦٥/٣ ( أحداث سنة ١١ هـ ) .
- ١٥٥ - المصدر السابق ٣ / ٣٣٩ ( أحداث سنة ١١ هـ ) .
- ١٥٦ - السابق ٣٨٧/٣ - ٣٨٨ ( أحداث سنة ١٣ هـ ) .
- ١٥٧ - تاريخ الطبرى ٤٥٩/٣ .
- ١٥٨ - المصدر السابق ٥٧٥/٣ ( أحداث سنة ١٤ هـ ) .
- ١٥٩ - السابق ٤٢٣/٤ .
- ١٦٠ - السابق ١٩٢/٦ - ١٩٣ .
- \* - راجع ( المغازى الأولى وولفوها ) . ليوسف هوروفتس ( ط. مصطفى الحلبي ١٩٤٩م من الترجمة العربية لموسى نصار ) ص ٤٢ - ٤٤ .
- ١٦١ - راجع - مثلاً - روايات فى أحداث سنتى ٧ ، ٨ هـ فى ( تاريخ الطبرى ج ٣ ، ص ١٠ ، ٢٠ ، ٢٢ ، وغيرها ) .
- ١٦٢ - راجع الأشعار الواردة فى : سيرة ابن هشام ٣٧٧/٢ ، ٤٠٨ ؛ وتاريخ الطبرى ٢٦٥/٣ .
- ١٦٣ - سيرة ابن هشام ٥٩٤/٢ - ٥٩٦ ، وتاريخ الطبرى ١٢٨/٣ - ١٢٩ ( وأضاف ص ١٣٠ قول الواقدي : توفى رسول الله وعمرو بن حزم عامله بنجران ) .
- ١٦٤ - مثل قوله ( تعالى ) : ( . ) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ { . ( سورة الأنفال : ٨ / الآية التاسعة ) .
- ١٦٥ - مثل : حديث رفاعة بن رافع قال : جاء جبريل إلى النبى ، فقال : " ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ( أو كلمة نحوها ) . قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة " . ( صحيح

البخارى ، كتاب المغازى ، باب شهود الملائكة بدرأ ( ج ٥ ، ص ١٩٣ ) ( رقم ٤٠ ) . وفى حديث ابن عباس أن النبى قال يوم بدر : " هذا جبريل أخذ برأس فرسه ، عليه أداة الحرب " . ( المصدر السابق ، الكتاب ، والباب نفسيهما ، ج ٥ ، ص ١٩٣ ) ( رقم ٤٣ ) .

١٦٦ - تاريخ الطبرى ٦٥٥/٢ - ٦٥٦ ( وحدد الواقدي - فيما ينقل الطبرى عنه - قتل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى من سنة سبع لست ساعات مضت منها ) .

١٦٧ - روى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر : أنه دخل عليه ، فقال عبد الله لامرأته فاطمة : حدثنى محمداً ما سمعت من عمرة بنت عبد الرحمن . فقالت : سمعت عمرة تقول : سمعت عائشة تقول : دُفن نبى الله ليلة الأربعاء ، وما علمنا به حتى سمعنا صوت المساحى . ( المصدر السابق ٢١٧/٣ ) . والمساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد . والميم زائدة ؛ لأنه من السَّحْرِ بمعنى : الكشف والإزالة . ( لسان العرب لابن منظور ، ط . دار المعارف بالقاهرة ، مادة : س . ح . و ) ج ٣ ، ص ١٩٦١ .

١٦٨ - من المسلمين : سلمة بن الميلاء ( من جهينة ) ، ومن المشركين حوالى اثنى عشر ، أو ثلاثة عشر رجلاً . ( سيرة ابن هشام ٤٠٨/٢ ) .

١٦٩ - قد يُحجم عبد الله بن أبى بكر عن ذكر معلومة يعرفها لسبب ما . . مثال ذلك : رجلان من بنى ساعدة خالفا توجيهات النبى عند العودة من ( تبوك ) ، ولم يخرجوا معاً فى الليلة التى أمر فيها النبى بعدم خروج أحدهم إلا ومعه صاحب له . ذكر ابن إسحاق أن هذه الرواية رواها عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي . وذكر عبد الله لابن إسحاق أن عباساً سمى له الرجلين ، لكنه استودعه إياهما ( استأمنه على اسميهما ) ، فأبى عبد الله أن يسميهما لابن إسحاق . ( المصدر السابق ٥٢١/٢ - ٥٢٢ ) .

١٧٠ - كان الصبيان يشتدون فى مطاردة الجيش العائد من مؤتة ، والناس يحثون عليهم التراب ، ويصيحون بهم : يا فرار ، فررت فى سبيل الله ، فيدافع الرسول عنهم بقوله : ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار ، إن شاء الله ( تعالى ) . ( السابق ٣٨٢/٢ - ٣٨٣ ) .

١٧١ - قال عمر لهم : " لا تجزعوا يا معشر المسلمين ، أنا فئتكم ، وإنما انحزتم إلى " ؟ ( تاريخ الطبرى ٤٥٩/٣ ) .

١٧٢ - قال الرسول للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ( يعنى : المسلمين ) . ( سيرة ابن هشام ٤٤٦/١ ) .

١٧٣ - طبقات ابن سعد ( ط . دار الكتب العلمية ) ج ٣ ، ص ١١٢ .

١٧٤ - المصدر السابق ٤١/٣ .

١٧٥ - سيرة ابن هشام ٣٨٠ - ٣٨١ .

١٧٦ - المصدر السابق ٤٠٥/٢ . والعثنون : ما نبت على الذن ، وتحتته سُفلاً . والجمع : عشانين . ( المعجم الوسيط ، ط . مجمع اللغة العربية ، مادة : ع . ث . ن ) ج ٢ ، ص ٦٠٥ . والذن : مجمع



اللحيين من أسلفهما . واللحيان : العظمان اللذان فيهما الأسنان . ( المرجع السابق : مادة : ل . ح .  
 ى ) ٨٥٣/٢ .

١٧٧ - تاريخ الطبرى ١٩٢/٦ . وقد عاصر عبد الله بن أبى بكر هذه الحادثة ، ولعله رأى رؤوس عبد الله  
 ابن الزبير ، وعبد الله بن صفوان ، وعُمارة بن عمرو بن حزم ، وهى معلقة بالمدينة قبل أن تُرسل إلى  
 عبد الملك بن مروان .

١٧٨ - المصدر السابق ٢ / ٣٨٦ - ٣٨٧ .

١٧٩ - سيرة ابن هشام ٤٤٦/١ .

١٨٠ - المصدر السابق ١ / ٤٤١ .

## قوائم المصادر والمراجع (\*)

- القرآن الكريم .
- الكتاب المقدس : العهد القديم ( التكوين ) . طبعة كتاب الحياة (ترجمة تفسيرية) ، د.ت.
- أولاً : المصادر :
- ابن الأثير ( عز الدين علي بن محمد الجزري ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م ) : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مطبوعات دار الشعب بالقاهرة ١٩٧٠م ، تحقيق ، وتعليق : محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمود عبد الوهاب فايد .
- البخاري ( محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩م ) : التاريخ الكبير : الطبعة الأولى ، مطبعة : دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٦١ هـ . عني بتصحيحه ، وتعليق حواشيه : الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني .
- صحيح البخاري : طبعة عالم الكتب - بيروت ١٩٨٥م .
- ابن أبي حاتم ( عبد الرحمن الرازي ت ٣٢٧ هـ / ٩٣٨م ) : الجرح والتعديل : الطبعة الأولى ، مطبعة : مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢م .
- حاجي خليفة ( مصطفى بن عبد الله القسطنطيني ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٨م ) : كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون : طبعة : دار الفكر - بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .
- ابن حبان ( محمد بن حبان بن أحمد البستي ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥م ) : الثقات : الطبعة الأولى ، مطبعة : مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ١٩٧٣ - ١٩٨٣م .
- ابن حجر ( أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م ) : الإصابة في تمييز الصحابة : الطبعة الأولى ، دار الجيل - بيروت ١٩٩٢م ، تحقيق ، وفهرسة على محمد البجاوي .

---

\* - تم وضع القرآن الكريم على قمة المصادر المستخدمة في هذا البحث ويعدّه الكتاب المقدس ، ثم رتبت المصادر وفق لقب المؤلف ( أو اسمه المشهور ) مع مراعاة الترتيب الهجائي ، وعدم اعتبار الزوائد من أمثال : ( ابن - ابنة - أب - أم - آل ) . أما المراجع فرتبت ترتيباً هجائياً راعى الاسم الأول ، فالثاني ، وهكذا .



- تقريب التهذيب : دار المعرفة - بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م . حققه ، وعلق حواشيه ، وقدم له : عبد الوهاب عبد اللطيف .
- تهذيب التهذيب : الطبعة الأولى ، دار الفكر - بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : طبع ، ونشر : المكتبة السلفية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م . ترقيم ، وترتيب ، ومراجعة : محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب ، وقصى محب الدين الخطيب .
- ابن حنبل ( أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م ) : الزهد : طبع ، ونشر : دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٦م .
- الخطيب البغدادي ( أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م ) : تقييد العلم : الطبعة الثانية . نشر : دار إحياء السنة النبوية ١٩٧٤م ، تحقيق ، وتعليق : يوسف العش .
- ابن خلكان ( شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ) : وفيات الأعيان وأبناء الزمان : دار صادر - بيروت ، د.ت : تحقيق : د. إحسان عباس .
- الذهبي ( شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م ) : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ( التاريخ الكبير ) : مطبعة المدنى ، ومطبعة القدس ، القاهرة ، د.ت . عنى بتحقيق النص ، وتحرير الحواشى : حسام الدين القدسي .
- وتوجد طبعة أخرى فى مجلد واحد بعنوان ( المغازى ) . الطبعة الأولى . الناشر : دار الكتب الإسلامية ، ودار الكتاب المصرى بالقاهرة ، ودار الكتاب اللبنانى ببيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م . ، تحقيق وتقديم وفهرسة : محمد محمود حمدان .
- سير أعلام النبلاء : الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٥م ، أشرف على تحقيق الكتاب ، وخرج أحاديثه : شعيب الأرناؤوط .
- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال : الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ( عيسى الحلبي ) ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م . تحقيق : علي محمد البجاوى .

- الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب القرشي الأسدي ( ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م ) : جمهرة نسب قریش وأخبارها . مطبعة : المدني ١٣٨١ هـ . شرح ، وتحقيق : محمود محمد شاكر .
- السخاوی ( شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م ) : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ : الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ( نشره : فرانز روزنثال ) ١٩٨٣ م . ترجمة دكتور صالح أحمد العلى .
- ابن سعد ( محمد بن سعد كاتب الواقدي ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م ) : الطبقات الكبرى : طبعة دار صادر - بيروت ، د.ت. وتوجد طبعة أخرى نشر : دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٠ م . دراسة ، وتحقيق : محمد عبد القادر عطا .
- الصفدي ( صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م ) : الوافي بالوفيات : الطبعة الثانية . دار النشر : فرانز شتاينر - فيسبادن بألمانيا ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٢ م باعتناء : هلموت ريتز .
- الطبري ( أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ) : تاريخ الطبري ( تاريخ الرسل والملوك ) : الطبعة الخامسة ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٧ م ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم .
- ابن عبد البر ( أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م ) : الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : طبع ، ونشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ت .
- عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ( ت ٩٤ هـ / ٧١٢ م ) : مغازي رسول الله : الطبعة الأولى . منشورات : مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م . نسخة مستخرجة جمعها ، وحققها ، وقدم لها : دكتور محمد مصطفى الأعظمي .
- الفسوي ( أبو يوسف يعقوب بن سفيان ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م ) : المعرفة والتاريخ : مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٧٤ م ، تحقيق : دكتور أكرم ضياء العمري .
- ابن كثير ( أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م ) : البداية والنهاية : نشر : مكتبة المعارف - بيروت ١٩٦٦ م .



- ابن منظور ( جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ / ١٣١١م ) : لسان العرب : طبعة دار المعارف بالقاهرة ، د ت ، تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف
- ابن هشام ( عبد الملك بن هشام البصرى ت ٢١٨هـ / ٨٣٣هـ ) : السيرة النبوية : الطبعة الثانية - مصطفى الحلبي ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م . تحقيق ، وضبط ، وشرح ، وفهرسة : مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى .
- الواقدي ( محمد بن عمر بن واقد الواقدي ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م ) : المغازى : الطبعة الثالثة ، عالم الكتب - بيروت ١٩٨٤م ، تحقيق : مارسدن جونز .
- ياقوت ( شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ) : معجم البلدان : الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٠م . تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي .

#### ثانياً : المراجع :

- أمال محمد عبد الرحمن ربيع : الإسرائيليات فى تفسير الطبرى - دراسة فى اللغة والمصادر العبرية . طبعة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون . الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٩م .
- عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح : معالم الثقافة الإسلامية فى القرنين الأولين من الهجرة . الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٢م .
- فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربى . طبعة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م ، نقله إلى العربية : محمود فهمى حجازى ، فهمى أبو الفضل .
- نخبة من العاملين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط . الطبعة الثالثة . مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية بالقاهرة ١٩٨٥م .
- يوسف هورفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها . الطبعة الأولى ، مطبعة : مصطفى الحلبي ١٩٤٩م ، ترجمة : حسين نصار .





د. صلاح خليل إبراهيم سلام (\*)

## ابن دحية حلقة وصل بين المشرق والمغرب في المجال الثقافي

أما بعد... فإن لشخصية ابن دحية مكانة عظيمة ، فهو من أقطاب علماء العالم الإسلامي في العصور الوسطى الذين سطع نجمهم واتسعت شهرتهم وسخروا جهودهم لنشر الثقافة الإسلامية ، ووقفوا حياتهم علي طلب العلم وتدرسه في مختلف بلاد العالم الإسلامي (١).

وبعد ، ستكون هذه الدراسة التي نصحب فيها ابن دحية الذي برع في معظم فنون العلم والمعرفة ، تشهد بذلك كتب التراجم التي حفلت بالحديث عن حياته واجتهاده ، كما يشهد هذا التراث الذي تذر به المكتبة الإسلامية ، والذي يعطى للقارئ بعض الضوء عن ابن دحية ودوره في مجالات الحديث وأصول الفقه والأدب . وستكون هذه الصحبة في عدة محاور :

الأول : الحالة السياسية والثقافية في عصر ابن دحية .

الثاني : التعريف بابن دحية .

\* - مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية الآداب - جامعة حلوان .

الثالث : شيوخه الذين تلقى عليهم العلم .

الرابع : الأستاذ والمعلم .

الخامس : إحصاء لمؤلفاته .

السادس : حمل المغاربة وأهل المشرق لعلم ابن دحية .

**أولاً : الحالة السياسية والثقافية فى عصر ابن دحية :**

ومن المفيد قبل أن نبدأ الحديث عن ابن دحية أن نلقى بعض الضوء على العصر الذى عاش فيه . فقد شهدت الفترة من العقد الخامس من القرن السادس الهجرى الذى ولد فيه ابن دحية إلى أن توفى فى العقد الرابع من القرن السابع الهجرى كثيراً من الصراعات والتحولات السياسية والفكرية والعقائدية (٢) . ونحن لن نؤرخ للعصر الذى عاش فيه ابن دحية تاريخاً بمعناه المنهجي المعروف ، وإنما سنعمد إلى إبراز ما نراه من أحداث كان لها أثرها فى تكوين شخصية ابن دحية سواء كانت سياسية أو فكرية أو عقائدية .

ومن هذه الظواهر المؤثرة : أن بداية هذا العصر صادف انهيار وسقوط دولة المرابطين ، ووافق ذلك قيام دولة الموحيدين فى حكم بلاد المغرب والأندلس (٣) ، وقد أنشأ هذه الدولة الفقيه محمد بن تومرت الهرغى المصمودى مهدى الموحيدين الذى رحل إلى المشرق وتعلم فيه على الأشعرية وغيرهم (٤) ، ورجع مع أصحابه نحو مسقط رأسه بالمغرب الأقصى ، وقد سجل البيذق تفاصيل هذه الرحلة ، وسجل أحداثها صغيرة وكبيرة ، وكان ابن تومرت وهو فى طريقه يجد فى تغيير المنكر مركزاً على عيبين أخلاقيين يبدو أنهما كانا متفشين بالمغرب : اختلاط الرجال بالنساء ، ومعاقرة الخمر (٥) وما يصاحبها من اللهو والطرب (٦) .

ويبدو أن مواعظ ابن تومرت كانت تلقى أحياناً بعض التأييد الشعبى ، كما كان احتكاكه بالحكام فى كل من الأسكندرية والمهدية وبجاية ومراكش وأغمات قد عمق فى نفس ابن تومرت فكرة الثورة والتغيير الشامل ، وقد عبر عنها بوضوح حينما " خلع مبايعة على بن يوسف عن أعناق تابعيه وأصحابه ، وأعلن للجميع بخلعه " (٧) . فنظم ثورة واسعة ضد دولة المرابطين وفقهائهم المالكية وتبعه كثيرون ، وكان الهدف الذى يريد تحقيقه واضحاً أمامه وهو جعل هذا المجتمع يعيش الإسلام الصحيح : عقيدة تقوم على التوحيد الخالص الذى ينتفى معه كل مظهر للشرك والتشبيه ، وسلوك فردى واجتماعى يخضع لأوامر الشرع ونواهيه ، وحكم



عادل يسهر على تطبيق الشرع وتحقيق مصالح الرعية ، وكان الطريق إلى هذا الهدف واضحاً : عمل سياسى لتنظيم أصحابه وإحكام أعدادهم وضمان المناصرين له والمنتمين إليه ، وعمل عسكرى للقضاء على السلطة المرابطية الحائلة دون هدفه ، وعمل تربوى لبث أفكاره . وشرع ابن تومرت فى ترويج فكرة المهديّة حيث لم تكن أمراً غريباً على أهل السوس موطن ابن تومرت فقد ألفوها من الدعوة الشيعية التى وصلت إلى أطراف المغرب ، خاصة وقد كانت تروج بالمغرب بعض الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ﷺ ، تنبأ بظهور المهدي المنتظر فى بلاد المغرب ، وقد ساهم هذا العامل الدينى فضلاً عن العامل الفكرى فى تدعيم دعوة المهديّة (٨) .

وتم الإعلان عن المهديّة فى موكب مشهود حضره كافة الأتباع الذين بايعوا ابن تومرت على أنه المهدي وأن يكونوا يداً واحدة على القتال والدفاع وتم ذلك فى شهر رمضان سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م (٩) ، وعمد المهدي إلى الطعن فى المرابطين وبيان أنهم أهل الباطل ، وهم مفسدون فى الأرض ، وإمعاناً فى تحقير المرابطين اصطنع لهم ألقاباً مشينة مثل " الزراجنة " تشبهاً بطائر أسود البطن أبيض الريش يسمى الزرجان ، لأنهم بيض الشياب سود القلوب ، ومثل " الحشم " لتلثمهم كما يتلثم الحشم ، وكان اللقب الذى صار أكثر انتشاراً هو " المجسمون " فهم غير مخلصين لحقيقة التوحيد ، بما يخالط تصورهم من تشبيه وتجسيم للذات الإلهية (١٠) .

وعندما وثق ابن تومرت من تأثير دعوته فى النفوس وامتناع الناس بها انتقل إلى المرحلة التالية فإذا هو يعلن أن جهاد الملتزمين قد تعين على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر . ويذكر المراكشى (١١) أن المهدي قد أوصى أصحابه عندما بعثهم إلى المرابطين قوله : " اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين ، الذين تسموا بالمرابطين ، فادعوهم إلى أماتة المنكر ، وإحياء المعروف ، وإزالة البدع ، والإقرار بالإمام المهدي المعصوم ، فإن أجابوكم فهم إخوانكم فى الدين ، لكم ما لهم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يفعلوا ، فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم " ولما لم يجبه المرابطون إلى دعوته إذ يعتبرون أنفسهم على الحق ويعتبرونه على الباطل ، جعل يغزوهم ابتداءً من سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م (١٢) .

وبدأ منازل المرابطين سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م ، غير أن ابن تومرت توفى سريعاً فخلفه عبد المؤمن بن على " ٥٢٤ - ٥٥٨هـ " وهو يعد المؤسس الحقيقى لتلك الدولة ، وقد استطاع القضاء على دولة المرابطين وفتح مراكش سنة ٥٤١هـ ، وأصبح عبد المؤمن بعد فتحها سيد

المغرب كله ، إذ أن المدن والقبائل في المغرب كله حتى طنجة وسبتة سارعت إلى الدخول في طاعة الموحدين (١٣).

هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن عبد المؤمن بن علي بدأ يوجه أنظاره شمالاً عبر مضيق جبل طارق نحو الأندلس ، ولم يلق صعوبة في ضم الأجزاء الغربية من الأندلس إذ سارع أمراء هذه المناطق بإعلان ولائهم وانضمامهم للموحدين ، وكانت ولاية شريش في طليعة هذه الولايات ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م. ولذا سمي أهلها بالسابقين الأولين ، كذلك انضم إلى الموحدين في السنة التالية على بن عيسى بن ميمون قائد أسطول المرابطين الذي كان قد استقل بمدينة قادس ، كذلك انضمت أشبيلية إلى الموحدين وسافر وفد من أعيانها برئاسة القائد أبي بكر ابن العربي إلى مراکش لمبايعة الخليفة عبد المؤمن بن علي . أما الإقليم الشرقي من الأندلس فقد عارض أمراؤه فكرة الوحدة مع المغرب ومثال ذلك مدينة المرية التي استقل بها أهلها إلى أن سقطت سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م في يد ملك قشتالة وليون ألفونسو السابع الملقب بالسليطين ، وتمكنت جيوش الموحدين من استعادة المرية سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م (١٤).

وما يقال عن المرية يقال أيضاً عن الجزر الشرقية ( البليار ) التي استقل بها محمد بن غانية وأولاده من بعده ، ولم تخضع هذه الجزر لسلطان الموحدين إلا في سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م أيام الخليفة الناصر . كذلك استقل بشرق الأندلس محمد بن سعد بن مردنيش ، وقد أساء إلى رعيته ، يؤيد ذلك ابن الخطيب عندما ذكر أن المغارم عظمت في بلاده التي شملت على حد قوله ( مرسية وبلنسية وشاطبة ودانية ، ثم اتسع نطاق ملكه فولى جيان " أبده وبياسة " وبسطة ووادي أش وملك قرمونة ونازل قرطبة وإشبيلية ، وكاد يستولى على جميع بلاد الأندلس ، فولى صهره ابن همشك مدينة جيان وأبده وبياسة وضيق منها على قرطبة . واستولى على استجة ، ودخل غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسائة وثار عليه يوسف بن هلال من أصهاره ) (١٥).

أما عمال ابن مردنيش فقد ظلموا الرعية وأثقلوا كاهل أهل هذه البلاد بكثير من الضرائب. وتشير النصوص إلى أن ابن مردنيش أمر بمصادرة أموال كل من يترك بلده أمام الغزو وتؤول هذه الأموال إلى المخزن . ثم أخذ أمر ابن مردنيش في الإذبار حيث هزم أمام قوات الموحدين في موقعة فحص الجلاب سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م وسقط عدد كبير من الحصون التابعة له في أيدي الموحدين . وقد عقد الموحدون العزم على ضم شرق الأندلس إلى بقية



الأندلس ، وكان انفصال ابن همشك عنه حيث توجه ابن همشك إلى قرطبة سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩م فاستقبله واليها السيد أبو إسحق إبراهيم استقبالا حافلا وهناك أعلن ابن همشك الدخول في طاعة الموحدين (١٦).

ومن ثم بدأ سلطان ابن مردنيش يضمحل بخروج قاداته وكبار رجال دولته عليه وانضمامهم إلى الموحدين ، وانتهاز الموحدون هذه الفرصة للقضاء على ابن مردنيش وبدأوا في تنفيذ خططهم سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م وشارك ابن همشك في ذلك . ولما أيقن ابن مردنيش بقرب نهايته اشتد عليه المرض فلم يلبث أن توفي سنة ٥٦٧هـ / ١١٧٢م وتكتم أقاربه خبر وفاته وتشارروا معاً واتفق الجميع على أن يعلنوا طاعتهم لخليفة الموحدين أبي يعقوب يوسف ( ٥٥٨ - ٥٨٠هـ ) (١٧).

ويستشف من خلال النصوص أن أبا الحجاج يوسف بن مردنيش كان حاكماً على شرق الأندلس بموافقة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، ولكن يبدو أنه كان تحت نظر أبي حفص عمر حتى وفاته ، واستمر والياً على بلنسية ودانية وشاطبة تحت إشراف السيد أبي عبد الله والي شرق الأندلس . وفي سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م ولي الخليفة الناصر السيد أبا محمد عبد الله بن المنصور على شرق الأندلس حتى سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م (١٨).

ومهما يكن من أمر فإن الموحدين قد عبأوا كل دعائهم وأنصارهم للقيام بالدعاية اللازمة للخلافة الموحدية في العالم الإسلامي ، ففي كتاب البيذق نجد باباً عن أصحاب المهدي المقيمين في مصر وقد بلغ عددهم ٥١ رجلاً ذكر المؤلف أسمائهم واحداً واحداً ثم قال " بأنهم كانوا للمهدي بمثابة أعضائه وجسده سامعين لقوله ، مجيبين لأوامره مؤمنين بدعوته " . ويدل هذا على أن المهدي كان له أنصاره ودعائه الذين عملوا على نشر دعوته في مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامي (١٩). وفي كتاب نظم الجمان لابن القطان يذكر مساري الخلافة الفاطمية ويصور محاسن الخلافة الموحدية ، ويذكر أن الأخيرة هي الأجدر بحكم العالم الإسلامي . أما ابن جبير فقد طاف بأنحاء المشرق الإسلامي وقال بأن المصريين كانوا يترقبون مجيئ الموحدين لدرجة أن بعض فقهاءهم قد أعد خطباً مناسبة لإلقائها بين يدي الخليفة الموحدي عند قدومه (٢٠).

واستمرت فكرة الوحدة الإسلامية مسيطرة على فكر خلفاء الموحدين ولاسيما في عهد الخليفة يعقوب المنصور الذي ينسب إليه المراكشي تصريحات تدل على رغبته في الرحلة إلى المشرق وتطهيره من عيوبه (٢١).

وتنبغى الإشارة هنا إلى أن ابن دحية قد عاصر أواخر الدولة الفاطمية وبداية الدولة الأيوبية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م فى مصر والشام ، ويبدو أن صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية قد حاول توثيق علاقته بالموحدين رغم تبعيته للخلافة العباسية ، فأرسل سفيراً من قبله وهو الأمير عبد الرحمن بن منقذ إلى الخليفة الموحدى يعقوب المنصور ، ومهما يكن من أمر هذه السفارة فإن صلاح الدين لم يلقب يعقوب المنصور بلقب أمير المؤمنين فى الخطاب الذى أرسله إليه مع ابن منقذ على أساس أن الاعتراف بالخلافة الموحدية معناه الاعتراف بصدق العقيدة الموحدية وبشرعية الدولة الموحدية . وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الخلاف السياسى بين الأيوبيين والموحدين لم يحل دون تنقل الطلاب والعلماء بين المشرق والمغرب ، وكان ابن دحية من بين هؤلاء العلماء الذين ظهروا فى عصر الدولة الأيوبية خاصة زمن الملك الكامل (٢٢).

أما الخلافة العباسية فقد ضعفت بسبب تفاقم سلطان بنى بويه الذين سيطروا على الخلفاء العباسيين قرابة قرن ، وكان بنو بويه قد اعتنقوا الإسلام على المذهب الشيعى وتعصبوا له حتى أنهم أرغموا أهل السنة على الاشتراك فى أعياد الشيعة ، وإزاء ذلك طلبت الخلافة العباسية مساعدة الأتراك السلاجقة السنيين فزحف تغربك إلى بغداد سنة ٤٤٧هـ فحل السلاجقة محل البويهيين فى السيطرة على الخلافة العباسية . على أن عصر السلاجقة العظام قد أفل بموت السلطان مسعود سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م وتقاسم ملك السلاجقة دول كثيرة تعرف بدول الأتابكة ، ومن دول الأتابكة أتابكة دمشق وأتابكيات الموصل والجزيرة وسوريا وأذربيجان وفارس مما مهد السبيل لاسترداد بعض الخلفاء العباسيين بعض ماكان لهم من سلطان وأتاح الفرصة للصليبيين لشن حروبهم على البلاد الإسلامية كما مهد السبيل للمغول لاجتياح بلاد ما وراء النهر وفارس والعراق وسقطت عاصمة الخلافة فى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م (٢٣).

أما فى الأندلس والمغرب فإن الدولة الموحدية كانت فى آخر عهدها آيلة إلى السقوط والضعف وبلغت حركة الاسترداد النصرانية أشدها وكانت تنتقص من بلاد الأندلس حصناً بعد حصن ، ومدينة إثر مدينة ، والخارجون على الدولة من المتحدرين بدأوا يطلون برؤوسهم فى بداية القرن السابع الهجرى (٢٤). ومصر والشام كانت لا تقل عن بلاد الأندلس والمغرب وبغداد من حيث التمزق السياسى ، فالصراع قائم على أشده بين أبناء صلاح الدين الأيوبي منذ أن توفى سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م وبين أبنائه وعمهم العادل وبين أبنائه العادل بعده وأبناء



صلاح الدين (٢٥). هذه لمحة خاطفة تبين الحالة السياسية في عصر ابن دحية وما سادته من هدوء واضطراب ، ولا شك أن هذا كله كان له تأثير نفسي على ابن دحية فقد رحل مع والده من الأندلس إلى المغرب وتنقل بعد ذلك بين البلدين ورحل إلى معظم دول العالم الإسلامي حسبما سنذكره في موضعه .

أما من الناحية الفكرية فإن الدولة الموحدية التي امتدت من الأندلس شمالاً إلى قلب الصحراء جنوباً ومن المحيط الأطلنطي غرباً إلى طرابلس شرقاً فقد شهدت العلوم والفنون والعمارات في عهدها ازدهاراً مشهوداً ، وقد شغف أمراء هذه الدولة بالعلم وأول هؤلاء عبد المؤمن بن علي فقد اهتم بالعلم منذ الصغر ، وكان " فقيهاً عالماً بالجدل والأصول ، حافظاً لحديث النبي ﷺ ، مشاركاً في علوم كثيرة الدينية والدنيوية ، وعلوم النجوم ، واللغة والأدب والتاريخ وعلوم القراءات " (٢٦). كما كان عبد المؤمن مشجعاً على العلم عاملاً على نشره بين الناس وخاصة الصبيان يؤيد ذلك رواية لابن القطان إذ يقول : " ومن مكارمه العظيمة رضى الله عنه حضه الناس على العلم ، واراادته لهم ولبنيتهم ما يريد لنفسه ولبنيتهم ، واستدعاؤه الصبيان الصغار من أبناء إشبيلية وقرطبة وفاس وتلمسان إلى حضرته العلية ليعلمهم ويحفظهم القرآن ، وحديث النبي ﷺ " (٢٧).

وبما تجدر الإشارة به هنا أن الشيخ العالم أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء كان مدرساً وأستاذاً لأبناء عبد المؤمن بن علي في مراكش وذلك حوالي سنة ٥٤٠ هـ ودولة الموحدين في إقبالها ، وعرف قدره ومكانته من العلم أبو يعقوب بن عبد المؤمن فقربه إليه وكان هذا العالم أستاذاً لابن دحية مما يشير إلى انتقال ابن دحية إلى المغرب في سن مبكرة وتلقيه العلم في حضرة مراكش ضمن من استدعاهم الخليفة الموحدي (٢٨).

وبما لا شك فيه أن أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ( ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ) لم يكن أقل من أبيه علماً واحتراماً للعلماء وأكثر اهتمامه كان بالقرآن والحديث (٢٩) ، ولما جاء أبو يوسف يعقوب المنصور واصل نفس السياسة التي انتهجها أبوه وجده ، ومن مظاهر ذلك أنه استدعى العلماء ورواة الحديث من مختلف الأمصار وأمرهم بتدريس حديث الرسول ﷺ ، كما ازدهرت دراسة الأصول ومن اشتهر في تفسير القرآن وعلومه أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحراني ( ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م ) ، وكان يلقي في التعليم قوانين تنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام ، وعلى تلك القوانين وضع كتابه المسمى " مفتاح الباب المقفل علي

فهم القرآن المنزل " (٣٠). كما اشتهر في الحديث وعلومه كثير من العلماء ومن هؤلاء : أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي ، وكان هو وأخوه أبو عمرو ( ت ٦٣٤ هـ / ١٢٣١ م ) من العلماء المتفهمين على طريقة التأصيل إذ يذكر ابن خلكان أنهما كانا مجتهدين ينتهجان منهج استنباط القضايا من الكتاب والحديث والإجماع (٣١).

وما تجدر ملاحظته أن المذهب الظاهري وجد في عهد الموحدين مجالاً للازدهار بالإندلس وللظهور في المغرب وهو ما لم يحدث في العهد المرابطي وكان هذا التقارب بين الموحدين والظاهرية عنصراً منشطاً لحركة الحوار بين منهج الفروع والتقليد ، وبين منهج الاجتهاد والتأصيل .

من المعروف أن الدولة الأيوبية كانت دولة إسلامية ، وقد تميز العصر الأيوبي بطابع الجهاد والكفاح ضد الصليبيين ، ومن ثم انعكست تلك الصورة في نفس الشعراء والكتاب في جميع أنحاء الشرق العربي ، فانطلقت ألسنتهم وأقلامهم تشيد بأعمال البطولة وقُدح أبطال الدولة الأيوبية المدافعين عن الإسلام . وكان صلاح الدين الأيوبي ملماً بأحكام الشريعة وأصولها وله مساجلات مع الفقهاء والعلماء ، وكان يتذوق الشعر . وما يقال عن صلاح الدين يقال عن أخيه العادل الذي كان يميل إلى العلم والعلماء ، ونخص منهم العالم الفيلسوف فخر الدين الرازي الذي صنف له بعض كتبه وأرسلها له من خراسان . وكان الملك المؤيد مسعود ابن صلاح الدين حاكم اليمن مغرمًا بإقتناء الكتب ، كذلك الملك عيسى بن العادل صاحب دمشق الذي وهب لكل من يحفظ كتاب المفصل للزمخشري مائة دينار وخلعة . كما أنه طلب من الأديب الفارسي قوام الدين الفتح بن محمد البنداري الأصفهاني ترجمة كتاب " الشهنامة " لأبي القاسم الفردوس ( والشهنامة ملحمة شعرية فارسية تقص أخبار ملوك الفرس القدماء وأساطيرهم حتى الفتح العربي ) . وهذه النهضة العلمية والأدبية كان لها مراكز حضارية يشع منها نور العلم والمعرفة مثل مجالس الملوك والمدارس التي أنشأها صلاح الدين في مصر وخارجها في كل من القدس ودمشق ، ونذكر المدرسة الكاملية التي بناها الكامل محمد بن العادل في القاهرة بين القصرين ، وكانت تسمى أيضاً بدار الحديث الكاملية وكان شيخها زمن الملك الكامل العالم أبا الخطاب عمر بن دحية (٣٢).

وهكذا يمكن القول أن هذا العصر كان عصر ازدهرت فيه مختلف فروع العلم ، وأن هذا العصر الذي عاش فيه ابن دحية برز فيه كثير من العلماء في فروع العلم نذكر منهم أبو بكر



محمد ابن زهر الذى برع فى الطب واللغة " ت ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م " (٣٣) ، وعبد الله بن يوسف بن محمد البغدادي وكان عالماً بالطب " ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م " (٣٤) . وظهر فى هذا العصر فقهاء ، ولغويين كباراً نذكر منهم الفرّج بن الجوزي والإمام الفخر الرازي الذى يعتبر مجدد علم الكلام فى القرنين السادس والسابع " ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م " ، وابن الحاجب المتوفى " سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م " وما قام به من جهود فى النحو والفقه والأصول ، وغير هؤلاء كثير لم نذكرهم لأننا نقتصر ولا نستقصى (٣٥) . ويمكن القول من خلال النصوص التاريخية أن هذا العصر من الناحية الثقافية كان مزيجاً من المنحنيات العقائدية والفكرية ، فقد برزت ظواهر طائفية من شيعة وذميين أدت إلى صراع فكرى ومادى (٣٦) .

## ثانياً : التعريف بابن دحية :

### ١ - اسمه ونسبه :

يعطينا ابن خلكان شجرة نسب ابن دحية تفصيلاً إذ يقول : هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على بن محمد الجميل بن فرج بن خلف بن قومس بن مزلال بن بدر بن أحمد بن دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ، المعروف بذي النسبين ، الأندلسي ، البلسي ، الحافظ (٣٧) .

وهذه الرواية فى النسب لابن خلكان تختلف فى نقطتين مع ثلاث روايات أخرى فى النسب ، الأولى للأوسى المراكشى ، والثانية لابن العماد ، والثالثة للغبريني . أما الأوسى المراكشى فهى فى ترتيب النسب وتحقيقه ، فهو يذكر : " عمر بن حسن بن على بن محمد بن فرج بن خلف بن قومس بن مزلال بن ملال بن بدر بن أحمد بن دحية الكلبي " ، مما يوضح اختلاف اسم فرج كما هو فى رواية ابن خلكان أما فى رواية الأوسى فيذكر فرج بن خلف بدلاً من فرج ، كذلك يختلف عن ترتيب ابن خلكان والذى ذكر اسم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي . ويبدو أن الأمر اختلط على الأوسى المراكشى الذى يذكر أيضاً كما يذكر ابن خلكان أنه قد نقل نسبه على هذه الصورة من خطه (٣٨) .

ويذكر ابن العماد : " أبو الخطاب عمر بن حسن بن محمد الجميل بن فرج بن خلف الكلبي الداني " . ونقطة الخلاف الأولى هى فى النسب بعد " عمر بن حسن بن محمد " ، ونقطة الخلاف الثانية هى فى اسم فرج بن خلف كما ذكرها الأوسى المراكشى (٣٩) . أما الغبريني فيذكر " أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على بن دحية الكلبي " مختصراً نسبه (٤٠) .

ومن هذه النصوص يتضح مدى الخلاف فى الترتيب والأسماء مما يجعلنا نظراً لهذا الخلاف نميل إلى تفضيل النسب إلى ابن خلكان حيث نقل هذا النسب وقيده وضبطه من خط يد ابن دحية (٤١).

وذكر نسبه إلى " دحية الكلبي " صاحب رسول الله ﷺ وسفيره إلى قيصر الروم (٤٢) ، كما يرفع نسبه إلى أمه أمة الرحمن بنت أبي عبد الله بن أبي البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب ، فهو ذو النسيين (٤٣).

أما نسبه إلى ابن دحية فقد اختلف المؤرخون فى ذلك فابن العماد ينفى نسبه إلى دحية حين ترجم له (٤٤) ، ولم يخرج صاحب " تذكرة الحفاظ " عن ذلك (٤٥) ، وقد علق ابن حجر العسقلاني بعد ما ساق نسبه ... إذ يقول : فهذا نسب باطل بوجوه .. أحدهما : أن دحية لم يُعقب . الثانى : أن على هؤلاء لوائح البربرية . وثالثها : بتقدير وجود ذلك ، قد سقط منه آباء ، فلا يمكن بينه وبينه عشرة أنفس (٤٦) . غير أن فريقاً آخر من المؤرخين يؤكد صحة نسب أبو الخطاب عمر ابن الحسن إلى دحية الكلبي ومن هؤلاء ابن خلكان ، وابن الزبير (٤٧) ، وابن كثير (٤٨) ، والمقرئ (٤٩).

## ٢ - مولده ووفاته :

ولد أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية كما يذكر المقرئ فى ذى القعدة سنة سبع - أو ثمان وأربعين وخمسمائة (٥٠) ، ويقول ابن خلكان : وكانت ولادته فى مستهل ذى القعدة سنة أربع - أو ثمان - وأربعين وخمسمائة ، كما يذكر أن ابن أخى ابن دحية قال : " سمعت عمى أبا الخطاب غير مرة يقول : ولدت فى مستهل سنة ست وأربعين وخمسمائة " (٥١) . وكذلك يذكر ابن كثير بل ذكر أيضاً نقلاً عن ابن خلكان أنه ولد سنة ست أو تسع وأربعين وخمسمائة (٥٢).

ورغم اختلاف النصوص فى تحديد زمان مولد ابن دحية ، إلا أن النصوص تحدد لنا بصورة جازمة سنة وفاته فقد كانت فى يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عن سبع وثمانين سنة (٥٣) ، مما يشير إلى أن مولد ابن دحية كان سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ، وهو قول يتفق مع قول ابن تغرى بردى (٥٤) . أما ابن الزبير فلم يحدد سنة وفاته إذا يقول : " توفى قبل سنة ٦٤٠ هـ " (٥٥) . وقد دفن بالقاهرة بسفح جبل المقطم (٥٦).



أما المكان الذى ولد فيه فإن المترجمين له اختلفوا اختلافاً كبيراً فى ذلك ، فابن الأبار والذهبي وابن العماد يقولون عنه : " الدانى الأصل السبتي " (٥٧). أما ابن الزبير فى صلة الصلة فيذكر أنه " من أهل سبتة " (٥٨). أما ابن تغرى بردى ترجم له روايتين ، قال فى أولهما : " أبو الخطاب بن دحية المغربى " (٥٩). وذكره فى ثانيتهما بلقب : " أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على البلنسى " (٦٠).

وبهذا اللقب " البلنسى " ذكره العمرى فى مسالك الأبصار وابن خلكان فى وفيات الأعيان والمقرى فى نفع الطيب (٦١). أما صلته بدانية فأبوه الحسن بن على ، كان تاجراً بها وينقل الذهبى عن ابن مسدى (٦٢) : " كان والد أبى الخطاب تاجراً يعرف بالكلبى ، بين الفاء والياء - وهو اسم موضع بدانية ، كان أبو الخطاب يكتب أولاً : الكلفى ، والكلبى معاً ، إشارة إلى الموضع وإلى النسب " (٦٣).

أما المقرى فيقول : " وولى قضاء بلد أصوله دانية مرتين " (٦٤). ويستشف من هذه الرواية أن ابن دحية ولد فى دانية وهذا يؤكد ما ذهب إليه ابن العماد والذهبي وصاحب كتاب الحلل السندسية (٦٥). أما سبتة فإنها كانت مقر لانتقال أسرته إلى بلاد المغرب ، ويبدو أن لإقامته بالمغرب بصفة عامة وسبتة خاصة لفترة زمنية طويلة ، كانت وراء تلقيبه بالسبتي . ويبدو أن هذا كان مألوفاً ، قال عبد الله بن المبارك (٦٦) : " من أقام فى بلدة أربع سنين تُسبب إليها " (٦٧).

ومهما يكن من أمر فقد وضع لنا أن ابن دحية الأندلسى السبتي من أسرة عربية ، والذين ترجموا له قالوا بأنه يكنى بأبى الخطاب ، والمعروف أن الكنى لا تكون إلا لذوى المكانة من القوم ، قال الزمخشري فى ربيع الأبرار : " إن الكنى لم تكن لشىء من الأمم إلا للعرب ، وهى من مفاخرها ، والكنية إعظام ، وما كان يؤهل لها إلا ذو الشرف فى قومه " (٦٨). فلا شك أن ابن دحية كان له من المكانة ما يؤهله لذلك ، والرحيل إلى المغرب ومصر والشام والعراق والمشرق كان عادة لطلب العلم أو الحج ، ونلاحظ من خلال الروايات أن أخاه عثمان كان يكنى بأبى عمر وكان حافظاً . " للغة العرب قيماً بها " ، وكان من ذرى المكامة دليلنا على ذلك أن الملك الكامل حينما عزل أخاه أبا الخطاب عمر بن الحسن عن دار الحديث الكاملية ، رتب مكانه أخاه أبا عمر عثمان بن الحسن ولم يزل بها إلى أن توفى سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م (٦٩).

ثم تنتقل إلى معرفة بداية تلقى ابن دحية للعلم ونشأته فيه ، ولمعرفة ذلك ينبغي معرفة المؤسسات التي كانت مهياة للتعليم فى زمن ابن دحية ونظامها وسير التعليم فيها ، فإن ذلك يعيننا على التعرف على حالة التعليم بصفة عامة ، ومن ثم على فهم مرحلة ابن دحية الطالب والمعلم .

من المعروف فى دولة الإسلام أن المسجد كان المكان الطبيعى للتعليم ، وقد استمر هذا الوضع إلى ما بعد القرن الرابع الهجري . وفى عصر ابن دحية كانت المساجد فى بلاد الأندلس أهم المراكز الثقافية ، وكان المسجد الجامع سواء فى دانية أو بلنسية أو شاطبة وإشبيلية وقرطبة يؤلف قلب المدينة الإسلامية النابض ، وكان يقام فى المسجد حلقات الدروس فى علوم الدين واللغة . كما كانت هناك مساجد ثانوية أخرى يرجع أنها كانت مراكز تقام فيها حلقات الدروس ، وتشير النصوص إلى أن بعض العلماء كانوا يدرسون للطلبة فى دورهم . ولم تكن بالأندلس وقتذاك مدارس كالتى كانت بمصر (٧٠).

ثم بدأت تظهر أماكن أخرى لتلقى العلم بجانب المساجد والجوامع مثل بيوت الطلبة ودور المشايخ خاصة فى مراكز عاصمة الدولة الموحدية ببلاد المغرب . أما المراكز الثقافية فى مصر فبجانب المساجد انتشرت المدارس فى مصر وبلاد الشام والعراق ، ومن بين تلك المدارس نذكر المدرسة الكاملية وكان ابن دحية أول من ولى مشيختها وكانت تعرف بدار الحديث الكاملية التى أنشأها الملك الكامل سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م ، وكانت مخصصة للحديث ولمذهب الإمام الشافعى (٧١).

ويبدو من خلال النصوص التاريخية أن هذه المدارس كانت تتميز بعدة مميزات ، أولها أنها كانت شبه مستقلة ففضلاً عن اعتبارها مكان لإلقاء الدروس كان يلحق بها مكان لسكنى شيوخ المدرسة وأساتذتها وتلاميذها المرتبين فيها . وتحتوى على مسجد للصلوات الخمس وخزانة كتب يرجع إليها الشيوخ والتلاميذ . وهذه المدارس لم تكن تخضع فى إنشائها إلى الدولة كما هو الحال فى المفهوم الحالى للمدارس ، وإنما كان تأسيسها راجع إلى تبرع القادرين عليها من المشولين والأمراء والسلاطين (٧٢).

وكان لهذه المؤسسات التعليمية نظام من حيث التمويل الذى كان أساسه كله الأوقاف ، فتعتمد المدرسة فى أجر شيخها أو شيوخها ورواتب طلابها . أما من ناحية التسيير فنلاحظ من خلال النصوص أن هناك نوعان من التسيير ، فقد يكون التسيير من المؤسس وأسرته من



بعده فبيعين المؤسس المدرسين وقد يكون التسيير متروكًا لشيخ المدرسة ، وقد يعمد شيخ المدرسة إلى تعيين كتاب معين ليدرس به العلم ويطلب من التلاميذ أن يكون عمدتهم فى المادة المدروسة (٧٣).

فى جو هذه المؤسسات ونظامها وتسييرها من مساجد ومدارس تعلم ابن دحية ودرس . ولكن فى أى جوامع أو مدارس من هذه المؤسسات تعلم ؟ من خلال تتبعنا وسيرنا مع ابن دحية فى مراحل حياته التعليمية بدا لنا منها مرحلتان :

المرحلة الأولى : مرحلة التلقى ، ومن خلال النصوص نجد أن هذه المرحلة إلى حد سن العشرين لابن دحية مجهولة عندنا بحيث لا نعرف عن حياته فى هذه المرحلة الأولى شيئًا ، إلا ما كان من استنتاجات استنتاجنا من خلال النصوص المتعلقة بأسرته . فقد عرفنا عن الأسرة أن الأب كان من التجار المياسير ، فقد علم أولاده على الاطلاع على مختلف فنون العلم حتى صاروا يشار إليهم بالبنان . ونخمن أن بداية تعليمه كان فى دانية ، ونخمن أن والد ابن دحية حين بلغ أولاده القدرة على المزيد جسمًا وعقلًا ألحقهم بالمؤسسات التعليمية التى تزخر بها بلاد الأندلس ثم سمح لهم بالانتقال إلى بلاد المغرب ، خاصة وأن دانية وبلاد شرق الأندلس كانت خاضعة لابن مردنيش وعماله الذين أثقلوا كاهل الرعية بكثير من الضرائب ورصارت دانية وشرق الأندلس مسرحًا للفتن والاضطرابات حتى سنة ٥٦٧هـ / ١١٧٢م حيث أعلن أبو الحجاج يوسف بن مردنيش طاعته لخليفة الموحدين أبى يعقوب يوسف . ونرجح أن ابن دحية انتقل مع أسرته إلى بلاد المغرب هربًا من تلك الفتن ، وفى نفس الوقت كان الخليفة الموحدى يشجع العلم ويعمل على نشره بين الناس وخاصة العلماء والصبيان وكان والد ابن دحية من هؤلاء العلماء الذين اهتموا بالعلم والمشاركين فى الحركة الثقافية فى الأندلس وبلاد المغرب (٧٤).

ويستشف من خلال النصوص التاريخية أن ابن دحية قد رحل إلى بلاد الأندلس قبل سنة ٥٦٤هـ يؤيد ذلك قول ابن دحية أنه لقي بالمغرب بحضرة مراكش سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م أبا عبد الله بن حبوس ثم دخل عنده فى داره بمدينة فاس بدرب السراجين فأخذت عنه وسمعت منه ، وفى سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م لقي بمدينة مراكش الفقيه الأصولى اللغوى النحوى أبا بكر العبدري ، وقد شرح كتاب " الجمل " (٧٥) . مما يدل على أنه كان وهو ابن العشرين يملك من النبوغ ما أهله لأن يتلقى العلم ، فأخذ عن هذا وذاك وسمع منهما فى مثل هذه السن .

أما المرحلة الثانية وأعنى بها مرحلة التدريس فيبدو أنه بدأ التدريس عندما شب عن الطوق وحصل ما حصل من العلم فأصبح أهلاً للعمل . ويبدو أنه قد بدأ التدريس فى بجاية التى استوطنها زمن أبى عبد الله بن يومور ، وكان والده أبو على ابن يومور تلميذاً لابن دحية (٧٦). وقد قتل ابن غانية أبا على بن يومور بعد هزيمة الموحدين فى معركة " عمرة " سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م (٧٧). ثم درس ابن دحية فى تونس سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م ، يؤيد ذلك رواية للذهبي إذ يقول : " سمع بالأندلس أبا القاسم بن بشكوال وأبا عبد الله بن مجاهد وأبا بكر بن الجد وأبا عبد الله بن زرقون وأبا جعفر اللمتونى ، وأبا القاسم بن حبش وطبقتهم ، وكان بصيراً بالحديث معنياً بتقييده مكباً على سماعه ، حسن الخط معروفاً بالضبط ، له حظ وافر من اللغة ومشاركة فى العربية وغيرها ، ولى قضاء دانية ثم صرف لسيرة نقت عليه ، فرحل عنها وحمل بتلمسان عن قاضيه ابن أبى حيون وحدث بتونس فى سنة خمس وتسعين ورجع وكتب بالمشرق وبأصبهان وبالعراق ونيسابور " (٧٨).

### ثالثاً : : شيوخه الذين تلقى عليهم العلم :

أول هؤلاء الشيوخ هو أبو محمد عبد الله قاسم بن شقريق الرعينى ، كان أديباً كاتباً شاعراً ، وكان رأس العدول بسبته . قال ابن دحية : " أنشدنى كثيراً من شعره " ، وتوفى فى سبته سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م وقد شهد ابن دحية جنازته (٧٩). وبعد الفقيه المحدث أبو بكر محمد بن خير من أوائل الذين أخذ عنهم ابن دحية بمسجده بإشبيلية سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م علم الفقه والنحو ، توفى سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م (٨٠).

ومنهم الوزير الكاتب الناظم النائر أبو يحيى أبو بكر بن عبد الغنى المعروف بابن الجنان ، وقد لقيه ابن دحية بمدينة مراكش سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م (٨١). ومنهم الفقيه أبو الحسن على بن الحسين ويعرف باللواتى من فاس ، كان فقيهاً محدثاً وروى عن أبى جعفر بن باق وحدث بالموطأ ، وقد توفى بمدينة فاس سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م (٨٢).

ونذكر من شيوخ ابن دحية الفقيه القاضى بمدينة دانية أبو عبد الله محمد وهو ابن الفقيه القاضى بسبته أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحسبى ، سمع من أبيه ومن ابن العربى وتوفى سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م (٨٣). ويذكر ابن دحية من شيوخه ابن سعيد الأوسى إذ يقول : " كان شيخاً جليلاً ، محدثاً ، فقيهاً ، فاضلاً ، أصيلاً .لقى قاضى الجماعة، أبا الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد مؤلف كتاب المقدمات " ، وقد أجاز هذا الفقيه لابن دحية ولأخيه الحافظ أبى عمرو جميع رواياته . وقد توفى سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م (٨٤).



وقد أخذ ابن دحية عن أبي محمد القاسم بن عبد الرحمن صاحب لواء العربية ، إذ يذكر في المطرب أنه لقيه بمدينة مالقة فسمع عليه وأجاز له ولأخيه الحافظ أبي عمرو ، وكان هذا الشيخ " إمام أهل زمانه في الحرف والفعل والإسم ، والحد والرسم ، والتذكير والتعريف ، والصرف والتصريف ، ويذهب كل مذهب في التعليل . ويفضل رأى عمرو أبي بشر ، والخليل " ، وقد توفي سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م (٨٥) .

ومن شيوخ ابن دحية الفقيه الأستاذ اللغوي النحوي ، أبو العباس أحمد بن علي بن محمد الكنانى - يعرف بابن سيد - من أهل إشبيلية ، وكان من أهل البلاغة والشعر ، والنظم والنثر ، ختم كتاب سيبويه مرتين على الأستاذ النحوي أبي القاسم بن الرماك . توفي سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م (٨٦) .

أما الشيخ أبو موسى عيسى بن عمران الزناتى المتوفى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م ، فقد قال عنه ابن دحية : " جماعة من شيوخى رحمهم الله ، فأولهم وأفضلهم ، قاضى الجماعة ومعدن البراعة ، المتفنن فى جميع العلوم ، والمحسن إلى كل مجهول ومعلوم ، الفقيه الزناتى ، الذى فاق متقدم الفقهاء الأوائل " . ويذكر ابن دحية أنه قد قرأ عليه ولازمه أعواماً عديدة ، وأجاز له ولأخيه الحافظ أبي عمرو جميع ما رواه وجمعه (٨٧) .

ومن أعلام هذا العصر الذين كان لهم دور كبير فى تعليم ابن دحية الأستاذ المحدث الفقيه أبو القاسم السهيلي والمتوفى سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م . فقد ذكر ابن دحية أنه قرأ عليه دقائق النحو وأسراره ، وغوامض علم الأصول وأغواره ، ومعانى القرآن الكريم (٨٨) .

ومن شيوخ ابن دحية الوزير أبا بكر محمد بن أبي العافية ، وكان من رواد الحديث وفحول الشعراء ، سمع منه وأجاز له ولأخيه أبي عمرو جميع ما رواه ونظمه ونشره ، وقد توفي سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م (٨٩) . وقد أخذ ابن دحية عن الوزير الكاتب أبو الحكم علي بن محمد بن عبد الملك ، ويعرف أبوه بابن المرحى ، وهو من أهل قرطبة ، وكان أبوه قد بذأ أهل وقته فى الكتابة والأدب ، واللغة وأنساب العرب . فأخذ ابن دحية عن أبي الحكم جميع ما رواه عن أبيه وعن غيره من شيوخ قرطبة ، وقد توفي سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م (٩٠) .

ومن شيوخ ابن دحية ابن مغاور الشاطبي المتوفى سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م ، فقد روى عنه بعض شعر بن شاطر السراقسطى ، قال فى المطرب : " وأنشدنى الوزير بليغ شرق الأندلس أبو بكر بن مغاور فى منزله بمدينة شاطبة ، قال : سمعت القاضى الشهيد الإمام أبا على حسين بن محمد الصدفى يقول : سمعت الفقيه الإمام الأديب أبا زيد عبد الرحمن بن شاطر السرقسطى ينشدنا لنفسه :

قد كنت لا أدرى لأية علة . صار البياض لباس كل مصاب  
حتى كسانى الدهر سحق ملاءة . بيضاء من شيبى لفقد شيبابى  
فبذا تبين لى إصابة من رأى . لبس البياض على توى الأحباب (٩١)

وقال فى موضع آخر : " وأنشدنى الوزير الكاتب الناظم النائر أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور بمنزله بمدينة شاطبة قال : أنشدنا الفقيه الأجل ، العالم الأكمل ، الزاهد الأفضل ، قاضى القضاة ، وعلم الرواة ، أبو محمد بن حسين الصدفى يعرف بابن سكرة ، قال أنشدنا الفقيه الأجل أبو زيد عبد الرحمن بن شاطر السرقسطى لنفسه ، وكان نسيج وحده ، وشاعر بلده :

ولا تمة لى إذ رأتنى مشمرأ . أهرو ل فى سبل الصبا خالع العذر  
تقول تنبه ريك من رقد الصبا . فقد دب صبح الشيب فى غسق الشعر (٩٢)

أما أبو بكر محمد بن زهر والمتوفى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م فقد أجاز لابن دحية فى جميع تصانيف أسلافه وتصانيفه ، وكان أبو بكر محمد شخصية فذة فى مجال الثقافة " وكان شيخنا الوزير أبو بكر بمكان من اللغة مكين ، ومورد من الطلب عذب معين . كان يحفظ شعر ذى الرمة ، وهو ثلث لغة العرب ، مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب ، والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب " . (٩٣)

ونذكر من شيوخ ابن دحية الفقيه المحدث الأصولى النحوى اللغوى أبو إسحق إبراهيم الحمزى من أشير بالمغرب (٩٤) ، والفقيه القاضى المحدث النحوى أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجى بمدينة غرناطة (٩٥) ، وأبو جعفر أحمد ابن عبد الرحمن بن مضاء اللخمى إمام النحويين (٩٦) ، والقاضى أبو الحسن على بن أحمد البال الأمتى فارس الفقه والنحو والشعر (٩٧) .



ولا غرو فقد كان ابن دحية متفرغاً للعلم والتدريس ، فحينما يم وجهه شطر تونس أخذ عن ابن أبي حيون قاضى تلمسان (٩٨). ويقول الذهبي فى تذكرة الحفاظ : " وسمع بمصر من البوصيرى وطبقته ، وسمع مسند الإمام أحمد من الميدانى " (٩٩).

ويذكر الأوسى المراكشى رواية يعدد فيها شيوخ ابن دحية فى بلاد الأندلس والمغرب إذ يقول : " روى بالأندلس وما صاقبها من بر العدة عن أبى إسحق بن قرقول ، وآباء بكر : ابن الجد ، وابن خير ، وعبد الرحمن بن مغاور ، وأبوى جعفر : ابن البلسى وابن مضاء ، وآباء الحسن : صالح الأوسى ، واللواتى وابن أبى قنون ، وأبى الحسين بن أبى ، وأبى خالد بن رفاعة ، وآباء عبد الله : ابن بشكوال والبيسانى وابن حميد وابن زرقون وابن الصقر وابن عبد الله بن حباسة وابن عميرة والقباعى وابن المجاهد وأبى عبد الملك مروان بن عبد العزيز وأبى العباس بن سيد ، وآباء القاسم : ابن بشكوال وابن حبيش وابن رشد الوراق ، وآباء محمد : ابن عبيد الله وابن فرج وابن مغيث وعبد الحق بن بونه والقاسم بن دحمان وأبى الوليد الحسن ابن المناصف " (١٠٠).

ومما لاشك فيه أن المشرق شكل مرحلة هامة من مراحل ابن دحية التى أثرت فى حياته الثقافية ومن روى عنه ، فقد رحل إلى مصر وبلاد الشام والعراق وبلاد فارس وغيرها ، ثم عاد إلى مصر . يؤيد ذلك للأوسى المراكشى إذ يقول : " وتجول بالبلاد المشرقية وأصبهان وبغداد ، وواسط وخراسان ونيسابور وسراس وسموس وجرجان وساره رواه وشيراز ودمشق وبيت المقدس وغيرها . وكانت رحلته فى طلب الحديث أخذ فيها عن أبى إسحق إبراهيم بن محمد بن أبى الفضل الناصحى وأبى جعفر الصيدلانى وأبى الفتح بن محمد بن خالويه وأبى الحسن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الشيرازى وأبى سعد عبد الله بن عمر بن الصفار وأبى بكر وأبى القاسم منصور بن أبى المعالي عبد المنعم بن أبى ابركات عبد الله محمد بن أبى الفضل الصاعدى الفراوى وأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى وغيرهم " . ويذكر المقرئ أيضاً بعض شيوخ ابن دحية فى المشرق إذ يقول : " وبغداد من أبى الفرج بن الجوزى ، وبأصبهان من أبى جعفر الصيدلانى . معجم الطبرانى " ومن غيره ، ونيسابور من أبى سعيد ابن الصفار ومنصور بن الفراوى والمؤيد الطوسى ، وحصل الكتب والأصول " . ويقول ابن العماد : " ونيسابور صحيح مسلم بعلو بعد أن كان حدث به الغرب بالإسناد النازل للأندلسى وكان يقول أنه حفظه كله " (١٠١).

ويذكر الأوسى المراكشى رواية فى غاية الأهمية إذ يذكر أن ابن دحية عندما عاد إلى مصر من رحلته العراقية صار له بها عند الكامل جاه عظيم وحظوة عليّة ومكانة كبيرة بعد العهد بمثلها ، ونال بها دنيا عريضة حتى ليذكر أنه هم ينصبه خليفة ، ويعشه رسولاً إلى الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ، فتلقيه الناصر أحسن تلقى ، وقضى مآربه التى توجه رسولاً إليه بسببها ، وأجل قدره وأجزل صلته ، وأنفذه رسولاً إلى بعض ملوك العجم وراء النهر ، فنهض بذلك وأحسن السفارة فيه ، وعنى هناك بقاء بقايا شيوخ العلم بتلك البلاد ، وناظرهم وظهر شفرقة عندهم وتبريزه وبعد صيته وبعد أمره واستفاض فوائده تلك البلاد ومصنفات علمائها ما لا عهد لأهل بغداد به ثم استقر بالقاهرة (١٠٢) .

لقد سردنا أسماء بعض شيوخ ابن دحية ولم نفصل القول فيهم لأن تراجمهم معروفة ، ويمكن الرجوع إليها فى مظانها . وننتقل الآن إلى محاولة معرفة ابن دحية الأستاذ والمعلم الذى طال عمره وعاش ما يقرب من سبع وثمانين سنة . هؤلاء هم بعض الشيوخ الذين استطعنا أن نجتمعهم ، تكون عليهم ابن دحية وعلى غيرهم من الفقهاء والأدباء والشعراء ، وهم ينتمون إلى مختلف بلاد المغرب والأندلس حتى أصبح أحد الأعلام المشهورين ، والأئمة المذكورين ، وكان له بواسطة هؤلاء الأعلام والشيوخ سند فى العلم فى الفقه والأصول ، وله معرفة بالتفسير فضلاً عن النحو والشعر .

#### رابعاً : ابن دحية الأستاذ والمعلم :

لقد سبق لنا أن قلنا بأن ابن دحية كان معتنياً بالعلم والأخذ عن الشيوخ ، يؤيد ذلك ابن الزبير إذ يقول : " روى بسبته عن أبى محمد بن عبيد الله وغيره ، ودخل الأندلس وأخذ بها عن جملة أشياخ منهم : الحافظ أبو بكر بن الجذ ، وأبو عبد الله بن زرقون ، وأبو العباس بن خليل ، وجماعة غيرهم ، ورحل إلى المشرق فاستوطن مصر وعلا بها صيته ، وشهر ذكره ، وكان معتنياً بالعلم ، مشاركاً فى فنون منه ، مجتهداً ، معتنياً بالأخذ عن الشيوخ ، ذاكرًا للتاريخ ، والأسانيد ، ورجال الحديث والجرح والتعديل ، سنياً . مجانياً لأهل البدع ، سرياً فاضلاً ، عرفنى بحاله وحال أخيه أبى عمرو عثمان - الشيخان أبو الحسن الغافقى وأبو الخطاب بن خليل - وكانا قد صحباهما طويلاً ، وخيراهما جملة وتفصيلاً " (١٠٣) .

ويقول ابن شعبة : " كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء ، متفنناً فى الحديث والنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها ، حصل ما لا حصل غيره من العلم " . ويقول المقرئ : " كان



من كبار المحدثين ، ومن الحفاظ الثقات الأثبات المحصلين ، استوطن بجاية في مدة أبى عبد الله بن يومر ، وروى بها وأسمع ، وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة ، حتى صار حوشى اللغة عنده مستعملاً غالباً ، ولا يحفظ الإنسان من اللغة حوشياً إلا وذلك أضعاف أضعاف محفوظة من مستعملها ، وكان قصده - والله تعالى أعلم - أن ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره ، كما فعل كثير من الأدباء حيث تركوا طريق المغرب وانفردوا بالطريق الآخر ، ولو سلكوا طريق المغرب لكانوا فيه كآحاد الناس ، وكذا الشيخ أبو الخطاب بن دحية له رسائل ومخاطبات كلها مغلفات مقفلات ، وكان - رحمه الله تعالى - إذا كتب اسمه فيما يجيزه أو غير ذلك يكتب " ابن دحية ودحية معاً المتشبه به جبريل وجبرائيل " ، ويذكر ما ينيف على ثلاث عشرة لغة مذكورة في جبريل ، ويقول عند فاطر السموات والأرض ، وهذا فرع انفرد بن عمه عداه من أهل العلم " (١٠٤) .

ويقول أيضاً : " وحصل الكتب والأصول ، وحدث ، وأفاد ، وكان من أعيان العلماء ، ومشاهير الفضلاء ، متقناً لعلم الحديث ، وما يتعلق به ، عارفاً بالنحو واللغة ، وأيام العرب وأشعارها " (١٠٥) .

وهذه الإمامة في العلم وما تبعها من سند فيما كان فيه ابن دحية إمام في فنون شتى جعلته يكون مقصوداً من طالبى العلم في بجاية وفي تلمسان وتونس ومصر وبلاد المشرق (١٠٦) ، هذه أول الصفات للأستاذ والمعلم . أما ثانياً الصفات فهو تشبّهه بسمت العلماء ، وهذه الصفة مهمة بالنسبة للمتصدر للعلم . فقد وصفه ابن الزبير حين ترجم له : " بالثقة والعدالة والسراوة والاعتناء التام " (١٠٧) .

فإذا أضيف إلى هذا حسن الخلق والاعتناء بطلبة العلم كان ذلك هو المنتهى . ولعلنا نفهم اعتنائه بطلبه العلم ونبوغه في مجالات العلم المختلفة ، أنه قام بالتدريس في قوص قبل أن يستأدبه العادل لولده الكامل (١٠٨) ، وأسكنه القاهرة ، فقال بذلك دنيا عريضة ، ثم زادت حظوته عند الكامل ، وأقبل عليه إقبالاً عظيماً ، وكان يعظمه ويحترمه . ويذكر المقرئ رواية يستشف منها أن ابن دحية قد بلغ مكانة لم يصل إليها أحد من العلماء والشيوخ عند الكامل مثل ابن دحية ، إذ يقول : " ثم زادت حظوته عند الكامل وأقبل عليه إقبالاً عظيماً ، وكان يعظمه ويحترمه ، ويعتقد فيه الخير ، ويتبرك به ، حتى كان يسوى له المداس حين يقوم " (١٠٩) .

وببدو أن الملك الكامل عندما استقل بمصر بعد وفاة أبيه العادل سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م، قد أثر أستاذه ابن دحية حين عهد إليه برئاسة دار الحديث الكاملية التي أنشأها سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م (١١٠). وكانت ثانى مدرسة أنشأت للحديث ، وكانت أول دار للحديث على وجه الأرض لنور الدين محمود بن زنكى بدمشق (١١١).

وثمة مثال ثان لتقدير الكامل لآل ابن دحية أنه حينما عزل أبا الخطاب عمر بن الحسن عن دار الحديث الكاملية ، وببدو أن ذلك نتيجة لتقدم أبي الخطاب فى السن ، فقد توفى فى سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م وذلك فى نفس العام الذى عزل فيه . يؤيد ذلك رواية للمقرئ يذكر فيها : " ولم يزل ابن دحية على قرب من السلطان إلى حين وفاته ، وبنى له داراً للحديث ، وهى الكاملية بين القصرين ، فلم يزل يحدث بها إلى أن مات " (١١٢). وقد أسند الملك الكامل شياختها إلى أخيه أبى عثمان بن دحية الذى توفى سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ، ثم جعلها إرثاً فى آله فولاه شرف الدين ابن أبى الخطاب ، بعد أن وليها الحافظ عبد العظيم المنذرى (١١٣).

وقد تحدث المؤرخون عن تغيير الكامل على ابن دحية ، وعزله إياه عن دار الحديث الكاملية، فيقول ابن العماد : أن ابن دحية كان متهماً بعدم الدقة فى إسناد الأحاديث وروايتها ، " ويقع فى أئمة الدين فترك الناس كلامه وكذبوه ولما انكشف حاله للكامل أخذ منه دار الحديث وأهانته " (١١٤).

وقال ابن واصل : " كان أبو الخطاب ، مع فرط معرفته بالحديث ، وحفظه الكثير منه متهماً بالمجازفة فى النقل ، وبلغ ذلك الملك الكامل ، فأمره أن يعلق شيئاً على كتاب " الشهاب " ، فعلق كتاباً تكلم فيه على أحاديثه وأسانيده ، فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد أيام : قد ضاع منى ذلك الكتاب ، فعلق لى مثله ، ففعل ، فجاء فى الثانى مناقضة للأول ، فعلم الملك الكامل صحة ما قيل عنه ، ونزلت مرتبته عنده ، وعزله عن دار الحديث أخيراً ، وولى أخاه أبا عمرو عثمان " (١١٥).

وقال ابن نقطة كان أبو الخطاب موصوفاً بالمعرفة ، إلا أنه كان يدعى أشياء لا حقيقة لها ، وقد ذكر لى أبو القاسم ابن عبد السلام ، قال : " نزل عندنا ابن دحية فقال " إني أحفظ صحيح مسلم والترمذى ، فأخذت خمسة أحاديث من الترمذى ومثلها من المسند ومثلها من



الموضوعات ، فجعلتها فى جزء ، ثم عرضت عليه حديثاً من الترمذى فقال : ليس بصحيح ، وآخر فقال : لا أعرفه ، ولم يعرف منها شيئاً ، فأفسد نفسه بذلك " (١١٦). ويزيد الذهبى فى تذكرة الحفاظ : " كان مدلساً ، يستعمل حدثنا فيما هو إجازة ، لم ألق من يحدثنى عنه . وسمعنا بإجازته من الحافظ شرف الدين الحنبلى " (١١٧).

ومما لا شك فيه أن ابن دحية كان معتكفاً على التعليم ، وأدى اعتكافه هذا إلى الابتعاد عن الأضواء السياسية والقضائية . فلم يتولى منصباً سياسياً أو قضائياً خلال فترة إقامته فى مصر وبلاد المشرق . كما فهمنا من كلام مترجميه . فابن دحية لم يعتزل الحياة العلمية حتى أقعدته السن ، ومما لا شك فيه أن مترجميه بين معتقد ومنتقد وهكذا جرت العادة فى حق الغرب المنتسب للعلم . فإبراهيم السنهورى من انتقد وعادى ابن دحية ، لكن نلاحظ من جهة أخرى أن بعض المترجمين أشاروا إلى عدم صحة رأيه (١١٨).

يؤيد ذلك رواية للذهبي إذ يقول : " قرأت بخط الضياء عندما ذكر ابن دحية أنه قال : لقيته بأصبهان ، ولم أسمع منه شيئاً ، وأخبرنى إبراهيم السنهورى بأصبهان أنه دخل المغرب ، وأن مشايخه كتبوا له حرجه وتضعيفه ، وقد رأيت أنا منه غير شئ . مما يدل على ذلك ، وسببه بنى السلطان الكامل دار الحديث الكاملية بالقاهرة وجعله شيخها " (١١٩).

ومن الجدير الإشارة هنا إلى بعض البلاد الإسلامية التى درس فيها ابن دحية وأخذت عنه ، نذكر منها المغرب ، مصر ، والشام ، العراق ، خراسان ، أصبهان ، نيسابور (١٢٠).

ويبقى بعد هذا أن نحاول معرفة بعض العلوم التى كانت تشمل أكثر من فرع من فروع العلم وقام بتدريسها أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية .

### أولاً : العلوم الدينية . الشرعية :

١ - علم الحديث الشريف : ومن المعروف أن ابن دحية كان على المذهب الظاهرى ، والكامل كان على المذهب الشافعى ، وعلى الرغم من ذلك أسند الملك الكامل شياخة دار الحديث التى أنشأها إلى ابن دحية . مما يشير إلى أن الأخير كان من كبار المحدثين ، ومن الحفاظ الثقات الأثبات المحصلين ، بذ أهل زمانه فى هذا العلم ، يؤيد ذلك رواية للغبريني إذ يقول : " وارتحل إلى المشرق فى دولة بنى أيوب ، فرفعوا شأنه ، وقربوا له مكانه ، وجمعوا له

علماء الحديث ، وحضروا له مجلساً أقرأوا له بالتقدم ، وعرفوا أنه من أولى الضبط والاتقان والتفهم ، وذكروا أحاديث بأسانيده حولوا متونها ، فأعاد المتن المحولة وعرف عن تغييرها ، ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه من متونها الأصلية " (١٢١) . ومن تلاميذه في علم الحديث الحسن بن أحمد بن عبد الرحيم البيهقي وابن الآبار (١٢٢) .

٢- الفقه : يعد علم الفقه من أهم العلوم الشرعية التي اشتغل بها المسلمون ، وأساسه هو القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، فمن خلالهما يتم استنباط الأحكام الشرعية وفق ما تتطلبه الأمور المختلفة لحياة كل إنسان مسلم . وقد اشتهر من مذاهبه أربعة مذاهب هي : الشافعي ، المالكي ، الحنفي ، والحنبلي . وصارت هذه المذاهب هي المشهورة في معظم الدول الإسلامية ، فضلاً عن بعض المذاهب الأخرى مثل مذهب الظاهري . ومن خلال النصوص نجد أن المذهب الشافعي كان يحتل الصدارة في التدريس من قبل العلماء في مصر والشام والحجاز ، وهذا العلم برع فيه ابن دحية ، فنجد كثيراً من طلاب هذا العلم من مذهب وغير مذهب يقصدونه سواء في بلاد المغرب ومصر وبلاد الشام والعراق وأصبهان ونيسابور . يؤيد ذلك رواية لابن النجار إذ يقول : " وحصل الكتب ، والأصول ، وحدث ، وأفاد " . وقد أجاز عنه كثير من الطلاب خاصة من بنى الملجوم والفاسين (١٢٣) .

ثانياً : علوم اللغة : وهو من أهم الفنون التي برع فيها ابن دحية ودرسها لطلابيه . قال العمري وهو خير من وفي ابن دحية وصفاً بأنه : " وقف للإطلاع على كل ثنية ، وهنق للاستطلاع بكل قضية ، وقاد نافر اللغة حتى جعل الغريب قريباً ، والحوشي ريباً " ، وأتى بها إلى الحاضرة قسراً من باديتها ، وقهرها لها في تأديتها ، فعادت إلى الحسنى ورق كلامها ، ودق حتى خفى إمامها ، وله رسائل حوشية كتبها لتدل على غزارة مادته ، وإنارة جادته ، وقد أضربت عن ذكرها صفحاً ، ولم اسمع لها صدحاً ، لثقل وطأتها على الأسماع ، وشدة منافرتها للطباع ، كأنها كلام النائم ، وتقيق الضفادع في الليالي العواتم ، تظن أنها ليست مركبة من الحروف ، ولا دالة على معنى معروف ، على أن له في آخر ما يخف ، ولكنه مما لا يسف ، ولا يندى ورقه ولا يرف ، فلذلك أيضاً ألغيتها ، وأعرضت عنها فما أردتها ولا ابتغيتها " (١٢٤) .



وأما صاحب عنوان الدراية فيقول : " وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة ، حتى صار حوشى اللغة عنده مستعملاً غالباً عليه . ولا يحفظ الإنسان من اللغة حوشياً إلا وذلك أضعاف أضعاف محفوظة من مستعملها . وكان قصده - والله أعلم - أن ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره من الناس ، كما فعل كثير من الأدباء حيث تركوا طريق المغرب ، وانفردوا بالطريق الآخر ، لأنهم انفردوا به واشتهروا فيه ، ولو سلكوا طريق المغرب لكانوا فيه كآحاد الناس ، وكذا الشيخ أبو الخطاب ابن دحية الكلبي " (١٢٥).

ويظهر لنا بوضوح أن ابن دحية كان يدرس النثر ويقرض الشعر . ومن شعر أبى الخطاب عمر بن دحية قصيدة يذكرها الغبريني قال : كتب إلى السلطان الملك الكامل أبى المعالى محمد بن أبى بكر بن أيوب هذه القصيدة :

مألى أسائل برق بارق عنكم      من بعد ما بعدت ديارى منكم  
وئمنحنى الأضلاع بل وادى الغضا      من مهجتي يسا راحلين نزلتم  
فمحلکم قلبى وأنتم بالحشا      لا بالعقيق ولا برامة أنتم (١٢٦)

ومن الفنون التى كان يدرسها علم المناظرة والجدل ، ونجد نصاً على ذلك يفيدنا فى أنه كان أستاذاً لهذا العلم ، فقد تناظر فى دمشق مع الشيخ تاج الدين الكندى (١٢٧). كذلك كان أستاذاً فى علم التاريخ ، ومن أبرز تلاميذه الذين أخذوا عنه محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاى ويعرف بابن الآبار وأبى على الصدفى (١٢٨).

والخلاصة أن ابن دحية هذا العالم كان له مريدون ، وأصحاب مختصون به . فقد تعددت مؤسسات التدريس والعلوم التى كان يدرسها ، وتقاطر عليه طلاب العلم من كثير من الجهات التى أقام بها ، حتى استقر به المقام فى مصر وأسس له الكامل مدرسة دار الحديث التى تولى مشيختها حتى توفى سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م ، فكانت لهذه المدرسة أثرها فى تلاميذه وتلاميذ تلاميذه سواء فى المشرق أو المغرب . يؤيد ذلك رواية لابن الزبير إذ يقول فى ترجمته لابن دحية : " وقد أخذ الناس بعد عن أبى الخطاب المذكور " (١٢٩).

#### خامساً : مؤلفاته :

فأما مؤلفاته فنتبين أنها كثيرة ، وهى تحتاج إلى دراسة وتنقيح . ونذكر من هذه المؤلفات :

- ١ - الآيات البينات فى ذكر ما فى أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات (١٣٠).
- ٢ - الابتهاج فى المعراج (١٣١).
- ٣ - استيفاء المطلوب فى تدبير الحروب (١٣٢).
- ٤ - الإعلام المبين فى المفاضلة بين أهل صفين (١٣٣).
- ٥ - أنوار المشرقين فى تنقيح الصحيحين المشرقين (١٣٤).
- ٦ - تاريخ الأمم فى أنساب العرب والعجم (١٣٥).
- ٧ - التحقيق فى مناقب أبى بكر الصديق (١٣٦).
- ٨ - تعليق على شهاب الأخبار فى الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية (١٣٧).
- ٩ - تنبيه البصائر فى أسماء أم الكبائر (١٣٨).
- ١٠ - التنوير فى مولد السراج المنير (١٣٩).
- ١١ - سلسلة الذهب فى نسب سيد العجم والعرب (١٤٠).
- ١٢ - شرح أسماء النبى ﷺ (١٤١).
- ١٣ - الصارم الهندى فى الرد على الكندى (١٤٢).
- ١٤ - عصمة الأنبياء (١٤٣).
- ١٥ - العلم المشهور فى فضائل الأيام والشهور (١٤٤).
- ١٦ - مرج البحرين فى فوائد المشرقين والمغربين (١٤٥).
- ١٧ - المستوفى من أسماء المصطفى (١٤٦).
- ١٨ - مصنف فى رجال الحديث (١٤٧).
- ١٩ - النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس (١٤٨).
- ٢٠ - نهاية السؤل فى خصائص الرسول (١٤٩).
- ٢١ - وهج الجمر فى تحريم الخمر (١٥٠).
- ٢٢ - خطب (١٥١).
- ٢٣ - المطرب من أشعار أهل المغرب (١٥٢).



## سادساً : حمل المغاربة وأهل المشرق لعلم ابن دحية :

لقد تبين لنا من دراستنا لشخصية ابن دحية أصله الأندلسي المغربي أنه كان في بداية حياته مجتهداً في طلب العلم ، متنقلاً بين مدن الأندلس وبلاد المغرب ، مصاحباً للعلماء والشيوخ وأئمة الفقه والحديث واللغة والنحو والشعر وسائر العلوم الأخرى . وقد أجاز له معظم هؤلاء العلماء والشيوخ فأخذ الخير كله ، خاصة العلوم الشرعية ، فأى خير أفضل من العلم ؟ رأى علم أفضل من العلم بشرع الله الذي هو سبب النجاة في الدنيا والآخرة .

وكذا رحل ابن دحية إلى مصر حاملاً مع ما أجاز له شيوخه في بلاد المغرب سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م ، ثم رحل إلى بلاد المشرق ليستزيد من مدارس العلم في تلك البلاد حاملاً معه علوم شيوخه المغاربة والأندلسيين ، فكان حلقة وصل بين المشرق والمغرب . وكانت له في تلك البلاد التي أقام بها مناظرات علمية فاستفاد وأفاد ولقى من الفقهاء والمحدثين والنحويين والشعراء ، فسمع منهم وأخذ عنهم .

وقد عرف بالمشرق حقه ، ولما قدم مصر من المشرق ، عرف الملك الكامل حقه ، فاجتمع عليه اشتمالاً ، فبنى له دار للحديث الكاملية وأسند إليه مشيختها إلى أن توفى ، فكان ابن دحية علامة الزمان لهذه المدرسة ، فارس لتدريس الحديث والفقه ، والأصول والقراءات والتفسير ، كما كان له مناظرات بين علماء عصره ، يجيب وينفرد بأقوال يخرجها بفهمه أو عن رأيه ، ويرد على نظرائه ، ونظراً لنبوغه وواسع اطلاعه يذكر صاحب عنوان الدراية أن ملوك دولة بنى أيوب جمعوا له جميع علماء الحديث ، وحضروا له معهم مجلساً للمناظرة ، وانتهت هذه المناظرة بإقرار الجميع بإمامة ونبوغ ابن دحية (١٥٣) .

ولشهرته أخذ عنه كثير من التلاميذ والعلماء لا يحصون سواء في المشرق أو المغرب ، ممن كانوا يقدون على المدن التي رحل إليها ابن دحية ، أو أخذوا عن هذا العالم الفقيه من إمام آخر ، أو طالب علم من الذين درسوا على ابن دحية ، وغيرهم ممن سمعوا وعلى رأس هؤلاء جميعاً ابن الزبير وابن الأبار وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (١٥٤) .

كما روى عنه ابنه شرف الدين أبو الطاهر محمد وابن أخيه ، وبالأندلس أبو الحسين عبيد الله بن عاصم الدائري ، ويسبته أبو العباس بن محمد الموروري ، ويتونس أبو عبد الله بن عيسى بن المناصف ، وبالقاهرة أبو إسحق بن أحمد بن الواعظ المراكشي وأبو الفضل أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء التنوخي المهدوي تزيل تونس ، وأبو الوليد إسماعيل ابن الطواب ، وأبو محمد حسن بن القطان وغيرهم (١٥٥) .

## الهوامش

- ١- ابن الزبير : صلة الصلة ، تحقيق د. عبد السلام هراس والشيخ سعيد أعراب ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المغرب ، ١٩٩٣ - ١٩٩٤ م ، ق ٤ ، ص ٧٨ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (د.ت) ، ج ٦ ، ص ٢٩٥ .
- ٢ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق الشيخ محمد محبى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨ م ، ج ٣ ، ص ١٢٣ .
- ٣ - ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين ، تحقيق محمد إبراهيم الكنانى وآخرون ، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء ١٩٨٥ م ، ص ١٦-٢٧ .
- ٤ - المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٣ م ، ص ٢٥١ .
- يذكر المراكشى أن ابن تومرت كان على مذهب أبى الحسن الأشعرى فى أكثر المسائل إلا فى إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة فى نفيها ، وكان يبطن شىء من التشيع غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شىء ، ص ٢٤٧ ، ٢٥٥ .
- ٥ - البيهقى : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧١ م ، ص ٢١ - ٢٢ .
- ٦ - المصدر السابق ، ص ٢٤ .
- ٧ - المصدر السابق ، ص ١٣ - ٣١ ؛ عبد المجيد النجار : المهدي بن تومرت ، دار الغرب الإسلامى ، ١٩٨٣ م ، ص ١١٢ .
- ٨ - المراكشى : نفس المصدر ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .
- ٩ - البيهقى : نفس المصدر ، ص ٣٤ ؛ المراكشى : نفس المصدر ، ص ٢٥٥ .
- ١٠ - البيهقى : نفس المصدر ، ص ٣٥ ، ٣٨ ؛ عبد المجيد النجار : نفس المرجع ، ص ١٢٠ .
- ١١ - المراكشى : نفس المصدر ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
- ١٢ - ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ١٦ وما بعدها ؛ المراكشى : نفس المصدر ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ ؛ ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، تاريخ بلاد المغرب والأندلس فى عهد الموحدين ، تحقيق د. عبد الهادى التازى ، دار العرب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧ م ، ص ٢٢ ، ٢٣ .



١٣ - ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٢٧ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٢م ، ص ٦٩٢ - ٧٠١ ؛ حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، ١٩٩٢م ، ص ٢١٦ .

Conde J.A. : History of The Dominion of the Arabs in Spain, Translated by Mrs. Jonathan Foster, London, Vol. II, p. 446 ; Jacinto Bosch Vila: Los Aloravides, Archivum, Emilio Molina Lopez, 3<sup>rd</sup> ed., 1998, p. 276-277 ; Jan Read: The Moors in Spain and Portugal, London, 1974, p. 164 .

١٤ - أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص ٢٣٠ .

Francisco Garcia Fitz: Relaciones Politicas Y Guerra. La experiencia Castellano-Leonesa Frente al Islam. Siglos XI-XIII, Universidad de Sevilla, 2002, p. 103 .

١٥ - ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص ٢م ، ص ١٢٦ .

١٦ - ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ص ٣٠٢ - ٣٠٥ .

١٧ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام فىمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية ، تحقيق أ. ليفى بروفنسال ، ج٢ ، دار المكشوف ، لبنان ، ١٩٥٦م ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ ؛ سحر السيد عبد العزيز سالم : شاطبة الحصن الأمامى لشرق الأندلس فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٥م ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

١٨ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ١٢٤ ؛ سحر سالم : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

١٩ - البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٦٦ .

٢٠ - ابن القطان : نظم الجمان فى أخبار الزمان ، ص ١٦٩ ؛ ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٥٠ ، ٥١ .

٢١ - المراكشى : المعجب ، ص ٢٨٤ .

٢٢ - أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١١٦ - ١١٩ .

٢٣ - أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، تحقيق د. حسين مؤنس ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٨م ، ج٣ ، ص ٢٣٣ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج٤ ، ص ٦٠ - ٩٠ ؛ إبراهيم أيوب : التاريخ العباسى ، ص ١٩٩ - ٢٠١ .

٢٤ - ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ٣٥٠ - ٣٥٢ .

Francisco Garcia Fitz: Relaciones Politicas Y Guerra. La experiencia Castellano-Leonesa Frente al Islam. Siglos XI-XIII, Universidad de Sevilla, 2002, p. 131 .

- ٢٥ - ابن تغرى بردى : نفس المصدر ، ص ١٢٠ .
- ٢٦ - ابن أبى دینار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٦٧م ، ص ١٠٦ .
- ٢٧ - ابن القطان : نظم الجمان ، ص ١٣٩ .
- ٢٨ - الأوسى المراكشى : الذيل والتكملة ، تحقيق د. محمد بن شريفة ، ق ١ ، ص ٢١٢ - ٢٢١ .
- ٢٩ - المراكشى : المعجب ، ص ٣٥٥ .
- ٣٠ - الغبرنى : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ، المطبعة الشعالبية ، الجزائر ، ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ، الطبعة الأولى ، ص ١٤٥ .
- ٣١ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١١ .
- ٣٢ - المقرئ : نفع الطبيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ٢م ، ص ١٠٢ .
- ٣٣ - ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق أ. إبراهيم الإبيارى ود. حامد عبد المجيد ، ص ٢٠٦ .
- ٣٤ - عبد السلام الوكيلى : الإمام الشهاب القرافى ، ص ٧٥ .
- ٣٥ - المقرئ : نفس المصدر ، ص ١٠٤ ؛ عبد السلام الوكيلى : نفس المصدر ، ص ٨٠ .
- ٣٦ - الغبرنى : عنوان الدراية ، ص ٢٠٢ ؛ أبو الفدا : نفس المصدر ، ص ٢٣٤ ؛ ابن تغرى بردى : نفس المصدر ، ص ٣٤٥ .
- ٣٧ - ابن خلكان : نفس المصدر ، ص ١٢١ .
- ٣٨ - الأوسى المراكشى : الذيل والتكملة ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .
- ٣٩ - ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٤م ، ٥م ، ص ١٦٠ .
- ٤٠ - الغبرنى : نفس المصدر ، ص ١٥٩ .
- ٤١ - ابن خلكان : نفس المصدر والصفحة .
- ٤٢ - دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ ، أرسله إلى قيصر الروم بكتاب النبى فقال له دحية : هل تعلم أكان المسيح يصلى ؟ قال : نعم ، قال : فإنى أدعوك إلى من كان المسيح يصلى له ، ويدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح فى بطن أمه ، وقد دُفن ابن دحية فى مرج بنى عامر من عمل جنين



فى بلاد الشام . انظر : ابن حزم الأندلسى : جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ص ٤٥٨ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ٢م ، ص ١٤٣ ، ١٤٥ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه د. يوسف على طویل ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج١ ، ص ١٢٥ ؛ ج٤ ، ص ١٦٠ ؛ ج٦ ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

٤٣ - ابن خلكان : نفس المصدر ، ص ١٢١ ؛ الدجلى : الفلاكة والمفلكون ، تقديم د. زنب محمود الخضيرى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، أكتوبر ٢٠٠٣م ، الذخائر (١٠) ، ص ٨٨ .

٤٤ - يذكر ابن العماد نقلاً عن ابن عثیم إذ یقول :

دحیة لم یعقب فكم تنتمى إلیه بالبهتان والإفك

ما صح عند الناس فیه سوى أنك من كلب بلا شك

نفس المصدر ، ص ١٦٠ .

٤٥ - الذهبى : تذكرة الحفاظ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانیة بحیدر آباد الدکن - الهند ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م ، دار الكتب المصریة ، الطبعة الثالثة ، ص ١٤٢١-١٤٢٢ .

٤٦ - ابن حجر العسقلانى : لسان المیزان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامیة الکائنة فى الهند بمحروسة حیدر آباد الدکن ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، الطبعة الثانیة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م ، ج٤ ، ص ١٥٦ .

٤٧ - ابن الزبیر : المصدر السابق ، ص ٧٨ .

٤٨ - ابن کثیر : البداية والنهاية ، حققه وراجعده وعلق علیه محمد عبد العزیز النجار ، مؤسسة الأهرام ، دار القد العربى ، الطبعة الأولى ، العدد ٦٩ ، ٧م ، ص ١١٦ .

٤٩ - المقرئ : نفع الطیب ، ٢م ، ص ٩٩ .

٥٠ - نفس المصدر ، ص ١٠٣ .

٥١ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٢٣ .

٥٢ - ابن کثیر : نفس المصدر ، ص ١١٧ .

٥٣ - السیوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، المطبعة الشرفیة ، القاهرة ١٩٤٩م ، ج١ ، ص ١٤٩ ؛ المقرئ : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

٥٤ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص ٢٩٥ .

٥٥ - ابن الزبیر : نفس المصدر ، ص ٨٩ .

٥٦ - المقرئ : نفس المصدر ، ص ١٠٣ .

٥٧ - ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة ، طبعه وعلق عليه ألفريد بل وابن أبى شنب ، المطبعة الشرقية بالجزائر ١٩١٩م ، ص ١٨٣٢ : الذهبى : تذكرة الحفاظ ، ص ١٤٢١ - ٢ : ابن العماد : شذرات الذهب ، م ٥ ، ص ١٦٠ .

٥٨ - ابن الزبير : نفس المصدر ، ص ٧٨ .

٥٩ - ابن تفرى بردى : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٩٥ .

٦٠ - نفس المصدر ، ص ٢٩٦ .

٦١ - ابن خلكان : نفس المصدر ، ص ١٢١ : العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد زكى باشا ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤م ، ص ١٤٥ : المقرئ : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

٦٢ - ابن مسدى هو المحدث الحافظ جمال الدين أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى الأندلسى ، ويعرف بابن مسدى ، وهو من الأئمة المشهورين فى المشرق والمغرب ، قُتل غيلة بمكة سنة ٦٦٣ هـ . انظر الذهبى : تذكرة الحفاظ ، ص ١٤٤٨ : المقرئ : المصدر السابق ، ص ١١٢ .

٦٣ - الذهبى : نفس المصدر ، ص ١٤٢٢ .

٦٤ - المقرئ : نفس المصدر ، ص ١٠٤ .

٦٥ - الذهبى : نفس المصدر ، ص ١٤٢٢ : ابن العماد : نفس المصدر ، م ٥ ، ص ١٦٠ ، شبيب أرسلان : الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ، دار الفكر العربى ، دار الكتاب الإسلامى ، د.ت ، ج ٣ ، ص ٣٢٥ .

٦٦ - هو عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوى ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، الإمام الحافظ المجتهد الزاهد ، والمولود بمرو سنة ثمانى عشرة ومائة ، ومات بهيت سنة إحدى وثمانين ومائة ، له تفسير للقرآن ، وكتاب السنن فى الفقه ، وكتاب الجهاد وكتاب البر والصلة . لمزيد من التفصيل انظر الذهبى : سير أعلام النبلاء ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، قرئ على د. طه حسين ، أخرجده معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ، ذخائر العرب (١٩) ، ج ٨ ، ص ٣٧٨ .

٦٧ - ابن العطار : تحفة الطالبين فى ترجمة الإمام الثورى ، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، كلية الشريعة - جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ١٩٥١م ، الناشر مؤسسه شباب الجامعة بالإسكندرية ، ص ٢٢ .

٦٨ - الوكيلى : الإمام الشهاب القرانى ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المغربية ، ١٩٩٦م ، الجزء الأول ، ص ١٤٦ .

٦٩ - المقرئ : المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

٧٠ - المقرئى : الخطط المقرئية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٩٦م ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ : كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية ، ٢٠١ - ٨ .



٧١ - نفس المصدر ، ج٤ ، ص ٢١١ ؛ ابن تفرى بردى : المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢٥٨ ، ٢٩٥ ؛ المقرئ : نفس المصدر ، ص ١٠٠ ، ١٠٢ ؛ المقدسى : الروضتين فى أخبار الدولتين ، مطبعة وادى النيل ، القاهرة ، ١٢٨٨ هـ ، ج٢ ، ص ٢٤٥ ؛ محمد المنونى : تاريخ الوراق المغربية ، المملكة المغربية - جامعة محمد الخامس ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢ ، ١٩٩١ م ، ص ٣٤ - ٣٦ ؛ يوسف إبراهيم الزامل : الأوضاع السياسية فى بيت المقدس وإنعكاساتها على الحياة العلمية والثقافية بدمشق فى فترة الحروب الصليبية ، مجلة اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ٢٠٠١ م ، العدد التاسع ، ص ٣٨٦ - ٣٩٠ .

Ambrosio Huici Miranda: Historia Politica Del Imperio Almohade, Instituto General Franco, 1956, Editora Marroquf, Tetuan, p. 212; Historia Politica Del Imperio Almohade, Tomo II, Estudio Preliminar Emilio Molina Lopez Vicente Carlos Navarro Oltra, 2000, p. 476 .

٧٣ - المقرئ : نفس المصدر ، ج٤ ، ص ٢٠٨ - ٢٢٠ .

٧٣ - نفس المصدر ، ص ٢١١ - ٢٥٨ .

٧٤ - لعله يريد كتاب الجمل فى النحو للزجاجى أبى القاسم عبد الرحمن بن إسحق سنة ٦٣٩ هـ وللجرجانى عبد القادر المتوفى سنة ٤٧٤ هـ . ابن دحية : المصدر السابق ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

٧٥ - المصدر السابق : ص ١٩٩ ؛ الأوسى المراكشى : الذيل ، ص ٢١٦ .

٧٦ - المقرئ : نفع الطيب ، ج٢ ، ص ٩٩ .

٧٧ - ابن عذارى : البيان ، ص ١٨٧ .

٧٨ - الذهبى : المصدر السابق ، ص ١٤٢٠ - ١٤٢١ .

٧٩ - ابن دحية : نفس المصدر ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

٨٠ - نفس المصدر ، ص ٦٢ .

٨١ - نفس المصدر ، ص ٩٤ .

٨٢ - نفس المصدر ، ص ١٥٤ .

٨٣ - نفس المصدر ، ص ٨٧ .

٨٤ - توفى ابن رشد سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م ؛ نفس المصدر ، ص ٢١١ - ٢١٣ .

٨٥ - عمرو بن بشر هو سيبويه عمرو بن عثمان ، توفى سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م ؛ والخليل هو الخليل بن أحمد ، توفى سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م ؛ نفس المصدر ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

٨٦ - هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ، أقرأ النحو والأدب بإشبيلية إلى أن توفى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م ؛ نفس المصدر ، ص ٢٠٠ .

- ٨٧ - نفس المصدر ، ص ٤٣ - ٤٥ .
- ٨٨ - نفس المصدر ، ص ٢٣٠ .
- ٨٩ - نفس المصدر ، ص ٨١ - ٨٢ .
- ٩٠ - نفس المصدر ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .
- ٩١ - ابن دحية : المصدر السابق ، ص ٨٠ .
- ٩٢ - الشاطبي : دراسة وتحقيق محمد بن شريفة ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٩٤م ، ص ١٩ ، ٧٧ ، ٢٢٧ ؛ المقرئ : المصدر السابق ، م ٣ ، ص ٣٣١ .
- ٩٣ - ابن دحية ، نفس المصدر ، ص ٢٠٦ ؛ المراكشي : المعجب ، ص ١٤٢ .
- ٩٤ - ابن دحسة ، نفس المصدر ، ص ٢٢٤ .
- ٩٥ - نفس المصدر ، ص ٧٧ .
- ٩٦ - نفس المصدر ، ص ٩١ ، ١٨٧ .
- ٩٧ - نفس المصدر ، ص ١٨١ .
- ٩٨ - الذهبي : المصدر السابق ، ص ١٤٢١ .
- ٩٩ - نفس المصدر والصفحة .
- ١٠٠ - الأوسى والمراكشي : الذيل ، ص ٢١٦ - ٧ .
- ١٠١ - المصدر السابق ، ص ٢١٧ ؛ المقرئ : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ١٠٤ ؛ ابن العماد : المصدر السابق ، م ٥ ، ص ١٦٠ .
- ١٠٢ - الأوسى : نفس المصدر ، ص ٢١٨ .
- ١٠٣ - ابن الزبير : المصدر السابق ، ق ٤ ، ص ٧٨ ، ٧٩ .
- ١٠٤ - المقرئ : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ٩٩ ؛ ابن العماد : المصدر السابق ، ص ١٦٠ .
- ١٠٥ - نفس المصدر ، ص ١٠٤ .
- ١٠٦ - نفس المصدر ، ص ١٠٠ ؛ محمد بركات البيلى : بجاية مركز ثقافى هام فى بلاد المغرب الإسلامى فى القرنين السادس والسابع الهجريين . بحث نشر فى مجلة اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، العدد التاسع ، ص ١٠٩ - ١١١ .
- ١٠٧ - ابن الزبير : نفس المصدر ، ص ٧٩ .
- ١٠٨ - نفس المصدر ، ٧٩ ؛ السخاوى : الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة ، تحقيق د. جودة هلال وأحمد محمود صبح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠م ، ص ١٥ - ٢٢ .



- ١٠٩ - المقرئ : نفس المصدر ، ص ١٠٤ .
- ١١٠ - السيوطي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .
- ١١١ - المقرئ : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١١ .
- ١١٢ - المقرئ : نفس المصدر ، م ٣ ، ص ١٣٦ .
- ١١٣ - المقرئ : نفس المصدر ، ص ٢١١ .
- ١١٤ - ابن العماد : نفس المصدر ، م ٥ ، ص ١٦٠ .
- ١١٥ - الذهبي : نفس المصدر ، ص ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ؛ الدجلى : المصدر السابق ، ص ٨٨ ؛ المقرئ : نفس المصدر ، م ٣ ، ص ١٣٧ .
- ١١٦ - الذهبي : نفس المصدر ، ص ١٤٢٢ ؛ الدجلى : نفس المصدر ، ص ٨٨ ؛ المقرئ : نفس المصدر ، م ٣ ، ص ١٣٧ .
- ١١٧ - الذهبي : نفس المصدر ، ١٤٢٢ .
- ١١٨ - إبراهيم السنهوري هو أبو إسحق إبراهيم بن خلف بن منصور الفساني الدمشقي المعروف بالسنهوري . روى عن أبي القاسم بن عساكر وابن اليمن الكندي وأبي المعاني الفراوي وأبي الطاهر الخشوعي وغيرهم ، وكانت له رحلة إلى بلاد المغرب والأندلس وبلاد المشرق . المقرئ : المصدر السابق ، م ٣ ، ص ١٣٥ - ١٣٧ .
- ١١٩ - نفس المصدر والصفحة .
- ١٢٠ - يذكر العماد بن كثير أن ابن دحية وضع حديثه في قصر صلاة المغرب ، لكنه لم يقف على إسناد . الذهبي : المصدر السابق ، ص ١٤٢١ ؛ المقرئ : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ؛ م ٣ ، ص ١٣٨ .
- ١٢١ - الغبريني : المصدر السابق ، ص ١٦١ .
- ١٢٢ - ابن الأبار : المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفى ، الناشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ١٩٠ ؛ الغبريني : نفس المصدر ، ص ١٦٢ .
- ١٢٣ - المقرئ : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
- ١٢٤ - ابن الزبير : المصدر السابق ، ص ٧٩ ؛ العمري : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .
- ١٢٥ - الغبريني : نفس المصدر ، ص ١٦٢ .
- ١٢٦ - نفس المصدر والصفحة .
- ١٢٧ - المقرئ : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ١٠٠ ؛ ابن العماد : المصدر السابق ، م ٥ ، ص ١٦٠ .
- ١٢٨ - ابن الأبار : نفس المصدر ، ص ١٩٠ ، ١٩٣ .

- ١٢٩ - ابن الزبير : نفس المصدر ، ص ٧٩ .
- ١٣٠ - المقرئ : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ١٠٤ .
- ١٣١ - السخاوى : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت ، مطبعة ابن سينا ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص ٩١ .
- ١٣٢ - ابن دحية : المصدر السابق ، ص هـ .
- ١٣٣ - الذهبى : نفس المصدر ، ص ١٤٢١ : المقرئ : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ١٠٤ .
- ١٣٤ - ابن دحية : نفس المصدر والصفحة .
- ١٣٥ - نفس المصدر والصفحة .
- ١٣٦ - نفس المصدر والصفحة .
- ١٣٧ - نفس المصدر والصفحة .
- ١٣٨ - نفس المصدر ، ص (و) .
- ١٣٩ - ابن كثير : المصدر السابق ، م ٧ ، ص ١١٧ .
- ١٤٠ - ابن دحية : نفس المصدر والصفحة .
- ١٤١ - المقرئ : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ١٠٤ .
- ١٤٢ - ابن دحية : نفس المصدر والصفحة .
- ١٤٣ - نفس المصدر .
- ١٤٤ - المقرئ : نفس المصدر ، ص ١٠٤ .
- ١٤٥ - ابن دحية : المصدر السابق ، ص (ز) .
- ١٤٦ - نفس المصدر ، ص (ح) .
- ١٤٧ - نفس المصدر والصفحة .
- ١٤٨ - المقرئ : المصدر السابق ، م ٢ ، ص ١٠٤ .
- ١٤٩ - ابن دحية : نفس المصدر والصفحة .
- ١٥٠ - نفس المصدر ، ص ٢١٩ .
- ١٥١ - نفس المصدر ، ص (ط) .
- ١٥٢ - نفس المصدر والصفحة .
- ١٥٣ - المقرئ : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ١٠٠ : ابن العماد : المصدر السابق ، م ٥ ، ص ١٦٠ .
- ١٥٤ - ابن الزبير : المصدر السابق ، ص ٧٩ .
- ١٥٥ - الأرسى المراكشى : نفس المصدر ، ٢١٧ - ٢١٨ .



## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر العربية :

- ابن الأبار ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ) " ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م "
  - التكملة لكتاب الصلة ، طبعه وعلق عليه ألفريد بل وابن أبي شنب ،  
المطبعة الشرقية بالجزائر ١٩١٩ م.
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي ، الناشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ م.
- ابن الأثير ( أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ) " ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م " : الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،
- الأوسى المراكشي ( أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسى المراكشي ) : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق د. محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٨٤ م.
- البيهقي ( أبي بكر بن علي الصنهاجي ) : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧١ م.
- ابن تغري بردي ( جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ) " ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م " : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ( د. ت ) .
- ابن جبير ( أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني ) " ت ٦١٦ هـ / ١٢٢٠ م " : رحلة ابن جبير ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٠٨ م.
- ابن حجر العسقلاني ( الإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ) " ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م " : لسان الميزان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكن ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م.
- ابن حزم الأندلسي ( أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ) : جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العالمية ، لبنان ، ١٩٨٣ م.

- ابن الخطيب ( لسان الدين بن الخطيب ) : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عنان ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٤م
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية ، تحقيق أليفى بروفنسال ، ج٢ ، دار المكشوف ، لبنان ، ١٩٥٦م.
- ابن خلكان ( أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ) " ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م " : وفيات الأعيان ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨م.
- الدجلى ( الإمام العلامة الورع الزاهد خاتمة الحفاظ والمحدثين مولانا شهاب الملة والدين أحمد بن على الدجلى ) : الفلاكة والمفلكون ، قدمها د. زينب محمود الخضيرى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، أكتوبر ٢٠٠٣م ، الذخائر ( ١٠ ) .
- ابن دحية ( أبو الخطاب عمر بن حسن بن على الظاهري الأندلسى البلنسى المعروف بابن دحية الكلبي ) " ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦م " : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق أ. إبراهيم الإبيارى ود. حامد عبد المجيد ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٣٣م.
- ابن أبى دينار ( أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى ) " ت ١١١٠ هـ / ١٦٩٨م " : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٦٧م.
- الذهبى ( الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ) " ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨م " : تذكرة الحفاظ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨م ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثالثة .
- سير أعلام النبلاء ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، قرئ على د. طه حسين ، أخرجه معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف ، ذخائر العرب ( ١٩ ) .
- ابن الزبير ( أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى العاصمى الفرناطى ) " ت ٧٠٨ هـ / ٣٠٨م " : صلة الصلة ، تحقيق د. عبد السلام هراس والشيخ



سعيد أعراب ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المغرب ، ١٩٩٣ -  
١٩٩٤م.

- السخاوى ( شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ) " ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦م :  
الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت ،  
مطبعة ابن سينا ، القاهرة ١٩٨٩م.

- الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة ، تحقيق د. جودة هلال وأحمد  
محمود صبح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م.

- السيوطى ( عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى الشافعى ) " ت ٩١١ هـ /  
١٥٠٥م " : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، المطبعة الشرقية ،  
القاهرة ١٩٤٩م.

- الشاطبى ( أبو بكر بن مغاور الشاطبى ) " ت ٥٨٧ هـ / ١١٩١م " : ابن مغاور الشاطبى  
، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء  
، ١٩٩٤م.

- ابن صاحب الصلاة ( عبد الملك بن صاحب الصلاة ) " ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٨م " : المن  
بالإمامة ، تاريخ بلاد المغرب والأندلس فى عهد الموحدين ، تحقيق د. عبد  
الهادي التازى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

- ابن عذارى ( أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشى ) " كان حياً سنة ٧١٢ هـ  
/ ١٣١٢م " : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق محمد  
إبراهيم الكنانى وآخرون ، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء ١٩٨٥م.

- ابن العطار ( علاء الدين أبى الحسن على بن إبراهيم بن داود ) " ت ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣م "  
تحفة الطالبين فى ترجمة الإمام النووى ، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد ،  
كلية الشريعة - جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ١٩٥١م ، الناشر مؤسسة  
شباب الجامعة بالإسكندرية .

- ابن العماد ( أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ) " ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨م " :  
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٤م.

- العمرى ( شهاب الدين أحمد بن فضل الله ) " ت ٧٤٣ هـ / ١٢٤١ م " : مسالك الأبصار  
فى ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد زكى باشا ، مطبعة دار الكتب المصرية ،  
القاهرة ١٩٢٤ م.

- الغبرينى ( العالم العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الله الغبرينى ) " ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م  
" : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ، المطبعة  
الثعالبية ، الجزائر ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ، الطبعة الأولى .

- أبو الفدا ( الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن على ) " ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م " :  
المختصر فى أخبار البشر ، تحقيق د. حسين مؤنس ، دار المعارف ، الطبعة  
الأولى ، القاهرة ١٩٩٨ م.

- ابن القطان : نظم الجمان فى أخبار الزمان ، نشر محمود مكى ، الرباط ١٩٦٤ م.

- القلقشندى ( أحمد بن على القلقشندى ) " ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م " : صبح الأعشى فى  
صناعة الإنشاء ، شرحه وعلق عليه د. يوسف على طویل ، دار الفكر للطباعة  
والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

- ابن كثير ( الإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير  
القرشى ، الدمشقى ) " ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م " : البداية والنهاية ، حققه  
وراجعه وعلق عليه محمد عبد العزيز النجار ، مؤسسة الأهرام ، دار الغد  
العربى ، الطبعة الأولى ، المجلد السابع ، العدد ٦٩ .

- المراكشى ( محيى الدين عبد الواحد بن على التميمى المراكشى ) " ت ٦٤٧ هـ / ١٢٧٥ م "  
: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ،  
المجلس الأعلى للشتون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٣ م.

- المقدسى ( شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى  
الشافعى ) : الروضتين فى أخبار الدولتين ، مطبعة وادى النيل ، القاهرة  
١٢٨٨ هـ .

- المقرئ ( الشيخ أحمد بن المقرئ التلمسانى ) " ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م " : نفح الطيب من  
غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت  
١٩٨٨ م.



- المقریزی ( تقی الدین أحمد بن علی بن عبد القادر بن محمد المقریزی ) " ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م " : الخطط المقریزية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٩٦ م.

ثانيًا : المراجع العربية :

- إبراهيم أيوب : التاريخ العباسي ، دار الكتاب العالمي ، ١٩٨٩ م.  
- أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

- في التاريخ الأيوبي والمملوكي ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٢ م.  
- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٢ م.

- حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، ١٩٩٢ م.  
- سحر السيد عبد العزيز سالم : شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٥ م.

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٢ م.

- شكيب أرسلان : الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، دار الفكر العربي ، دار الكتاب الإسلامي ، د.ت .

- عبد المجيد النجار : المهدي بن تومرت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٣ م.  
- كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية ، مركز الإسكندرية للكتاب .

- محمد بركات البيلي : « بجاية مركز ثقافي هام في بلاد المغرب الإسلامي في القرنين السادس والسابع الهجريين » ، بحث نشر في مجلة اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ٢٠٠١ م ، العدد التاسع .

- محمد المنوني : تاريخ الوراق المغربية ، المملكة المغربية - جامعة محمد الخامس ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢ ، ١٩٩١ م.

- الوكيلی ( الأستاذ الصغير بن عبد السلام الوكيلی ) : الإمام الشهاب القرافي ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المغربية ، ١٩٩٦ م.

- يوسف إبراهيم الزامل : « الأوضاع السياسية في بيت المقدس وانعكاساتها على الحياة العلمية والثقافية بدمشق فترة الحروب الصليبية » ، مجلة اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ٢٠٠١م ، العدد التاسع .

### ثالثاً : المراجع الأجنبية :

Ambrosio Huici Miranda: Historia Politica Del Imperio Almohade, Instituto General Franco, 1956, Editora Marroquf, Tetuan.

- Historia Politica Del Imperio Almohade, Tomo II, Estudio Preliminar Emilio Molina Lopez Vicente Carlos Navarro Oltra, 2000.

Conde J.A. : History Of The Dominion of the Arabs in Spain, Translated by Mrs. Jonathan Foster, London, Vol. II .

Francisco Garcia Fitz: Relaciones Politicas Y Guerra. La experiencia Castellano-Leonesa Frente al Islam. Siglos XI-XIII, Universidad de Sevilla, 2002.

Jacinto Bosch Vila: Los Aloravides, Archivum, Emilio Molina Lopez, 3<sup>rd</sup> ed., 1998 .

Jan Read: The Moors in Spain and Portugal, London, 1974 .



د. يسرى أحمد زيدان (\*)

## رؤى الهلال ومشاكلها فى مصر والشام والحجاز عصر سلاطين المماليك

تقديم :

يتناول هذا البحث ظاهرة رؤية الهلال فى عصر سلاطين المماليك بمصر والشام وبلاد الحجاز ، والاختلاف الناتج عن تعدد الرؤية الواحدة ، والآثار المرتبة عليه . وسيتم تناول هذا البحث عن طريق بيان الضوابط العملية المعمول بها - فى تلك الفترة - للتحقق من الرؤية الصحيحة للهلال ، ومعرفة طوائف الرائيين الراعين للهلال ، وأماكن الرؤية ، وخطوات الإعلام بها ، ودراسة الرؤى المختلفة للهلال الواحد ، وأسباب هذا الخلاف ، وموقف أهل التقاويم منه ، وأثر هذا الخلاف فى مصر والشام والحجاز ، حيث إن هذه البلاد تأثرت بما حدث من خلاف حول رؤى هلال رمضان وشوال وذى الحجة بوجه خاص .

**أولاً : الضوابط العملية المحققة للرؤية الصحيحة :**

ترتبط كثير من العبادات والشعائر والمعاملات والأحكام الشرعية برؤية الأهلة ، ومن ثم يشترط فيمن يرونها : العدل والأمانة ، والبعد عن ارتكاب الكبائر أو الإصرار على

---

\* - أستاذ مساعد - قسم التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

الصفائر (١)، والإعلام بتحقيق الرؤية : فالهلال اسم لما يهل به ، أى يصات به ، والتوصيت لا يكون إلا مع إدراكه ببصر أو سمع (٢) .

وقد حرصت الدولة بسلاطينها وقضائها عصر سلاطين المماليك على التحقق من الرؤية الصحيحة للأهلة : فألزمت القضاة الأربعة بتحرى الأهلة من الأماكن المرتفعة فى آخر يوم التاسع والعشرين من كل شهر عربى (٣)، ولم تقبل إلا رؤية الثقات من الرائيين (٤)، وعند انفراد عدد قليل بالرؤية كان السلطان نفسه فى أحيان كثيرة يتحقق منها بسؤال من رأى الهلال ، وفى سنة ٨٣٥ هـ / ١٤٣١ م. تراءى السلطان الأشرف برسباى ومعه جمع من الناس هلال شهر رمضان من مكان مرتفع بالقلعة ، فخفى عليهم وشهد به اثنان بعد العشاء فاستدعاهما السلطان وامتنحنهما بأن فرق بينهما وألزمهما بأن يشيرا إلى الجهة التى رأيا فيها الهلال ، ففعلا ولم يخطئا ، فمضى الأمر بصحة رؤيتهما (٥) . وحدث أن السلطان الأشرف برسباى تراءى هلال رمضان أيضاً سنة ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م. ومعه مماليكه من فوق القلعة ، وتراءى الناس من أعلى المآذن والأسطح بالفسطاط والقاهرة فلم يره أحد ، واتفق ذلك مع قول المشتغلين بالتقاويم بعدم إمكانية رؤيته ، وبينما كتب القضاة بعدم الرؤية تكاد تجهز لنشرها بنواحي مصر ، حضر رجل مخبراً برؤية الهلال ، فاستصحبه المحتسب بإشارة من المحدث المؤرخ ابن حجر إلى السلطان فسأله عن رؤيته للهلال ، فثبت الرجل وصمم على رؤيته ، فسأل السلطان عنه ، فأثنوا عليه ، فأمر بإثبات الهلال ، ونودى فى الليل بصوم الناس من الغد (٦) .

وفى سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م. تراءى الناس هلال ذى الحجة بعدة أماكن بالقاهرة ، فلم يخبر أحد برؤيته إلا شذوذاً ، يقول الواحد منهم : إنه رأى الهلال ، فإذا حوَّق أنكر فلما بلغ السلطان الظاهر جقمق أن أحد خواصه رأى الهلال استدعاه فاعترف برؤيته ، نودى فى مصر على من رأى الهلال بأداء شهادته لدى القاضى الشافعى ، فسارع كل من كان رآه فى تلك الليلة إلى الشهادة بذلك (٧) .

وفى سلطنة السلطان جقمق ( ٨٤٢ - ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨ - ١٤٥٣ م.) أيضاً حدث خلاف حول رؤية هلال شهر رمضان بمصر سنة ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م. وشاع بين الناس أن اثنين من أهل قليوب رأيا هلال رمضان ، فاجتهد القاضى الشافعى فى تحرير هذا الخبر وأرسل إلى قليوب بطلب الرجلين (٨) .



وقد كان السلطان يتدخل فى بعض الأحيان عند حدوث الاختلاف حول الرؤية لإثبات الشهر أو عدمه بناء على الأدلة والقرائن الصحيحة ورؤية الشهود ، وحدث هذا من السلطان قايتباى ( ٨٧٢ - ٩٠١ هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٥ م ) فى سنة ( ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م ) بحضور المؤرخ ابن الصيرفى (٩).

كما كان السلطان يعاقب المقصرين من القضاة بالعزل عند ثبوت تقصيرهم وإهمالهم (١٠) ، كذلك عوقب المنفرد برؤية هلال دون أن يأتى بآخر ، ومن هؤلاء ابن عمر الطباخ مؤدب الأبناء بالقاهرة (ت ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م) الذى سجن لانفراده برؤية هلال رمضان حتى أتى بمن يشهد به معه (١١). وهذا نوع من التشدد الزائد (١٢) الذى لم يلتزم به سلاطين الماليك وقضائهم دوماً ، حيث قبلوا فى مرات قليلة (١٣) شهادة الواحدة ، ومنها سنة ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م ، فى حين أنهم ردوها كثيراً (١٤) ، كما رفضوا شهادة الجماعة من الناس فى بعض الأحيان (١٥).

وبالمثل كان الوضع فى بلاد الشام والحجاز من حيث اشتراط العدلين فى الرؤية والتحقق من ذلك ، ومن حيث رد شهادة الرائيين عند الشك فيهم ، وقام بذلك قضاة الشام (١٦) ، والحجاز (١٧).

يتضح مما سبق أن رؤية أهلة الشهور العربية ، وبخاصة المرتبطة منها بالصوم أو الحج ، حظيت باهتمام الدولة المملوكية ، وهو ما كان مقررًا ومعمولاً به قبل سلطنتهم أيضاً (١٨) ، فعنيت باختيار وتحديد أماكن الرؤية الصحيحة - وسيأتى تفصيل ذلك - وبالتحقيق مع الرائيين للهلال للوصول إلى الحقيقة فى ذلك ، وبحثت فى عدالتهم ، وعاقبت المهملين من القضاة ومن تشكك فيه من الرائيين ، واجتهد القضاة فى تحرى الهلال فى كل بلاد القطر الواحد ، وأولت تبليغ الرؤية للناس اهتماماً كبيراً . وإذا كانت الروايات التى تؤكد ما ذهبت إليه واستخلصته من المصادر تتصل معظمها بدولة الماليك الثانية (٧٨٤ - ٩٢٣ هـ / ١٣٨٢ - ١٥١٧ م) فإن ذلك فى صالح الفكرة المأخوذة من الجزئية السابقة ، إذ أن دولة الماليك الأولى (٦٤٨ - ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ - ١٣٨٢ م) كانت أكثر استقراراً من الدولة الثانية ، وأشد تنظيماً وأكفأ إدارة ، وهذا يعين على التحقق من الرؤية الصحيحة للأهلة ، وإن كانت المصادر المملوكية لم تسعفنا بأية تفصيلات خاصة بهذا الموضوع لتؤكد ما ذهبت إليه .

وبالرغم من الجهد المبذول فى عصر سلاطين المماليك للتأكد من الرؤية الصحيحة للأهلة إلا أنه فى بعض الأحيان - قد وقع ما يخالفه بسبب محاولة بعض القضاة مجاملة بعض السلاطين بالباطل ، أو بسبب إهمال بعض القضاة من التحقق من الرؤية والإهمال فى تبليغها؛ الأمر الذى أدى إلى وقوع الخلاف وحدوث الاضطراب ، ونتج عنه بعض الآثار السياسية والاجتماعية والدينية ، وهو ما سوف يظهر فى حينه من هذا البحث .

### ثانياً .: طوائف الرائيين للأهلة :

كان الناس فى مصر الإسلامية يطلبون هلال شهر رمضان خاصة بأنفسهم ، وحدث خلاف حول رؤية هلال رمضان فى أثناء ولاية عبد الله بن لهيعة للقضاء (١٩)، حيث رآه رجلان فقط لم يُعرفا ، ومن ثم لم يتبين مدى عدالتهما ، فعزم القاضى ابن لهيعة ( ت ١٧٤ / ٧٩١م ) على الخروج بنفسه فى نفر من أهل الصلاح ، فطلبوا الهلال ، فكانوا يتحرونه بالجيزة " فهو أول القضاة حضر طلب الهلال " (٢٠).

وتطور الأمر بعد ذلك حيث كان قاضى مصر - قبل جعلهم أربعة - (٢١) يتراعى مع الناس هلال شهرى رجب وشعبان احتياطاً لشهر رمضان بجامع محمود (٢٢). وأول من فعل هذا أبو عثمان أحمد بن إبراهيم بن حماد المالكي ( ت ٣٢٩ هـ - ٩٤٠م ) المتولى قضاء مصر من قبل الخليفة القاهر بالله ( ٣٢٠ - ٣٢٢ هـ / ٩٣٢ - ٩٣٣م ) بعد الثلاثمائة (٢٣).

وفى عصر المماليك وقع تحرى رؤية الأهلة على كاهل القضاة أيضاً ، فكان القضاة الأربعة يتحرونها فى آخر كل شهر عربى ، لرؤية الهلال بأنفسهم (٢٤)، وأحياناً كانت الرؤية مقتصرة على بعض القضاة فقط ؛ لانشغال البعض ، أو لغيابهم بسبب أداء الحج (٢٥)، وشارك القضاة أحياناً بعض السلاطين فى الرؤية (٢٦)، وكذلك بعض ممالك السلاطين (٢٧)، وبعض الجند (٢٨)، وبعض المشايخ والمؤرخين (٢٩)، كما شارك الناس فى جمع كثيف فى رؤية الهلال، وبخاصة هلال رمضان وشوال وذى الحجة (٣٠)، وتحرت النساء أحياناً الأهلة السابقة (٣١).

وبالمثل كان الوضع ببلاد الشام والحجاز ، حيث إن القضاة والناس (٣٢) كانوا يتراءون الأهلة بصفة عامة ، وأهلة العبادات بصفة خاصة . وشارك الحجاج المتوجهون إلى بلاد الحجاز لأداء الحج فى رؤية هلال ذى الحجة خاصة ؛ وجدت هذا كثيراً ، ومن ذلك : هلال ذى الحجة سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦م إذ رآه قاضى مكة بحضور قاضى القضاة عز الدين بن جماعة وغيره



من حجاج مصر والشام والعراق (٣٤). وهلال ذى الحجة سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤م حيث رآه جمع كثير من القادمين إلى مكة براً وبحراً ، وبعض من كان بمكة (٣٥).

وقد كان القضاة في مصر والشام وبلاد الحجاز يكتفون أحياناً برؤية الشهود أو المؤقتين (٣٦)؛ فالأولون شاركوا في رؤية الهلال مع القضاة منذ القرن السابع الهجري (٣٧). وفي مصر انفرد أحد الشهود - الذين يتكسبون في الدكاكين ويأخذون على الشهادة جعلاً - برؤية هلال رمضان سنة ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣م بالرغم من المحاولات الحثيثة لرؤيته التي لم تثمر عن رؤيته ، واتفق هذا مع ما ذكره أصحاب التقاويم من عدم إمكانية رؤية الهلال لأنه يقع مع جرم الشمس (٣٨). أما في بلاد الحجاز فلدينا خبر ذكره السخاوي (٣٩) خاصاً بعلي بن أحمد المكي وكان " أحد شهود القيمة بمكة والمتصدين لرؤية الهلال بها " .

والآخرون وهم المؤقتون فإنهم قد كثروا في عصر الماليك ومنهم بمصر : ابن الغزولي الميقاتي ( ت ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦م). وكان إمام عصره في علم الميقات ووضع الآلات الميقاتية ، ورئيس المؤذنين بجامع آقسنقر (٤٠). والطولوني ومدرسة السلطان حسن (٤١). ومحمد ناصر الدين المصري وكان إمام عصره في الزيجات والتقاويم " وكان هو وابن الغزولي شيخا عصرهما في علم المواقيت ، لكل منهما طائفة تتعصب له ، والعجيب أنهما توفيا قريباً " (٤٢). وأبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم القاهري ( ت ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨م) وهو ممن تميز في الميقات مع التقويم (٤٣). وبرز منهم ببلاد الشام : أبو إسحاق المواقيتي ( ت ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤م). وكان رئيس المؤذنين بجامع بنى أمية بدمشق ، وركان يعرف علم الميقات (٤٤). وبرز منهم ببلاد الحجاز حسين بن علي البيضاوي المكي المعروف بابن الزمزي ( ت ٨٦٤ هـ / ١٤٥٩م) وانتهت إليه رئاسة التقاويم ببلاد الحجاز : مكة والمدينة وإليه يرجع المكيون في علمي الميقات والحساب " (٤٥).

وكان القضاة أحياناً يتركون لهؤلاء المؤقتين مهمة صعود المنارات والأماكن العالية لتحري رؤية الأهلة ، ومنها هلال شهر رمضان ، ومن رآه منهم جاء أو جيئ به إلى هؤلاء القضاة (٤٦). وحدث هذا بمصر وذكره السخاوي في أثناء حديثه عن رؤية هلال شهر رمضان سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤١م وألمح إلى أن القضاة بمصر أصبحوا يكتفون برؤية هؤلاء المؤقتين (٤٧). وما يؤيد رأي السخاوي أن اختلافاً كبيراً حدث بمصر سنة ٨٧٦ هـ / ١٤٧١م حول رؤية شهر ربيع الأول ، وشهد جماعة من المؤقتين عند القاضي الشافعي برؤيته ليلة الأحد ، فما قبل

القاضى الشافعى شهادتهم ، وصعد يوم الاثنين لتهنئة السلطان بالشهر ورفقته قاضى القضاة والمؤرخ الصيرفى ، فلما جلسوا وهنأوا السلطان بالشهر ، ذكر أن الشهر من البارح وقد رآه الليلة وهو كبير ، فرد القاضى المالكى بقوله : " الكبير ما هو شرط " وأثبت القاضى الشافعى الشهر كما قال السلطان (٤٨).

وبطبيعة الحال كان ترك القضاة لوظيفة من وظائفهم المهمة عاملاً أساسياً من عوامل وقوع الخلاف حول الرؤية ، ومن ثم وقوع الخلاف حول الصوم أو الفطر ، وفى تحديد وقفة عرفة وعيد الأضحى . وسيأتى بيان ذلك فى مكانه من البحث .

### ثالثاً : أماكن رؤية الأهلة :

تحرى الرايون للأهلة بمصر والشام والحجاز رؤيتها من عدة أماكن تمكنهم من التحقق من الرؤية أو من عدمها . وأبرز هذه الأماكن بمصر : المدرسة المنصورية (٤٩) بخط بين القصرين بالقاهرة (٥٠) . والقبلة المنصورية (٥١) - الواقعة تجاه المدرسة السابقة - ، والقلعة (٥٢) ، والجوامع (٥٣) ، والمدارس (٥٤) ، وأسطح البيوت (٥٥) . وغير ذلك من أماكن مرتفعة (٥٦) فى القاهرة والفسطاط .

وروى الهلال أيضاً بعدة بلاد سوى القاهرة والفسطاط منها :

الجزيرة (٥٧) ، وقلبيوب (٥٨) ، وسرياقوس (٥٩) ، وبلبيس (٦٠) ، ومنوف (٦١) ، والمحلة (٦٢) ، وفى الصعيد (٦٣) ، وغيرها .

كما تحرى الرايون للهلال بالشام بدمشق من المآذن (٦٤) ، وحلب (٦٥) ، وبعض القرى (٦٦) والضواحي (٦٧) الشامية .

أما عن أماكن رؤيته ببلاد الحجاز ، فلدينا أخبار عن رؤيته بمكة المكرمة من أعلى جبل أبى قبيس (٦٨) ، ولدينا خبر آخر يتصل بتحريره بجدة (٦٩) .

### تعقيب :

اشتركت طوائف عديدة فى تحرى أهلة الشهور العربية ، وبخاصة هلال رمضان وشوال وذى الحجة ، وكان العبء الأكبر فى الرؤية واقعاً على عاتق القضاة ، ولكنهم ركنوا - أحياناً - إلى المؤقتين ، واكتفى هؤلاء القضاة بقبول أو رفض رؤية المؤقتين ، وكان هذا التوجه من هؤلاء القضاة تفريطاً فى حق من حقوقهم الأساسية ، وأدى هذا التفريط إلى حدوث الاختلافات حول



الرؤية في بعض الأحيان . وقد أحسن اختيار الأماكن الملائمة للتحقق من الرؤية الصحيحة ، ولم تقتصر هذه الرؤية على عواصم الأقاليم الإسلامية فحسب ، بل امتدت إلى العديد من البلاد الأخرى في القطر الواحد . ولم يعتمد القضاة في تحديد أوائل ونهايات الشهور العربية على أرباب التقاويم (٧٠) الذين لم تصدق كثير من توقعاتهم ، ولم تتحقق كثير من تنبؤاتهم ، ومنها ما تنبأ به محمد بن عبد الجبار المعروف بابن الدويك ( ت ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م ) من تقصير النيل في بعض السنين ؛ فجاء النيل جيداً (٧١) ، ومنها ما أجمع عليه أهل التقويم سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م من حدوث قران نحس في آخر شهر رمضان من هذا العام ، يتبعه حدوث ما لا يحمد عقباه على السلطان الظاهر جقمق ( ٨٤٢ - ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨ - ١٤٥٣ م ) ، فلم يقع شيء مما توقعه هؤلاء المشتغلون بالتقاويم ، ومضى شهر رمضان والسلطان في خير وسلامة وعافية ، وشهد بذلك المؤرخ ابن تغرى بردى الذى كان ملازماً له ، وعقب على ذلك بقوله : " فلعمري لو كان أهل هذا الشأن اشتغلوا عوضاً عن هذا الفن بصناعة من الصنائع والحرف التى تتعاناها العامة لكان خيراً لهم وأقوم من هذا الكذب المحض ، والاختراق فى علم الغيب إلى يوقعهم فى موبقات الآثام " (٧٢) . وحدث مثل هذا أيضاً سنة ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م فى سلطنة السلطان الأشرف قايتباى ( ٨٧٢ - ٩٠١ هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٥ م ) . مما استوجب توبيخ ابن تغرى بردى لهم أيضاً واتهامهم بالكذب فى الشهر الواحد المرة والمرة ، وأنهم دائمون مستمرون فى كذبهم ، والناس - مع هذا - يترددون إليهم ويسألونهم مع عرفانهم بعد معرفتهم ، وقد دونت ملاحظات ابن تغرى بردى فى كتاب " إنباء العصر " لابن الصيرفى (٧٣) . ومن أمثلة الخطأ فى توقعاتهم أيضاً هو إجماعهم بالقاهرة على حدوث كسوف كلى للشمس فى يوم مذكور ، ولم تكسف الشمس فى ذلك اليوم (٧٤) . من عام سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م فى سلطنة الأشرف قانصوه الغورى ( ٩٠٦ - ٩٢٢ هـ / ١٥٠٠ - ١٥١٦ م ) .

ولهذا كله لم يضع القضاة حسابات أرباب التقاويم وملاحظاتهم فى الاعتبار ؛ بالرغم من صواب رأيهم في بعض الأحيان .

#### رابعاً : الإعلام بالرؤية ومظاهر الاحتفال بها :

حرصت الدولة الإسلامية فى عهود حكامها جميعاً على تبليغ الرعية بنتائج رؤية الأهلة ، وبخاصة التى يترتب عليها نوع من العبادات . وفى عصر سلاطين المماليك كانت نتيجة رؤية

الهلال تكتب ، وترسل بها إلى مدن وقرى القطر الواحد ؛ ففي مصر على سبيل المثال كانت الكتب تتبادل بين عاصمتها وجميع مدنها البحرية والقبلية بنتائج رؤية الأهلة (٧٥). ولدينا بعض روايات يفهم منها مدة تبادل خبر الرؤية بين القاهرة وبعض المدن المصرية الأخرى ؛ ففي سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م لم ير هلال رمضان بالقاهرة ، وأكل من بها حتى الظهر. فقدم الخبر من " بلبيس " برؤيته ، فتودى بالإمساك من بعد الظهر (٧٦). وحدث أيضاً سنة ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م أن تراءى الناس هلال رمضان بالقاهرة وما حولها فلم يروه ، فلما كان بعد صلاة العشاء بثلاث ساعة حضر كتاب من نائب الحكم يثبت رؤيته ، فتودى بالصيام ، ووصل كتاب آخر من نائب بلبيس في أول النهار بمثل ذلك ، وكتاب آخر من نائب الحكم بمنوف بمثل ذلك ، وورد في أثناء النهار (٧٧). وهناك خبر آخر وفيه أنه في سنة ٨٧٦ هـ / ١٤٨١ م لم ير هلال ذي الحجة بالقاهرة ليلة السبت ، فكان أوله يوم الأحد ، ولكن وصل الخبر من " المحلة " في يوم الثلاثاء برؤيته ليلة السبت ، وعليه فأول ذي الحجة يوم السبت لا الأحد (٧٨).

وهكذا تبودلت الكتب بين المدن المصرية للتحقق من رؤية الهلال من عدمها ، وهو الأمر الذي حدث أيضاً بين المدن الشامية (٧٩) ؛ بل إن الكتب المتضمنة نتيجة رؤية هلال رمضان وشوال وذى الحجة بصفة خاصة كانت تتبادل بين مصر والشام (٨٠)، كما أن ثمرة رؤية هلال ذي الحجة وأخبار الحجاج كانت تصل إلى مصر في أربعة عشر يوماً (٨١)، وأحياناً في اثني عشر يوماً (٨٢). كما كان الحجاج الشام يرسلون إلى ذويهم كتباً تتضمن أخبارهم ، وربما احتوت هلال ذي الحجة ، وكانت هذه الكتب تبعث من تبوك إلى دمشق وتستغرق سبعة أيام وأحياناً ثمانية أيام على الأكثر ، وفي بعض الأحيان تستغرق أقل من ذلك (٨٣).

أما عن الإعلام بالرؤية داخل البلد الواحد ؛ فإن ذلك الإعلام قام به نواب المحتسبين الذين ينادون في الأسواق والشوارع والحارات بالصوم والإمساك أو الفطر (٨٤). وكان المؤذنون يساهمون في إعلام الناس بشهر رمضان بصفة خاصة ؛ حيث يسحرون الناس بالمآذن (٨٥)، ويعلمونهم أيضاً بنهايته (٨٦). كما كان إنارة المآذن أيضاً إعلاماً للناس بدخول الشهر الفضيل ، ومظهراً من مظاهر استقباله (٨٧).

ومن مظاهر استقبال رمضان أيضاً - إضافة إنارة المنائر - احتفاء السلطان المملوكي بالقضاة ونوابهم ومشايخ الإسلام ، وغيرهم ممن يتوجهون إلى السلطان لتهنئته بالشهر الكريم،



وكان السلطان يكرمهم ويفيض عليهم بالخلع (٨٨). ولم تتخلف هذه العادة طوال العصر المملوكى عند أول رمضان وبداية كل شهر عربى (٨٩).

أما فى بلاد الشام فكان الأمراء والقضاة والمشايخ يهناون بأرائل الشهور العربية وبخاصة رمضان ، وبالأعياد (٩٠) وكانت القلعة بدمشق تشهد الفرحة برمضان وبالعيدين ، ومنها تنطلق إلى البلد ، كما كانت هذه المظاهر المبهجة تلاحظ عند دور الأمراء بالشام (٩١)، وفى صباح يوم العيد يتقدم المؤذنون خطيب العيد بالتكبير (٩٢). وجرت العادة أن يعد الناس بالشام أصنافاً من " الطبخ " بعد رؤية هلال العيد (٩٣).

ومن المؤكد أن مظاهر استقبال شهر الصوم والعيدين كانت واحدة فى البلاد الإسلامية فى تلك الفترة ، ولدينا خبر خاص بمكة يستفاد منه حرص المؤذنين فى شهر رمضان وليلة العيد على إنشاد المدائح النبوية وغيرها فى المنائر ليلاً ، والاهتمام بإيقاد مشاعل المقامات بالمسجد الحرام فى هذه المناسبات الدينية السابقة وغيرها (٩٤).

وهكذا ، قدمت لنا مصادرنا التاريخية الخاصة بهذه الفترة - محل الدراسة - أخباراً عن الوسائل التى يمكن من خلالها الإعلام بدخول الأشهر العربية وعلى رأسها رمضان وشوال وذى الحجة ، وعرضت لنا روايات أمكننا التعرف من خلالها على المسافة الزمنية بين بعض البلاد وبين عاصمة ذلك البلد ، وأشارت بعض الرويات التاريخية الخاصة ببعض مظاهر استقبال رمضان والعيدين ، ولم أحاول أن أحمل النص المروى أكثر مما يتحمل ويدل ، كما اعتمدت على هذه الرويات والأخبار الواردة فى مصادرنا فى معالجة هذه القضية وباقى جزئيات البحث دون مبالغة أو افتيات على النص التاريخى ، فكانت معالجتي لمباحث البحث اعتماداً على الأخبار والروايات المتاحة فحسب .

#### خامساً : أبرز المشكلات المتصلة ببداية رمضان ونهايته وعيد الفطر :

بالرغم من حرص الدولة المملوكية - كما رأينا - بمؤسساتها المختلفة على تحرى الأهلة والدقة فى التحقق من رؤيتها من عدمها ، إلا أن هناك عدداً من المرات خلت من التحرى الصحيح والدقة المطلوبة ، فوقع الخلاف وحدث الشك ، وهناك حالات أخرى شهدت مثل هذا الخلاف والريبة وتسبب فيها سوء الفهم لبعض الأمور . ومن المرات التى حدث فيها الشك فى بداية رمضان ، ما حدث سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م حيث صام الناس فيها أول رمضان ، وكان يوم الجمعة " على اختلاف وشك شديد " (٩٥). وفى سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م تراءى السلطان

الأشرف برسبای وممالیکه والناس جميعاً هلال رمضان من فوق القلعة ومن أعالي المآذن والأسطح بالقاهرة والفسطاط ، ليلة السبت وكان عدد الرائين يقدر بالألوف ، ولم ير أحد هلال رمضان ، وانفض الجمع ليلاً ، وإذا برجل يتكسب في حوانيت الشهود بتحمل الشهادة يجيئ إلى قاضى القضاة الشافعى ، ويشهد برؤية الهلال ، فيأمر به القاضى أنه يشهد برؤيته أمام السلطان ، فلما مثل بين يديه ثبت وصمم على رؤيته للهلال ، وكان الرجل حنبلياً ، وهو قريب لنديم السلطان ، ولى الدين بن قاسم " فسأل السلطان عنه ، فبالغ فى الثناء عليه عند السلطان ، عندئذ أمر السلطان بإثبات الهلال وأثبت بعض نواب قاضى القضاة الحنبلى بشهادة هذا الشاهد أول رمضان ، نودى فى الليل بصوم الناس من الغد على أنه أول رمضان ، فأصبح الناس صائمين ، وتوالت الكتب فى جميع أراضى مصر ، ومن البلاد الشامية وغيرها . بأنهم تراءوا الهلال ليلة السبت فلم يروه . وأنهم صاموا يوم الأحد (٩٦) .

وذكر المقرئى (٩٧) أن الناس تراءوا هلال شوال من القلعة وبالقاهرة والفسطاط وما حولهما ليلة الاثنين (٩٨) . التى هى بزعم الناس أو بزعم الشاهد (٩٩) . أنها أول ليلة من شوال ، فلم ير الناس الهلال بالرغم من عددهم الذى لا يحصى إلا خالقهم ، وبالرغم من اكتمال الهلال عدة ثلاثين يوماً ، وبالرغم من توافر الدواعى لرؤيته ، فالسمااء خالية من الغيوم ، والخلائق متطلعة لرؤيته ، ولكن لم ير أحد منهم الهلال ، وإذا ببعض نواب القضاة يزعمون رؤيته وشهادة من رآه ، . وعليه فإن يوم الاثنين أول شهر شوال " فكانت حادثة لم ندرك قبله مثلها" .

ويضيف ابن حجر (١٠٠) أن الناس تراءوه ليلة الأحد (١٠١) ولم يروه أيضاً .

ولكن ابن حجر المعاصر للمقرئى يذكر أن من زعم أن الناس خرجوا للترائى فقد وهم وإنما شاع أن بعض الناس تراءى فلم ير شيئاً ، واتفق أن غالب الجهات المتباعدة وكثيراً من المتقاربة عيدوا يوم الاثنين (١٠٢) .

ونحن هنا أمام خبر واحد يختلف فيه مؤرخان معاصران له ، وهما من المؤرخين الكبار ؛ فالمقرئى يقول : " فكانت حادثة لم ندرك قبلها . مثلها ، وهى أن الهلال بعد الكمال مدة ثلاثين يوماً لا يراه الحجم الغفير الذى لا يحصى عددهم إلا خالقهم مع توفر دواعيهم على أن يروه ، وقد خلت السماء من الغيم ، وجرت العادة أن يتساوى الناس فى رؤيته " (١٠٣) . وابن



حجر يقول : " ومن زعم أن الناس خرجوا للترائى فقد وهم ، وإنما شاع أن بعض الناس تراءى فلم ير شيئاً ، واتفق أن غالب الجهات المتباعدة وكثيراً من المتقاربة عيدوا يوم الاثنين " (١٠٤) .

وهما يتفقان فى بداية الخبر حول رؤية هلال رمضان واتفق أرباب التقويم باستحالة رؤيته ، ويختلفان فى نهاية الخبر حول رؤية هلال شوال اختلافاً واضحاً ، وقد ذكر ابن حجر اسم من رأى هلال رمضان هو " ولد شهاب الدين أحمد بن قطب الدين محمد الشيشينى " وقد ترجم له السخاوى فى " الضوء اللامع " (١٠٥) فذكر أن على بن أحمد بن محمد الشيشينى المحلى الأصل القاهرى الشافعى ، ولد بالقاهرة ، ونشأ بها وحفظ القرآن ، ودرس الفقه والحديث ، واستقر فى تدريس الحنابلة ، وأنه انفرد برؤية هلال رمضان سنة ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م مع إجماع أهل الميقات على أنه يغيب مع غيبوبة الشمس ، فأرسل به شيخ السخاوى ، ويعنى هنا " ابن حجر " إلى السلطان ليعلمه بذلك فسأل عنه ، فأثنوا عليه لكون قريب جليسه الولوى بن قاسم ، فأمر بعمل ما يقتضيه الشرع ، فأقام الشهادة عند قاضى الحنابلة وحكم بمقتضى شهادته ، ثم إن الناس ما عدا ابن حجر وبقية رفقة تراءوا هلال شوال بعد استكمال ثلاثين استظهاراً ، فلم يروه " ولم يكن اتفق أن غالب الجهات المتباعدة ، وكثيراً من المتقاربة عيدوا كذلك وكأنهم رأوه أولاً أو آخر ، وبالجملّة فنعم صاحب الترجمة " .

وهكذا يؤكد السخاوى على دين الشاهد ، ويشئى عليه ، ولكنه يذكر ما يدعم رواية المقرئى من ترائى الناس لهلال شوال وعدم رؤيتهم له ؛ الأمر الذى يوقع فى الحيرة . وهنا أشير أيضاً إلى أن ابن الصيرفى (١٠٦) نقل عن المقرئى روايته كاملة ، ونقل تعليقه ولم يفته أن يبين أن المقرئى شيخه .

وعلى أية حال فطبقاً لرواية المقرئى التى نقلها أيضاً ابن الصيرفى فإن هذا الحدث قد ترك أثره فى الناس ؛ حيث إنهم أكثروا من التحدث فى حق القضاة والفقهاء ؛ وذلك لقبول القضاة لشهادة الشاهد ، وأنشد بعض هؤلاء الغاضبين على القضاة والفقهاء قول الشاعر :

كنا نفر من الولاة الجا... نرين إلى القضاة

والآن نحن نفر من جور القضاة إلى الولاة (١٠٧)

وهكذا ، عبر الناس عن سخطهم على القضاة والفقهاء ، لأنهم - فى نظرهم - لم يتأكدوا من رؤية الهلال ، وقبلوا رؤية شاهد من الشهود الذين يتكسبون بشهادتهم طبقاً لرواية

المقریزی - وإن شهادته لم تكن صحيحة بدليل عدم رؤية هلال شوال بعد اكتمال رمضان ثلاثين يوماً .

ومن الحالات التي ذكرتها المصادر ويستفاد منها عدم الدقة في تحرى الهلال والأمانة في رؤيته والإعلام به لتحقيق مأرب من مأرب بعض القضاة ما حدث سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م وفيها يذكر ابن الصيرفي أن قاضي القضاة الشافعي والمالكي - ما خلا قاضي القضاة الحنفي والحنبلي - توجهوا إلى المنصورية قلاوون لرؤية هلال شوال ، ويعلق على ذلك بقوله : " ولم ير الهلال وهو المقصود الأعظم لئلا تكون خطبتان في يوم واحد فيكون ذلك بزعمهم على السلطان غير مشكور ، فلا حول ولا قوة إلا بالله " (١٠٨) .

وهذه حالة من الحالات التي حاول فيها بعض القضاة تلمق السلطان بالباطل ، حيث حاولوا ألا يكون العيد يوم جمعة لئلا تجتمع خطبتان في يوم واحد ؛ لأن في ذلك نذير شؤم على السلاطين ، مع أن هؤلاء السلاطين لا يعتقدون هذا المعتقد ، ولا يؤمنون بهذه العادة من التطير بخطبتين في يوم واحد ؛ ولذلك فإن السلطان جقمق لما بلغه هذا الأمر سنة ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م أنكره وأظهر الحق على من ينسب إلى ذلك ، وبين خطأ ما شاع بين الناس بهذا الشأن (١٠٩) . وهذا التشاؤم الذي شاع بين الناس ليس له أصل (١١٠) ، ويُرد عليه بأنه في سنة ٨٢٥هـ / ١٤٢٢م جاء عيد الفطر يوم جمعة وكانت أولى سنوات حكم السلطان الأشرف برسبای (١١١) ، واستمر في سلطنته حتى سنة ٨٤١هـ / ١٤٣٧م .

وهناك حالات أخرى رفض فيها القضاة رؤية الناس للهلال بدون بيان أسباب الرفض كما جرت العادة (١١٢) ، ومنها ما حدث في مصر سنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م حيث تحدث الناس برؤية هلال شوال ليلة الجمعة ، وعليه فإن يوم الجمعة هو أول أيام عيد الفطر المبارك هذه السنة ، إلا أن القاضي الشافعي لم يعول على رؤية الناس ، وظهر - بعد ذلك - أن أوله بمكة الجمعة ، وكذلك في دمشق التي ثبت في أثناء صلاة الجمعة أن العيد في اليوم نفسه ، وحكم القاضي الشافعي بدمشق بذلك وأمر الناس بالنداء بالصلاة جامعة ، وصلى بالناس صلاة العيد قضاء ، ثم خطب بعدها (١١٣) .

رواضح أن رؤية الناس للهلال شوال في هذه السنة صحيحة ، وأنه لا عذر للقاضي الشافعي في رد شهادتهم ، اللهم إلا إذا كان قد راعى ما يشيعه الناس عن النذير الشؤم اللاحق بالسلطان عند اجتماع خطبتين في يوم واحد .



ويستفاد من الخبر السابق ومن غيره أن العادة جرت بالشام أن يُصلى العيد بالجامع لا بمصلى العيد عند تأخر ثبوته إلى منتصف النهار ، وحدث بدمشق على سبيل المثال سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م حيث صلى الناس بالجامع الأموي بدمشق ، ورفض معظمهم الصلاة في مصلى العيد (١١٤).

ولعل في هذا إعلاناً عن الضيق والتذمر لوجود خلل منع من علمهم بالعيد في وقته ؛ وهذا يفهم من قول ابن كثير : " وتغضب الناس على المؤذنين ، وسجن بعضهم " (١١٥).

ولم تكن الحالة السابقة الأولى لخطأ أحد القضاة ، فلقد سبقت بتقصير آخر حدث بمصر أيضاً سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م وفيها تراءى الناس هلال رمضان ليلة الاثنين فلم يره ، ثم بعد الانفصال تحدث برؤيته ، وجاء كتاب قاضي الخانقاة السرياقوسية بالإعلام برؤيته ، ولكن بدون ما يقتضى اعتماده ، وصام أهل الخانقاه ومنوف لثبوته عند قاضيها ، بل صام أكثر أهل البلاد ، وكان هذا تقصير من قاضي الخانقاة السرياقوسية (١١٦).

وقد تسبب الشهود أحياناً في حدوث البلبلة والاختلاف ، ومن أمثلة ذلك شهادة شاهدين في الثاني والعشرين من شعبان سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م أن أوله يوم الاثنين ، فقبل النائب في الحكم شهادتهما ، وعند استطلاع هلال رمضان لم ير ليلة الثلاثاء منه ، ولا ليلة الأربعاء ، ثم غاب ليلة الخميس مع مغيب الشفق " وكثر كلام الناس في الشهادة الماضية " (١١٧).

وهكذا ، فإن الاختلاف حول بداية شهر الصوم ونهايته تسبب فيه تقصير بعض القضاة وتقلق بعضهم للسلطان باطلاً ، وشهادة بعض الشهود غير الصحيحة ، وترك هذا الاختلاف أثره على الناس حيث أبدوا تبرمهم وأظهروا غضبهم على القضاة والفقهاء الذين ساهموا - أحياناً - في حدوث الخلط والجدل حول بداية الصوم أو بداية الفطر (١١٨).

وهناك حالات أخرى لم يكن لأحد دور في حدوث الاختلاف فيها ، بل حدث بسبب الغيوم (١١٩) المطبقة التي استمرت أياماً في بعض الأحيان ؛ ومنها الغيوم التي حالت دون رؤية هلال رمضان سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م ، بمصر (١٢٠) ، وسنة ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م بها أيضاً حيث لم ير هلال رمضان لشدة الغيوم ليلة الأربعاء فكان أوله الخميس بالعدد ، وكذا كان أوله بجميع بلاد الشام إلا بيروت وصيدا (١٢١). وقد كان القضاة يأخذون بالحساب عند قوة الغيوم واستمرارها لعدة أيام (١٢٢) ، أما إذا كشفت أخذ بالرؤية ، وللتويرى خبر يتصل بدمشق خاص بهذا المعنى يقول فيه : " ومن غريب الاتفاق في رؤية الهلال أن الناس بدمشق طلعوا

إلى المئذنة لارتقاب هلال رمضان ، والحاكم يومئذ بالشام قاضى القضاة شهاب الدين الحموى ، وكانت الغيوم قد عمت السماء ، قطع الناس للعادة مع تحققهم أنهم لا يرون شيئاً ، فاتفق عند ارتقابهم مطلع الهلال انفراج دائرة الغيم ظهر من تحتها الهلال ، فلما عاينه الناس التأم الغيم لوقتته ، وصام الناس عن رؤية وبقين " (١٢٣) . وهناك خبر آخر ذكره السخاوى (١٢٤) عن كشف الغيم عن هلال شوال سنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م .

وهناك أخبار أخرى تتصل بعدم رؤية الهلال بمكة المكرمة بسبب الغيوم ، لكنها تخص هلال ذى الحجة (١٢٥) .

جملة القول أنه وقعت خلاقات حول تحديد بداية هلال شهر رمضان ونهايته لأسباب مختلفة : أولاها فى نظري تقصير بعض القضاة فى تحرى الهلال بأنفسهم وترك ذلك الأمر للناس أو للشهود ؛ ففى كل مرة شهد القضاة الهلال وتحروه بأنفسهم لم تحدث أية مشكلة (١٢٦) ، لكن المشكلة كانت تنتج عن تفريط القضاة فى واجبهم نحو استطلاع الهلال وانفراد الأحاد بالرؤية دون التواتر فيها . وثانيها - عندى - مراعاة بعض القضاة لأوهام مشاعة وأقوال مرسله ؛ الغرض منها التقرب من السلاطين بالباطل ، وهم برآء من هذه الأقوال غير المحققة . وثالثها وأخرها شهادة بعض الشهود غير الصحيحة . وقد تعرض القضاة لتقصيرهم - أحياناً - إلى سخط الناس عليهم ، ونقدهم لهم . كما ترتب على تأخير الإعلام بعيد الفطر تأخير الفرحة والسرور به (١٢٧) .

### سادساً : أبرز المشكلات المتصلة ببداية ذى الحجة وبوقفة عرفة :

شارك الحجاج المتوجهون لأداء شعيرة الحج فى رؤية هلال ذى الحجة ، وأخبر الرأءون القضاة المصاحبين لهم بنتيجة الرؤية ، وكانت هذه المشاركة مفيدة فى بعض الأحيان ، ومسببة للخلاف والمشكلات فى أحيان أخرى اختلفت فيها رأى هؤلاء الحجاج مع رؤية المكين للهلال ، أو اختلفت فيها رؤية حجاج بلد عن رؤية حجاج بلد آخرين . ونتج عن هذا الخلاف الوقوف بعرفة يومين متتاليين احتياطياً فى العديد من المرات . كما ساهمت شيوع فكرة التطير من خطبتين فى يوم واحد فى حدوث البلبلة والاضطراب فى تحديد بداية الشهر الحرام وفى تعيين يوم عرفة والعيد .

ومن السنوات التى وقف فيها الحجاج بعرفة يومين حيلة بسبب الاختلاف حول بداية شهر ذى الحجة : سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م (١٢٨) ، ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م (١٢٩) و ٦٩٢هـ /



١٢٩٢م (١٣٠) هـ ٧٢٤ / ١٣٢٣م (١٣١) هـ ٧٢٦ / ١٣٢٥م وفيها يقول ابن الجزرى (١٣٢) " وأخبرنا الحجاج أن الوقفة كانت يوم الأحد ، وكانوا يوم السبت أيضاً بعرفة احتياطاً ؛ بسبب رؤية الهلال وما يحصل فيه من الاختلاف ، ونعم ما فعلوا " .

وفى سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦م كانت الوقفة فيها يوم الجمعة ؛ لأنه ثبت ذلك عند قاضى مكة بحضور قاضى القضاة عز الدين بن جماعة وغيره من حجاج مصر والشام والعراق ، وكان يوم عرفة بمصر والإسكندرية يوم الخميس ، فأنكر الشيخ علاء الدين على بن عثمان التركمانى الحنفى على القاضى عز الدين بن جماعة ، وأفتى أن حج الناس فاسد ويلزم من وقف بالناس يوم الجمعة بعرفة جميع ما أنفقه الحاج من الأموال ، وأنهم يجب على الحجاج كلهم أن يقفوا محرمين لا يطئوا نساءهم ولا يمسوا طيباً حتى يقفوا بعرفة مرة أخرى ، وشنع بذلك عند الأمراء ، وأظهر الحزن على الناس والأسف على ما أنفقوه من أموالهم ، فشق ذلك على الأمير طغيتمر الدوادار من أجل أن زوجته حجت فيمن حج ، وأخذ فتوى ابن التركمانى الحنفى ، فغضب الشافعية وأنكروا مقالته وردوها ، وطلب ابن جماعة عقد مجلس فى ذلك بحضور ابن التركمانى الحنفى لإعلامه بمخالفة فتواه لما هو مدون فى كتب الحنفية فمنعه الناس من ذلك مخالفة الخلاف (١٣٣) .

وواضح من الخبر السابق أثر الخلاف حول الرؤية لدى بعض فقهاء الحنفية وعلى الحجاج بطبيعة الحل ، وكان من الأولى الأخذ بالأيسر فى هذه القضية ، لأنه كما يذكر ابن تيمية (١٣٤) . إذا أخطأ الناس كلهم فوقفوا فى غير يوم عرفة أجزاءهم اعتباراً بالبلوغ ، فلو أن الناس وقفوا بعرفة فى اليوم العاشر خطأ أجزاءهم الوقوف بالاتفاق وكان ذلك اليوم يوم عرفة فى حقهم ، ولو وقفوا الثامن خطأ ففيه خلاف ، والأظهر - كما يرى شيخ الإسلام - صحة ذلك أيضاً ، وهو أحد القولين فى مذهب مالك وأحمد وغيرهما .

واستمر وقوف الناس بعرفة يومين بعد ذلك أيضاً ومنه فى الأعوام التالية :

٧٥٧ هـ / ١٣٥٦م (١٣٥) هـ ٨١٢ / ١٤٠٩م وفيه وقف الناس بعرفة يومين وأوقفت المحامل فى اليوم الأول بعرفة على مقتضى رؤية أهل مكة لذى الحجة (١٣٦) . ويذكر المؤرخ الفاسى (١٣٧) الذى كان يحج فى العام السابق أن إقامة الناس يومين بعرفة كان برأى أمير الحج الذى وجد أن هلال ذى الحجة ثبت عند القاضى الحنفى بمكة بينما لم يثبت عند أهل مكة ، فاقترح أن يتوجه الحجاج فى اليوم الثامن ، يوم التروية بحسب رؤية أهل مكة إلى عرفة وأن

يقيم الناس بها يوماً آخر ، ففعل ذلك ، وتعرض أهل الفساد للحاج فى توجههم من عرفة إلى منى ونهبوهم وقتلوهم فى ليلة النحر ، ولم يستطع معظم الحاج ومعهم تقى الدين الفاسى المبيت بمزدلفة إلى الصباح ، فرحلوا منها اتقاء لخطر المفسدين .

وحدث اختلاف كبير فى تعيين الوقفة فى عام ٨١٧هـ / ١٤١٤م لأن جمعاً كثيراً من القادمين إلى مكة فى البر والبحر ، وبعضاً من بمكة ذكروا أنهم رأوا الهلال لذي الحجة ليلة الاثنين ، ولم ير ذلك غالب أهل مكة ولا غالب الركب المصرى ، فتم الاتفاق على أن الناس يخرجون إلى عرفة فى بكرة يوم الثلاثاء تاسع ذى الحجة على مقتضى من قال برؤيته ليلة الاثنين ، وأن يقيموا بعرفة ليلة الأربعاء ويوم الأربعاء ، فوقع ذلك وسار معظم الحاج إلى عرفة بعد طلوع الشمس من غير نزول بمنى ، فبلغوها بعد دخول وقت العصر ، وتخلف غالب المكين وأهل اليمن بمكة إلى وقت الظهر وتوجهوا إلى عرفة من غير نزول بمنى ، فلما كانوا بالمأزمين ، مأزى عرفة الذى يسميه الناس المضيق خرج إليهم اللصوص فقتلوا وجرحوا ونهبوا ، ونجا مؤرخنا تقى الدين الفاسى أيضاً هذه المرة من الضرر حيث كان قريباً من أصابهم الله بهذا الابتلاء (١٣٨).

وهكذا ، فإن تخلف بعض حجاج مكة واليمن عرضهم للقتل والنهب وذلك لأن القسم الكبير من الحجاج كانوا قد سبقوهم إلى عرفة يصحبهم الحراس الذين كانوا يحرسون الحجاج ، وتأخر البعض منهم جعلهم مطمعا للصوص والمفسدين لقلة عددهم قياساً لباقي الحجاج ، ولضعف الحراسة لهم .

وفى سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م وقع اختلاف بمكة أيضاً حول تحديد الوقفة ، إذ إن شخصاً من المغاربة - ذكر أنه من أهل العلم والدين وزكى - رأى هلال ذى الحجة ليلة الخميس ، وتأكدت هذه الرؤية برؤية أخت كاتب السر وزوجة الظاهر جقمق السلطان الملوكى ، وعليه فيكون يوم الجمعة يوم الوقوف بعرفة ، لكن القاضى الشافعى لم ير الهلال ليلة الخميس لذا طلب أن يتوجه الحجاج إلى عرفة يوم السبت والوقوف بعرفة نهائياً احتياطاً ، فرد كاتب السر أنه لا يمكن فعل ذلك لاسيما بعد أن أخبرته أخته زوجة السلطان برؤيتها للهلال ، ثم لما وصل الركب الشامى ذكروا أن قاضى محملهم ثبت عنده بشهادة من يثق به أنه رأى هلال ذى الحجة ليلة الخميس " فوقف الناس يوم الجمعة ولم تطمئن قلوب غالب الناس بالوقوف يوم الجمعة " والله أكرم من أن يرد هذا الوفد العظيم خائبين (١٣٩).



وهنا نجد القاضى الشافعى لا يأخذ بالرؤية التى أكدها الوفد الشامى ، وربما لم يتأكد من تزكية الراىين للهِلال ؛ لأن مذهبه يوجب عليه الأخذ برؤية عدل واحد للهِلال ، ونرى أيضاً - فى الخبر السابق - أثراً لهذا الاختلاف فى نفوس الحجاج لم تطمئن قلوبهم بالوقوف يوم الجمعة بعرفة .

ووقف الناس بعرفة أيضاً يومين سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٤م لاختلاف وقع فى بداية الشهر (١٤٠)، وكذلك فى سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م بسبب زعم بعض الشاميين من الحجاج رؤية الهِلال ليلة الخميس ، وهو بما لم يثبت لدى المكين فبات الحجاج بعرفة ليلة السبت احتياطاً (١٤١).

وقد أدت الغيوم الكثيفة فى بعض الأحيان إلى وقوف الحجاج بعرفة يومين أيضاً بإشارة من قاضى مكة (١٤٢)، وحدث هذا سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م .

وهكذا ، اضطر الحجاج فى عدد من المرات إلى الوقوف بعرفة يومين كاملين أو الوقوف بها ليلة عرفة وفى نهارها لأخذ الحيلة بسبب الاختلاف حول بداية شهر ذى الحجة ، وهناك سنوات لم تحدث فيها أية خلافات وأجمع الحجاج جميعاً على تحديد وقفة عرفة منها سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م وفيها يذكر النويرى أن الناس وقفوا بعرفة يوم الجمعة بغير خلاف بينهم (١٤٣)، ومنها سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م وفيها يشير ابن فهد إلى وقوف الناس بعرفة اتفاقاً منهم (١٤٤)، وغير ذلك من سنوات لم تشر المصادر إلى وقوع خلاف فيها .

ولم يكن الخلاف حول تحديد يوم عرفة وعيد الأضحى المبارك مقصوراً على مكة المكرمة وإنما امتد إلى مصر والشام وسببه هنا تخشى خطبتين فى يوم واحد والتطير من هذا ؛ وفى سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م شهد جماعة بمصر برؤية هلال ذى الحجة ليلة الأربعاء ، فلم يقبل القاضى شهادتهم وردهم بينه وبين القاضى الحنفى ، وبلغ السلطان الأشرف برسباى ذلك ، وأنه ارتقب الهِلال ليلة الخميس فغاب قبل العشاء فاستدلوا بذلك على بطلان شهادة من شهد برؤية ليلة الأربعاء ، فضحى جماعة من الناس يوم الجمعة اعتماداً على من رأى ليلة الأربعاء ، وانتشر الأمر وكثر عدد من ينتسب إلى الرؤية ، واتهم من لم يقبل شهادة رؤيته ليلة الأربعاء بأنهم فعلوا ذلك محاباة للسلطان على ما جرت به العادة من تطيرهم بخطبتين فى يوم واحد ، وكثرت الشناعة بسبب ذلك ، وعيد جماعة يوم الجمعة وصلوا فى بيوتهم العيد، وعيد جمهور

الناس يوم الجمعة ، واتفق أهل الشام والقدس وما حولهما على أن أول ذى الحجة يوم الأربعاء (١٤٥).

ونحن هنا أمام تشكك من الناس فى بعض القضاة بسبب الرؤية ، وقد يكون هؤلاء القضاة محقين فى عدم قبولهم للرؤية ، لكن حدوث هذه المحاباة من قبل قضاة آخرين - كما يبدو - جعل الناس بمصر لا يثقون فى رأى القضاة فى السنة السابقة ، وجعلهم يعيدون يوم الجمعة ويصلون فى بيوتهم العيد ، منعاً للصدام ، وتحاشياً للمشكلات ، والأمر الطيب هنا أن الدولة المملوكية لم تعرض لمن صلى العيد يوم الجمعة وأفطر بعد صيام يوم عرفة ، وعيد يوم الجمعة أيضاً ، وربما كانت مظاهر الاحتفال بالعيد من هؤلاء محدودة جداً .

وحدث فى سنة ٨٥١ هـ / ١٤٤٧م أن كان الغيم مطبقاً لمدة ثلاث ليال بدأت بالثلثاء وانتهت بالخميس وذلك عند ارتقاب هلال شهر ذى الحجة ، ولكن حضر شخص من أهل "مرصفا" وأخبر برؤيته ليلة الثلاثاء ، وعرفه بعض النواب بأنه سبقت منه الشهادة بالزور بحيث منه منها ، لكن القاضى لم يأخذ برأى نوابه ، وطلب شاهداً آخر فجاءه شاهد من فسطاط الأول ، فأخذ القاضى برؤية هذين المزورين ليكون العيد يوم الخميس لا يوم الجمعة لتوهم التشاؤم بذلك مما ليس له أصل (١٤٦) وإن كانت الأخبار قد وردت من مكة بعد ذلك تشير إلى أن الوقفة كانت يوم الأربعاء أيضاً (١٤٧).

اتضح مما سبق أنه حدثت خلافات حول بداية شهر ذى الحجة ، ومن ثم حول تحديد وقفة عرفة ، بسبب تعدد الرؤى ، واحتياط الحجاج لذلك فوقفوا يومين بعرفة وأصول الشريعة كلها مستقرة على أن الاحتياط ليس بواجب ولا محرم " (١٤٨) . وامتد هذا الخلاف إلى مصر والشام للسبب السابق نفسه أو بسبب تحقيق أغراض معينة ؛ فيحدد بداية الشهر من أجل هذه الأغراض وتلك المآرب . ونتج عن هذا اعتراض الناس ومخالفتهم لرأى صاحب الغرض والهوى . ولاحظ بعض المؤرخين الاختلاف حول تحديد بداية شهر ذى الحجة عند تدوين بعض الأحداث ، أو تعيين بعض الوقيات ، ومن ذلك ما ذكره الفاسى (١٤٩) متصلاً بهذا الأمر بقوله: " منها - أحداث سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١م - أنه فى يوم الجمعة ثانى ذى الحجة على مقتضى رؤية أهل مكة لهلال ذى الحجة ، وهو الثالث منه على مقتضى رؤية أهل مصر واليمن لهلال ذى الحجة سنة أربع وعشرين خطب بمكة للملك الظاهر ططر " . ومنه ما ذكره ابن تغرى بردى (١٥٠) متعلقاً بوفاة العلامة الحنفى محب الدين الأقسراني سنة ٨٥٩ هـ / ١٤٥٤م فى



يوم الجمعة ثالث ذى الحجة على حساب تأريخ مكة ، ورابع ذى الحجة على حسب ما أرخ بديار مصر .

وقد ترك الخلاف حول شهر المحرم أثراً أيضاً ، أشار إليه الفاسى وهو يعين تاريخ وفاة داود بن موسى الفاسى المالكى ، نزيل الحرمين ، بالمدينة النبوية سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م فى أول المحرم منها على مقتضى رؤية الناس لهلال المحرم فى غير الحرمين ، وفى آخر شهر ذى الحجة لسنة ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م تبعاً لرؤية المحرم بمكة والمدينة (١٥١).

كما ترك الخلاف حول الأهلة أثراً فى تحديد الأشهر النواقص ، ظهر هذا الخلاف من خلال حديث ابن تغرى بردى عن أول ذى الحجة سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م يقول : " أوله الأحد ، كان هذا الشهر والذي قبله نواقص لأن أول شوال كان الجمعة ، وأول ذى القعدة السبت ، بل أرخه بعض الناس الأحد ، فيكون ذو القعدة على حكم من أرخه الأحد ثمانية وعشرين عاماً " (١٥٢).

وهكذا لمسنا جوانب من تأثيرات الاختلاف حول بداية بعض الشهور العربية على بعض الظواهر والحوادث التاريخية .

ويستخلص الباحث من الدراسة أن المصادر المملوكية انفردت بالحديث عن ظاهرة رؤية الأهلة وما صاحبها من مشاكل أو آثار فى مصر والشام وبلاد الحجاز ، وتبين من خلالها حرص الدولة المملوكية على تحرى الأهلة ، وبخاصة هلال رمضان وشوال وذى الحجة ، واختارت الأماكن المناسبة لارتقاب الأهلة ، ووضعت ضوابط تحقق الرؤية الصحيحة للهلال ، وبذلت جهداً كبيراً فى تبليغ نتيجة الرؤية للناس ، ولكن القضاة الموكول بهم قبل غيرهم استطلاع الهلال تركوا هذا الأمر فى بعض الأحيان للمؤقتين ؛ فحدث خلاف فى بعض المرات حول رؤية الهلال ، وقام بعض القضاة بمحاولة مجاملة بعض السلاطين بالباطل فحاولوا ألا يكون العيد يوم جمعة لئلا تجتمع خطبتان فى يوم واحد ، وهذا - كما شاع - نذير شؤم على السلاطين ، وقابل الناس أخطاء هؤلاء القضاة بنقدهم أحياناً ، وبمخالفة رأيهم أحياناً ، كما أدى الاختلاف حول تحديد يوم العيد إلى تأخر مظاهر الاحتفال به ، وصلاة الناس بالبيوت لا بمصلى العيد . وترك الخلاف حول تعيين بداية ذى الحجة أثراً على الحجاج الذين وقفوا يومين بعرفة فى العديد من السنين ، احتياطاً لئلا يفوتهم هذا الركن المهم من أركان الحج ، وقد أثر هذا الخلاف أيضاً على بعض تأريخ الحوادث التاريخية والوفيات للمشاهير والأعلام .

## الحواشي

- ١- راجع عن شروط رؤية الأهلة ، وهلال رمضان خاصة كتاب " الفقه على المذاهب الأربعة " لعبد الرحمن الحريري ، ص ٤٨ - ٥٢٢ .
- ٢ - راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ج٥ ، ص ١١٣ .
- ٣ - راجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٦١ ؛ وابن الصيرفى : إنباء الهصر ، ص ٤٠٦ .
- ٤ - راجع ابن تفرى بردى : المنهل الصافى ، ج١٠ ، ص ١٦٦ ؛ ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ، ج٢ ، ص ٧٧ ، ج٣ ، ص ١٠٣٠ ؛ السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٦٠ .
- ٥ - ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٣ ، ص ٤٧٥ .
- ٦ - راجع المقرئى : السلوك ج٤ ، قسم ٢ ، ص ٩١٥ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٣ ، ص ٥١٨ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ، ج٥ ، ص ١٨٨ .
- ٧ - راجع ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٤ ، ص ٢٢٨ ؛ السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٢٢٣ .
- ٨ - السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٢٥٩ .
- ٩ - راجع ابن الصيرفى : إنباء الهصر ، ص ٣٣٢ .
- ١٠ - راجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٦٠ .
- ١١ - راجع السخاوى : الضوء اللامع ، ج٨ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .
- ١٢ - روى أبو داود ( سنن أبى داود ج٢ ، ص ٧٥٤ - ٧٥٦ ) عدة أحاديث عن شهادة رجل واحد برؤية هلال رمضان وقبول النبى ﷺ لشهادته . وعلق المحقق (ص ٧٥٦) على ذلك بأن الشافعى فى قول له رأى قبول شهادة الواحد العدل فى رؤية هلال رمضان ، وهو قول أحمد بن حنبل وأبو حنيفة ، بينما رأى مالك عدم قبول رؤية هلال رمضان إلا برؤية شاهدين عدلين . راجع سنن ابن ماجه ج١ ، ص ٥٢٩ . أما هلال شهر شوال فإن الحنفية والمالكية والحنابلة اشترطوا للرؤية شهادة عدلين بينما اكتفى الشافعية بشهادة العدل الواحد . راجع عبد الرحمن الحريري : الفقه على المذاهب الأربعة ، ص ٥٥٢ . وسبب هذا الخلاف هو أن بعض الفقهاء ذهبوا إلى أن رؤية الهلال من باب الإخبار فيكفى فيه الواحد ، بينما رأى البعض أنها من باب الشهادة بدليل أن الرأى يقول : " أشهد أنى رأيت الهلال " كما فى سائر الشهادات ، ومن ثم ينطبق على هذه الشهادة أحكام الشهادات . ولكن بعض الفقهاء ، ذهب إلى أن رؤية هلال رمضان خصوصاً من باب الإخبار ، راجع تعليق محقق سنن أبى داود ج٢ ، ص ٧٥٣ و ٧٥٤ .
- ١٣ - راجع المقرئى : السلوك ج٤ ، قسم ٢ ، ص ٩١٥ ؛ وابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج٣ ، ص ٢٨٦ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ، ج٥ ، ص ١٨٨ .



- ١٤ - راجع على سبيل المثال ابن حجر : إنباء القمر ، ج٤ ، ص ٦٧ .
- ١٥ - راجع ابن حجر : إنباء القمر ، ج٤ ، ص ٥٢ ؛ السخاوى : وجيز الكلام ج٢ ، ص ٥٤٨ ، وج٣ ، ص ٩٦٠ ؛ راجع ابن حمصى : حوادث الزمان ، ج١ ، ص ٢١٩ و ج٣ ، ص ٤٤ .
- ١٦ - راجع ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ، ج٣ ، ص ١٠٣٠ ؛ ابن الحمصى : حوادث الزمان ج١ ، ص ٢١٩ و ج٢ ، ص ٧٧ و ج٣ ، ص ٤٤ ؛ ابن قاضى شهبه : تاريخ ابن شهبه ، ج٣ ، ص ٦٦٦ .
- ١٧ - راجع تقى الدين القاسى : العقد الثمين ، ج٦ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
- ١٨ - راجع على سبيل المثال الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٧٠ و ٥٣٤ وابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر ، القسم الأول ، ص ٥٠ والقسم الثانى ، ص ٢٩٢ .
- ١٩ - تولى ابن لهيعة قضاء مصر سنة خمس وخمسين ومائة من الهجرة ، من قبل الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ؛ الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٦٨ ؛ راجع ابن حجر : رفع الإصر ، القسم ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .
- ٢٠ - راجع الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٧٠ ؛ وابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر ، القسم الثانى ، ص ٢٩٢ .
- ٢١ - قرر الظاهر بيبرس أربعة قضاة بمصر منذ سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م ، وهم شافعى ، مالكى ، وحنفى ، وحنبل ، واستمر الأمر على ذلك حتى نهاية العصر المملوكى . راجع المقرئى : الخطط ، ج٢ ، ص ٣٠١ .
- ٢٢ - جامع محمود بسفح جبل المقطم ، ينسب لمحمود بن سالم بن مالك من أجناد السرى بن الحكم أمير مصر بعد سنة مائتين من الهجرة ، ومحمود هذا كان جندياً . رتبى هذا المسجد الجامع . راجع المقرئى : الخطط ج٢ ، ص ٢٩٦ .
- ٢٣ - راجع ابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر ج١ ، ص ٤٧ - ٥٠ . راجع السخاوى : التبر المسبوك ج١ ، ص ٦١ - ٦٢ . وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفاطميين عندما استولوا على مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م لم يأخذوا برؤية الهلال فى الصوم والفطر ، بل اعتمدوا على الحساب ، ولذا هدد جوهر الصقل من حاول التماس هلال شوال سنة ٣٥٨ هـ ، وأعلن زوال الاعتماد على الرؤية . ( راجع المقرئى : المقفى ج٢ ، ص ١٠١ و ص ١٠٤ والخطط ج٢ ، ص ٢٨٦ ، ٢٣٩ ، ٣٤١ . واتعاض الحنفى ج١ ، ص ١١٦ ) . وصار الهلال بالعدد شهراً ثلاثين شهراً تسعاً وعشرين فى الصيام والفطر . وغير ذلك . راجع ابن حجر : رفع الإصر ، ترجمة أبى الطاهر الذهلى محمد بن أحمد ، ونقل هذه الترجمة فن كست فى ملاحق " الولاة والقضاة " للكندى ص ٥٨٤ . وذكر الدكتور جمال الدين الشيال أن المذهب الشافعى لا يقيد أتباعه عند صيام رمضان بضرورة رؤية الهلال ، ورأيهم فى ذلك أن التعبد فى دخول الصوم والخروج منه بالرؤية والحساب جميعاً ، فهما كالظاهر والباطن ، إذا أشكل الأمر فى أحدهما التمس فى الآخر ، فالهلال كالظاهر لأنه مشاهد ، والحساب كالباطن لأنه معقول ، وهو يستعمل من أول كل سنة ، ثم

يراعى طلوع الهلال ، فإن وافق الحساب الرؤية فقد اتفق الظاهر والباطن ، وإن وفى الحساب ولم يطلع الهلال علم أنه غم أو وقع فى نظره إخلال . راجع تعليقه فى اتعاظ الخفا ج ١ ، ص ١١٦ . وأقول : إنه لمن دواعى العجب أن يهتم الفاطميون اهتماماً كبيراً برصد الكواكب ولا يهتمون بتحرى الهلال ، راجع المخطوط ج ٢ ، ص ٤٤٤ .

٢٤ - راجع ابن حجر : إنباء القمر ، ج ٤ ، ص ١١٠ ؛ وراجع ابن الصيرفى : نزهة النفوس ج ٣ ، ص ٢٨٦ ، وإنباء الهصر ، ص ٢٦٥ ؛ وراجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج ١ ، ص ٦١ ؛ وراجع المخطوط ، ج ٢ ، ص ٤٥٥ .

٢٥ - راجع ابن الصيرفى : إنباء الهصر ، ص ٢٦٥ و ص ٤٠٦ ؛ السخاوى : وجيز الكلام ، ج ٢ ، ص ٧٦٦ .

٢٦ - راجع ابن حجر : إنباء القمر ج ٣ ، ص ٤٧٥ ؛ وابن الصيرفى : فى نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ .  
٢٧ - راجع ابن حجر : إنباء القمر ، ج ٤ ، ص ٤٧ و ص ٥٢ ؛ وانظر ابن الصيرفى : السابق والصفحة نفسها .

٢٨ - راجع ابن حجر : إنباء القمر ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ .

٢٩ - راجع ابن الصيرفى : إنباء الهصر ، ص ٢٦٥ ؛ وراجع ابن حجر : إنباء القمر ، ج ٤ ، ص ٢٣ .  
٣٠ - راجع ابن حجر : إنباء القمر ج ٣ ، ص ٤٧٥ ، ٥١٨ و ج ٤ ، ص ١٨٤ و ٢٢٧ و ٢٢٨ ؛ ابن الصيرفى فى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٣٨٩ و ج ٣ ، ص ٢٨٦ ؛ السخاوى : وجيز الكلام ج ٢ ، ص ٥٤٨ ، ج ٣ ، ص ١٠٩٨ .

٣١ - السخاوى : التبر المسبوك ، ج ١ ، و ص ٣٠٥ .

٣٢ - عن بلاد الشام راجع ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ج ٢ ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ ؛ ابن الحمصى : حوادث الزمان ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ، وراجع أيضاً ج ٣ ، ص ٤٤ . وعن بلاد الحجاز راجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج ١ ، ص ٦١ ؛ الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .

٣٣ - عن بلاد الشام راجع النويرى : نهاية الأرب ج ٣٣ ، ص ١٨٦ و ج ٣٢ ، ص ٥٨ ؛ ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ، ج ٣ ، ص ١٠٣٠ ؛ ابن قاضى شهبه : تاريخ ابن قاضى شهبه ، ج ٣ ، ص ٦٦٦ ؛ السخاوى : وجيز الكلام ج ٣ ، ص ١٠٩٨ ؛ ابن الحمصى : حوادث الزمان ، ج ١ ، ص ٢١٩ ؛ راجع ابن حجر : إنباء القمر ، ج ٢ ، حوادث سنة ٨٠٢ هـ ، ص ١١٠ . وعن بلاد الحجاز راجع ابن فهد : تحاف الورى ج ٣ ، ص ١١٣ و ص ٤٧٢ و ج ٤ ، ص ٣٥٠ ؛ وراجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج ١ ، ص ٦٦ ، والفاسى : العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٩٨ .

٣٤ - ابن فهد : تحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

٣٥ - راجع الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ، ص ٤٠٩ ؛ ابن فهد : تحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥١٩ .



٣٦ - يذهب ميل في كتابه ( العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية ) ترجمة د. أحمد نؤاد باشا ، ص ٦٢ - ٦٣ إلى أن " علم الميقات " جزء أساسى من الممارسة الفلكية الإسلامية ، حيث إن الفترات الزمنية المسموح بها شرعاً للصلاة الخمس تحدد بدلالة الموقع الظاهرى للشمس فى السماء ، بالنسبة إلى الأفق المحلى ، وهذه الأوقات تتغير على مدار العام وتعتمد على خط العرض المحلى . وفى القرن الثالث عشر الميلادى / السابع الهجرى ظهر نظام " المؤقت " كفلكى محترف مسؤول بالدرجة الأولى عن تنظيم أوقات الصلاة ، وظهر فى الوقت نفسه فلكيون بلقب " مبيقاتى " تخصصوا فى تحديد الوقت الفلكى . وكان تحديد أوقات الصلاة قبل القرن السابق من مهمة المؤذن .

٣٧ - لدينا خبر ذكره ابن واصل فى " مفرج الكروب " ج٤ ، ص ١٧٣ " لخروج جماعة الشهود لتراعى الهلال بدمشق مع قاضى القضاة بها جمال الدين المصرى ( ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م ) .

٣٨ - راجع المقرئى : السلوك ، ج٤ ، قسم ٢ ، ص ٩١٥ - ٩١٦ ؛ ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج٣ ، ص ٢٨٦ .

٣٩ - السخاوى : الضوء اللامع ، ج٥ ، ص ١٦٨ .

٤٠ - عنه راجع المقرئى : المخطط ج٢ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

٤١ - ابن قاضى شعبة : تاريخ ابن قاضى شعبة ، ج٣ ، ص ٢٠٩ .

٤٢ - ابن قاضى شعبة : السابق ، ج٣ ، ص ٢١٠ ، وعنه راجع ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ج١ ، ص ١٤٨ .

٤٣ - راجع السخاوى : وجيز الكلام ج٣ ، ص ١١٠١ ؛ وراجع أخبار أخرى لدى ابن قاضى شعبة : السابق ، ج٤ ، ص ٥١ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ، ج٥ ، ص ١٠٨ و ج٨ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ووجيز الكلام ج٢ ، ص ٣٩٢ .

٤٤ - المقرئى : المقفى ، ج١ ، ص ٢٨٠ .

٤٥ - السخاوى : الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ١٥١ - ١٥٢ ، وراجع وجيز الكلام ج٢ ، ص ٢٣٠ .

٤٦ - راجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٦١ .

٤٧ - راجع السخاوى : السابق ، ج١ ، ص ٦٠ - ٦١ .

٤٨ - راجع الصيرفى : إنباء الهصر ، ص ٣٣٢ .

٤٩ - ذكر المقرئى فى " المخطط ج٢ ، ص ٣٧٩ . أن المدرسة المنصورية بخط بين القصرين بالقاهرة أنشأها هى والقبلة الملك المنصور قلاوون الألفى ( ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ ) وهى والقبلة داخل المارستان المنصورى الكبير .

٥٠ - راجع ابن حجر : إنباء الفجر ج٤ ، ص ١١٠ ؛ ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج٣ ، ص ٢٨٦ .

٥١ - راجع ابن الصيرفى : إنباء الهصر ص ٤٠٦ و ص ٤١٥ ، وراجع أيضاً ص ٢٥٤ ؛ السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٦١ .

- ٥٢ - راجع ابن حجر : إنباء الغمر ج٣ ، ص ٤٧٥ : المقرئى : السلوك ج٤ ، قسم ٢ ص ٩١٥ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج٣ ، ص ٢٨٦ .
- ٥٣ - راجع ابن حجر : إنباء الغمر ج٤ ، ص ٢٢٧ : راجع المقرئى : السلوك ج٤ قسم ٢ ، ص ٩١٥ : السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٢٢٣ .
- ٥٤ - ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج٣ ، ص ٢٨٦ .
- ٥٥ - المقرئى : السلوك ج٤ ، قسم ٢ ، ص ٩١٥ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج٣ ، ص ٢٨٦ .
- ٥٦ - كان الهلال يرى قبل عصر المالك من جبل المقطم وأشار إلى ذلك الكندى فى " الولاة والقضاة ص ٣٧٠ " ونقل المقرئى فى " الخطط ج٢ ، ص ٤٥٥ " عن القضاى (ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م) أن قضاة مصر كانوا يخرجون لنظر الأهلة كل سنة من " دكة القضاة " المرتفعة عن المساجد بجبل المقطم . ولعل الرؤية - فى العصر المملوكى - كانت من هذا المكان أيضاً وإن لم ترد روايات تدلنا على ذلك .
- ٥٧ - راجع ابن حجر : إنباء الغمر ج٤ ، ص ٢٣٨ : السخاوى : التبر المسبوك ، طباعة الكليات الأزهرية ، ص ٢١٧ .
- ٥٨ - ابن حجر : إنباء الغمر ج٤ ، ص ٢٣٨ : السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٢٥٩ .
- ٥٩ - السخاوى : وجيز الكلام ج٣ ، ص ١٠١١ . وعن سرياقوس راجع المقرئى : الخطط ، ج٢ ، ص ٤٢١ .
- ٦٠ - ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٤ ، ص ١٠٨ : السخاوى : التبر المسبوك ، طباعة الكليات الأزهرية ، ص ٢١٧ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج١ ، ص ٣٨٩ : راجع المقرئى : السلوك ، ج٣ ، قسم ٢ ، ص ٨١٥ .
- ٦١ - ابن حجر : السابق والصفحة نفسها : السخاوى : وجيز الكلام ، ج٣ ، ص ١٠١١ .
- ٦٢ - ابن حجر : السابق ، ج٤ ، ص ١٨٤ : السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٦٠ .
- ٦٣ - السخاوى : وجيز الكلام ، ج٢ ، ص ٧٦٦ .
- ٦٤ - راجع النورى : نهاية الأرب ، ج٣٢ ، ص ٥٨ .
- ٦٥ - راجع ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٢ ، ص ١١٠ ، ج٣ ، ص ٢٣٧ .
- ٦٦ - راجع ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ، ج٣ ، ص ١٠٣٠ : ابن الحمصى : حوادث الزمان ، ج١ ، ص ٢١٩ .
- ٦٧ - راجع ابن الحمصى : السابق والصفحة نفسها .
- ٦٨ - راجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٦١ : الفاسى : العقد الثمين ، ج٦ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ : راجع جبال مكة لدى ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٤ ، ص ١٣٢ - ١٦٧ ، و ١٧٥ - ١٨٥ ، ١٩٠ - ٢٠٤ .
- ٦٩ - راجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٣ ، ص ١٠٩٥ .



٧- يبحث أرباب التقاويم فى حركات الكواكب والنجوم ، وتحديد طول السنة الشمسية ، واستخراج التقويم من الزيج وعمل الجداول الفلكية وغير ذلك . راجع الصفدى : الواقى بالوفيات ج٢ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ ؛ ابن شاطر الكتبى : عيون التواريخ ، ج١ ، ص ٢٨٢ ؛ المقرئى : السلوك ج٤ ، قسم ٢ ، ص ٩١٥ ؛ السخاوى : وجيز الكلام ، ج٢ ، ص ٧٣٠ . ويذكر هنا أن الملك الظاهر بيبرس كان مولعاً بالنجوم وما يقوله أرباب التقاويم . راجع الكتبى : عيون التواريخ ، ج١ ، ص ١٥٣ ؛ ابن الفرات ، ج٧ ، ص ٨٦ .

٧١- راجع ابن تغرى بردى : المنهل الصائى ، ج١٠ ، ص ٩٤ .

٧٢- ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ، ج٢ ، ص ٣٣٥ .

٧٣- ابن الصيرفى : إنباء الهصر ، ص ٣٩ - ٤٠ .

٧٤- راجع ابن الحمصى : حوادث الزمان ، ج٢ ، ص ١٦١ .

٧٥- راجع المقرئى : السلوك ج٤ ، قسم ٢ ، ص ٩١٦ ؛ وراجع ابن الصيرفى نزهة النفوس ، ج٣ ، ص ٢٨٦ .

٧٦- راجع ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ج١ ، ص ٣٨٩ ؛ وراجع المقرئى : السلوك ج٣ ، قسم ٢ ، ص ٨١٥ .

٧٧- راجع ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٤ ، ص ١٠٨ .

٧٨- راجع ابن الصيرفى : إنباء الغمر ، ص ٤٣٦ ؛ وراجع خير آخر ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ، ج٣ ، ص ٧٧٨ .

٧٩- راجع ابن الحمصى : حوادث الزمان ، ج١ ، ص ٢١٩ .

٨٠- راجع المقرئى : السلوك ج٤ ، قسم ٢ ، ص ٩١٦ ؛ وراجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٢ ، ص ٧٦٦ .

٨١- راجع ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٤ ، ص ٢٢٨ ؛ السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٢٢٤ .

٨٢- راجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٣ ، ص ٩٦٠ .

٨٣- راجع ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ، ج٣ ، ص ٦٦٢ و ٨٥٥ وقارن بينها وبين ص ٩٢٥ .

٨٤- راجع ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج٣ ، ص ٢٨٦ وإنباء الهصر ، ص ٤٠٦ .

٨٥- راجع النويرى : نهاية الأرب ، ج٣٣ ، ص ١٨٦ .

٨٦- راجع ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ١١٨ ؛ وراجع ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ، ج٢ ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

٨٧- راجع ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٤ ، ص ٤٧ . ويذكر هنا أن المآذن كانت تنار فى عدة مناسبات دينية فى مصر وبلاد الشام منها عند استقبال هلال رمضان ، وفى النصف من شعبان ، وعرف هذا المظهر فى بلاد الأندلس أيضاً . راجع النويرى : نهاية الأرب ج٣٢ ، ص ٥٨ . كما كانت مشاعل المقام

بالمسجد الحرام توقد أيضاً فى ليلة هلال شهر رجب وربيع الأول وفى العشر الأخير من رمضان وفى ليلة العيد ، وينشد المؤذنون المدائح النبوية وغيرها ليلاً فى المنائر بمكة المكرمة . راجع ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص ٥٢٧ .

٨٨ - راجع ابن الصيرفى : إنباء الهصر ، ص ٢٥٤ و ٤٠٦ .

٨٩ - راجع ابن الصيرفى : إنباء الهصر ، ص ١١٧ و ٢٨١ و ٢٩٠ و ٣١٦ و ص ٣٣٥ و ٣٤٣ و ٣٥٩ و ٣٧١ و ٣٩٥ و ٤٢٧ و ٤٣٦ و ٤٨٧ و ص ٥١٢ . وحضر المؤرخ ابن الصيرفى معظم هذه اللقاءات مع السلطان ، وذكر ذلك فى كتابه السابق .

٩٠ - راجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٢ ، ص ٧٦٦ .

٩١ - راجع ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ، ج٢ ، ص ٧٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ١١٨ .

٩٢ - ابن الجزرى : السابق ، ج٢ ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

٩٣ - ابن الجزرى : السابق ، ج٣ ، ص ٨٧٢ .

٩٤ - راجع ابن فهد : اتحاف الورى ، ج٣ ، ص ٥٢٧ - ٥٢٨ .

٩٥ - ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج٧ ، ص ١٥٤ .

٩٦ - راجع المقرئى : السلوك ج٤ ، قسم ٢ ، ص ٩١٥ - ٩١٦ ؛ ابن حجر : إنباء الفجر ، ج٣ ، ص ٥١٨ ؛ ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج٣ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

٩٧ - المقرئى : السابق ، ص ٩١٦ .

٩٨ - ليلة الاثنين أى يوم الأحد ليلاً وهو الثلاثون من رمضان بناءً على أن رمضان بدئ يوم السبت بشهادة الشاهد .

٩٩ - راجع هذه العبارة عند ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج٣ ، ص ٢٨٧ .

١٠٠ - ابن حجر : إنباء الفجر ، ج٣ ، ص ٥١٨ .

١٠١ - ليلة الأحد أى يوم السبت ليلاً وهو التاسع والعشرون من رمضان بناءً على أن رمضان بدئ يوم السبت بشهادة الشاهد .

١٠٢ - ابن حجر : السابق والصفحة نفسها .

١٠٣ - المقرئى : السابق والصفحة نفسها .

١٠٤ - ابن حجر : السابق والصفحة نفسها .

١٠٥ - راجع السخاوى : الضوء اللامع ، ج٥ ، ص ١٨٨ .

١٠٦ - راجع ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ج٣ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

١٠٧ - راجع المقرئى : السابق ، ص ٩١٦ ؛ ابن الصيرفى : السابق ، ص ٢٨٧ .

١٠٨ - ابن الصيرفى : إنباء الهصر ، ص ٢٦٥ .



- ١٠٩ - راجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٢٢٣ .
- ١١٠ - راجع السخاوى : التبر المسبوك طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ، ص ١٨٦ .
- ١١١ - راجع ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٤ ، ص ٥٢ ولكن ابن حجر يذكر أن أول عيد فطر جاء يوم جمعة أول سنة تقرر فيها الأشرف برسباى كانت سنة ٨٢٨ هـ ، والصحيح أنه توفى سنة ٨٢٥ هـ . وراجع السخاوى وجيز الكلام ج٢ ، ص ٥٤٨ .
- ١١٢ - كان القضاء يرفضون شهادة من لم يزكون أو من لم يأتوا بشهادة آخر . راجع ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٤ ، ص ٦٧ ؛ ابن الحمصى : حوادث الزمان ، ج١ ، ص ٢١٩ .
- ١١٣ - راجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٣ ، ص ١٠٩٨ .
- ١١٤ - راجع ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ، ج٢ ، ص ٧٧ ؛ وراجع النويرى : نهاية الأرب ، ج٣٣ ، ص ١٨٦ ؛ وابن الكثير : البداية والنهاية ، ج٤ ، ص ١١٨ .
- ١١٥ - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٤ ، ص ١١٨ .
- ١١٦ - راجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٣ ، ص ١٠١١ .
- ١١٧ - راجع ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٣ ، ص ٢٧٥ .
- ١١٨ - للوقوف على رؤية هلال رمضان وشوال فى مصر والشام والحجاز فترة البحث راجع النويرى : نهاية الأرب ، ج٣٣ ، ص ١٨٦ ؛ ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ، ج٢ ، ص ٧٧ و ٣٩٧ - ٣٩٨ ، ج٣ ، ص ٨٧٢ ؛ المقرئى : السلوك ج٣ ، قسم ٢ ، ص ٨١٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج٤ ، ص ١١٨ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٢ ، ص ١١٠ ، ج٣ ، ص ٢٧٥ و ٤٧٥ ، ج٤ ، ص ٤٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٦٢ ، ١٨٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ؛ ابن قاضى شهاب : تاريخ ابن قاضى شهاب ، ج٣ ، ص ٢٤٥ ؛ والسخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٦٠ - ٦٢ و ٢٥٩ ونسخة المكتبات الأزهرية ، ص ٢١٧ ؛ ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج١ ، ص ٣٨٩ .
- ١١٩ - يذكر هنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنظر فى رمضان فى يوم ذى غيم ، ورأى أنه قد أمسى وغابت الشمس ، فجاء رجل فقال : قد طلعت الشمس . فقال عمر : الخطيب يسير وقد اجتهدنا . وفى رواية أنه قال : ما نبالى ونقضى يوماً مكانه . وفى رواية أنه لم يقض . ورجع البيهقى رواية القضاء لورودها من جهات متعددة . راجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٣ ، ص ١٠٩٦ .
- ١٢٠ - راجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٦٠ .
- ١٢١ - راجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٣ ، ص ١٠٩٥ - ١٠٩٦ .
- ١٢٢ - راجع ابن الحمصى : حوادث الزمان ، ج٢ ، ص ٢٠٢ ، وراجع خبراً آخر خاص بالغيبوم التى استمرت ثلاثة أيام لدى السخاوى : التبر المسبوك طباعة مكتبة الكليات الأزهرية ص ١٨٦ ، ويذكر هنا أيضاً أن أهل مكة صاموا سنة ٨٩٣ هـ اعتماداً على العدد لعدم تحدث من يوثق برؤيته حول هلال رمضان . راجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٣ ، ص ١٠٣٧ .

١٢٣ - النويرى : نهاية الأرب ، ج٢ ، ص ٥٨ ، وذكر أنه نقل هذا الخبر عن يثق به ، ولكنه -النويرى- لم يعلم سنة حدوثه .

١٢٤ - راجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٣ ، ص ١٠٩٨ .

١٢٥ - راجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٦٦ .

١٢٦ - راجع على سبيل المثال ابن حجر : إنباء القمر ، ج٣ ، ص ٢٧٥ ، ج٤ ، ص ٤٧ ، ٢٣٨ ، ٨٤٢ ؛

السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٢٢٣ ؛ ابن الصيرفى : إنباء الهصر ، ص ٣٣٢ ، وقارن بين ما

سبق وبين ص ٤٠٦ و ٤١٥ حيث فى الصفحتين الأخيرتين رؤية الهلال قام بها القضاة ومن ثم لم تحدث

أية مشكلة . على العكس من الصفحات السابقة لدى ابن حجر وابن الصيرفى .

١٢٧ - راجع على سبيل المثال النويرى : نهاية الأرب ، ج٣ ، ص ١٨٦ ؛ السخاوى : وجيز الكلام ج٣ ،

ص ١٠٩٨ ؛ ابن الحمصى : حوادث الزمان ، ج١ ، ص ٢١٩ .

١٢٨ - الفاسى : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج٢ ، ص ٣٨٣ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص

١١٣ .

١٢٩ - ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج٧ ، ص ٢٦٠ .

١٣٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ١٢٤ .

١٣١ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ١٨١ .

١٣٢ - ابن الجزرى : تاريخ حوادث الزمان ، ج٢ ، ص ١٠٣ .

١٣٣ - ذكر المقرئى فى : السلوك ج٢ ، قسم ٣ ، ص ٧٢٥ حدوث ذلك الاختلاف سنة ٧٤٨ هـ ، فى حين

أن ابن فهد فى : إتحاف الورى ج٣ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ذكر حدوث الاختلاف السابق سنة ٧٤٧ هـ .

١٣٤ - ابن تيمية : فتاوى ابن تيمية ، ج٢٥ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، ٢٠٢ . وأشار الإمام ابن تيمية أيضاً

أنه إذا أخطأت طائفة من الناس - وليس كل الناس - فى يوم الوقوف بعرفة لم يجزأهم هذا الخطأ ،

كما أنه إذا انفرد برؤية ذى الحجة واحد من الناس لم يجزأ له ، أن يقف بعرفة قبل الناس لمخالفته

للجماعة . راجع ص ١٠٨ ، وص ٢٠٥ .

١٣٥ - راجع ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ٢٧٠ .

١٣٦ - راجع الفاسى : العقد الثمين ، ج١ ، ص ١٩٨ ؛ ابن فهد : السابق ، ج٣ ، ص ٤٧٢ .

١٣٧ - الفاسى : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٤٠٥ .

١٣٨ - راجع الفاسى : العقد الثمين ، ج١ ، ص ٢٠٠ ؛ شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٤٠٩ - ٤١٠ ؛ ابن

فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ٥١٩ .

١٣٩ - راجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٣٠٥ ؛ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٢٦١ .

١٤٠ - راجع ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .



- ١٤١ - راجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٣ ، ص ٩٦٠ وقد حدث هذا الأمر من قبل سنة ٨٤٣هـ : راجع ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٤ ، ص ١٣١ .
- ١٤٢ - راجع السخاوى : التبر المسبوك ، ج١ ، ص ٦٦ .
- ١٤٣ - النويرى : نهاية الأرب ، ج٣٢ ، ص ٣٣٣ .
- ١٤٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص ٥٦٢ .
- ١٤٥ - راجع ابن حجر : إنباء الغمر ، ج٤ ، ص ٥٢ - ٥٣ .
- ١٤٦ - راجع السخاوى : التبر المسبوك طباعة مكتبة الكليات الأزهرية ، ص ١٨٦ .
- ١٤٧ - لم تكن وقفة عيد الأضحى واحدة فى بعض المرات ، بل كانت فى يوم بمكة ، وفى يوم آخر بمصر والشام ، من ذلك مثلاً سنة ٨٢٣هـ ( راجع المقرئى : السلوك ج٤ ، قسم ١ ، ص ٥١٩ ) وسنة ٤٢٨هـ ( راجع المقرئى : السلوك ، ج٤ ، قسم ١ ، ص ٧٠٠ ) وسنة ٨٦٨هـ وفيها كان العيد يوم الاثنين بمصر والشام ، بينما وقف فيه الحجاج بعرفة ( راجع السخاوى : وجيز الكلام ، ج٢ ، ص ٧٦٦ ) وراجع فى ذلك أيضاً السخاوى : وجيز الكلام ، ج٣ ، ص ٩٠٨ : ابن الصيرفى : إنباء الهجر ، ص ١١٥ .
- ١٤٨ - ابن تيمية : فتاوى ابن تيمية ، ج٢٥ ، ص ١٠٠ .
- ١٤٩ - الفاسى : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٤١٢ .
- ١٥٠ - ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ، ج٢ ، ص ٥٤٨ .
- ١٥١ - الفاسى : العقد الثمين ، ج٤ ، ص ٣٦١ .
- ١٥٢ - ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ، ج٢ ، ص ٤٥٧ .
- ١٥٣ - اطلعت على مصادر كثيرة خاصة بتاريخ الأمويين والعباسيين والأيوبيين ، وبتاريخ المغرب والأندلس فلم أجد تناوياً لهذه الظاهرة إلا فى المصادر المملوكية الخاصة بتاريخ المماليك ، اللهم إلا خبراً واحداً متصلاً بالأندلس سنة ٧٠٢هـ خاصاً بحدوث مشكلة فى الصوم فى هذه السنة بسبب الغيوم الكثيفة التى تراكمت - كما جاء عدة شهور - فلم يتمكنوا من رؤية هلال رمضان إلا بعد بدايته بأربعة أيام . راجع النويرى : نهاية الأرب ، ج٣٢ ، ص ٥٨ .

## المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

ابن تفرى بردى ( جمال الدين يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م ) :

١ - حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ، تحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين ، عالم الكتاب .

٢ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ج ١٠ ، تحقيق د. محمد أمين ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٩ م .

ابن تيمية ( أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨ هـ / ١٢٢٧ م ) :

٣ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدى . ج ٢٥ مصور عن الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .

ابن الجزرى ( شمس الدين محمد بن إبراهيم ت ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م ) .

٤ - تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

ابن حجر ( شهاب الدين أحمد بن على ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م ) :

٥ - رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد المهدي أبو سنة .

٦ - إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

ابن الحمصى ( شهاب الدين أحمد بن محمد ت ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م ) :

٧ - حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ، تحقيق عبد السلام تدمرى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .

أبو داود ( سليمان بن الأشعث ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م ) :

٨ - سنن أبى داود ، دار الحديث ، حمص ، سورية .

السخاوى ( محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م ) :

٩ - التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، ج ١ - تحقيق نجوى مصطفى ولبية إبراهيم ، مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ونسخة أخرى طباعة مكتبة الكليات الأزهرية .



- ١٠ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان.
- ١١ - وجيز الكلام فى الذيل على دول الإسلام . تحقيق بشار عواد وعصام الحريستانى وأحمد الخطيمى . مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- الصفدى ( خليل بن أيك ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م ) :
- ١٢ - الوافى بالوفيات . دار صادر ، بيروت .
- ابن الصيرفى ( على بن داود ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م ) :
- ١٣ - إنباء الهصر بآنباء الهصر ، تحقيق حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م.
- ١٤ - نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان . تحقيق حسن حبشى . وزارة الثقافة ١٩٧٠م.
- الفاسى ( محمد بن أحمد ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م ) :
- ١٥ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . تحقيق عمر عبد السلام تدمرى . دار الكتاب العربى .
- ١٦ - العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.
- ابن الفرات ( محمد بن عبد الرحيم ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م ) :
- ١٧ - تاريخ ابن الفرات ج ٧ ، تحقيق قسطنطين زريق .
- ابن فهد ( النجم عمر بن فهد ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ) :
- ١٨ - إتحاف الورى بأخبار أم القرى . تحقيق فهيم محمد شلتوت وعبد الكريم باز ، مطبوعات جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- ابن قاضى شهبه ( تقى الدين أبوبكر بن أحمد ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م ) :
- ١٩ - تاريخ ابن قاضى شهبه . تحقيق عدنان درويش ، دمشق ١٩٧٧م .
- الكتبى ( محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م ) :
- ٢٠ - عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ، منشورات الجمهورية العراقية ١٩٨٤م.
- ابن كثير ( عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ) :
- ٢١ - البداية والنهاية ، مكتبة المعارف - بيروت - الطبعة الخامسة ١٩٨٣م.

الكندى ( محمد بن يوسف ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ) :

٢٢ - الولاة والقضاة : تهذيب رفن كست ، مؤسسة قرطبة ، الهرم .

ابن ماجة ( محمد بن يزيد ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م ) :

٢٣ - سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر - بيروت .

المقرئى ( أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م ) :

٢٤ - المقفى الكبير ، تحقيق محمد اليعلاوى ، دار الغرب الإسلامى ، لبنان .

٢٥ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد

الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب المصرية .

٢٦ - الخطط ، طبعة بولاق .

٢٧ - اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، تحقيق جمال الشيال ، القاهرة ١٣٨٧ هـ /

١٩٦٧ م .

القيروى ( أحمد بن عبد الوهاب ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م ) :

٢٨ - نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ج ٢٢ ، تحقيق فهم شلتوت ، مطبعة

دار الكتب والوثائق بالقاهرة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .

ابن واصل ( محمد بن سالم ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م ) :

٢٩ - مفرج الكروب فى أخبار بن أيوب ، ج ٤ ، تحقيق حسانين محمد ربيع ،

دار الكتب المصرية .

ثانياً المراجع :

عبد الرحمن الحريرى : ٣٠ - كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

هيل : ٣١ - العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية ، ترجمة أحمد فؤاد باشا ، عالم

المعرفة ، العدد ٣٠٥ يوليو ٢٠٠٤ م .



د. عبد اللطيف بن محمد الحميد (\*)

## تاريخ الوقف في المملكة العربية السعودية ق ٨ هـ - ١٤ هـ

مدخل :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ؛ وبعد :

فقد امتن الله عز وجل على الأمة الإسلامية بخصائص انفردت بها عن سائر الأمم توثق الروابط وتحقق التكافل بين الأغنياء والفقراء والموسرين والمعوزين ، وتجزل المشوية للفريقين مع الاحتساب والنية الصالحة . ومن جملة هذه الخصائص الزكاة والصدقة والوقف والوصية وغيرها .

والوقف سنة نبوية ، وهدى راشدى ، سار على منواله الصحابة والتابعون والسلف الصالح ، ومن اقتدى بهم وسلك منهجهم على مر العصور والأزمان .

والوقف والتحبيس والتسبيل بمعنى واحد ، وهو لغة : الحبس عن التصرف .. وشرعاً له فى المذاهب الفقهية تعاريف متعددة : فالوقف عند أبى حنيفة : هو حبس العين على حكم ملك الواقف ، والتصدق بالمنفعة على جهة الخير ؛ وعند الجمهور والشافعية والحنابلة :

\* - أستاذ. مشارك - قسم التاريخ - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .

هو حبس مال يمكن الانتفاع به ، مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته من الواقف وغيره ، على مصرف مباح موجود أو بصرف ريعه على جهة بر وخير تقرّباً إلى الله تعالى ؛ وعند المالكية : هو جعل المالك منفعة مملوكة ولو كان مملوكاً بأجرة ، أو جعل غلته كدراهم لمستحق بصيغة مدة ما يراه المحبس (١) .

ويتنوع الوقف إلى خيرى وأهلى . فالخيرى : هو ما يصرف فيه الربيع ابتداءً على جهة من جهات البر ... والأهلى : هو ما يكون الاستحقاق فيه أول الأمر على معين واحد أو أكثر ثم بعده على جهة بر (٢) .

وقد أوضح الشيخ مصطفى الزرقا - رحمه الله - أن هناك شبهة قوية في الموضوع بين الوقف والوصية ، وأن أحكام الوقف تستقي من الوصايا إلا ما افترق من بعض الوجوه في الموضوعين ، ككون الوقف من الشخص في صحته نافذاً فوراً من كل المال ، أما وصيته فمضافة إلى ما بعد الممات ، ومقيدة بثالث المال ، وأن لا تكون لأحد الورثة إلا بإجازة البقية ، ونحو ذلك (٣) .

ويقرر الدكتور محمد الكبيسي أن نظام الوقف في الشريعة الإسلامية قد لاقى خلافاً بين الفقهاء في أكثر مسائله .. فكان البحث فيه مجالاً فسيحاً للرياضة الفكرية ، وميداناً رحباً للوقوف على مسلك الفقهاء وطرق معالجتهم للقضايا (٤) .

كما يشير من جهة أخرى إلى المخالفات التي وقع فيها بعض المسلمين في الميراث .. وليس في ذلك عيب على الوقف ونظامه ، وإنما جاء التطبيق العملي لهذه الأحكام خارجاً أحياناً عن الأهداف التي شرعت لأجلها (٥) .

والوقف من التبرعات المندوبة لقوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ (٧) ؛ ولقوله ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال " أصاب عمر بخبير أرضاً ، فأتى النبي ﷺ فقال : أصبت أرضاً لم أصب مالا قط أنفس منه ، فكيف تأمرني به ؟ قال : إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها ، فتصدق عمر ، أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء والقريبى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول فيه " (٨) .



وأول وقف فى الإسلام هو مسجد قباء الذى أسسه النبى ﷺ حين قدم مهاجراً إلى المدينة؛ ثم المسجد النبوى بناه الرسول ﷺ بعد أن اشترى أرض المسجد من غلامين يتيمن أنصارين ، وجعله وقفاً للمسلمين إلى قيام الساعة ... وكذا وقف النبى ﷺ سبعة حوائط بالمدينة . وتتابع أواقف الصحابة رضوان الله عليهم ، فأوقف أبو بكر وعمر وعثمان وعلى أوقافاً وأحباساً للفقراء والمساكين وفى سبيل الله وابن السبيل . ودون الرواة أوقافاً أخرى للزير ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وعائشة ، وأسما ، وأم سلمة ، وأم حبيبة ، وصفية بنت حبي ، وسعد بن أبى وقاص ، وخالد بن الوليد ، وسعد بن عباد رضوان الله عليهم أجمعين (٩) .

وفى العهدين الأموى والعباسى ازدهرت الوقوف فشملت تأسيس دور العلم والإنفاق على طلابه والقائمين عليه ، وإنشاء دور العبادة والملاجئ والمكتبات . وصار للأحباس دواوين مستقلة ترعاها الدولة الإسلامية ويديرها القضاة والمفتون (١٠) .

وفى العهدين المملوكى والعثمانى تضاعفت الأوقاف واهتم السلاطين والأمراء والوجهاء اهتماماً ملحوظاً بالأوقاف على الحرمين الشريفين وطرق الحج والخدمات العامة الدائمة (١١) .

ويشير المؤرخ التركى المعاصر يلماز أوزتونا إلى أن جميع منجزات المؤسسات الاجتماعية قد شيدت بفضل مؤسسة الأوقاف بمشاركة السلاطين والولاة وبقية المواطنين .. وتنوعت الأوقاف فى مجالات تفوق التصور ومنها : تجهيز الفتيات الفقيرات ، ورصف الأزقة ، وتأمين حاجة البارود لإحدى القلاع ، وسداد ديون السجناء المعسرين ، وعلى رأس المؤسسات الوقفية الخيرية : الجوامع ، والمساجد ، وسبيل الماء ، والمدارس ، ومؤسسات إطعام الفقراء ، والمستشفيات ، والخانات ، والحمامات ، ودور العجزة ، والمصانع وغيرها (١٢) .

ومع إطلالة القرن الرابع عشر الهجرى بدأ أفول الكثير من الأوقاف الإسلامية ، ويعزو شكيب أرسلان - رحمه الله - ذلك إلى انحطاط القوة السياسية الإسلامية ، وتلاعب النظار بالأوقاف ، واستبداد بعض الحكومات بأوقاف المسلمين ، وغلبة الدول المستعمرة على القسم الأكبر من العالم الإسلامى (١٣) .

وقد شهدت العقود الأخيرة بحمد الله وعياً دينياً وصحوة إسلامية صاحبها انتعاش للأوقاف وإحياء لنشاطها من خلال المؤسسات الوقفية الرسمية فى البلاد الإسلامية ، وعقد المؤتمرات والندوات المتخصصة ، ونشر المؤلفات والأدبيات المتعلقة بنظام الوقف .

## أنماط الوقف فى التاريخ المحلى السعودى :

من المعلوم سلفاً أن المجتمعات الإسلامية تتباين فى بيئاتها وظروفها التاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية .. فىأتى التباين فى طبيعة الأوقاف وفق الظروف المحلية والمعطيات الذاتية ، مع الاتفاق فى المبادئ والأسس والضوابط الشرعية .

والمجتمع السعودى - وبخاصة فى وسط الجزيرة العربية - كان يعيش فى بيئة معزولة نسبياً ، نائباً عن الحواضر الإسلامية الكبرى التى كانت تنعم بالمبرات الخيرية الوقفية ؛ تحيطه ظروف قاسية مناخياً واقتصادياً . ومع كل هذا فإن مبدأ العمل الخيرى والوقف لم يغيب عن أذهان القادرين والموسرين ، وفق الإمكانيات المتاحة التى يغلب عليها وقتئذ جانب البساطة .

وسيتطرق الحديث هنا عن الأوقاف فى المجتمع السعودى فى مرحلتين : المرحلة الأولى قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ، والمرحلة الثانية : ما بعد الدعوة ، وما صاحب ذلك من وعى وتصحيح لبعض الأمور المتعلقة بالأوقاف من وجهة نظر شرعية .

### المرحلة الأولى :

يمكن القول أن بلدة أشيقر<sup>(١٤)</sup> تعد نموذجاً مثالياً لازدهار الوقف فى التاريخ المحلى السعودى فى المرحلة الأولى قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وقد أمدتنا الوثائق والصكوك الوقفية التى حفظتها الأجيال ، وأعاد نسخها النساخ ، أن أقدم وثيقة وقفية تعود إلى أوائل القرن الثامن الهجرى فى هذه البلدة ، وهى وقفية صبيح<sup>(١٥)</sup> المشهورة ، ونصها<sup>(١٦)</sup> :

" بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .. هذا ما وقف وحبس وأبد العبد الفقير إلى الله سبحانه الحاج صبيح عتيق عقبة حيطانه فى عكل على بير الغطفى ولهن من الماء ثلاث وقعات ونصف على بير الغطفى بحدودهن وحقوقهن أرضهن ونخلهن ومائهن ومائهن وكل حق هو لهن داخل فيهن أو خارج عنهن . يحدهن من الغرب سور القرية ، ومن الشمال البير وطريق المسلمين ، ومن الشرق حويط أبا شقير .. ومن الجنوب الجفرة والقطيعة والأحيمرى وقفاً حبساً مؤبداً محرماً بجميع محارم الله تعالى التى حرم الله بها الزنا والربا وشرب الخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق وقفاً قائماً على أصوله جارياً على رسومه قائماً على سبله ماض لأهله جائزاً لهم ، لايزده مرور الأيام والأزمنة إلا



تأكيداً ولا يكسبه تقلب الأوقات إلا تمهيداً وتأييداً ، ولا يحله تطاول أمد ولا تقادم عهد ، وكلما تطاول عليه زمان أبده ، وكلما أتى عليه عصر جدد وأكده . لا يزال ذلك كذلك مادامت الدنيا وأهلها حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وليجدد في كل عصر ذكره وتسمع الأسماع ما ذكر فيه من تجديد حكمه لينقله الخلف من السلف ، ولا يتعرض لإبطاله التلف وتنقبض عنه الأطماع الكاذبة وتقصر عن تناوله الأيدي الظالمة ، لا يزال هذا الأمر جارياً في هذا الوقف المذكور علي شرائطه المذكورة والأحكام الموصوفة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وهو خير الوارثين . وولى الوقف المذكور إمام الجامع وله سدس حايط ونصف سدس حايط ، فإن كان الإمام فيه ضعف فيساعده المصلح من آل عقبه ، وإن ترك الإمام الولاية وكان الولي غيره فليس له شيء ويبدأ الولي بعمارة الوقف وكلما يزيد في نمائه ، ثم ما حصل منه فيخرج منه دلو وجبلها على بير العصامية ، فإن تعطلت بير العصامية جعلت على بير غيرها مما ينتفع به المسلمون ، وفيه أيضاً ستون صاعاً تكون لمن يموت أكفاناً ولم يخلف ما يكفنه من أهل عكل وأهل الفرعة وأهل شقرا ، وما فضل بعد ذلك أطعمه الولي في شهر رمضان المعظم ويكون سماًطاً في ليالي الجمعة وليالي الخميس وليالي الاثنين ، ويفرق منه ثلاثون صاعاً على الأراامل اللاتي يستحين ويشتهين ، ولا حرج على من حضره في الأكل منه سواء كان غنياً أو فقيراً أو بدوياً أو حضرياً ، وإن أصاب الناس مجاعة في غير شهر رمضان أطعمه الولي في ذلك الوقت إذا رأى الصلاح في ذلك ، ولا حرج على الولي ومن حضره فيما يأكلون عند الجذاذ . ولا يحل لأحد من خلق الله تعالى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعترض هذا الوقف بظلم أو نقصان ولا تغيير ولا تحريف ، فمن فعل ذلك أو أعان عليه بقول أو عمل أو مشورة فالله حسيبه وطلبيه ومجازيه ومعاقبه ومسايله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، يوم الطامة يوم الحسرة يوم الندامة يوم بعض الظالم على يديه يوم الواقعة يوم الآزفة يوم الراجفة يوم الحاقة ، يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون يوم العرض يوم النشور يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، يوم يقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً ، يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ، يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ، يوم نقول لجهنم هل امتلأت

وتقول هل من مزيد ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وعلى المتعرض لهذا الوقف لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا صلاة ولا نفلاً ، وعجل الله فضيحته فى الدنيا وضاعف له العذاب فى الآخرة ، وجعله من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعةً ، فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ... "

وقد أصبحت وقفية صبيح تلك مصدر إلهام لأهالى بلدة أشيقر ، نسج على منوالها الواقفون على مرّ الأجيال .. ومن ذلك الأمثلة الآتية :

- وقف صقر بن قطامى بن صقر عام ٩٤٠ هـ . وقد نص الواقف على أن وقفه " وقفاً مؤبداً منجزاً شرعياً ثابتاً لازماً على مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل .. " (١٧).

- وقف رميثة بن قضيبي عام ٩٨٦ هـ " ... أرضه ونخله وأثله بحدوده وحقوقه ومائه ونمائه وكافة منافعه الداخلة فيه والخارجة منه ... حكمه فى الأكل من غلته حكم وقف صبيح .. " (١٨).

- وقف صالح بن إبراهيم بن عيسى عام ١٣٠١ هـ " ... وقف ما فى ملكه وتحت تصرفه وهى أرضه المسماة بالنميلات خارج عنه سدسها وقف الأرض المذكورة على صوام أشيقر على صفه وقف صبيح .. " (١٩).

وفى الجملة فإن أوقاف أهالى أشيقر عديدة ومتنوعة وموثقة من لدن علماء البلدة ونسّاخها .. فمنها ما كان لصوام رمضان ولعمارة المساجد ولأئمتها ولمسارجها ولمدرسة البلدة ولدلاء السقيا (٢٠) .. ولطلبة العلم مما يحتاجون إليه من مصاحف وكتب ؛ إلى جانب عشرات الأوقاف المخصصة للضيوف القادمين إلى البلدة (٢١).

وعلى مرّ الأجيال حرص وكلاء الأوقاف والقائمين عليه على استثمار الوقف وضمان إحياءه عن طريق عقود المغارسة الزراعية .. ويوضح ذلك نص الوثيقة الآتية :

" ... أن عبد الله بن سليمان بن عياف حال كونه وكيلاً على أوقاف الصوام التى فى أشيقر غارس على بن عبد الرحمن الرزىزا على العقار الموقوف على الصوام فى أشيقر وقف رميثة بن قضيبي .. غارسة على عرف البلد الجارى بالنصف للعامل ونصف لأهل الأرض وهم الصوام ... " (٢٢).



ومن النماذج الوقفية القديمة في المملكة في بلدة مقرن (٢٣) في الرياض وقف جلييلة بنت عبد المحسن بن سعيد سنة ٩٦٩ هـ ونصها : " أن جلييلة بنت عبد المحسن بن سعيد وقفت خمس حديقته المسماة بالكبيشية الكائنة في مقرن مشاعاً ، وشهرتها تغنى عن حدها ، وهي يومئذ في ملكها على أختها مريم ، وعلى نسلها وما تناسلوا .. " (٢٤).

### المرحلة الثانية :

بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في منتصف القرن الثاني عشر الهجري بدأت ملامح نهضة دعوية كان لها أثرها الكبير في تصحيح العقيدة والأوضاع المخالفة للشرعية ، وتصحيح بعض المسائل الفقهية في أوضاع الأوقاف في نجد (٢٥) .. كمنع نسل البنات من الاستفادة من الوقف ، وحصر الوقف على الورثة ، واستثناء غلة الوقف مدة الحياة (٢٦).

ويمكن أن نشير هنا إلى نماذج وقفية من مدن وقرى متعددة في مرحلة ما بعد ظهور الدعوة الإصلاحية .. ففي شقراء (٢٧) ، أوقف الشيخ محمد بن عبد الله الأمير المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ كتبه (٢٨) . وأوقف الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين المتوفى سنة ١٢٣٧ هـ سلاحه في سبيل الله وكتبه ومنها : مسند الإمام أحمد وصحيح البخاري ومفتاح دار السعادة وإعلام الموقعين ومختصر الشرح الكبير والموطأ (٢٩) . وكذا أوقف محمد بن عبد الله بن ناصر كتبه في ١٣٣٨ هـ (٣٠) . وأوصى عبد العزيز بن إبراهيم الجميع بثلاث تركته وقفًا يجعل في أرض ونخل قادم في غلته عشرون وزنه قمر للصوام في رمضان في المسجد الجامع بشقراء ، وعشر وزان للقراء والمساكين ، وخمسة عشر وزنه لسراج المسجد الجامع ، وخمس وزان لسراج مسجد الحسيني ، وعشر وزان للإمام في المسجد الجامع ، وسبع وزان للمؤذن ، وعشر وزان لمعلم القرآن في المدرسة إلخ (٣١).

وقد تجاوزت سبل الوقف في هذه البلدة إلى وقف الآلات المتداولة في المجتمع مثل وقف حمد بن يحيى (٣٢) الذي أوصى بوقف " المنحاز " و " المقرصة " و " القفان " و " الكلاب مقلع الضروس " .

وفي الجمعة (٣٣) . أوقف عبد الرحمن بن إبراهيم بن جمار أرضاً ونخلًا على مسجد الحزم تصرف غلته أثلثًا لإمام المسجد وصوام رمضان ولسراج ودلو المسجد (٣٤).

وفى عنيزة (٣٥) أوقف محمد العبد الله الحشاش داره على ابنته ثم ذريتها ما تعاقبوا وتناسلوا (٣٦). وهناك وصايا أخرى لبعض آل بسام جمعت فى نصوصها بين الوقف والوصية (٣٧).

وفى مدينة الرس (٣٨) جملة من الأوقاف محصورة فى وثيقة واحدة ، مما يعنى حرص الأهالى وعلماء البلدة على تدوين وجمع الأوقاف القديمة والتالية فى سجل موحد (٣٩). وقد سارت على هذا النهج العديد من البلدان مثلما ذكرنا فى أوقاف بلدة أشيقر .

وقد يكون من المستحيل حصر الأوقاف وتعدادها فى المدن والقرى فى المملكة العربية السعودية نظراً لقدم بعضها ، واتساع رقعتها .. ولكن يمكن إعطاء نماذج وقفية من خلال الجداول الآتية :

### جدول رقم (١)

نماذج وقفية من بعض مدن وقرى المملكة العربية السعودية (رجال)

م	اسم المدينة	صاحب الوقف	نوع الوقف	تاريخ الوقف
١	مكة المكرمة	عاشور موده	سكنى	
٢	المدينة المنورة	البوصة والنشير	سكنى تجارى	
٣	صبيخ (الرياض)	غانم بن أبى نهيد	زراعى	ق ١٠ هـ
٤	الرياض	الإمام فيصل بن تركى	دار الأيتام	١٢٥٩ هـ
٥	الرياض	الأمير محمد بن فيصل بن تركى	كتب	١٢٨٧ هـ
٦	أشيقر	الحاج صبيح	أرض ونخيل وماء وإطعام	أوائل ق ٨ هـ
٧	أشيقر	صقر بن قطامى بن صقر	أرض ونخيل وماء وإطعام	٩٤٠ هـ
٨	أشيقر	رميشة بن قضيبي	أرض ونخيل وماء وإطعام	٩٨٦ هـ
٩	أشيقر	صالح بن إبراهيم بن عيسى	أرض ونخيل وماء وإطعام	١٣٠١ هـ
١٠	شقراء	محمد بن عبدالله الأمير	كتب	١٢٣٢ هـ
١١	شقراء	عبد العزيز بن عبدالله الحصين	سلاح وكتب	١٢٣٣ هـ
١٢	شقراء	عبد العزيز بن إبراهيم الجصيح	أرض ونخل	١٢٨٨ هـ
١٣	عنيزة	محمد العبدالله الحشاش	دار	١٣٣٦ هـ



م	اسم المدينة	صاحب الوقف	نوع الوقف	تاريخ الوقف
١٤	الرس	جملة أوقاف أهالي البلدة	زراعية	ق ١٢-١٤ هـ
١٥	المجمعة	عبدالرحمن بن إبراهيم بن جمار	أرض ونخل	١٣٠٧ هـ
١٦	جلاجل	آل مجحد	أرض ونخل	قبل ١٢٦٣ هـ
١٧	ثرمدا	عبدالله بن سليمان الدريبي	نخل	قبل ١٣١٢ هـ
١٨	مرات	جملة أوقاف أهل البلدة	أسبال صوام مسجد البلدة	ق ١٢-١٤ هـ
١٩	الأحساء	رشيد الحجاحقة	أوقاف على مسجد	ق ١٢ هـ
٢٠	الطائف	مبارك بن حمود بن علي	وقف على مسجد ابن عباس	-
٢١	عسير	محمد طاهر عبدالحالق الحفظي	كتب	-
٢٢	حائل	حمود بن حسين الشفدلي	كتب	١٣٩٠ هـ

المصدر: وثائق أوقاف الصوام بأشيقر: وثائق الدارة، كتاب الفواكه العديدة لابن منقور: كتاب تاريخ المساجد والأوقاف في الرياض لابن عساكر.

### جدول رقم (٢)

نماذج وقفية من بعض مدن وقرى المملكة العربية السعودية (أوقاف المرأة في نجد)

م	اسم المدينة	صاحب الوقف	نوع الوقف	تاريخ الوقف
١	مقرن (الرياض)	جلیلة بنت عبدالمحسن بن سعيد	أرض ونخل	٩٦٩ هـ
٢	الرياض	نورة بنت الإمام فيصل بن تركي	كتب	١٢٧٦ هـ
٣	الرياض	الجوهرية بنت مساعد بن جلوي	كتب	١٣٣٧ هـ
٤	الرياض	حصّة بنت أحمد السديري	كتب	ق ١٤ هـ
٥	أشيقر	عائشة بنت محمد بن حسن	أثاث منزلي	ق ١١ هـ
٦	أشيقر	مريم بنت محمد بن قاسم	أرض ونخل وأثاث	ق ١٢ هـ
٧	شقراء	نورة بنت إبراهيم الجميع	أرض ونخل	١٢٨٧ هـ
٨	البيير	نصرة بنت إبراهيم	دار ونخل	١٢٢٨ هـ
٩	الدرعية	سارة بنت علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب	كتب	ق ١٣ هـ
١٠	الفاط	لطيفة بنت مقحم عبد الوهاب المقحم	مصحف شريف ونخل	—
١١	المجمعة	شايعة بنت عبد الجبار	نخل	ق ١٤ هـ
١٢	حائل	طريقة بنت عبيد بن علي بن رشيد	كتب	١٣١٤ هـ

المصدر: الفواكه العديدة لابن منقور: بحث إسهام المرأة في وقف الكتب للدكتورة دلال الحري: وثائق الدكتور أحمد البسام في عتيقة.

## واقع الوقف ومجالاته منذ عهد الملك عبد العزيز :

بعد دخول الحجاز فى عهد عبد العزيز ، واكتمال توحيد المملكة العربية السعودية ، وانبلاج عهد جديد من الاستقرار والنماء .. ازدادت العناية بالأوقاف تنظيمًا وإدارة وتطويرًا .

وكانت للحرمين الشريفين أوقاف كثيرة فى بلاد العالم الإسلامى يرسل ريعها مع الحجيج كل عام ، فأنشأ الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٤هـ إدارات للأوقاف فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة ، وصدر مرسوم ملكى فى سنة ١٣٥٤هـ بربط إدارات الأوقاف بمدير عام مقره مكة ، ثم تحولت إدارة الأوقاف العامة بعد الملك عبد العزيز إلى وزارة للحج والأوقاف (٤٠) .

وقد زودتنا جريدة أم القرى فى أعدادها الصادرة منذ عام ١٣٤٤هـ بمعلومات تاريخية عن شؤون الأوقاف آنذاك ، وفى ذلك العام استلم مندوب أغوات الحرم الشريف غلة الأوقاف المخصصة لهم فى الأحساء وفى البصرة (٤١) . وفى عام ١٣٤٥هـ بلغت إيرادات أوقاف الحرمين الشريفين فى مصر مبلغًا يزيد على سبعة وأربعين ألف جنيه مصرى (٤٢) . كما وردت الإشارة إلى استلام ريع أوقاف الحرمين الشريفين من فلسطين (٤٣) وتونس (٤٤) .

وصدر فى عام ١٣٥٠هـ نظام يعنى بالمطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين بالطرق الممكنة المشروعة فى أي جهة كانت ، عن طريق إنشاء جمعية مختصة بهذا الأمر مقرها مكة المكرمة (٤٥) .

وقد تكفلت الحكومة السعودية فيما بعد بالصرف على شؤون الحرمين من تعمیر وفرش ورواتب للعاملين بهما ، ورصدت موارد أوقاف الحرمين لإقامة مشاريع إنمائية لتنمية أوقاف الحرمين (٤٦) .. فقامت وزارة الحج والأوقاف بإنشاء الفنادق والعمارات السكنية الإنمائية على بعض الأراضى الموقوفة على الحرمين (٤٧) .

وقد بلغ عدد الأوقاف فى المدينة المنورة فى بحث منشور عام ١٤٠٥هـ ثمانية وستين وقفًا ، تختلف فى عدد المواقع التابعة لها ، فمثلا أوقاف الحرم يتبعها ٤٣٤ موقعًا ، يليها الأوقاف الخيرية التى تشرف عليها إدارة الأوقاف وتضم ٣٧٨ موقعًا . وتشغل مواقع الأوقاف عامة من الأبنية والمزارع نحو ٣٤٪ من مساحة المدينة المنورة (٤٨) . وهى نسبة عالية تدل على المكانة التى أولاها المسلمون للأوقاف فى تاريخنا الماضى والحاضر .

وقد حاز الطريق الذى يسلكه الحجاج والمعتمرين بين مكة وجدة على عناية الملك عبد العزيز - رحمه الله - بإنشاء أسبلة عرفت بأسبلة الملك عبد العزيز لتوفير مياه الشرب والسقيا ومنها



سبيل بشر أم القرون وسبيل حذاء وسبيل بشر المقتلة وقد تم تشييد هذه الأسبلة فى عام ١٣٦١هـ (٤٩).

وبتتبع القرارات والضوابط المنظمة لشؤون الأوقاف منذ عهد الملك عبد العزيز نجد تطوراً ملحوظاً فى العناية بالأوقاف . فقد صدر فى عام ١٣٤٩هـ قرار مجلس الشورى المصدق بالمرسوم الملكى بالموافقة على القاعدة المتبعة فى عمل استحكامات الدور والمباني بالاستفسار من مديرية الأوقاف وغيرها من الجهات المختصة عما إذا كان لها علاقة تمنع من إجراء الاستحكام . وصدر قرار آخر لمجلس الشورى فى عام ١٣٥٠ هـ يتضمن إشراف مديرية الأوقاف على الأوقاف المسجلة بالمحكمة (٥٠).

وصدر فى عام ١٣٨٦ هـ نظام مجلس الأوقاف الأعلى والمجالس الفرعية (٥١) .. ونظراً لأهمية مضامين هذا النظام ودلالاته نشير إلى نصه هنا مع ملاحظة أن ما أنيط بوزير الحج والأوقاف قد انتقل إلى وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد منذ عام ١٤١٤هـ:

**نظام مجلس الأوقاف الأعلى والمجالس الفرعية الصادر عام ١٣٨٦ هـ :**

**القسم الأول : مجلس الأوقاف الأعلى**

**المادة الأولى :**

يقصد بالأوقاف الخيرية حيثما وردت فى هذا النظام تلك التى تتولى شؤونها وزارة الحج والأوقاف فى الحال والاستقبال .

وتتولى وزير الحج والأوقاف نظارة الأوقاف المذكورة مع مراعاة الأحكام الواردة فى هذا النظام .

**المادة الثانية :**

ينشأ مجلس أعلى للأوقاف يشكل على النحو التالى :

- ١ - وزير الحج والأوقاف - رئيساً .
- ٢ - وكيل الوزارة لشؤون الأوقاف - عضواً ونائباً للرئيس .
- ٣ - عضو شرعى يعينه سماحة رئيس القضاء عضواً .
- ٤ - وكيل وزارة المالية والاقتصاد الوطنى أو من ينيبه عضواً .

٥ - ثلاثة من أهل الرأي والخبرة يرشحهم وزير الحج والأوقاف - أعضاء ويصدر بتعيينهم أمر ملكي .

### المادة الثالثة :

يختص مجلس الأوقاف الأعلى بالإشراف على جميع الأوقاف الخيرية بالملكة وبوضع القواعد المتعلقة بإدارتها واستغلالها وتحصيل غلاتها وصرفها وذلك كله مع عدم الإخلال بشروط الواقفين وأحكام الشرع الحنيف وله في سبيل ذلك :

١ - وضع خطة لتمحيص وحصر وتسجيل الأوقاف الخيرية داخل المملكة وإثباتها بالطرق الشرعية ورفع أيدي واضعي اليد عليها بوجه غير شرعي وتنظيم إدارتها .

٢ - وضع خطة عامة لاستثمار وتنمية الأوقاف وغلاتها بعد دراسة وضعيتها في كل جهة وتكوين فكرة وافية عنها بالتفصيل .

٣ - وضع خطة عامة للتعرف على جميع الأوقاف الخيرية الموجودة خارج المملكة باسم الحرمين الشريفين أو أية جهة وحصرها في سجلات نهائية والحصول على الوثائق المثبتة لها وتلى أمورها والمطالبة بغلاتها طبقاً لشروط الواقفين .

٤ - وضع القواعد العامة لتحصيل واردات الأوقاف الخيرية والصرف منها في قيد عمليات التوريد والصرف في السجلات اللازمة .

٥ - وضع قواعد ثابتة للإنفاق بموجبها على أوجه البر والإحسان سواء من الواردات المذكورة أو مما هو معتمد في الميزانية لهذا الغرض وأحكام الشرع .

٦ - إعادة النظر في جميع المخصصات الحالية باسم البر والإحسان على ضوء القواعد المذكورة آنفاً لإجازة ما يتفق معها وإلغاء ما عداه .

٧ - النظر في طلبات استبدال الأوقاف الخيرية وفق مقتضيات المصلحة قبل إجازتها من الجهة الشرعية المختصة .

٨ - وضع نماذج موحدة للعقود على اختلافها .

٩ - وضع التقديرات المالية السنوية لواردات ومصروفات غلال الأوقاف الخيرية والتصديق على حساباتها الختامية على أن تتمشى في ذلك مع السنة المالية للدولة في خصوص أجور العقار .



١٠ - وضع القواعد الواجبة لتأجير أعيان الأوقاف بما فى ذلك الحكومات على أن تراعى أحكام الشرع الحنيف ومقتضيات المصلحة العامة وأية تعليمات تصدرها الدولة فى خصوص أجور العقار .

١١ - اعتماد المشروعات المقترحة تنفيذها من أموال الأوقاف الخيرية واعتماد تكاليفها إذا زادت القيمة على مائة ألف ريال بعد التأكد من سلامة المشروع وتكامله وفائدته ومن إمكانية الإنفاق عليه .

١٢ - رفع تقرير سنوى عن وضعية الأوقاف الخيرية ومنجزاتها إلى رئيس مجلس الوزراء .

#### المادة الرابعة :

١ - يجتمع مجلس الأوقاف الأعلى مرة على الأقل كل شهر وذلك بناء على دعوة من وزير الحج والأوقاف مصحوبة بجدول الأعمال ولا يصح الاجتماع إلا بحضور خمسة على الأقل من أعضائه بما فيهم الرئيس أو نائبه .

٢ - يعقد المجلس اجتماعاته فى مقر وزارة الحج والأوقاف بالرياض وله أن يعقدها خارج الرياض عند الاقتضاء .

٣ - يصدر المجلس قراراته بالأغلبية المطلقة لعدد الأعضاء الحاضرين وعند التساوى يرجح رأى الذى يؤيده الرئيس .

٤ - يعين موظفو السكرتارية اللازمون لأعمال المجلس وسجلاته بصفة دائمة ضمن موازنة وزارة الحج والأوقاف .

٥ - للمجلس الاستعانة بمن يرى لزوم الاستعانة بهم من الخبراء والمستشارين عند نظر أية مسألة من المسائل المعروضة عليه كما أن له التعاقد مع من تدعو الحاجة إلى التعاقد معهم وفق القواعد التى يضعها .

تصرف لكل عضو من أعضاء مجلس الأوقاف الأعلى بما فيهم الرئيس مكافأة مقطوعة مقدارها ٣٥٠ ريال ثلاثمائة وخمسون ريالاً عن كل اجتماع يحضره على أن لا يتجاوز مجموع المكافأة السنوية خمسة آلاف ريال لكل عضو كما يصرف لكل عضو من الأعضاء أجور وبدالات السفر المقررة فى نظام موظفى الدولة فى حالة عقد اجتماعات المجلس المذكورة خارج المقر الرسمى لوظيفته الأصلية على أن لا يجمع بين الحصول على الأجور أو البدلات المذكورة والحصول عليها من جهة أخرى .

## القسم الثانى : الأوقاف الفرعية :

### المادة الخامسة :

١ - تنشأ بقرار من مجلس الأوقاف الأعلى مجالس أوقاف فرعية فى المناطق على أساس متطلبات واقع الأوقاف وتجمعها والإجراءات اللازمة لتحقيقها واستغلالها ومصلحتها من جميع الوجوه .

٢ - يشكل مجلس أوقاف فرعى على الوجه الآتى :

١ - مندوب عن وزير الحج والأوقاف - رئيساً .

٢ - مدير الأوقاف عضواً ونائباً للرئيس .

٣ - عضو شرعى يعينه سماحة رئيس القضاء عضواً .

٤ - رئيس البلدية عضواً .

٥ - مدير المالية عضواً .

٦ - ٧ - اثنان من أهل رأى يرشحهما وكيل الوزارة لشؤون الأوقاف عضوين .

ويصدر قرار بتعيينهما من وزير الحج والأوقاف .

### المادة السادسة :

يختص مجلس الأوقاف الفرعى بالصلاحيات التى يحددها مجلس الأوقاف الأعلى بما فى ذلك :

١ - دراسة طلبات الاستبدال المتعلقة بعقارات الأوقاف الخيرية الواقعة فى منطقته ثم رفعها مشفوعة بالرأى لمجلس الأوقاف الأعلى .

٢ - اعتماد المشروعات المقترحة تنفيذها من أموال الأوقاف الخيرية على ألا تتجاوز قيمتها مائة ألف ريال .

٣ - دراسة المعاملات التى يرجع البت فيها إلى صلاحية مجلس الأوقاف الأعلى قبل عرضها عليه على أن يرفعها مشفوعة بنتيجة دراسته لها ورأيه فيها .

٤ - وضع التقديرات المالية السنوية لواردات ومصروفات غلال الأوقاف الخيرية الواقعة فى المنطقة على أن يرسلها إلى مجلس الأوقاف الأعلى قبل بداية السنة المالية بثلاثة أشهر على الأقل .



٥ - مراجعة الحسابات الختامية السنوية لواردات ومصروفات خلال الأوقاف المذكورة .  
وتدقيقها ثم إرسالها مشفوعة بنتيجة المراجعة والتدقيق للمجلس الأعلى .

٦ - أية دراسات وإجراءات أخرى يعهد إليه بها مجلس الأوقاف الأعلى وفق التعليمات التي يضعها لذلك .

٧ - إعداد تقرير سنوي عن وضعية الأوقاف الخيرية في منطقته ورفعده لمجلس الأوقاف الأعلى في موعد غايته ثلاثة أشهر قبل انتهاء السنة المالية .

#### المادة السابعة :

١ - يجتمع مجلس الأوقاف الفرعي بدعوة من رئيسه مرة على الأقل كل شهر ولا يصح الاجتماع إلا بحضور ستة على الأقل من الأعضاء بما فيهم الرئيس أو نائبه .

٢ - يعقد المجلس الفرعي اجتماعاته في مقر إدارة الأوقاف بالمنطقة .

٣ - يصدر المجلس الفرعي قراراته بالأغلبية المطلقة لعدد الأعضاء الحاضرين عند التساوي يرجح الرأي الذي يؤيده الرئيس .

٤ - يتولى سكرتيرية المجلس مدير إدارة الغلال في المنطقة ويعاونه في ذلك أحد موظفي إدارة أعمال المجلس ومسك السجلات اللازمة لها نظير مكافأة يحددها مجلس الأوقاف الأعلى على أن لا يتجاوز راتب شهرين لكل منهما عن كل سنة .

٥ - وللمجلس الفرعي بعد حصول على موافقة مسبقة من المجلس الأعلى وفق القواعد التي يضعها الاستعانة بمن يرى لزوم الاستعانة بهم من الغير والمستشارين عند نظر أية مسألة من المسائل المعروضة عليه والتعاقد مع من تدعو الحاجة إلى التعاقد معهم .

٦ - تصرف لكل عضو من أعضاء مجالس الأوقاف الفرعية بما فيهم الرئيس مكافأة مقطوعة مقدارها ١٥٠ ريالاً عن كل اجتماع يحضره على أن لا يتجاوز مجموع المكافأة السنوية ٢٢٥٠ ريالاً في السنة لكل عضو .

### القسم الثالث : أحكام عامة

#### المادة الثامنة :

لا يجوز لأعضاء مجالس الأوقاف ومن له صلة بالإشراف على استثمارات الأوقاف استئجار أعيان الأوقاف الخيرية إطلاقاً .

### المادة التاسعة :

لمجالس الأوقاف الاطلاع على ما ترى لزوم الاطلاع عليه من وثائق وسجلات الوقفية وإيراداتها ومتصرفاتها بحسب الاقتضاء .

### المادة العاشرة :

لا يخل أحكام هذا النظام بصلاحيات ديوان المراقبة العامة المقررة نظاماً في مراقبة حسابات الأوقاف على أن يقدم أية ملاحظات له على مجلس الأوقاف الأعلى .

### المادة الحادية عشرة :

لا يخل شيء من أحكام هذا النظام بالأحكام الشرعية الواجبة الاتباع في كل ما يتعلق بالأوقاف الخيرية الواردة في صكوكها .

### المادة الثانية عشرة :

تؤدي المكافأة المقررة في هذا النظام من البند المختص في موازنة وزارة الحج والأوقاف.

### المادة الثالثة عشرة :

تكون اللوائح التنظيمية التي يعلها مجلس الأوقاف الأعلى بمقتضى هذا النظام نافذة المفعول بعد إقرارها من مجلس الوزراء .

### المادة الرابعة عشرة :

يلغى هذا النظام جميع الأوامر والمقرارات والأنظمة والأحكام التي تتعارض معه ويعمل به من تاريخ التصديق عليه ونشره .

وفى عام ١٣٩٣هـ صدر قرار مجلس الوزراء بالموافقة على مشروع لائحة تنظيم الأوقاف الخيرية المتعلقة بالحصر والتمحيص والتسجيل (٥٢).

وعلى هذا النحو فإن الأوقاف الخيرية العامة يقوم بالتصرف فيها وفق المقتضى الشرعى بيعاً وشراءً وتأجيراً ثلاث جهات إدارية على مستويات تدرجية ، وهى إدارة الأوقاف فى منطقة الوقف ، والمجلس الفرعى للأوقاف فى المنطقة ، والمجلس الأعلى للأوقاف (٥٣).

وقد قامت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلة فى وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف بتحديد مسميات شرط الواقف فى جميع مناطق المملكة (٥٤) على النحو التالى:



**جدول رقم (٣)**  
**مسميات شرط الأوقاف في جميع مناطق المملكة**

م	أ	ب	ج	د
١	على المسجد الحرام	المسجد النبوي	ترميمها	المقابر
٢	على مسجد	تعمير مساجد	سراج مسجد	
٣	على إمام ومؤذن مسجد		حجاج معينين	فقراء معينين
٤	على الفقراء والمساكين	فقراء الحجاج	مدرسة لتحفيظ القرآن	للفقراء والعوائل التي لا
٥	على أضحبة	الجهاد	الأيتام	تجد سكتاً
٦	على صوام مسجـد	لطلبة العلم	على تسوية لبن للقبور	على مدرسة
٧	على تفتير الصوم	للحج عنه	سكنى العازيات من	
٨	على بشر	على وظيفة تدريس	النساء	
٩	أعمال خير وبر	على ذريته	على مكتبة	
١٠	رباط	بدون تحديد	لمن يرغب من المسلمين	
١١	سكنى النساء الفقيرات والأرامل	سقاية المواشى		
١٢	وقف على وقف معين			
١٣	موقوفة على نفس الأوقاف			
١٤	بعضها تكون مناصفة على ذريته ووجوه الخير			

المصدر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف، الرياض.

ويبدو أن تنظيم شؤون الأوقاف في عهد الملك عبد العزيز بشكل رسمي بدأ في الحجاز قبل بقية مناطق المملكة، بسبب وفرة أوقاف الحرمين الشريفين وأهميتها وقدمها منذ فجر الإسلام. وعلى هذا النحو لم توجد جهة رسمية قبل عام ١٣٨٢هـ مسؤولة عن الأوقاف داخل مدينة الرياض بل كانت الأوقاف بيد أصحابها (٥٥).

وبالاطلاع على متن فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - مفتى المملكة ورئيس القضاة فيها ، وبخاصة ما يتعلق بالأوقاف (٥٦) نجد أن الشيخ قد أفتى في أكثر من خمسين وثلاثمائة مسألة وقفية من أنحاء المملكة خلال المدة من ١٣٧٥هـ إلى ١٣٨٩هـ . وفي ذلك دلالة على وفرة الأوقاف وشيوعها إلى وقتنا الحاضر .

### سبل تطوير الوقف وتفعيله دعويًا وتتمريًا :

من خلال عرض تاريخ الوقف في المملكة منذ القرن الثامن الهجري إلى وقتنا الحاضر تتضح جملة من الحقائق وأبرزها :

- ازدهار الأوقاف ماضيًا وحاضرًا في مدن وقرى المملكة وبخاصة في الحجاز ثم بقية المناطق .

- تنوع الأوقاف وتعددتها ، وفي مقدمتها الوقوف الزراعية ثم وقوف الكتب والأسلحة والأدوات والدور ومأوى الأيتام وغيرها .

- توجيه معظم مصارف الأوقاف وغلالها إلى ذرية الواقفين ، وإلى صوام شهر رمضان وأئمة ومؤذني مساجد بلدان الواقفين .

- أن الوعي بأهمية الوقف وثوابه لم يكن قاصرًا على الرجال وإنما كان منتشرًا بين النساء اللاتي أوقفن أوقافًا كثيرة ومتنوعة ( انظر الجدول الخاص بأوقاف النساء ) .

- حرص المجتمع وأفراده على توثيق الصكوك الوقفية وحفظها ، وتكرار نسخها خشية التلف . وبذلك حفظت لنا الأجيال وثائق مضى عليها قرون عديدة .. وفي ذلك دلالة على أن الأمية السائدة آنذاك لا تنافي وجود نسبة من المتعلمين في المجتمع السعودي .

- أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية كان لها أثر بارز في تصحيح مسار الوقف وتنويعه ، ونشر العلم بوقف الكتب التي كانت عزيزة المنال وبخاصة في وسط الجزيرة العربية .

- أن عهد الملك عبد العزيز شهد تطورًا ملحوظًا في تنظيم الأوقاف وتفعيلها .

والآن وقد نعمت معظم بلاد العالم الإسلامي ولله الحمد ومنها بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية بنعمة الاستقرار والرخاء الاقتصادي والوعي الديني ، فإن الباحث



يوصى بجملة من الاقتراحات لتطوير الوقف وتفعيله دعويًا وتنمويًا مستوحاة من التطبيقات العملية لمسيرة الوقف في تاريخنا الإسلامى والمحلى على النحو الآتى :

- إحياء الدراسات والبحوث المتعلقة بالأوقاف ، وإقامة الندوات العلمية على غرار ما تقوم به وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف وفقها الله ، من أجل ترسيخ مفهوم الوقف لدى أفراد الأمة .

- توضيح صور الوقف ونماذجه لراغبي الوقف ، وبخاصة بين الموسرين من أبناء المسلمين .. إذ يحصل الخلط بين الوصية والوقف ، بل إن البعض يعتقد أن تطبيق الوقف مرتبط بالفاة .

- أن تطوير الظاهرة الوقفية وتفعيلها دعويًا وتنمويًا وفق أسس شرعية مرهون بالالتزام بالجوهر والثوابت ، ثم السعى لمواكبة العصر وحاجاته فيما يحقق المصلحة العامة للمجتمع والأمة .. فعلى سبيل المثال كان المسجد الموقوف يبنى بالمواد الشائع استعمالها قديمًا ، فأصبح من الضروري الالتزام بطرق البناء الحديثة ؛ وتأسيس الكتاتيب تغير في شكل المدارس العصرية ؛ ووقف الكتب المخطوطة تحول إلى وقف الكتب المطبوعة وهكذا .

- ضرورة فتح آفاق جديدة للوقف تستفيد من معطيات المدنية الحديثة في مجال التقنية من أجل تسهيل وصول خدمات الوقف في مجالات الدعوة والإعلام والاقتصاد وخدمة المجتمع والأمة .

## الهوامش

- ١- وهبة الزحيلي ، الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٩ هـ ، ص ١٣٣ - ١٣٥ .
- ٢ - حمد فراج حسين ، أحكام الوصايا والأوقاف في الشريعة الإسلامية ، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ م ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .
- ٣ - مصطفى أحمد الزرقا ، أحكام الأوقاف ، دار البيارق ، عمان ، ١٤١٨ هـ ، ص ٢١ .
- ٤ - محمد عبيد عبد الله الكبيسي ، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٣٩٧ هـ ، ج ١ ، ص ٣ .
- ٥ - المرجع السابق ، ص ٣٥ .
- ٦ - آل عمران : ٩٢/٣ .
- ٧ - البقرة : ٢٦٧/٢ .
- ٨ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، رقم الحديث (٢٧٧٢) ٤٦٨/٥ .
- ٩ - الخصاص ، أحكام الأوقاف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ ، ص ٥ - ١٥ ؛ مصطفى أحمد الزرقا ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١ - ١٢ ؛ عبد الله بن محمد الحجيلي ، الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام ، بحث في ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية ، مكتبة الملك عبد العزيز في المدينة المنورة ، محرم ١٤٢٠ هـ ، ص ٢١ - ٣٤ .
- ١٠ - محمد عبيد عبد الله الكبيسي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٧ - ٣٩ .
- ١١ - راشد بن سعد القحطاني ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٤ هـ ، ص ٣١ - ٣٢ .
- ١٢ - يلماز أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، مؤسسة فيصل للتمويل ، استانبول ، ١٩٩٠ م ، ج ٢ ، ص ٤٩١ - ٤٩٣ .
- ١٣ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، تأليف لوثرروب ستودارد ، تعريب عجاج نويهض ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ ، ج ٣ ، ص ٧ ؛ وكتاب : الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف ، مكتبة المعارف ، الطائف ، ١٣٩٧ هـ ، ص ١٣١ - ١٣٥ .
- ١٤ - أشيقر : بلدة عامرة شمالي قرى الوشم ذات نخيل ومزارع ، أنجبت طائفة من العلماء الأعلام ، وتعد مركزاً من مراكز العلم في الماضي . انظر : عبد الله بن محمد بن خميس ، معجم اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٨ هـ ، ج ١ ، ص ٨٠ - ٨٣ .



- ١٥ - الحاج الشيخ صبيح مولى وعتيق عقبة بن راجح ، كان يقيم مع سيده فى بلدة أشيقر فانصرف للعلم والعبادة والزهد ، فأعتقه عقبة بعد أن اطلع على أحواله وكراماته . انظر : عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، علماء نجد خلال ثمانية قرون ، دار العاصمة ، ١٤١٩ هـ ، ج٢ ، ص ٥٥٨ - ٥٦٠ .
- ١٦ - ديوان أوقاف الصوام بأشيقر ، صورة من الأصول الموجودة لدى عبد الله بن عبد العزيز العياف بأشيقر . وثيقة وصية صبيح .
- ١٧ - ديوان أوقاف الصوام بأشيقر ، وثيقة وقبة صقر بن قطامى بن صقر .
- ١٨ - المصدر السابق ، وثيقة وقبة رمية بن قضيب .
- ١٩ - المصدر السابق ، وثيقة وقبة صالح بن إبراهيم بن عيسى .
- ٢٠ - المصدر السابق ، إثبات جملة ما فى أشيقر من الأوقاف ، كتبها محمد بن عبد اللطيف الباهلى ثم نسخها عبد العزيز بن عبد الله بن عامر فى ١٣١٠ هـ .
- ٢١ - المصدر السابق ، إثبات وقف أهل أشيقر للضيف كتبها محمد بن عبد اللطيف الباهلى ثم نسخها عبد العزيز بن عبد الله بن عامر . وانظر وثيقة وقف حسن بن على .. تم نسخها للمرة الرابعة سنة ١٢٤٨ وفيها إشارة إلى وقفه مصاحف وكتب على طلبة العلم من ذريته .
- ٢٢ - المصدر السابق ، وثيقة مؤرخة فى محرم ١٣٠٨ هـ .
- ٢٣ - مقرر : أحد حبين كبيرين كانا يحكمان منطقة حجر اليمامة قبل أن يبرز اسم الرياض ، ويقع جنوب غرب الرياض . عبد الله بن خميس ، معجم اليمامة ، ص ٣٨٤ .
- ٢٤ - أحمد بن محمد المنقور ، الفواكه العديدة فى المسائل المفيدة ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ ، ج١ ، ص ٤٧٨ .
- ٢٥ - أحمد بن عبد العزيز البسام ، أوضاع الأوقاف فى نجد قبل الدعوة الإصلاحية وموقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب منها ، مجلة الدارة ، العدد ١ ، السنة ٢٤ ، ١٤١٩ هـ ، ص ٢٠ .
- ٢٦ - انظر آراء وفتاوى الشيخ محمد وعلماء الدعوة فى الأوقاف فى كتاب : الدرر السنية فى الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن محمد القاسم ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٦ هـ ، ج٧ ، ص ٥ - ٧٨ ؛ وانظر : كتاب الوقوف من مسائل الإمام أحمد بن حنبل ، تأليف الإمام أحمد بن محمد بن هارون الخلال ، دراسة وتحقيق : عبد الله بن أحمد الزيد ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤١٠ هـ .
- ٢٧ - شقراء : قاعدة إقليم الوشم ، مدينة عامرة متقدمة ، اشتهرت بتجاريتها وارتياح الناس لها ، ولها ماض عريق فى الحفاظ على العقيدة والغيرة على المبدأ . عبد الله بن خميس ، معجم اليمامة ، ج٢ ، ص ٥٦ - ٥٧ .
- ٢٨ - وثائق يوسف المهنا بشقراء ، وثيقة وصية محمد بن عبد الله بن حمد الأمير .
- ٢٩ - المصدر السابق ، وثيقة وصية عبد العزيز بن عبد الله الحصين ، مؤرخة فى ١٢٣٣ هـ .
- ٣٠ - المصدر السابق ، وثيقة وقف محمد بن عبد الله بن ناصر ، محروقة فى ١٢٣٨ هـ .

- ٣١ - المصدر السابق ، وثيقة عبد العزيز بن إبراهيم الجميح ، محررة في ٧ رجب ١٢٨٨ هـ .
- ٣٢ - المصدر السابق ، وثيقة وقف حمد بن يحيى . (ب.ت) .
- ٣٣ - المجوعة : بلدة عامرة قاعدة إقليم سدير سميت بذلك لأنها ملتقى أودية ؛ وقد أنجبت هذه البلدة العديد من العلماء والرجال المشهورين . عبد الله بن خميس ، معجم البسام ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ - ٣٣٥ .
- ٣٤ - وثائق دار الملك عبد العزيز ، وثيقة وقف عبد الرحمن بن إبراهيم بن جمار ، مؤرخة في ذي الحجة ١٣٠٧ هـ .
- ٣٥ - عنيزة : ثاني أهم مدينة في منطقة القصيم بعد قاعدته بريدة ، كان لها شهرة في مجال التجارة مع الكويت والعراق . انظر : د. محمد بن عبد الله السلطان عنيزة ، سلسلة هذه بلادنا ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ١٤١٠ هـ ، ص ١٣ - ١٧ .
- ٣٦ - وثائق الدكتور أحمد البسام ، وثيقة وقف محمد العبد الله الحشاش ، مؤرخة في ٢٤ شوال ١٣٣٦ هـ .
- ٣٧ - المصدر السابق . وثيقة وصية على السليمان المحمد البسام مؤرخة في غرة جمادى الأولى ١٢٧٩ هـ .
- ٣٨ - الرس : مدينة رئيسة من مدن القصيم ، وتقع جنوب غربي المنطقة في منتصف المسافة بين المدينة المنورة والرياض . انظر : عبد الله حمد الرشيد ، الرس ، سلسلة هذه بلادنا ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٣ .
- ٣٩ - وثائق دار الملك عبد العزيز ، بيان أوقاف الرس وأطرافه ، منطقة القصيم .
- ٤٠ - خير الدين الزركلى ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ج ٣ ، ص ١٠٥٧ .
- ٤١ - جريدة أم القرى ، العدد ٤٠ ، في ١٤/٣/١٣٤٤ هـ .
- ٤٢ - جريدة أم القرى ، العدد ٩٥ ، في ١/٤/١٣٤٥ هـ .
- ٤٣ - جريدة أم القرى ، العدد ٤٨٨ ، في ٦/١/١٣٥٣ هـ .
- ٤٤ - جريدة أم القرى ، العدد ٤٩٣ ، في ١١/٢/١٣٥٣ هـ .
- ٤٥ - جريدة أم القرى ، العدد ٣٨٥ ، في ٢٣/١٢/١٣٥٠ هـ .
- ٤٦ - محمد شوقي إبراهيم ، الأراضى الوقف في المدينة المنورة ، مجلة الدارة ، العدد ٢ ، السنة ١٠ ، محرم ١٤٠٥ هـ ، ص ٤١ .
- ٤٧ - أسعد حمزة شيره ، ورقة ميدانية مقدمة للحلقة الدراسية لتثمين ممتلكات الأوقاف في البنك الإسلامى للتنمية بجلدة ١٤٠٤ هـ ، جلة ١٤١٥ هـ ، ص ٣٢٦ .
- ٤٨ - محمد شوقي إبراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢ .



- ٤٩ - عادل محمد نور غباشي ، أسبلة الملك عبد العزيز على الطريق بين مكة وجدة ، مجلة الدارة ، العدد ٣ ، السنة ١٩ ، ١٤١٤ هـ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
- ٥٠ - الأوقاف في المملكة العربية السعودية ، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤١٩ هـ ، ص ١١٤ .
- ٥١ - جريدة أم القرى ، العدد رقم ٢١٤٨ ، في ٢٨/٧/١٣٨٦ هـ .
- ٥٢ - انظر نص القرار في ملاحق البحث .
- ٥٣ - الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع ، الوقف من منظور فقهي ، بحث مقدم في ندوة المكتبات الرقمية في المملكة العربية السعودية ، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، المدينة المنورة ، محرم ١٤٢٠ هـ ، ص ١٠ - ١١ .
- ٥٤ - وكالة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف لشؤون الأوقاف ، مسميات شرط الواقف في جميع مناطق المملكة .
- ٥٥ - مراسلة متبادلة بين الأوقاف وأمانة مدينة الرياض ، ١٣٨٧ هـ ، نقلًا عن كتاب : راشد بن محمد بن عساكر ، تاريخ المساجد والأوقاف القديمة في بلد الرياض ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ ، ص ٣٣٤ .
- ٥٦ - محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ، ١٣٩٩ هـ ، ج ٩ ، ص ٣٥ - ٢٠٨ .

## الملاحق

### أ. - مراسيم تنظيمية

قرار مجلس الوزراء الموقر ذو الرقم (٨٠)

المؤرخ في ٢٩/١/١٣٩٣ هـ

بالموافقة على مشروع لائحة تنظيم الأوقاف الخيرية

الجزء الأول "الحصر والتمحيص والتسجيل"

وزارة المالية والاقتصاد الوطني

لائحة لتنظيم الأوقاف الخيرية

الجزء الأول

الحصر والتمحيص والتسجيل

### التعريف

١ - يقصد بالأوقاف الخيرية في تطبيق هذه اللائحة كل من الأوقاف العامة ، كأوقاف الحرمين الشريفين ، وأوقاف المساجد ، وأوقاف الأربطة ، والمدارس وغيرها من الأوقاف الموقوفة على جهات خيرية عامة ، والأوقاف الخاصة التي تؤول إلى جهات انتفاع عامة بعد انقراض الموقوف عليهم من الذرية والأشخاص المحددين بذاتهم ، كأقارب الواقف ، أو من لهم صلة به ، أو من رغب الواقف أن يقف عليهم بذاتهم .

٢ - يتولى مدير الأوقاف في كل بلدة الإشراف المباشر على الأوقاف الخيرية في تلك البلدة ، ورعايتها ، والدخول في الدعاوى المتعلقة بها ، وتأجيرها ، وصيانتها ، واستلام غلالها ، والإنفاق منها ، أو صرفها في أوجه الخير حسبما نص عليه شرط الواقف ، وذلك في حدود الصلاحيات والقواعد التي يحددها مجلس الأوقاف الأعلى .

٣ - تبقى الأوقاف الخيرية الخاصة تحت أيدي نظارها الشرعيين المحددين في شرط الواقف ، أو الذين صدر الأمر من المحاكم الشرعية بتعيينهم .

٤ - يكون لدوائر الأوقاف الحق في الإشراف والمراقبة العامة على الأوقاف الخيرية الخاصة المراقبة التي من شأنها حفظ الوقف ، والمساعدة في تنفيذ شرط الواقف ، ووضع اليد



على الوقف بعد موافقة الحاكم الشرعى ، وذلك حين انقراض المستحقين فيه ، ومآله الشرعى إلى جهات خيرية عامة ، وعليها أن تضع فى سجلاتها المعلومات اللازمة لضمان تحقيق ذلك .

٥ - يراعى أن يتم وفق القواعد المقررة بيع واستبدال أعيان الأوقاف ضعيفة الغلة ، أو التى لا غلة لها ، أو التى يخشى عليها بسبب وضعها تعرضها للضياع ، كالأشقاص الصغيرة ، ولهذا الغرض يتم حصر هذه الأعيان من قبل دوائر الأوقاف المختصة ، وترفع بنتيجة الحصر تقريراً لمجالس الأوقاف المختصة وفقاً للنموذج ذى الرقم (١) المرفق ، وذلك خلال الشهر الأول من السنة المالية ) .

٦ - تحصر جميع مسميات أعيان الأوقاف ، لغرض تنظيم تسجيلها تحت المسميات المبينة أدناه ، ويرمز لكل مسمى بالرمز الموضح أمامه .

أ - عمارة (ع) ويقصد بالعمارة كل مبنى بنى على نظام الشقق ، ويؤجر على هذا النظام، أو يؤجر جميعه لأى غرض آخر ، ويفهم من ذلك أنه يشتمل على أكثر من وحدة سكنية واحدة ، ويدخل تحت هذا المسمى الفنادق ، والمدارس ، والمستشفيات ... إلخ .

ب - دار (ر) ويقصد بالدار كل بيت ، أو مبنى يشتمل على وحدة سكنية واحدة ، ويدخل فى هذا المسمى ( الفلل ) و (العزل) ... إلخ .

ج - دكان (ك) ويقصد بالدكان كل مبنى خصص للتأجير لغرض التجارة بالبيع ، أو الشراء عموماً ، ويشمل ذلك بيع الخدمات ، ويدخل فى المسمى ( المخزن ) و (المفازة ) و (المعرض) ... إلخ .

د - أرض زراعية (ز) ويقصد بها كل أرض بها زرع ، أو غرس يكون له غلة ، أو تكون معدة لذلك ، ويدخل فى المسمى ( البستان ) أو ( الأراضى الزراعية أو (البلاد الزراعية ) و ( الركيب ) و ( المزرعة ) .

هـ - أرض (ج) ويقصد بها كل أرض جرداء ليس لها غلة من غرس ، أو كل أرض عليها دار خربة متساقطة ، لا تغل الأرض منها ، ويدخل فى ذلك ( الأرض الفضاء ) و (الحوش ) و ( الخرابة ) .

أما ما لا يدخل من الأعيان الموقوفة تحت أى رمز من الرموز أعلاه فيثبت بالاسم الكافى لتعيينه كقهوة وحمام .

## التسجيل :

٧ - تستعمل إدارات أوقاف الفروع السجلين التاليين :

أ - دفتر حصر وتسجيل صكوك أعيان الأوقاف الخيرية العامة ( نموذج رقم ٢ ) .

ب - دفتر حصر أعيان الأوقاف الخيرية الخاصة ( نموذج رقم ٣ ) .

وتستعمل إدارة الحصر والتسجيل بوزارة الحج والأوقاف السجل التالي :

بطاقة حصر عموم أعيان الأوقاف ( نموذج رقم ٤ ) .

٨ - لغرض استعمال السجلات الموضحة في (٧) أعلاه تتخذ الإجراءات التالية :

أ - تقسم المملكة إلى خمس مناطق وقفية كالاتى :

١ - المنطقة الغربية .

٢ - المنطقة الوسطى .

٣ - المنطقة الشرقية .

٤ - المنطقة الجنوبية .

٥ - المنطقة الشمالية .

وتوضح حدود كل منطقة بقرار من وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد .

ب - يكون بمناطق الأوقاف مراكز رئيسة حسب تجمعات الأوقاف ترتبط بكل منها فروع المدن الصغيرة والقرى المجاورة .

ج - تخصص مجموعة من الأرقام المتسلسلة لكل منطقة من المناطق المشروحة في (أ) على النحو التالي ، على أن تكون أرقام كل منطقة خاصة بها لا يشاركها فيها أية منطقة أخرى .

اسم المنطقة المجال الرقمى المتسلسل لها :

الغربية . ١ . ١٩,٩٩٩

الوسطى ٢٠,٠٠٠ ... ٢٩,٩٩٩

الشرقية ٣٠,٠٠٠ . ٣٠,٩٩٩



الجنوبية ٤٠,٠٠٠ ٤٩,٩٩٩

الشمالية ٥٠,٠٠٠ ٥٩,٩٩٩

د - تخصص لكل مدينة فى المنطقة مجموعة أرقام مسلسلة من مجموعة أرقام المنطقة المشروحة أعلاه .

هـ - يعطى كل واقف فى المدينة رقماً من المجموعات المتسلسلة المخصصة لكل مدينة والمشروحة فى (د). بحيث يكون الرقم خاصاً بذلك الواقف .

٩ - يفتح فى الإدارات والفروع فى الوزارات ملف خاص لكل عين موقوفة تحفظ فيه صورة من الصك ، أو الوثيقة المتعلقة بالوقف وأساس أو صورة جميع المكاتبات والمعاملات التى أدت إلى وصول الوقف إلى يد دوائر الأوقاف والمعاملات التى تحدد الوقف وتوضح معالمة ، وتتعلق بوضع اليد عليه من قبل المعتدين ، أى أن هذا الملف فقط لحفظ المعاملات التى تدل على الوقف ، وتحفظ كيانه ، فلا تدخل فيه المعاملات الخاصة بتأجير أو استثمار غلاله ، ويعمل الملف رقم الحصر الموضوع فى البطاقة أو السجل .

كما تأخذ الملفات - على قدر الإمكان - ألواناً مختلفة لغرض تمييز نوع العين .

١٠ - يجب أن لا تخلط ملفات الأوقاف الخيرية العامة بملفات الأوقاف الخيرية الخاصة، فهذه تحفظ بخزائن خاصة بها بعيدة عن الاستعمال إلا إذا اقتضى الأمر الرجوع إليها فى تحقيق أمر له علاقة بالوقف ، ويكون ذلك بإذن من مدير إدارة الأوقاف .

١١ - تعتبر جميع ملفات الوقف غير قابلة للتداول والاطلاع من أية جهة خارج نطاق القائمين على حفظها والمسؤولين فى دوائر الأوقاف إلا بإذن خاص من وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد .

١٢ - يتكون رقم الحصر الذى تشتمل عليه السجلات الموضحة فى المادة السابعة أعلاه من رقم الواقف المذكور فى الفقرة (د) المادة (٨) أعلاه ، ومن الرمز الدال على نوع العين المذكور فى المادة (٦) أعلاه يليه رقم تسلسل العين الموقوفة فى سجل حصر أعيان الأوقاف .

- ١٣ - يراعى فى تسجيل أوقاف شخص معين ، وفى استعمال رقم الحصر اتباع ما يلى:
- أ - أن يلزم رقم الحصر العين الموقوفة فى جميع المخابرات التى لها علاقة بتلك العين.
- ب - أن تأتى خلف بعضها فى التسجيل ، ثم يلى ذلك تسجيل أوقاف شخص آخر ، وهكذا .
- ج - أن يوضح الرقم على باب العين الموقوفة فى قطعة من المعدن ، أو الألمنيوم .
- د - أن لا يتغير رقم الحصر مهما كانت الظروف وحتى لو انقرضت عين الوقف ، أو أزيلت ، واستبدلت بعين أخرى يجب نقل هذا الرقم إلى العين الجديدة ، ليلازمها ، مع ملاحظة تسجيل المعلومات الجديدة عن العين الجديدة .
- هـ - أن يوضع الرقم على الملف الخاص بالوقف .
- و - أن يوضع الرقم فى عقد تأجير العين ، وعقد صيانتها ... إلخ .
- الحصر:**

١٤ - تقوم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بحصر الأوقاف الخيرية على النحو التالى :

**أولاً:**

- أ - تكون لجان فى كل منطقة من مناطق المملكة ويفضل أن تكون أكثر من لجنة فى بعض هذه المناطق كالمنطقة الغربية التى تكثر الأوقاف بمدنها الكبيرة .
- ب - تكون بقرار من وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لجان التسجيل على النحو التالى :

١ - مندوب عن الأوقاف .

٢ - مندوب عن المحكمة الشرعية .

٣ - واحد من أرباب الخبرة .

وللجان أن تستعين بمهندس ، أو مساح من البلدية ، أو من مصلحة الأشغال العامة ، كما لها أن تستعين بكاتب كفى من موظفى المنطقة ، وبمصور فوتوغرافى ، أو فوتوستاتى ، أو مايكروفيلىمى ، متى دعت الحاجة .



ح - تتولى اللجان - كل لجنة فى منطقتهما - الاتصال بالمحاكم على سجلاتها للوصول إلى صكوك الأعيان الموقوفة ، وأخذ صورة كل صك ، وصورة لكل صيغة وقف ، إن وجدت على شكل وثيقة أو صك ، وتتولى كذلك ملاحظة أخذ أية معلومات إضافية تجدها عن هذا الوقف خصوصاً فيما يتعلق بالمعلومات الأساسية المشروحة فى دفاتر الحصر والتسجيل المقترحة آنفاً .

د - تستعمل فى التصوير - متى ما كان ذلك ممكناً - آلة التصوير المايكروفلمى .

هـ - يتم تصديق صور صكوك الأوقاف الخيرية ووثائقها من قبل الحاكم الشرعى .

و - تسلم هذه الصور بعد تصديقها إلى إدارة الأوقاف ؛ لتتولى عملية فرزها ، وتطبيقها على المعلومات المسجلة عنها فى الأوقاف .

ثانياً :

أ - تقوم إدارة الأوقاف بالتأكد من وجود الأعيان فى سجلاتها ، وتستعمل لذلك جدول الحصر ، نموذج ( ٥ ) بالنسبة لأعيان الأوقاف الخيرية العامة .

ب - تقوم الجهة المختصة قسم الحصر والتسجيل فى الأوقاف - بملء حقول جدول الحصر بالمعلومات التى يمكن الحصول عليها من سجلاتها ، ومن سجلات المحاكم بالحبر الأزرق ، وترك فراغات تحت الحقول التى لا يوجد لها معلومات .

ج - تعطى صورة من جدول الحصر المشار إليه فى ( أ ، ب ) أعلاه بعد ملء الفراغات الممكن ملؤها فيه من واقع السجلات إلى لجنة الوقوف المذكورة فى ثالثاً - أدناه - لتتولى ملء الفراغات فى الجدول بالحبر الأحمر بعد الوقوف الفعلى على الأعيان على النحو المشروح فى ثالثاً أدناه .

ثالثاً :

أ - تؤلف بقرار من وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لجان الوقوف فى كل منطقة من مناطق المملكة على النحو التالى :

١ - مندوب عن الأوقاف .

٢ - مندوب عن المحكمة .

٣ - مهندس .

ولها أن تستعين بمساح ، وىكاتب كفى من قبل إدارة الأوقاف .

ب - تتولى اللجنة ما يأتى:

- ١ - الوقوف الفعلى على أعيان الأوقاف الواردة فى جداول الحصر من قسم الحصر والتسجيل .
- ٢ - ملء جداول الحصر بالمعلومات المطلوبة من واقع وقوف اللجنة على الأعيان .
- ٣ - تحديد الأعيان الموقوفة على نسختين من الخارطة المسحية للمدينة تحديداً دقيقاً وإرسالها لدائرة الأوقاف لتعليق واحدة منها فى قسم الحصر ، وإرسال الأخرى إلى الوزارة لحفظها لديها كمرجع لدراستها .
- ٤ - إعادة النظر فى صحة معلومات هذه الخارطة بعد كل خمس سنوات .
- ٥ - تقديم جداول الحصر بعد ملئها إلى قسم الحصر والتسجيل فى دائرة الأوقاف ، ليتولى موظف التسجيل تسجيلها بعناية فى الدفاتر المعدة لذلك ، ثم حفظها .

رابعاً :

أ - يطلب وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد من وزارة المالية والاقتصاد الوطنى أن تتضمن استثمارات الإحصاء على حقل بوضع نوع العين ملكاً ، أو وقفاً عندما تجرى عمليات إحصاء المساكن والمؤسسات .

ب - تتولى لجنة التسجيل بإدارة الحصر والتسجيل مراجعة المعلومات التى تحتوبها استثمارات الإحصاء مع المعلومات الموجودة بالسجلات من أن أعيان الوقف لم يطرأ عليها تغيير ، أو أنها محفوظة من أيدي العبث .

١٥ - تحدد بقرار من وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المكافآت المناسبة لأعضاء اللجان المذكورة أعلاه محسوبة على أساس عدد أعيان الأوقاف التى تولوا إجراءاتها .

١٦ - تجرى الاتصالات اللازمة مع وزارة العدل لاتخاذ ما يلى :

أ - إرسال وقفية وصورة صكوك الأوقاف التى تسجل لديها مستقبلاً لإدارات الأوقاف .

ب - عدم إصدار حجة استحكام لأية عين قبل الحصول على تأكيد من دائرة الأوقاف فى الجهة يفيد عدم وجود علاقة وقفية لها ، وذلك بموجب النموذج ذى الرقم (٦) المرفق .

ج - إخراج حجة استحكام للأعيان الموجودة بسجلات الأوقاف والتى لم تثبت وقفيتها فى سجلات المحاكم .



بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين والحمد لله رب العالمين  
 هذا ما وقف وحسنه وأبى العبد الفقير إلى الله سبحانه  
 الخارج صبيح عشق عقبه حيطانه في عكل على بير القطع  
 ولهن من الماء ثلاث وقعات ونصف على بير القطع  
 بحولهن وحقوقهن أرضهن ونخلهن وما أئسن  
 ونماكن وكل جوفهن داخل شهرهن وخارج عنهن  
 بحولهن من الغرب سور القرية ومن الشمال البير  
 وطريق المسلمين ومن الشرق حويلها شقير ومن  
 الجنوب الحفرة والقطيعه والاحيمري وقفا حسبا  
 مؤبدا شحوا بجميع محارم الله تعالى التي حرم الله بها الزنا  
 والربا وشرب الخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل  
 النفس بغير حق وقفا قائما على أصوله جازيا على سنو  
 قائما على سبله ماضيا لأهله جائزا لهم لا يزده مرفرا إلا أيام  
 ولا زمنا إلا تأكيد ولا يسبه تغلب الأوقات إلا تمهيد و  
 تاء بيد ولا يحله تطاول أمد ولا تقادم عهد وكلما تطاول  
 عايه زمانه إنك وكلما انت عليه عصر حادثة والله  
 لا يزال ذلك كذلك ما دامت الدنيا وأهلها حتى يري  
 الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وليجدد في  
 كل عصر ذكره وتسمع الاسماع ما ذكر فيه من تجديد حكمه  
 لينقله الخلف من السلف ولا يعرض لإبطاله التلف و



بِسْمِ اللَّهِ  
 هذا ما وصي به عبد العزيز بن أبي رهم الحنفي أنه يستعمله في الصلاة لا اله الا الله  
 وحده ولا شريك له وان فجزا اخذت في شؤله والاعني  
 عليه وشؤله وكلية القاها الى مريم وروح منه وان اخذت  
 حق وان التارطق وان الساعة انكبة لا ريب فيها وان الله  
 يثبت من في القنوز وارضى فقلت تركته وقف يجعل  
 في ارضه او نخل وقادم في غلته عشرة وزنة تمر للصوام في رمضان  
 في المسجد الجامع في شوا وعشرون زانه تفرق في العشر الاواخر من  
 رمضان على الفقرا والمساكين والاض خمسة عشر وزنه لسراج المسجد  
 الجامع في ارض خمس وزنه لسراج مسجد الحسين والاض عشر وزنه  
 للامام في المسجد الجامع وسبع وزنه للمؤذنه والاض عشر وزنه لعا  
 الترانة في المدرسة والاض قادم فيه حجة له بنفسه مرة ولا يحجبها الا  
 قعة بفرجة يعرفه بفعل الولي فيها المسرع جوالا وتقعده الحاج وثر  
 بقعة لا تاذر صرع والاض اصبته ذاعات كل سنة طيلة واحدة له ودا  
 حدة له المريد والاض خمس وزنه لمام مسجد الحسين وخمس وزنه لمؤذنه  
 واله صار الوقوف من زرع فيجعل عن عشر الوزان خمسة اصواع به  
 خمس الوزان صاعين ونصف واله في الولي ثمانية اذلاكن يصلح للوقوف  
 ويجعل من الثلث وما بقى بعد المذكور فيل اقد انه احنا جت واله احنا جو  
 اولاده او اولادهم هم احب بدق له اخذت الوالد فعمل الحجاج وخواجة  
 في ما عشتوا فيصرون كما ذرته جده يحيا وذرته جده من ذرته على اولادهم  
 في ما احاج جعل الله دفنا لافها في اصابه بعد شدة في السماحة  
 التفر الى عنوانه رحمه الله سليمان به عبد الرحمن به عثمان به  
 بصره في سنة ١٢٨٨



بسم الله الرحمن الرحيم

صندرمادكر مني التخصيص والتميز لمحمد  
ابن عبد الرحمن قصير ولزم العجالة  
على من هذا العبد الفقير  
محمد بن عبد الله



فموجبه هو انه لما كانت نظارة السيد المسمى محمد رشيد بن ميني النجاشي حقه وواقفه  
منصبه بنصف الوقت على كذا رتبة وذو رتبته وكان الموجود من الذرية  
فاحمل بنت عبد الله الرشيد وصالح بن احمد الاشتر واخواته مريم ولطفة واحمد بن حسين  
بن شمس واخوته محمد رشيد وحسن بن عبد العزيز بن عزي بن واخوته محمد بن عبد الرحمن  
الكرودي فخصوا جميعا الرجل محمد بن عبد الرحمن الكروي واما ما في مسجد جدهم المذكور  
حيث انه من اهل الامامة ومن اهل العفة والامانة يوم للصلاتي في المسجد المذكور  
الصلوات الخمس والتراويح والكسوف والخسوف وعينوله اهل النظارة من غلة  
الوقف المذكور في الذي يجذب الماء من البئر للصلاتي والحصل الموضوع للصلاتي  
والدلو والرشابست مواسي شلب سلمه من النوايب مع جميع البستان الذي يقرب  
للسيد ثم بعد صدور ما ذكره نصب صاحب النظر في المصالح المرسومة اسمه وحقه  
اعلاه الكتاب في نقل السيد موارثه بالحنافيت يوم الماء ما نصبه اهل النظارة على  
المسجد واقفا واما من حيث اهليته لذكره لم يعلم بانه اذا انا هل رشيد بن حسين  
للامامة فهو شريك مع محمد بن الامانة والعين بينهما التكون لدى من يقف عليه معلوما  
وجري ما ذكره حرره في شهر جمادى الاولى سنة ١٢٠٧ هـ في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٠٧ هـ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

## بسم الله الرحمن الرحيم

لقد وقف نورك بفت ابراهيم لجميع جوارتها من ابيها وامها وهو  
 معروف مشهور في تصور شوقي وفي الفضة والفضيلة والعينيه  
 والحديد. وقف الجميع على الضعيف من ذريتها ثم بعد هم على الاقرب  
 المختار وادم فيه اضحى دوام واحلف لها واحلف الوالد بها  
 واستثنت غلته مدة حياتها استشهد على ذلك شهاب احمد بن ابراهيم  
 بن عيسى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما وصي به العبد الفقير إلى الله عبد الرحمن بن إبراهيم بن جازبان شهيدان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان جبر عباد ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق وان الله يبعث من في القبور واوصي من بعد من اخواني في الله بما اوصي به ابراهيم بنهم بنهم ويعقوب بنهم ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانهن مسلمون واوصي ثلث ماله تقربا الى الله وطلبنا لثوابه بشاريه نخل اواض يصير قفا على مسجد الحرام المعروف في الجبل تصرف غلته اثلاثا ثلث لامام المسجد المذكور وثلث لصومه يفطرون به فيه شهر رمضان وثلث يجعل اثلاث ثلثا منه لسراجه وثلثه لكون جعل ذلك عليه وقفا موبدا حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين فمن بعده بعد ما سمعه فانما اتمه على الدين بدينه الحق الله سمع علم وقد وكل على افراس ثلثه وصلى به درهم ثم يسمي به عقلا كما ذكرنا احد بن عثمان بن دهش واخاؤه دهش شهيد على ذلك عبد الله بن جبر بن ربيعة وعبد الحسين بن جبر بن صالح وشهيد به وكتبه محمد بن عبد الله بن ناصر بن ذي الجي سنة ١٣٧٠ وصال الله على محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم  
 اقر عند حجر العنبر الشريف الحاشي بانه وقف داره الكاين بالشرية  
 معروفه دار حجة علي بن محمد الحاشي بن سليمان بن العبد المذنب  
 ودار حجة علي سليمان بن الهمار وبن محمد بن امان قبله وبن  
 دار فاروق وبن شرق دار اسنيد وبن جنيد دار اشرف وبن  
 وقف محمد داره المذكورة على بنته حمزة ثم بعد ذلك  
 ثم ذريتهم ما تعاقبوا وقتا سلبوا الي يوم القيمة وجعل  
 فيها الضحية له ولوالديه ووالديهم فان وجدوا فيمنعوا  
 وان عجزوا فلا حرج عليهم وجعل لها ان تاكل من بعدتها  
 من ذريتها من تراصلا حرة وهي مفعلة لا متانح لها  
 ولا معارضه وذلك في صحنه من ثقل الموقفي وهدنه  
 شهد على اقراره محمد المنصور العمير وشهد به كاتبه عبد الله  
 بن عبد الرحمن التركي وهدى الله على محمد وسلم عمره في ١٠ شوال سنة ١٠٢٠



[illegible]

## مصادر البحث ومراجعته

### أولاً : وثائق :

- ١ - ديوان أوقاف الصوام بأشيقر ، مجموعة وثائق عبد الله بن عبد العزيز العياف . أشيقر .
- ٢ - وثائق الدكتور أحمد البسام بعنيزة .
- ٣ - وثائق دار الملك عبد العزيز بالرياض .
- ٤ - وثائق يوسف المهنا بشقراء .
- ٥ - جريدة أم القرى ، مكة المكرمة .

### ثانياً : الكتب والبحوث :

- أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني ( الخصاف ) ، كتاب أحكام الأوقاف ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .
- أحمد بن عبد العزيز البسام ، أوضاع الأوقاف في نجد قبل الدعوة الإصلاحية وموقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب منها ، مجلة الدارة ، العدد ١ ، السنة ٢٤ ، ١٤١٩ هـ .
- أحمد بن علي العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .
- أحمد بن محمد المنقور ، الفواكه العديدة في المسائل المفيدة ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ .
- أحمد بن محمد هارون الخلال ، كتاب الوقوف من مسائل الإمام أحمد بن حنبل ، دراسة وتحقيق عبد الله بن أحمد الزيد ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤١٠ هـ .
- أحمد فراج حسين ، أحكام الوصايا والأوقاف في الشريعة الإسلامية ، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ م .
- أسعد حمزة شيره ، ورقة ميدانية مقدمة للحلقة الدراسية لتثمين ممتلكات الأوقاف في البنك الإسلامي للتنمية بجدة ، ١٤٠٤ هـ ، جدة ، ١٤١٥ هـ .
- خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٢ م .



- دلال بن مخلد الحري ، إسهام المرأة فى وقف الكتب فى منطقة نجد ، ندوة المكتبات الوقفية فى المملكة العربية السعودية ، مكتبة الملك عبد العزيز ، المدينة المنورة ، محرم ١٤٢٠هـ .

- راشد بن سعد القحطاني ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٤هـ .

- راشد بن محمد بن عساكر ، تاريخ المساجد والأوقاف القديمة فى بلد الرياض ، الرياض ، ١٤٢٠هـ .

- شكيب أرسلان ، حاضِر العالم الإسلامى للوثروب ستودارد ، تعريب عجاج نويهض ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٤هـ ؛ وكتاب : الإرتسامات اللطاف فى خاطر الحاج إلى أقدس مطاف ، مكتبة المعارف ، الطائف ، ١٣٩٧هـ .

- عادل محمد نور غباشى ، أسبلة الملك عبد العزيز على الطريق بين مكة وجدة ، مجلة الدارة ، العدد ٣ ، السنة ١٩ ، ١٤١٤هـ .

- عبد الرحمن بن محمد القاسم ، الدرر السنية فى الأجوبة النجدية ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٦هـ .

- عبد الله بن سليمان المنيع ، الوقف من منظور فقهى ، بحث مقدم فى ندوة المكتبات الوقفية فى المملكة العربية السعودية ، مكتبة الملك عبد العزيز فى المدينة المنورة ، محرم ١٤٢٠هـ .

- عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، علماء نجد خلال ثمانية قرون ، دار العاصمة ، ١٤١٩هـ .

- عبد الله بن محمد الحجلى ، الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام ، بحث فى ندوة المكتبات الوقفية فى المملكة العربية السعودية ، مكتبة الملك عبد العزيز فى المدينة المنورة ، محرم ١٤٢٠هـ .

- عبد الله بن محمد بن خميس ، معجم اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٨هـ .

- عبد الله محمد الرشيد ، الرس ، سلسلة هذه بلادنا ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ١٤٠٣هـ .

- محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ، ١٣٩٩هـ .

- محمد بن عبد الله سلمان ، عنيزة ، سلسلة هذه بلادنا ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ١٤١٠ هـ .
- محمد شوقي إبراهيم ، الأراضى الوقف فى المدينة المنورة ، مجلة الدارة ، العدد ٢ ، السنة ١٠ ، محرم ١٤٠٥ هـ .
- محمد عبيد عبد الله الكبيسي ، أحكام الوقف فى الشريعة الإسلامية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٣٩٧ هـ .
- مصطفى أحمد الزرقا ، أحكام الأوقاف ، دار البيان ، عمان ، ١٤١٨ هـ .
- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الأوقاف فى المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٩ هـ .
- وهبة الزحيلي ، الوصايا والوقف فى الفقه الإسلامى ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٩ هـ .
- يلماز أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، مؤسسة فيصل للتمويل ، إستانبول ، ١٩٩٠ م .



أ.د. الشريف محمد بن حسين الحارثي (\*)

## الصارم الحيدى لبتز علاقة أمرء مكة الأشراف بالمذهب الشيعى الزيدى دراسة تاريخية تحليلية نقدية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

**الهدف من الدراسة :**

- ١ - إخضاع الروايات التاريخية عن زيدية أمرء مكة الأشراف للتحليل والنقد العلمى .
- ٢ - إثبات سلامة فطرة أشراف الحجاز ونقاء معدنهم من الدخيل نسباً ومعتقداً فى الجملة .

**منهج الدراسة :**

لن تكون الدراسة لمناقشة القضية من زاوية عقدية أو فقهية ، وستنحصر الدراسة فى الجانب التاريخى ، ولأمرء مكة تحديداً ؛ وستكون الدراسة موجزة ؛ معبرة ؛ قائمة على مدخل وسبعة صوارم .

\* - باحث تاريخى - مكة المكرمة .

وتختتم بالصارم السابع الذى يعرض تاريخياً لتحول أشهر علماء المذهب الشيعى الزيدى منذ القرن الثامن حتى القرن الخامس عشر الهجرى لمنهج أهل السنة والجماعة ؛ ليكون خاتمة الصوارم .

### المدخل :

إن من المتعارف عليه لدى كل باحث فى التاريخ عامة ، وتاريخ الفرق والمذاهب خاصة ؛ أن كل مذهب أو فرقة تحتاج لتنمو وتزدهر فى منطقة ما من العالم إلى مركز دعوى وقاعدة فكرية، وأتباع ودعاة مخلصين يتبنون فكر المذهب أو الفرقة .

ومن الملاحظ لقارئ التاريخ أن المذهب الشيعى الزيدى الذى دخل الحجاز بتأثير من الفاطميين العبيديين ( أصحاب المذهب الشيعى الإسماعيلى الباطنى ) منذ عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣م تقريباً على حكام مكة الأشراف ، فدخلت عبارة ( حى على خير العمل ) فى الأذان بالحرم المكى الشريف . ثم بمساعدة فعلية عسكرية من الصليحيين حكام اليمن ( وهم شيعة إسماعيلية ) ، فرض التوجه الشيعى على حكام مكة ، وتولى الحكم أبو هاشم " محمد بن جعفر " عام ٤٥٥ هـ ، بدعم من محمد بن على الصليحي وأمر الشريف بالدعاء للفاطميين ، وتوالى الدعم الشيعى اليمنى لحكام مكة لمد نفوذهم السياسى والدينى من النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى حتى زوال هذا المذهب فى منتصف القرن الثامن الهجرى من الحجاز (١).

ولن يفوت المطلع على التاريخ أن دعاة يمينيين من أمثال ابن حوشب وابن فضل وغيرهما كانت لهم اليد الطولى فى نشر الدعوة الإسماعيلية الشيعية الباطنية فى مناطق عدة فى العالم الإسلامى قبيل قيام الحكم الفاطمى العبيدى فى المغرب ومصر (٢).

بالرغم من ذلك لم يتحقق للمذهب الشيعى الزيدى فى الحجاز بحدوده الجغرافية المتعارف عليها من العقبة شمالاً إلى القنفذة جنوباً بسرته وتهامته مركز دعوى أو قاعدة فكرية ، ولا أتباع ودعاة مخلصون من أهل الحجاز للصوارم التالية :

### الصارم الأول :

تجذر الإسلام الصافى والسنة الصحيحة ( المحجة البيضاء ) فى أفهام وألباب كثير من أهالى الحجاز ، وما أشراف الحجاز إلا جزء من هذا الكل . قال رسول الله ﷺ : " غلظ



القلوب والجفاء في المشرق والإيمان في أهل الحجاز " رواه مسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام :  
 " إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يارز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى  
 جحرها " رواه مسلم .

فأثبتت البيئة الحجازية عامة والبيئة المكية خاصة على مدى التاريخ نفوراً وازدراء  
 للمذاهب الشيعية وأتباعها ومحاصرتهم والخط من شأنهم . وشكلت البيئة العلمية في الحرم  
 المكي ( إمامة وخطابة وتدریساً ) بيئة طاردة للمذهب الشيعي الزيدي بل وأجبرت علماء هذا  
 المذهب الشيعي برغم محدوديتهم وقلة عددهم وضآلة شأنهم على مدى التاريخ على الاستتابة  
 والعودة لمنهج أهل السنة ، وشاركهم في هذه النظرة الرحالة المغاربة ، فلا يشير مؤرخو مكة  
 والرحالة المغاربة للتواجد الزيدي على محدوديته إلا بنفور وازدراء ، والنصوص التاريخية  
 التالية خير شاهد :

عندما يشير المؤرخ المكي الشهير تقي الدين الفاسي إلى زيدية الشريف قتادة ، يذكرها  
 على استحياء ، وينسبها لغيره ، وكأنه ولاشك ينكرها ، وتأبأها نفسه لذلك الأمير  
 الشريف (٣) .

وهي لا شك غير ثابتة اعتقادياً ؛ ولا تقوم عليها حجة قوية أو دليل وبرهان ، وذلك ما  
 سيتبين لنا بشكل صارم في القادم من الصوارم .

في سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م تقريباً ، قال الفاسي : " وصل العسكر المصري متوجهاً إلى  
 اليمن ، وعند وصولهم إلى مكة هرب إمام الزيدية إلى وادي مر ، فأقام به . وما رجع إليها  
 إلى وقت الحج ، وعاد بعد الموسم إلى ما كان يفعله . وإمام الزيدية المشار إليه رجل شريف ،  
 كان يصلي بالزيدية بين الركن اليماني والحجر الأسود ، فإذا صلى الصبح وفرغ ، دعا بدعاء  
 مبتدع وجهر به صوته ، ويدعوا في آخره للإمام محمد بن المطهر بن يحيى بن رسول صاحب  
 اليمن . وكان يفعل ذلك بعد صلاة المغرب أيضاً " . انتهى (٤) .

يذكر الفاسي في العقد الثمين : " أن أبا القاسم بن محمد المعروف بابن الشقيف كبير  
 الزيدية في مكة عُقد له مجلس بحضرة القاضي عز الدين بن جماعة ، واستتيب فيه ، وأشهد  
 على نفسه ، وكتب بخطه أنه تبرأ إلى الله تعالى من اعتقاد البدع الزيدية ، والإمامية ،  
 وغيرهم ، وأنه يواظب على الجمعة والجماعة ، وإن خرج عن ذلك فعليه ما تقتضيه الشريعة  
 المطهرة ، وذلك في رمضان سنة خمسين وسبعمائة ... ومات ابن الشقيف من سنة ستين وسبع  
 مئة بمكة .. " (٥) .

قال التقى الفاسى : " وأما حدوث صلاة الأئمة على هذه الصفة ، فلا أعلم فى أى وقت كان ، ثم نقل ما يدل على أن الحنفى والمالكى كانا موجودين مع الشافعى سنة أربع مئة وسبع وتسعين ، وأن الحنبلى لم يكن موجوداً ، وإنما كان إمام الزيدية " .  
ثم قال : " ووجدت ما يدل على أن الحنبلى كان موجوداً فى عشر الأربعين وخمسمائة " .  
والله أعلم (٦) .

يقول ابن جبير فى رحلته ، عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م تقريباً ، عن أئمة الحرم المكى : " وللحرم أربعة أئمة سنية وإمام خامس لفرقة الزيدية . وأشرف أهل هذه البلد على مذهبهم ، وهم يزيدون فى الأذان : " حى على خير العمل " إثر قول المؤذن : " حى على الفلاح " وهم روافض سبابون ، والله من وراء حسابهم وجزائهم ، ولا يجمعون مع الناس إنما يصلون ظهراً أربعاً ، ويصلون المغرب بعد فراغ الأئمة من صلاتها " (٧) . والرحالة ابن جبير يردد ما شاع فى زمانه من تبني الأمراء للمذهب الشيعى الزيدى دون أن يطرح دليلاً على ذلك ، ولعل مرد ذلك أن حديثه عن الحرم المكى ولم يكن عن الأمراء ، ليتتبع مدى حقيقة اعتناقهم للمذهب الشيعى الزيدى .

لم تشر الباحثة عائشة باقاسى فى دراستها العلمية المطبوعة بعنوان : ( بلاد الحجاز فى العصر الأيوبي ٥٦٧ - ٦٤٨ ) (٨) عند حديثها عن الحياة العلمية فى بلاد الحجاز عامة ومكة خاصة عن دور علمى ما لعلماء الزيدية فى تلك الفترة التاريخية .

لم يشر الدكتور سليمان عبد الغنى مالكى فى دراسته العلمية المطبوعة بعنوان : ( بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشرف حتى سقوط الخلافة فى بغداد من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السابع الهجرى ) إلى دور ما للزيدية فى الحياة العلمية فى الحجاز عامة وفى مكة خاصة (٩) .

لم يتحدث على بن حسين السليمان فى دراسته العلمية القيمة المطبوعة بعنوان : ( العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ) عند حديثه عن الدور الدينى والعلمى فى الحجاز إلى دور علمى ولو محدود للزيدية فى اليمن ، عدا ما تمت الإشارة إليه من إمامة فى الحرم منبوذة محصورة لم تكن ذات شأن ولم تلق القابلية من أهل مكة ، بما أبرزته النصوص التاريخية الواردة فى الدراسة .



## الصارم الثاني :

امتداد المذهب الشيعى إلى بعض مناطق الحجاز لا يعنى التغلغل والتمكن والسيطرة بل كانت المطامع السياسية لحكام اليمن الشيعة الإسماعيلية والشيعة الزيدية وراء بث أفكارهم ودعواهم كسباً لأمراء ووجهاء الأشراف في الحجاز ، وتراوح ولاء أمراء مكة بين مصر واليمن تبعاً لحجم الأعطيات التى تصلهم من أى من الدولتين .

وقد حرص حكام اليمن على فرض سيطرتهم على الحجاز بما تمتلكه بلادهم من المحاصيل الزراعية ؛ كالحبوب التى تصل للحجاز على شكل قوافل من قبائل السر ، ونتيجة لانقطاع هذه الحبوب تحدث المجاعات فى الحجاز (١٠) .

وسبقت الإشارة إلى أن محمد بن على الصليحي اليمنى الشيعى الإسماعيلى الذى أقام دولة له باليمن ، سيطر على مكة بقوة عسكرية ، عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م تقريباً ، وفرق فى أهلها وحجاجها الأعطيات والهبات وأزال حكومة الأشراف السليمانيين ، وأحل محلهم حكومة الأشراف الهواشم مقابل إعلان الدعاء للحاكم الفاطمى الشيعى الإسماعيلى ، وتلتها تدخلات حكومات اليمن الأيوبية والرسولية ، والرسيين الزيدية .

ولعل ما يهمنا من أئمة الرسيين الزيدية ( المنصور عبد الله بن حمزة ) إمام الزيدية من عام ٥٩٦ - ٦١٤ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٧ م تقريباً ، وهو بهذا التاريخ مزامن للشريف قتادة الذى حكم مكة من عام ٥٩٧ - ٦١٧ هـ / ١٢٠٠ - ١٢٢٠ م تقريباً ، وقد قضى هذا الإمام الشيعى الزيدى فترة حكمه فى صراع مع الأيوبيين لتثبيت الدعوة الزيدية فى اليمن ، وهو أول من فرض الضرائب من الأئمة الزيدية ، واضطهد وقتل العدد الكبير من مخالفيه من أتباع فرقة المطرفية وكفرهم واستباح حرماهم ، وجعل حكمهم حكم الكفار المحاربين ، وقد ذكر ذلك فى كتاب صغير كتبه إجابة على عدة مسائل من بينها مسألة المطرفية وانتهاك حرماهم وسببهم لأن أكثرهم عوام لا يعرفون إلا جملة الإسلام ، وأجاب بأنهم كفار طباعية .

وقد جرت بينه وبين أبى القبائل من فقهاء الشافعية فى ذى جيلة مراسلات طويلة ، حتى أن أبى القبائل ألف كتاب الخارقة فى مجلد يفند فيه آراء هذا الإمام الشيعى الزيدى (١١) .

وينقل سنوك رأياً متحيزاً لأحد المؤرخين اليمنيين يفسر سبب رفض الشريف قتادة الذهاب إلى بغداد لملاقاة الخليفة الناصر العباسى ، بزعم اهتمامه بالعائلة الزيدية بزعامة المنصور عبد

الله بن حمزة في اليمن ، ويدعوى المعاضدة للأسرة الحاكمة في اليمن ، لكن سنوك يفند هذا الرأي بقوله : " يبالغ الكتاب اليمنيون في بعض الأحيان بأهمية تاريخ بلادهم السياسى على المسرح الخارجى . لدى مخطوطة عن تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجرى تحتوى على ملحق من اثنتين من العديد من رسائل الإمام المؤيد : إحداهما أرسلها إلي الشاه الفارسى عباس ، والثانية أرسلها إلى الأشراف في مكة . وفي كلتي الرسالتين يطلب الإمام مساعدته ضد الأتراك . ويستطيع المرء أن يتصور أنه لم يقم أحد من هؤلاء بمد يد العون للإمام " . بل وينقل سنوك وصية سجلها الفاسى ومن تلاه من مؤرخى مكة للشريف قتادة يوصى بنى عمه الأشراف في محنته مع الخليفة العباسى وخشيته من معاقبته له على رفض القدوم عليه ؛ بالتزام مكة قائلاً : " يا بنى الزهراء عزكم إلي آخر الدهر مجاورة هذه البنية { الكعبة } والاجتماع في بطحائها ، واعتمدوا بعد اليوم ، أن تعاملوا هؤلاء القوم بالشر يوهنوكم من طريق الدنيا والآخرة ، ولا يرغبوكم { أو يروعوكم ، أو يرعبوكم } بالأموال والعدد والعُدَد ، فإن الله قد عصم أرضكم بانقطاعها ، وإنها لا تبلغ إلا بشق الأنفس " ، ويعتبرها سنوك تفسر حقيقة موقف الشريف قتادة ، وأنه لم يفكر في دعم أو التعاطف مع الإمام الشيعى الزيدى ، بل يفكر في مصالحه هو وبنى عمه في مكة فقط (١٢) .

كما أن المصادر التاريخية المكية لم تشر لهذا الإمام الشيعى الزيدى بصلة تستحق الذكر بمكة وأمرائها إطلاقاً . وبذلك تنصرم الأقوال والمزاعم لبعض مؤرخى الزيدية في علاقة الشريف قتادة بالإمام الشيعى الزيدى عبد الله بن حمزة ، التى لا تقوم على دليل قاطع ، ولا تعدو كونها تخرصات وأوهاماً لا تصمد أمام النقد العلمى .

وما تردده كتب مؤرخى الزيدية مشكوك فيه وقائم على المبالغة والتضخيم لأدوار أئمة المذهب الزيدى ، كعبد الله بن حمزة ، وأنه إمام للشريف قتادة وبإيعه الشريف على ذلك ، ولكنى أتساءل لماذا لم يكن الشريف قتادة هو إمام لعبد الله بن حمزة ، خاصة وأن الأخير أصغر سناً في فترة تزامنها في الحكم ، وكليهما شريف حسنى ، ومكة أفضل وأولى بالقيادة والإمامة من صعدة أو صنعاء .. أليس كذلك ؟ .

ولكن لا غرابة في ذلك ؛ فمن المعلوم بداهة والمسلم به لدى المؤرخين عامة ومؤرخى الفرق خاصة أن : ( كل أقلية مذهبية أو دينية ) تستमित في تضخيم دورها خشية الذوبان والزوال



وقد تطابقت أيضاً أقوال المؤرخين مع قول التجيبى ( الرحالة المغربى القاسم بن يوسف السبتي التجيبى المتوفى عام ٧٣٠هـ ) فى رحلته المسماة : ( مستفاد الرحلة والاغتراب ) عند تحديثهم عن حاجة مكة وأمرائها للدعم الاقتصادى خلال حوادث سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م تقريباً . وقد أشار الفاسى إلى هذه الناحية بقوله : إن الدافع لأبى نعى ، فى الدعاء لصاحب اليمن على منابر المسجد الحرام عظم صلته ، وهو أمر لا يقدم عليه أمير لمكة المكرمة إلا بعد معرفة عميقة بمدى الفائدة العائدة عليه من ذلك . وهو أمر ليس بجديد فى علاقاتهم مع الدول المجاورة لهم وخصوصاً أن مكة المكرمة عانت من تنافس الدولتين العباسية والفاطمية فى بسط نفوذهما على الحجاز لصبغ حكمها بالصبغة الشرعية . فترى أن ولاء أشراف مكة المكرمة تبع لصاحب أكبر صلة ، وهو المقدم لذلك فى الخطبة والدعاء على المنابر (١٣) .

### الصارم الثالث :

الزعم بتقبل بعض أشراف ينبع ومن انطلق منها لإمارة مكة للمذهب الشيعى الزيدى لا يتعدى كونه ( عباءة سياسية ) أو ( واجهة سياسية ) تحقق لهؤلاء الوجهاء والأمراء والمتنافسين والمتصارعين على السلطة فى مكة أهدافهم ومراميهم ، بدافع سياسى اقتصادى بحت . ولم تشكل ينبع بحال من الأحوال إطلاقاً ( قاعدة فكرية ) أو ( مركزاً دعوياً ) للمذهب الشيعى الزيدى فى الحجاز .

والنصوص التاريخية التالية خير شاهد :

يقول سنوك : " غير أنه من المؤكد أن سادة مكة فى الحياة العملية كانوا يغيرون اتجاهاتهم السياسية بسرعة الريح ، وهم أكثر سطحية فى اعتقاداتهم الدينية ، حيث لم يكونوا على مستوى عالٍ من الثقافة والعلم ... " (١٤) .

ومن البدهة أن نعلم أن سبب تغيير أمراء مكة اتجاهاتهم السياسية بسرعة الريح يعود لضعف الموارد الاقتصادية لبلادهم ، واهتمام بل إتحاح الحكومات المجاورة للحجاز للسيطرة على الأراضى المقدسة بما تملك من العتاد والعدد والعدة ، ولو اسماً .

أما سطحية اعتقاداتهم الدينية يعود لمنشاهم الرفى ، فقد كان الشريف قتادة رحمه الله وقومه ظواعن بادية ، ومتدينون بالفطرة ، لا يغالون فى المذهبية ، وجل اهتمامهم بالفروسية والشجاعة والكرم ، والتطلع للإمارة فى كل زمان ومكان .

يعلق السباعي علي وضع أمراء مكة بقوله : " ويجب ألا يفوتنا أن نفوذ هذه الدول ما كان لبشوب استقلال مكة إلا بمقدار ما تدغو إليه ضرورة الدعاء على المنبر وقبول المنح والعطايا ولعل أشراف مكة كانوا معذورين في هذا فقد استقلوا بمكة وليس في تعدادها وما يتبعها ما يكفي لإعداد جيش قوى يدافع عنهم وليس في مواردها ما يكفي لبعض نفقاتها . لهذا لا مناص لهم من مهادنة الأقوياء وقبول المنح والهدايا من هؤلاء مرة ومن أولئك أخرى " (١٥).

ويقول الدكتور محمد جمال الدين سرور : ( ولم يكن لدى أمراء مكة والمدينة القوة التي تمكنهم من درء الأخطار عن بلاد الحجاز ، كما أن موارد تلك البلاد كانت لا تكفي لسد حاجة أهلها ... حتى أن المقدسي لما زار بلاد الحجاز في القرن الرابع الهجري وصفها بالفقر وقلة العلم ، كما أن الرحالة الفارسي ناصر خسرو لاحظ حين زيارته لمكة في القرن الخامس الهجري قلة عدد سكانها ، وقد عددهم بألفين ، وقال : " إن فريقًا من أهلها اضطروا إلى الرحيل عنها فرارًا من المجاعات " (١٦).

### الصارم الرابع :

ولعل أبرز ما يبطل دعوى اعتناق أمراء مكة الأشراف المذهب الشيعي الزيدي ، هو التساؤل التالي : كيف لم يتمكن أمراء الأشراف من إقناع أهالي مكة وما حولها بمذهبهم وهم أمراؤهم ، وفي الأثر ( الناس على دين ملوكهم ) (١١٤) ، والجواب واضح وجلي لأن الأمراء الأشراف أنفسهم ليست لديهم القناعة العقدية ( الاعتقادية ) الكافية بهذا المذهب ، إنما كان ( لبوسًا سياسيًا ) ، يحقق لهم مصالح سياسية واقتصادية ملحة ، وجسر عبور لتصل إليهم أعطيات حكام اليمن الشيعة والحصول على دعمهم ومساندتهم ، أو اتقاء شرهم وخشية امتداد نفوذهم . بينما بقي أهل مكة وما حولها من المدن والقرى بعامتهم ووجهائهم وعلمائهم وقضاتهم ومؤرخيهم على مذهب أهل السنة من ( شوافع وأحناف ومالكية وحنابلة ) .

والنصوص التاريخية التالية خير شاهد :

ينتقل السباعي عن أبي المحاسن في التجوم الزاهرة : " إلا أن الأذان يحى على خير العمل ظل على أمره عام ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م تقريبًا في مكة متابعة للمذهب الشيعي فانتدب العباسيون الشريف أبا طالب لإقناعه فناظره أبو هاشم طويلًا إلى أن قال له هذا أذان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال له أبو طالب : إن ذلك لم يصح عنه وإنما فعله عبد الله بن عمر في بعض أسفاره فما أنت وابن عمر ؟ فأسقطه أبو هاشم من الأذان " (١٧).



ويذكر الرحالة المغربي القاسم بن يوسف السبتى التجيبى المتوفى عام ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م تقريباً ، فى رحلته المسماة : ( مستفادة الرحلة والاغتراب ) الذى وصل مكة عام ٦٩٦هـ أن الشريف أبو سعد الحسن بن على بن قتادة صاحب مكة وبنيع ( سنى المذهب ) ، وهو ما لم يشر إليه أحد من المؤرخين كالفاسى مثلاً (١٨).

فدخل السيد عطيفة عند وصول المرسوم الكريم ، وأخرج إمام الزيدية إخراجاً عنيقاً ، ونادى بالعدل فى البلاد ، وحصل بذلك سرور عظيم للمسلمين" (١٩).

ويشير الفاسى بوضوح إلى سنية وشافعية الشريف عجلان بن رميثة بن أبى نى الذى تولى إمارة مكة عام ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م تقريباً ، بل وثناؤه على معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، وحين حضره الموت أوصى قاضى مكة أبا الفضل النويرى ، بأن يتولى غسله والصلاة عليه مع فقهاء السنة (٢٠).

خاصة إذا علمنا أن زيدية ذلك الوقت تلعن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه وتكفره تكفيراً صريحاً والعياذ بالله ؛ وهو الذى نص عليه عبد الله بن حمزة فى " المجموع المنصورى" (٢١).

... فى ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة من سنة ست وأربعين وسبعمائة - بعد المغرب منها. / ١٣٤٥م تقريباً دُعِيَ للشريف عجلان على زمزم ، وقطع دعاء والده رميثة ، ومات يوم الجمعة الثامن من ذى القعدة سنة ست وأربعين وسبعمائة بمكة ، وطيف به وقت صلاة الجمعة ، والخطيب على المنبر ، قبل أن يفتتح الخطبة ، وسكت الخطيب حتى فرغوا من الطواف به . وكان ابنه عجلان يطوف معه ، وجعله فى مقام إبراهيم وتقدم أبو القاسم بن الشقيف الزيدى للصلاة عليه ، فمنعه من ذلك قاضى مكة شهاب الدين الطبرى ، وصلى عليه بحضرة عجلان ، ولم يقل شيئاً ، ودفن بالمعلاة عند القبر الذى يقال إنه قبر خديجة بنت خويلد رضى الله عنها... " (٢٢).

ومن باب بطلان دعوى اعتناق أمراء مكة الأشراف للمذاهب الشيعى الزيدى ، يذكر الرحالة المغربى ( ابن بطوطة ) أثناء وجوده بمكة عام ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م تقريباً : اسم أحد الأشخاص الذين تولوا منصب المحتسب ، وهو إمام الحنابلة محمد بن عثمان ، فإلى جانب قيامه بالحسبة ناب فى القضاء أيضاً ، ويبدو أن أمير مكة المكرمة يقوم بحماية المحتسب ؛ فمتولى هذا المنصب يتم تعيينه وفق أمر الأمير ، ويعطى عمامة فى حضور عدد كبير من الناس ضماناً لعدم التعرض له بسوء (٢٣).

فلماذا لم يعين الأمير شيعياً زيدياً .. !!؟ .

ولما خطب بعض الزيدية لإمام اليمن بينبع غضب شريف مكة من ذلك وكتب للسلطان به . وسبب ذلك وجود عين من أهل صنعاء المهاجرين إلى تلك الديار يقال له : " حسين النحوي" . قال المؤرخ الزيدى وهو يثبت خوف أهل يتبع من علم الشريف بذلك ، وقد ابتلوا بذلك الجاهل الزيدى المتهور ، فقال - وهو يثبت عدم رضا الأشراف بالمذهب الزيدى بشهادة الزيدية - : "ولما علم بقية أهل البلاد أشفقوا من إشراف الشريف على ما فعلوه ، وسعوا فى ترك الخطبة فتركت ، وكان الشريف قد توعدهم بمساعدة أميرهم ، فإنه كتب عليهم سجلاً وأراد رفعه إلى السلطان ، وكتب الشريف إلى أهل المدينة بذلك ... " (٢٤) .

وفى أحداث سنة ١٠٨٢ هـ من ذى الحجة / ١٦٧١ م تقريباً : ( وهذا اليوم أرسل مولانا الشريف قاصداً البيضا من جهة اليمن بأمر الأمير فرحان صاحب حج اليمن بالعودة من هناك ، وأن لا يدخل مكة . فرد الحج من يللم .

وبلغنا أن الإمام القائم فيها وهو المتوكل على الله إسماعيل ... وتعب فقهاء الزيدية ، وقصدوا الإمام المذكور بالقصائد التى فيها ما يشق عليه من العتاب " والتحريض على أخذ مكة " ) . (٢٥) .

### الصارم الخامس :

تسببت هذه الروايات الواهية التى لا تصمد أمام التحليل والنقد العلمى ، فى تشويه سمعة أمراء مكة الأشراف تدريجياً ، وقد تسبب فى رواجها شيعة اليمن الزيدية ، مما أظهر هؤلاء الأمراء كأقلية مذهبية شيعية وسط محيط سنى كبير فى الحجاز ، بما عبر عنه المؤرخون والرحالة عند حديثهم عن صفات بعض أمراء مكة يثنون عليهم ويرون أنهم يصلحون للخلافة لولا أنهم ( زيدية ) . ويعدونها مثلية فى هؤلاء الأمراء . والنصوص التاريخية التالية خير شاهد :

" وقد أثنى على أبى نعى ( الأول ) غير واحد من العلماء ، مع ذكرهم لشيء من أخباره ، منهم الحافظ الذهبى ، لأنه قال : فى سير أعلام النبلاء فى ترجمة أبى نعى : شيخ ضخم أسمر عاقل سايس فارس شجاع محتشم ، قلك مدة طويلة ، وله عدة أولاد ، وفيه مكارم وسؤدد . وذكره لى أبو عبد الله الدبالي ، فأثنى عليه وقال : " لولا المذهب لصلح للخلافة : كان زيدياً كأهل بيته " (٢٦) .



## الصارم السادس :

منذ منتصف القرن الثامن الهجرى أخذ المذهب الشيعى الزيدى فى الذوبان والزوال من مكة المكرمة وقبيل سقوط دولة المماليك وغلب المذهب الشافعى على أهل مكة وأمرائها ، وبليه المذهب الحنفى .

واختفى وجوده أى إمام الزيدية فى الحرم - فى رقت وجود ابن بطوطة الذى زار مكة سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م تقريباً ضمن رحلاته المتعددة إذ أنه لم يذكر وجود للفرقة الزيدية .

والغالب أنه لم يعد للمذهب الزيدى مكان بالحرم المكى وما يؤيد ذلك الإجراءات التى اتخذت للحد منه والتى اكتملت بعدما وصل مرسوم من السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م إلى الشريف عطيفة يستنكر فيه وجود إمام زيدى بالحرم فأصدر إليه أمراً بمنعه فنفذ الشريف الأمر . ولم يعد أتباعه يجهرون بشعائهم .. " (٢٧) .

يقول سنوك : " ولما كانت نواة الشعب ( أى المكى ) منذ العصر العباسى تدين بالمذهب الشافعى ، فإن القاضى الشافعى هو الذى يتقلد المرتبة العليا ، وخاصة منذ أن تولى الأشراف عن اتجاهاتهم الشيعية ( منذ منتصف القرن الثامن الهجرى ) وأصبح يعرف باسم قاضى مكة أو قاضى القضاة (٢٨) .

ويقول سنوك : " إن هؤلاء الأشراف الآن - يقصد القرن العاشر الهجرى - على المذهب الشافعى (٢٩) .

لم يذكر المؤرخ المكى على بن عبد القادر الطبرى : ( صاحب الأرج المسكى فى التاريخ المكى ) ، المتوفى ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م تقريباً ، عند حديثه عن المقامات وأئمتها فى زمانه إلى أى إمام زيدى . مما يؤكد انقطاع الزيدية من الحرم المكى على ضآلة وجودها فى السابق (٣٠) .

ويقول سنوك : " وقد وجدوا - أى أمراء مكة الأشراف - أنفسهم فى عام ١٦٧٢م / ١٠٨٣هـ مضطرين لإرجاع الزيديين القادمين لأداء فريضة الحج . وكذلك فإن الزيديين المقيمين فى مكة قد تحولوا إلى المذهب الحنفى .. (٣١) .

لم يشر إبراهيم رفعت باشا فى كتابه : من قريب أو من بعيد لوجود زيدى فى مكة عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م تقريباً (٣٢) .

يذكر صاحب الرحلة الحجازية ( محمد لبيب البتنوني ) عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م تقريباً من عوائد أشرف مكة أن كبارهم يرسلون أولادهم في نعومة أظفارهم إلى البادية وخصوصاً قبيلة عدوان التي توجد شرق الطائف ، وهي قريبة من سعد التي أوضع فيها رسول الله ﷺ ، فينشئون فيها على البداوة التامة مع الأمية الصرفة حتى إذا ترعرعوا عادوا إلى مكة وقد تعلموا بعض لغات القبائل وحفظوا من أشعارهم ، وأخذوا عوائدهم وطبائعهم ، وأحسن ما تراه فيهم من الفروسية والحرية في القول والفعل .. " (٣٣).

ولعلنا نتساءل لماذا لم يرسل الأشراف أولادهم إلى اليمن وتحديدًا المناطق الزيدية ؟!! لأن زمن الحاجة إلى شيعة اليمن الزيدية وأعطياتهم ولى إلي غير رجعة ، وعاد الأشراف إلى محيطهم الاجتماعي الحجازي الصرف ، ليكونوا جزءاً من هذا الكيان العريق بإسلامه وسنيته ، ويكتسب أبنائهم من باديته العروية والأخلاق والفروسية الحجازية المحلية .

### الصارم السابع :

ما بال كبار علماء الزيدية تحولوا لمنهج أهل السنة والجماعة ومنهم :  
الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير ( ٧٧٥ - ٨٤٠ / ١٣٧٣ - ١٤٣٦م تقريباً ) .  
يقول الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير في كتابه (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ) : "وسبب إشاري لذلك ، (لمنهج أهل السنة) وسلوكي تلك المسالك : أن أول ما قرع سمعي ، ورسخ في طبعي : وجوب النظر ، والقول : ( بأن من قلد في الاعتقاد فقد كفر ) ، فاستغرقت في ذلك حدة نظري ، وبأكورة عمري ، ومازلت أرى كل فرقة من المتكلمين تداوى أقوالاً مريضة ، وتقوى أجنحة مهيضة ، فلم أحصل على طائل ، وتمثلت يقول القائل :

كلُّ يداوى سقيماً من مقالته فمن لنا بصحيح ما به سقم

فرجعت إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وقلت : لا بد أن يكون فيها براهين وردود على مخالفى الإسلام ، وتعليم وإرشاد لمن اتبع الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام .  
وزال ما كنت به مبتلى ، وأنشدت متمثلاً :

فألقت عصاها واستقر بها النوى . . . كما قر عينا بالأياب المسافر

والقاضى محمد بن محمد بن داود النهمى ، رفيق ابن الوزير في الطلب .



والحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح الجلال (ت ١٠٨٤هـ / ١٦٧٣م) .

ومحمد بن علي بن قيس (ت ١٠٩٦هـ) ، ويحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ) ،  
وصالح بن مهدي المقبل (ت ١١٠٨هـ) ، ومحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) ، وهو وارث علوم ابن الوزير ، وشارح كتبه .

ومحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، ومحمد بن عبد الملك الأنسي (ت ١٣١٦هـ) ،  
وأحمد بن عبد الله الجنداري (ت ١٣٣٧هـ) ، وعبد الله بن محمد العيزري (ت ١٣٦٤هـ) ،  
وحسين بن أحمد بن قاسم الحوثي (ت ١٣٨٦هـ) (٣٤) .

وكذلك الشيخ مقبل بن هادي الوادعي (ت ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م تقريباً) ، الذي أسس ( دار الحديث بدماج ) عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م ، الواقع بمحافظة صعدة - قرية دماج - باليمن ، وقد أثمرت هذه الدار عدداً من المراكز لأهل السنة والجماعة في اليمن وخارجه .

إضافة إلى أسر معاصرة هاشمية وغير هاشمية عريقة من أصول يمنية ، توارثت اعتناق المذهب الزيدي ، وكتب الله لهم الانتقال إلى منهج أهل السنة والجماعة ، وتستوطن حالياً عدداً من المدن الحازية بالمملكة العربية السعودية : ( كآل الحوثي ، وآل المؤيد ، وغيرهم .. ) .

وقد كانت اليمن حتى العصر العباسي الأول تدين بالمذهب السني المالكي منها والحنفي ، ونظراً لبعدها عن مركز الخلافة ، وطبيعة البلاد الجبلية الوعرة فقد لجأ لها الخارجون عن الدولة محاولين الاستقلال ، ونشر مذاهبهم بعيداً عن رجال السلطة . وأدى ذلك إلى انتشار المذاهب الشيعية بها - الإسماعيلية والزيدية - في المناطق الجبلية الوعرة . مما أدى إلى تفكك وحدة البلاد السياسية وقيام الدويلات المتصارعة بها . كما انتشر المذهب الشافعي في القرن الرابع الهجري في المنطقة الواقعة بين صنعاء وعدن . ومازال أهل السنة هم الأكثر عدداً في اليمن في عصرنا الحاضر (٣٥) .

لأنهم وكما قال عنهم المصطفى الحبيب سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله ص : " أتاكم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية " رواه البخاري ومسلم .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

## الحواشي

- ١- ترجمة إأبى هاشم ، رقم ١٢٨ ، عند تقى الدين محمد بن أحمد القاسى فى : العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، توزيع مكتبة عباس أحمد البازوج ٢ ، ص ١٣٣ . والنجم عمر بن فهد : إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مطابع جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بأم القرى ، ج ٢ ، ص ٤٦٩ . وأحمد السباعى : تاريخ مكة ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ٢٠٢ - ٢١٦ ؛ محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، دار الفكر العربى ، ص ٢٠ - ٢١ ؛ وعواطف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز فى القرنين السابع والثامن الهجريين ، الرياض ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ص ٢٤٩ - ٢٥١ .
- ٢ - حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م ، مكتبة النهضة المصرية ، ج ٤ ، ص ١٩٧ .
- ٣ - ج ٥ ، ص ٤٧٣ ، ترجمة رقم " ٢٣٣٧ " .
- ٤ - النجم عمر بن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ١٧٩ ؛ على بن تاج الدين بن تقى الدين السنجارى : منائح الكرم فى أخبار مكة والبيت ولاة الحرم ، حققه جميل المصرى وآخرون ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .
- ٥ - ج ٦ ، ص ٣١٣ ، ترجمة رقم " ٢٩٧٨ " .
- ٦ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق سعيد عبد الفتاح وآخرين ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ص ٤٤٢ ، والسنجارى : منائح الكرم ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .
- ٧ - دار صادر ، ص ٧٨ .
- ٨ - الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، دار مكة ، منشورات نادى مكة الثقافى ، ص ١٠١ - ١١٦ .
- ٩ - الرياض ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، ص ١٨٣ - ٢٣٦ .
- ١٠ - سنوك هورخرونيه : صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ترجمة على عودة الشيخ ، وتعليق محمد السريانى ومعراج نواب مرزا ، مكتبة الدارة المنوية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ١٦٣ ، جميل حرب محمود حسين : الحجاز واليمن فى العصر الأيوبي الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، جدة ، تهامة ، الكتاب الجامعى ، ص ١١٩ .
- ١١ - جميل حرب : الحجاز واليمن فى العصر الأيوبي ، ص ٢١٧ ؛ نقلاً عن مخطوطة " أنباء الزمن فى تاريخ اليمن " ليحيى بن الحسين ( ت ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م ) ، بدار الكتب المصرية ، رقم ١٣٤٧ تاريخ .
- ١٢ - صفحات من تاريخ مكة ، ص ١٧٦ ، والعقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٤٦٩ ، ترجمة الشريف قتادة .



- ١٣ - عواطف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية ، ص ١٦٨ ؛ العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ١٥٥ ، ترجمة الشريف أبي نفي الأول ، رقم ١٤٤ .
- ١٤ - صفحات من تاريخ مكة ، ص ١٦٤ .
- ١٥ - تاريخ مكة ، ص ٢١٣ .
- ١٦ - النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٢٩ .
- ١٧ - تاريخ مكة ، ص ٢٠٣ .
- ١٨ - عواطف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية ، ص ١٥٩ .
- ١٩ - النجم عمر بن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ١٨٢ - ١٨٤ ؛ والعز عبد العزيز بن فهد : غاية المرام ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
- ٢٠ - انظر : ترجمة الشريف عجلان بالعقد الثمين ، رقم ١٩١٨ ، ج ٥ ، ص ١٩٧ .
- ٢١ - المجموع المنصوري : لعبد الله بن حمزة ، ( كتاب : العقد الثمين في تبين أحكام الأئمة الهادين ) ، ورد اللعن والتكفير الصريح في عدد من المواضع ، خاصة تحت عنواني ( حكم المخالفين لأمير المؤمنين ، وحكم معاوية وأتباعه ) في الجزء الأول والثاني .
- ٢٢ - العز عبد العزيز بن فهد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهد محمد شلتوت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، جامعة أم القرى ، ج ٢ ، ص ٩٦ .
- ٢٣ - عواطف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية ، ص ١٩٧ .
- ٢٤ - عبد الإله بن علي الوزير : تاريخ اليمن المسمى ( طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى ) ، تحقيق محمد بن عبد الرحيم جازم ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، دار المسيرة ، بيروت ، ص ١٥٨ .
- ٢٥ - منافع الكرم ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ .
- ٢٦ - الفاسي : العقد الثمين ، ترجمة أبي نفي الأول رقم ١٤٤ ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، والعز بن فهد : غاية المرام ، ج ٢ ، ص ٢٧ .
- ٢٧ - عواطف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية ، ص ٢٤٩ .
- ٢٨ - صفحات من تاريخ مكة ، ص ٢١٣ .
- ٢٩ - صفحات من تاريخ مكة ، ص ٢٠٧ .
- ٣٠ - تحقيق أشرف أحمد الجمال ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، ص ١٧٤ .
- ٣١ - صفحات من تاريخ مكة ، ص ٢٣٤ .
- ٣٢ - مرآة الحرمين ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .
- ٣٣ - الرحلة الحجازية : الطبعة الثالثة ، مكتبة المعارف ، ص ٤٨ .
- ٣٤ - ابن الوزير : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ص ، اعتنى به علي بن محمد العمران ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ج ١ ، ص ١٢ - ١٤ .
- ٣٥ - جمل حرب : الحجاز واليمن ، ص ٨٣ .





## الثورات في غرب السودان على الدولة المهدية دراسة وثائقية ١٣٠٢-١٣٠٥ هـ / ١٨٨٥-١٨٨٨ م

### مقدمة :

عندما قامت الثورة المهدية في السودان في عام ١٨٨١م بزعامة محمد أحمد المهدي ، وجدت استجابة من كل القوى الوطنية في السودان ، وأيدتها القبائل السودانية ، وباركت خطوات المهدي لإعلان ثورته الدينية ولكنه رغم انضمام الكثير من القبائل إلى هذه الثورة ، وظل الولاء قائماً طوال حياة المهدي ، ولكنه بعد وفاته في عام ١٨٨٥م تولى خليفته عبد الله التعايشي الذي حاول مواصلة خطوات المهدي ، لكن بعض القبائل عارضت سلطة الخليفة ، بل وتمردت عليها وكان على التعايشي أن يتخذ مواقف إيجابية من هذه القبائل للحفاظ على وحدة الدولة المهدية ، وعدم انفصال أي قبيلة عن بقية الدولة ، ولقد توافر لدى الباحث عدد من الوثائق الأصلية الخاصة بالمهدية ، وموقف القبائل من إدارة التعايشي فكانت فكرة هذا البحث الوثائقي عن موقف القبائل في غرب السودان في محاولة لإبراز هذا الدور ، والجهود التي بذلها التعايشي للقضاء على أية محاولة للنيل من الثورة المهدية وسوف نحاول في هذا البحث التركيز على النقاط التالية :

أولاً : علاقة الخليفة بالقبائل .

ثانياً : ثورات القبائل على الدولة المهدية .

ثالثاً : ثورة الأمير يوسف بن السلطان إبراهيم فى دارفور والقضاء على الثورة .

الخاتمة .

### تمهيد :

ظلت القبائل بغرب السودان تدين بالطاعة والولاء لرؤسائها على الرغم من دعوة المهدي لهم للانضمام لحركته على أساس الحماس الدينى والمصلحة المشتركة فى إنهاء الحكم المصرى فى السودان ، وكان مشايخ القبائل ، أشد ما يكونون استمساكاً بسلطانهم وحقوقهم القبلية وأبعد ما يكونوا رغبة فى التنازل عنها خصوصاً للخليفة لأنهم يعدونه واحداً منهم ويعدون أنفسهم أنداداً له (١) .

وكانت البلاد وقتذاك تنقسم قسمين : قسم يؤكد العهد الجديد ويتألف من الجماعات التى استفادت من هذا العهد ومن أتباعهم وقسم من الساخطين الذين كانوا يتحسرون على أيام الفوضى التى كانت سائدة أيام المهدي . ومع أن الخليفة عبد الله نجح فى تركيز كل سلطات الدولة فى يديه ، فإنه لم يشأ أن يغمض عينيه عن هؤلاء الساخطين (٢) .

وكانت قبيلة الرزيقات التى قامت بدور فى قلقلة الإدارة المصرية فى دارفور قد أسدت أجل الخدمات للقضية المهدية بقيادة شيخ القبيلة ( مادبو على ) فما أن استقر زقل فى الفاشر خلفاً لسلطين ( Slatin ) حتى عاد المادبو لبسط نفوذه على إقليم شكا .

فلما خرج زقل من الفاشر فى طريقه إلى الاعتقال والسجن فى باره ، خلف فى الفاشر الأمير ( يوسف بن سلطان إبراهيم ) وكان عامل المهدية آنذاك فى شكا . محمد الشيخ محمد كركساوى شقيق كرم الله عامل بحر الغزال ، فلما رأى عادبو ، أن الأمير يوسف الفور قد تبوأ عرش أجداده فى الفاشر ، بات يحلم بالعهد الذهبى الذى كان يعيش فيه الرزيقات منذ اثنى عشر عاماً حين كانوا يسيطرون على الحدود الواقعة بين بحر الغزال ودارو قبل أن يغزو الزبير باشا . ديارهم (٣) .

### أولاً : علاقة الخليفة بالقبائل :

بدأت العلاقات بين الخليفة و ( مادبو Madbo ) فى التوتر حينما أرسل إليه الخليفة فى ٤ ذى الحجة ١٣٠٢ هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٨٨٥م يذكره بكثرة منشوراته التى بعثها إليه للقدوم



إلى أم درمان منذ أن كان الخليفة بالأبيض وأوضح له أن توقفه عن الهجرة لأسباب له وأن تخلفه من عوامل تخلف قبيلة الرزيقات عن الهجرة (٤).

وكان الخليفة قد طلب من ( محمد خالد ) عمل دارفور في ٢٨ شوال ١٣٠٢ هـ الموافق ١٠ أغسطس ١٨٨٥م سرعة الحضور إلى أم درمان ومعه كبار أهالي دارفور (٥) ثم طلب من ( مادبو على ) الهجرة إلى البقعة بكافة جماعته مع محمد خالد ، وأوضح له الخليفة أنه يستهدف فتح مصر (٦).

ورفض مادبو تنفيذ أوامر الخليفة ، وهنا وجد الخليفة نفسه في موقف دقيق ، إذا لم يكن ثمة مبرر عن الاستعانة ضد مادبو بقوات عامل شكا ( محمد شيخ محمد كركساوى ) وهو من الدناقلة ، وبجيوش الأمير يوسف الفوروى . وكان الخليفة يخشى أن يزداد نفوذهما بعد القضاء على المادبو وقبيلة الرزيقات ، ثم ينقلبان عليه فى النهاية ، فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار - لذلك اتجه الخليفة إلى معالجة ثورة المادبو بالحكمة والتعقل ، خاصة وأن كركساوى أزعج الخليفة بتقاريره عن المحاولات التى يبذلها المادبو لكى يستميل إليه رجال الجيش الذين تحصنوا فى جبال النوبا بعد مقتل محمود عبد القادر .

فكتب الخليفة إلى مادبو فى ٨ شوال ١٣٠٣ هـ الموافق ٢١ يوليو ١٨٨٥م يلومه على ما بلغه من نقضه العهد ومجاهرته بعداوة المهدية ، ويطلب منه إذا كان ما بلغه عنه غير صحيح - أن يسرع بالاتصال بمحمد شيخ محمد كركساوى ، ويظهر له صدقه وإيمانه ثم يتوجه توجاً إلى البقعة مؤكداً له أنه قد أوصى محمد شيخ بأن يتولى العناية بأهله وعشيرته أثناء غيابه . وفى النهاية أئذره الخليفة بسوء العاقبة إن صح ما بلغه عنه وتمادى فى عصيانه (٧).

وفى نفس الوقت أرسل الخليفة إلى عثمان آدم عامل الأبيض ويطلب منه إرسال خمسة أو ستة صناديق جبخانة إلى كركساوى لمطاردة مادبو (٨). ولم يكتف الخليفة بذلك ، بل أرسل فى الوقت نفسه كتاباً بتاريخ شوال ١٣٠٣ هـ الموافق يوليو-أغسطس ١٨٨٥م إلى كافة الرزيقات يخطرهم بعزل المادبو من الإمارة لأنه طغى ونقض عهد الله ورسوله ومهدية وعهد خليفته ، وأمرهم بسد الطريق عليه كى لا يهرب وبعد القبض عليه يرسل إلى العاصمة إن تاب وأسلم وإلا يقطع دابره (٩).

ونشب القتال بين مادبو ومحمد شيخ ولم يشأ الخليفة أن يترك شيئاً للظروف ، فبادر باستدعاء كرم الله شقيق محمد شيخ من بحر الغزال ووصل ( كرم الله ) إلى شكا فى محرم

١٣٠٤هـ / أكتوبر ١٨٨٦م فسار على نفس السياسة التي اتبعها في بحر الغزال ، فسلب القرى ونهبها وأحرقها واسترق أهلها ، واضطر الناس للالتفاف حول مادبو لحماية بلادهم ، وواصل الخليفة محارلاته لاستمالة المادبو ، لأنه ربما كان يخشى مغيبة انتصارات الآخرين كركساوى وبالتالي استفحال نفوذهما في الغرب ، فأرسل إلى المادبو في ٢ صفر ١٣٠٤هـ الموافق ٣١ أكتوبر ١٨٨٦م ، يكرر عليه طلبه في الهجرة إلى أم درمان ، ويؤمنه ويعفو عنه (١٠).

وقد تمكنت قوات كركساوى من أن تنزل بالمادبو هزيمة كبيرة فر بعدها إلى جهة بنى هلبة، وبعث الخليفة إلى يوسف إبراهيم عامل دارفور ، يبلغه ذلك ويأمره بضبط المادبو وإرساله لمحمد شيخ محمد أو قتله ومنعه من الالتجاء إلى القبائل إذ أن كل من يأويه يصير خارجاً عن الدولة (١١).

وكتب أيضاً إلى زعماء الرزيقات يطلب منهم مساعدة كركساوى ومحاربة بنى هلبة حتى يسلموا المادبو (١٢)، وكتب في نفس المعنى (١٣) إلى كافة قبائل دارفور (١٤) أما بنى هلبة فقد حذرهم من دخول المادبو إلى بلادهم وأخبرهم بأنه يعلم بتواطئهم معه وتعصبهم لمحاربة الأنصار وإيواء المادبو ومعارضة مندوبى الآخرين كركساوى فإذا كان هذا صحيحاً فينبغى عليهم تسليم المادبو فوراً وإلا فعليهم أن يحصلوا عليه أينما كان . أو يحل بهم الدمار .

واضطرب بنو هلبة - فيما يبدو - إلى التخلي عن المادبو الذي قرر أن يلجأ إلى جبل (مرة) في دارفور .

وفي ٦ ربيع آخر ١٣٠٤هـ الموافق ٢ يناير ١٨٨٧ كتب الخليفة إلى محمد الشيخ محمد كركساوى يبلغه أن المادبو ضبط بجهة الدور (قرب الفاشر) على يد جماعة يوسف إبراهيم ، وأنه ينبغى إرسال كامل عائلة المذكور وجميع أمواله وأملاكه معه ، وليكن هو مثلاً بالحديد في رجليه ورقبته (١٥).

## ثانياً : ثورات القبائل على الدولة المهدية :

بادر الإخوان كركساوى بترحيل المادبو إلى أم درمان ، وفي الأبيض اعترض طريقه (حمدان أبو عنجه) وأعدمه بناءً على ثأر شخصى قديم بينهما منذ عهد ما قبل الخليفة ، وأرسلت رأسه إلى الخليفة الذى وافق أبا عنجه على هذا الإجراء (١٦).



ثم أبلغه فيما بعد أن رأس المادبو علقت فى الجامع فى أم درمان (١٧) وكانت ثورة المادبو فى ذروتها حين استقر رأى الخليفة على الخلاص من ( صالح الكباشى ) أكبر مناوى لسلطة الخليفة وأشدهم خطراً نظراً لاتصاله بالسلطات المصرية والإنجليزية .

وفى وادى حلفا قال ( أورفالدر ) أنه كان أكبر شخصية تعارض المهديّة ونفوذها ، وكانت قبيلة صالح بك فضل الله ود سالم ، وهو شقيق الشيخ ( التوم ) زعيم الكبابيش الذى أعدم فى الأبيض ، تمتلك قطعاً كبيرة من الإبل والأغنام ، وتنزل الصحراء الواقعة بين دنقلة وكردفان ، وكان رجال القبيلة فيما مضى يدفعون للحكومة ضريبة سنوية تبلغ حوالى مائة ألف ريال ، كما كانوا يتولون أعمال النقل والتجارة بين مديرتى كردفان ودنقلة ، وخلال حصار الأبيض قدم الشيخ صالح وأخوه ، التوم فضل سالم على المهدي ومعهما هدايا من الإبل ، ومع ذلك فإن العلاقات لم تتحسن بين الكبابيش والمهديّة ، إذ وضع التوم فى الأغلال وأعدم فى الأبيض فجأة (١٨) .

وانتقم صالح بك لمقتل شقيقه ، فقدم معونة كبيرة من الإبل إلى حملة الإنقاذ بقيادة ( ولزلى ) ، فلم يكن غريباً أن يستقر رأى الخليفة على الخلاص من هذا الشاثر الذى يسيطر على الطرق الصحراوية بين مصر العليا وغربى السودان ، فقد جاء فى صحف القاهرة الصادرة فى مارس ١٨٨٧م إنه هاجم فى جهة أبو خلوات قافلة مكونة من خمسمائة من الإبل تنقل الحبوب من دنقلة إلى الخرطوم (١٩) . فضلاً عن أن الكبابيش كانوا يقومون بتزويد السلطات الإنجليزية والمصرية بمعلومات قيمة عن أحوال السودان (٢٠) ، أضف إلى ذلك أن وجودهم فى شمال كردفان كان يمثل تهديداً خطيراً للجناح الغربى للدولة الجديدة (٢١) .

وقيل إن الكبابيش كانوا يطمعون من قديم فى الاستيلاء على مديرية دنقلة الغنية ، فلم تكن ثورة هذه القبيلة لإسقاط الخليفة عبد الله التعايشى بقدر ما كانت لأخذ دنقلة لأنفسهم (٢٢) .

إلا أن صالح بك كان قد أصيب بالضعف بسبب انضمام كثير من أتباعه إلى صفوف المهديّة ، بل واشترك بعضهم فى القتال ضده ولما أدرك نيات عبد الله التعايشى العدوانية أرسل فى طلب المعونة من الحكومة المصرية فى أوائل عام ١٨٨٧م ، وبعث بخمسين عبداً إلى حلفا حيث سلمتهم الحكومة مائتى بندقية ( رمنجتون ) وأربعين صندوقاً من الذخيرة ومائتى جنيه نقداً لمحاربة الأنصار (٢٣) .

وفى ذلك الوقت قدم إلى أسوان تاجر يدعى ( خوجال دفع الله ) من الجعليين مندوباً عن أمراء كردفان ويحمل كتاباً إلى الخديوى توفيق يشكون فيه من أحوال كردفان ، ويطلبون اتخاذ الترتيبات اللازمة لإعادة دخول البلاد تحت سلطة الحكومة الخديوية (٢٤).

وأجابت الحكومة المصرية بأنها ، وإن كانت ترغب فى إجابة هؤلاء الأمراء إلى مطالبهم فإن ذلك يقتضى بعرائق (٢٥) ويبدو أن خوجال هذا هو الذى أطلع المغامر الروسى ( كارل نوفلد ) ( Karl Nofeld ) على وفرة الصمغ فى كردفان ، وتدهور أسعاره ، فطمع فى العمل بتجارة الصمغ ورش النعام ، وقد زار قبل سفره قائد جيش الاحتلال الجنرال ( ستيفنسون ) مما يبعث على الاعتقاد أنه كان ينوى التجسس أيضاً لحساب السلطات الإنجليزية .

وكان الخليفة قد كتب إلى ( صالح فضل الله سالم ) زعيم الكبابيش فى ١٠ رجب ١٣٠٣ هـ / الموافق ١٤ أبريل ١٨٨٦م يعده بالأمان وحسن المعاملة والتكريم إذا هاجر إليه (٢٦) ولكنه صالحاً أكتفى بأن أرسل للخليفة هدايا من الإبل والخيل ، وأكرم رسله ، فكرر عليه الخليفة العفو والأمان وقال إنه لا يهتم بالأموال التى يجمعها باسم الخليفة ، لأنه عازف عنها فالغاية هى الرعاية والهداية إلى الله (٢٧).

ورفض صالح الحضور ، فكتب الخليفة إلى كافة من كانوا مع ( صالح فضل الله سالم ) من كبابيش وحمير وخلافهم " يبلغهم أن صالحاً قد أصبح خارجاً عليه وعلى ملة الإسلام ووجب لذلك ضربه وإن عليهم أن يتدبروا أمرهم (٢٨) وكان ( عبد الرحمن النجومى ) قد بلغه نبأ وصول اتباع صالح إلى حلفا ، وعودتهم بالأموال والأسلحة والذخائر ، فبعث بقوة لاحتلال (آبار سليمة ) فى طريق درب الأربعين والتى لابد وأن يمر بها الكبابيش ، وفعلاً باغت المهديون القافلة وفتكوا بها أسروا بعض الرجال ومنهم كارل نوفلد (٢٩). ونقل الجميع إلى دنقلة حيث أعدم الرقيق ، وأبقى على الكبابيش استمالة لقبيلتهم ، أما نوفلد فقد أرسل إلى أم درمان وبقي أسيراً فيها حتى عام ١٨٩٨م.

وقد كان وقوع القافلة فى الأسر أكبر ضربة وجهت إلى ( صالح الكباشى ) . وأسند الخليفة مهمة القضاء عليه إلى ( عثمان آدم ) عامله فى الأبيض ، فكتب إليه فى ٢٨ محرم ١٣٠٤ هـ الموافق ٢٧ أكتوبر ١٨٨٦م أن يطلب إلى دار حامد بالألا يتركوا صالح الكباشى يدخل دارهم ، ويحذروهم من الذين يعاملونه أو يتركونه بجوارهم أو يبيعوا له المعاشى ، ليكونون عرضة لعذاب شديد (٣٠)، ولم يكن ( سيمائى تمساح ) شيخ قبيلة دار حامد فى حاجة إلى



هذا التحذير ، فقد كان له ثأر قديم عند صالح ، إذ أن والد صالح قد قتل والد سيماوى وعمه .

ثم حذر الخليفة عثمان آدم من أن يتوصل صالح لأخذ المعاش من أى جهة من جهات كردفان (٣١) ، وفى ٢٣ ربيع آخر ١٣٠٤ هـ الموافق ١٩ يناير ١٨٨٧م أبلغ الخليفة ( أبا عنجة ) بضرورة إثارة القبائل ضد صالح لمنع من الوصول إلى أراضى قبيلته (٣٢) .

وكتب الخليفة إلى كافة قبائل حمر يبلغهم أن صالح الكباشى من أعداء الله وأنه مصر على الإعراض عن طريق المهدي ، وأمرهم بشن الغارة عليه حتى يهلك ، أو يقبض عليه وسلم للأنصار " لإيصاله بطرفنا " (٣٣) . وألح الخليفة على عثمان آدم بسرعة إنجاز أمر صالح لأهميته (٣٤) ولم يكن الخليفة راضياً عن الإجراءات التى اتخذها عثمان ضد صالح فكتب إليه فى رجب ١٣٠٤ هـ الموافق ١٧ أبريل ١٨٨٧م يؤكد له أهمية القضاء على صالح ، وبلغت نظره إلى أن السرية التى وجهها ضده ليست كافية ، وإنه الأولى تعيينى الجيش الكافى لروعه ويكون من الأنصار أهل الهمم العالية مع إعطائهم السلاح الكافى والجبخانه اللازمة (٣٥) .

ويبدو أن صالحاً استطاع أن يستميل إليه بعض القبائل للقتال ضد المهديّة فقد كتب الخليفة إلى عثمان آدم فى ٢٤ رجب ١٣٠٤ هـ الموافق ١٨ أبريل ١٨٨٧م يقول إنه بالنظر لمداخله صالح مع قبائل العربان بجهة الغرب كالزباوية والميدوب وحمر وغيرهم ، فقد استصوبنا أن نحرر إنذارات لهم بالتحذير عن موالاته (٣٦) .

وأبلغ عثمان الخليفة أنه عين ( سيماوى قساح ) و ( العطا أصول ) لمطاردة صالح ، وقد وافق الخليفة على ذلك (٣٧) وبلغت حملة الجيش الموجه ضد صالح ٨٥٩ مقاتلاً ومن الخيول ٦٦٦ والجبخانة ٢٩ صندوقاً ولم يكتف الخليفة بالجيش الذى أرسله عثمان آدم ضد صالح ، فأرسل من عنده أيضاً سرية بقيادة محمد نوباوى وإسماعيل الأمين وجاد الله بلبوا لاقتفاء أثر صالح (٣٨) وبذلك يتعرض الكبابيش لهجوم ذى ثلاث شعب : الشعبة الأولى من الغرب بقيادة سيماوى قساح والعطا أصول ، والثانية من الجنوب بقيادة محمد نوباوى وزملائه والثالثة من الشمال بقيادة عبد الرحمن النجومى .

ولكن الخليفة سرعان ما غير رأيه وطلب من ( محمد نوباوى ) و ( إسماعيل الأمين ) العودة والاكتفاء بجهود عثمان الذى أنيطت به وحده مهمة القضاء على صالح (٣٩) . وما زالت

قوات عثمان تطارده حتى وقع أسيراً فى ١٧ مايو ١٨٨٧م رغم المقاومة الباسلة التى أبدتها ، وقد عرضوا عليه أن ينقل إلى أم درمان فرفض وتقدم سيمائى تمساح صاحب الشار القديم واعتبر رأسه وبعث بها إلى أم درمان وأرسل الخليفة إلى عثمان آدم يبلغه أنه تسلم رأس صالح ورأس كاتبه وأنهما علقتا فى الجامع لتكونا عبرة لكل من تسول له نفسه الخروج على طاعة الخليفة (٤٠).

وأرسل أيضاً إلى سيمائى تمساح وكافة من معه يشكرهم على جهودهم فى قطع دابر صالح ويحذرهم من الاستيلاء على الغنائم ، وطلب منهم تسليمها إلى عثمان آدم (٤١). وفى نفس اليوم أرسل إلى عثمان آدم يأمره بتجريد الكبابيش من أموالهم ونسائهم فيما عدا نساء غير المحاربين منهم (٤٢).

وبدور أن جماعة عثمان تمادت فى نهب قبائل الكبابيش وسلبهم بل واعتدت أيضاً على القبائل المجاورة ، فقد شكوا الخليفة إلى عثمان من أن جماعته المعينة لجمع غنائم صالح لم تقف على حدود جهاتها ، بل تمادت حتى وصلت إلى الجهات المقارية ( لأم درمان ) (٤٣).

وعلم الخليفة بوجود مكاتبات بين صالح وبعض المقيمين فى أم درمان ، فطلب من عثمان آدم الاستقصاء عن ذلك ، وإبلاغ الخليفة عنها عاجلاً بوجه السرعة (٤٤).

ويعتبر مقتل صالح أكبر ضربة أصابت الكبابيش ، فقد نقل عدد كبير منهم إلى الأبيض حيث أعدموا ، وقيل أن عثمان أعدم منهم مائة رجل دفعة واحدة وألقى بجثثهم فى الآبار ، أما الإبل والأغنام التى كانت فى حوزتهم ، ففقد أرسلت إلى بيت مال العموم فى أم درمان ، وذبحت النياق وبيع الرأس بريالين ، وقضى المهديون على هذه الثروة الحيوانية التى كانت مصدراً من مصادر الرخاء فى البلاد ، وكادت أن تختفى فى هذه القبيلة التى كانت يوماً ما مهيبة الجانب (٤٥).

الأمر الذى لاشك فيه هو أن ثورة صالح الكباشى والمادبو شيخ الرزيقات ، كشفت عن التهديد الخطير الذى تتعرض له سلطة الخليفة من جانب شيخ قبائل ، لذلك فإن سياسة الحكومة اتجهت إلى التخلص منهم عن طريق إذكاء المنافسات القديمة والعداوات التقليدية فيما بينهم وفقاً للسياسة الرومانية المعروفة ( فرق تسد ) (Oivide Et Empra) وبذلك تطمئن إلى أنه لن تقوم بينهما رابطة أو اتحاد يجمع بينهما للاتفاق على عمل مشترك ضد الخليفة والدليل على ذلك أن الخليفة كتب إلى ( عثمان آدم ) عامله فى الغرب . يطلب منه



أن يوقع بين قبيلتى الرزيقات والهباتية من جهة وبنى هلبه من جهة أخرى وكتب لهم يقول  
اقتطعوا المودة بينهم ( الرزيقات والهباتية ) .

والدليل الثانى ما جاء فى كتابه إلى ( عثمان آدم ) أيضاً وأعلم أيها المكرم إنا قد  
ألزمتنا أخاكم أحمد فضيل بأن يريحكم من جهة عريان الحمر ويشغل بضربهم وتشتيتهم  
والاستحصال عليهم بأى وجه كان ، فليكن معلوماً ذلك ، وانظروا على أية حال الكيفية التى  
تحصل العداء والخلاف بين الرزيقات والحمر وافعلوها لأن فى عدواتهم مساعدة فى  
الاستحصال عليهم وإن كان كيدهم ضعيف على أية حال ، وفى عداوة الرزيقات للحمر ثمرة  
كبيرة ، ومتى وصلت الجيوش لهم وضربتهم ، فإن الهارب منهم لا يدخل دار الرزيقات لحصول  
العداء ، فأسعوا فيما ينفرهم من بعضهم (٤٦) .

والدليل الثالث قوله فى كتاب موجه إلى عثمان آدم " فأكد عليهم ( أى على الرزيقات )  
بقطع المخالطة مع عريان الحمر ، وحتم عليهم أن كل من يجدونه معهم من الحمر يضبطوه  
ويحضروه لكم ، ولا يكن بينهم بوادى ولا اتصال (٤٧) .

وكان من رأى ( عثمان آدم ) تسليط الرزيقات على الحمر فيقتلوهم ويأخذوا أموالهم دون  
عقاب عليهم ووافق الخليفة على ذلك (٤٨) .

وكانت الحكومة قد استعانت ضد صالح الكباشى بقبيلة دار حامد لما كان بين شيخها  
سيماوى قماش ( المعروف باسم جريجر ) وصالح من ثار قديم ، فليس هناك إذن وجه للمقارنة  
بين سياسة الحكومة هذه إزاء القبائل والسياسة التى كانت تسير عليها الإدارة المصرية السابقة  
التي كانت تعتمد أصلاً على السلطات الطبيعية فى البلاد مثل الشياخات والنظارات المختلفة  
وتتخذ منها صلة بينها وبين القبائل والجماعات .

وكان الدناقلة وغيرهم من القبائل النيلية ( أولاد البلد ) مثل الجعليين وغيرهم قد ساهموا  
مساهمة فعالة لا تقل - إن لم تزد - عن مساهمة البقارة وقبائل الغرب فى إرساء قواعد  
النظام الجديد لذلك كانوا يشعرون فى قرارة نفوسهم أنهم أصحاب الفضل فيه (٤٩) .

لذلك ليس غريباً أن يطلب الخليفة من عثمان آدم إرسال كافة أولاد البلد بالفاشر إلى أم  
درمان (٥٠) .

ثم كتب إليه فى ٢٢ ربيع أول ١٣٠٥ هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٨٨٧م يحذره من عريان  
الرزيقات والهباتية وعموم عريان هذه الجهات ويطلب منه تقصى أحوالهم (٥١) .

فبعث عثمان في ٢ جماد أول ١٣٠٥هـ الموافق ١٦ يناير ١٨٨٨م تقريراً وافياً عن الأحوال في دارفور وموقف القبائل من حكومة الخليفة . وقال عن الرزيقات " إننا نطلبهم للجهاد فلم يحضروا بل أغاروا على ديم شكا واستولوا منه على الرقيق " ووعده عثمان الخليفة بالالتفاف إليهم بعد الانتهاء من أمر الفوركي " حتى يصيروا عبرة لغيرهم ماداموا تمادوا على الطغيان". وقال عن الهبانية إنهم أحسن حالاً ، بدليل أن ثمانين من فرسانهم يعملون تحت إمرته . أما التعايشة ، فلم يحضر منهم أحد ، وبلغه أن شيخهم ( الغزالي ولد أحمد ) خاف وهرب إلى جهة برقوتيساه وأغراه شخص يسمى أبو شقرات من أولاد الطاهر التيجاني . أما بنو هلبه ، فقد حضروا جميعاً ، وتحدث عثمان عن الزباوية فقال ، إنهم أشد الناس في العصاة وأخيراً بلغ الخليفة أن عربان الحمر والمسيرية الذين سبق إرسالهم جميعهم ارتحلوا لمحلاتهم وجأهروا بالعصيان (٥٢).

وفي هذا التقرير دلالة واضحة على أن حكومة الخليفة في أوائل عام ١٣٠٥هـ لم تكن تتمتع بأية سلطة أو نفوذ في دارفور ، وأن القبائل لم تكتف بأنها لم تلق بشقلها في جانب القضية المهدية فحسب بل إن بعض منها جاهر بالعداء للحكومة الجديدة ولم يسكت الخليفة من جانبه ، فبعد أن تسلم تقرير ( عثمان آدم ) سالف الذكر شرع في إعداد الجيوش وتوجيهها لإخضاع دارفور فكتب إلى عثمان آدم في ٢ جماد آخر الموافق ١٥ فبراير ١٨٨٨م يقول :

" بالنظر لما بلغنا من جهتك من عصاة دارفور ، شرعنا الآن في توجيه السرايا نحوها .... وهم بنو جرار والشايقية والجميعاب وغيرهم من أولاد البحر ويذهبون بطريق الزهد والبركة لتشتيت شمل الذين جأهروا بالعصيان ثم بعد ذلك يستكشفون حال الرزيقات فإذا كانوا على حالهم السابق من الإعراض عن الدين وعدم سماعهم أوامرنا بانضمامهم إليكم . يضربونهم حتى يقطعوا دابرهم حيث أن الإمهال حصل لهم كثيراً وأظن حصل لهم غرور" (٥٣).

وحذر ( عثمان ) سلطان برقو وأمره بمنع دخول رؤساء القبائل لبلاده (٥٤) وقد أرسل الخليفة ثلاث سرايا لمعاونة عثمان بقصد تحقيق دخول كافة من بها ( أي بدارفور ) من قبائل العربان وغيرهم تحت الطاعة كرهاً أو طوعاً أو قتلهم وتطهير الأرض منهم " (٥٥).

وكانت السرية الأولى تحت قيادة ( حامد ولد مجبور ) ووجهتها الفاشر وكانت السرية الثانية تحت قيادة ( أحمد فضيل ) وهي مسنولة عن التعامل مع الرزيقات والحمر .



أما السرية الثالثة فكانت تحت قيادة محمد قيلي ( ووجهتها الفاشر عن طريق الوسط وكانت تحمل الجبخانه (٥٦).

وقد رد عثمان آدم بأنه لولا أن دين الله منصور لما قدرنا على دارفور لأن قبائل كثيرة لجأت إليها وجهاتها متسعة " وأضاف إنه لابد من توجيه سرية تقيم بجهة ( كبكابية ) لإدخال أهالي تلك الجهات في الطاعة " فضلاً عن جهات دار الريح التي لم تصل إليها يد أحد قبلنا كالبيديات والقرعان وخلافهم من أعالي زغاوة المجاورين الذين قيل عنهم إنهم يعبدون الأصنام (٥٧).

ولم ينتظر عثمان وصول السرايا التي بعث بها الخليفة إليه ، بل بادر بالاتصال بقبيلة الرزيقات وطلب منهم الحضور إليه بكامل خيولهم ورجالهم مع إحضار كافة الأسلحة النارية من الأشخاص الذين اكتسبوها من كرم الله ومن ( ديم شكا ) وهددهم بالهلاك إذا لم يذعنوا كما طلب من الهبانية الحضور وإحضار كافة أسلحتهم النارية وخيول ، أما الزبادية فقد حضر مشايخهم وأقاموا معه ، وطلب منهم إحضار كافة خيولهم ورجالهم مع عائلاتهم بالفاشر وأمرهم بإخراج الزكاة (٥٨).

وكتب الخليفة إلى عثمان يبلغه أن " الرزيقات والهبانية أمرهم سهل ووقتما يصير الالتفات إليهم ( بعد الانتهاء من أمر الفور ) يدخلون تحت الطاعة (٥٩).

أما بخصوص الحمر فقد أبلغه الخليفة " أنه ألزم أحمد فضيل بأن يريحهم من جهة عربان الحمر ويشتغل بضربهم وتشتيتهم " (٦٠).

ولكن الأمر لم يكن بمثل هذه السهولة التي تصورها الخليفة . فقد كتب إليه ( عثمان آدم ) في ٢٦ ذى الحجة ١٣٠٥ هـ يبلغه أن الزريقات بالغوا في الإعراض عن المهدية ، بل وشرعوا في الإغارة على الجهات فما من جهة إلا ومدوا أيديهم عليها وتشجع أهالي قمر ومسلات ، واتحدوا معهم ودخلوا في زمرتهم وانضم إليها الهبانية الذين تخلوا عن الهجرة وبقية الحمر الذين هربوا من أحمد فضيل بعد أن حاربهم في جهة (٦١).

ولذلك فإن كافة القبائل صارت ناظرة إليهم بل إن جهات الصعيد ( بنى هلبة ويرقد وقمر ومسلات ) رفعوا رؤوسهم بسببهم وقد اضطر عثمان إزاء ذلك إلى توجيه قوة كبيرة بقيادة

(فضل النبي ) حملت معها من الجبخان ٣٤ صندوقاً وخرجت من الفاشر يوم ٢٥ ذى الحجة ١٣٠٥ هـ وكانت التعليمات الموجهة إلى فضل النبي تنص على إنذار هذه القبائل فإن اذعنت واستسلمت ، تحضر جميعها إلى الفاشر بأموالها وعيالها وإن اعرضت فليس هناك سوى القتل (٦٢). وطلب عثمان من فضل النبي أنه بعد أن يضرب الرزقات يتحول إلى دار الصعيد ( بنى هلبة ويرقد وقمر ومسلات ) .

ولكن الأمور لم تلبث أن تطورت في غير مصلحة المهديّة ، فهزم عبد القادر في دار تاما أمام أنصار أبي جميزة في محرم ١٣٠٦ هـ / سبتمبر ١٨٨٨م وتوالت الهزائم على قواد المهديّة، واضطر عثمان إلى تركيز كل قواته في الفاشر استعداداً لمجابهة أبي جميزة ، فعاد فضل النبي إلى الفاشر ، وسرعان ما لحق به أحمد فضيل الذي كان يقاتل الحمر . وبعد الانتهاء من أمر أبي جميزة ، تحول عثمان إلى القبائل الشائرة فخرّب ديارهم وتركها قاعاً صفصفاً .

ولا يتم الحديث عن علاقة حكومة الخليفة بقبائل دارفور دون الإشارة إلى قبيلة التعايشة وهم أهل الخليفة وعشيرته ، ويقول شقير إن الخليفة كتب إليهم يستحثهم على الهجرة إلى أم درمان بخيلهم وإبلهم ومواشيهم ليعزز بهم ملكه ويأمن بهم غدرات الزمان (٦٣).

ويؤيد في ذلك المؤرخ الفرنسي ( ديجارك ) ( Dujarric ) الذي قال أن الخليفة كان يأمل في أن يخلق حول عرشه وشخصه شعباً مخلصاً له يمكن أن يعتمد عليه في التنظيم المدني والعسكري للدولة (٦٤).

في حين يرى البعض أن هدف الخليفة من وراء استدعاء التعايشة قد أسىء فهمه ، فهو لم يكن يهدف إلى إغراق خيرات المناطق القريبة من النيل على أقاربه من القبائل الرحل ، بقدر ما كان يود أن يضع تحت رقابته هذه القبائل التي اشتهرت بميلها إلى الفوضى (٦٥).

وبالفعل حدث أثناء صدام الخليفة بالأشراف عام ١٨٩١م ، أن تبودلت الطلقات النارية بين الطرفين ، فانتهز فرسان التعايشة هذه الفرصة ، وتفرقوا في أنحاء العاصمة يسلبون وينهبون، ويقتحمون الدور ويعتدون على الرجال والنساء ، واضطر الخليفة إلى أن يرسل شقيقه يعقوب شخصياً ليضع حداً لهذا الاضطراب (٦٦).

ففي ١٦ ربيع ثان ، ١٣٠٥ هـ الموافق أول يناير ١٨٨٨م طلب الخليفة من عثمان آدم إرسال القبائل المشكوك في ولائها للحكومة إلى أم درمان وذكر من بينها التعايشة وكان



عثمان فعلاً قد أرسل لزعماء القبائل للاجتماع به فى شكا ، ولكن التعايشة لم يستجيبوا لهذه الدعوة ، بل إن شيخهم ( الغزالى أحمد خواف ) قتل رسل عثمان الذين وعدوه بالأمان (٦٧). وفى ٢ جماد أول ١٣٠٥ هـ الموافق ١٦ يناير ١٨٨٨م أبلغ عثمان الخليفة إنه علم أن الغزالى هرب لجهة برقو بنسائه وأمواله .

وغضب الخليفة بسبب مسلك الغزالى ، فأرسل إلى عثمان آدم فى ٢٠ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ٤ مارس ١٨٨٨م ثلاث مكاتبات لكافة التعايشة وللغزالى ( ولصالح حوه ) زعيم جناح التعايشة المعارض للغزالى والمؤيد للمهدية .

وجاء فى كتاب الخليفة لكافة التعايشة إنه يغفر لهم سيئات الماضى بشرط أن ينضموا إلى عثمان ، أما الغزالى فقد عزل من مشيخة القبيلة ، وأن عليهم أن يعتزلوه وألا ينضموا إليه ، وطلب الخليفة من عثمان إرسال الكتاب الموجه إلى الغزالى إن كان لا يزال فى ضلاله وجاء فيه أنه لا بد أن يذكر إنه زار الخليفة فى الأبيض وبائع المهدى ، ونظراً لأنه قد بلغ الخليفة أنه نقض البيعة ، وأنه فر بعد أن هاجم أفراد قبيلته الموالين للمهدية ، فينبغى عليه أن ينضم إلى عثمان آدم ، وإلا أدخل كرهاً إن لم يأت طوعاً أما الكتاب الثالث الموجه إلى صالح حوه ، فقد تضمن أمراً من الخليفة بالقبض على الغزالى والانضمام بجماعته إلى عثمان (٦٨).

وفى ٣ رجب ١٣٠٥ هـ الموافق ١٦ مارس ١٨٨٨م أبلغ عثمان آدم الخليفة أن الغزالى مازال مصرراً على الإعراض رغم المكاتبات الكثيرة التى أرسلها إليه وأضاف أن التعايشة لا يمثلون مالم يستسلم المذكور أو يخرج من الدار (٦٩).

فأمر الخليفة فى ١٢ رجب ١٣٠٥ هـ الموافق ٢٥ مارس ١٨٨٨م بأن يهتم بأمر التعايشة وأن يوجه إليهم جيشاً بعد الانتهاء من أمر الفور ، نظراً لأنهم متصلون بدار برقو ، وطلب الخليفة من عثمان إذكاء روح العداء بينهم وبين بنى هلبه وكافة القبائل الموالية لجهتهم (٧٠).

وفى ٢٥ رجب ١٣٠٥ هـ الموافق ٧ أبريل ١٨٨٨م طلب الخليفة من عثمان أن ينذر الغزالى إنذاراً نهائياً وبإدخاله هو وجماعته تحت القبض كرهاً إن لم يأتوا طوعاً (٧١).

وأبلغ عثمان الخليفة عزمه على توجيه الحتم موسى لدار التعايشة لتخريبها (٧٢). وأخيراً قدم متخصصون من طرف الغزالى بمكاتبة منه إلى عثمان يبدى فيها الندم على فعلته السابقة ويطلب الأمان ، وذكر أن صالح حوه هو المسئول عن هروبه وطلب إبلاغه بعدم التعرض له ،

ووصلت أيضًا إلى عثمان مكاتبه من صالح تحذر من الاستماع إلى اعتذار الغزالي لأنه غش وخداع وأنه خالف لما اتضح له إنجلاء الفور وذهابهم بالكلية .

وإزاء ذلك كتب عثمان إلى الغزالي يؤمنه بشرط الحضور بكامل رجاله وخيوله وفي نفس الوقت طالب صالح حوه بالمثل وأكد عليه بعدم التعرض للغزالي (٧٣).

وكان الخليفة قد أمر عثمان في ١٩ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ٣ مارس ١٨٨٨ م إرسال سرية إلى دار التعايشة لتخريبها وإحضار أهاليها ، على أن تتألف السرية من رزيقات وهبانية وبنى هلبة وفلاتة وغيرهم من العربان ، وإباحة أموال تلك الدار للعربان المتوجهين ماعدا الخمس لبيت المال أما الأحرار والعبيد والذكور والسلاح والخيول ، فهذا كله يذهب إلى أم درمان .

ورد عثمان في ٨ شعبان ١٣٠٥ هـ الموافق ٢١ أبريل ١٨٨٨ م إنه يأمل في وضع يده على التعايشة في القريب إذا كان رينا هداهم وحضروا قبل قيام السرية وكذلك الغزالي حضر ، فسنعاملهم بما يولفهم ونسعى في ترحيل باقيهم الذين بالدار . وفي أسفل الرسالة كتب عثمان حاشية مفادها إنه قد نبه على سلطان برقوق بمنع التعايشة من دخول داره وإن الختيم موسى والبشاري ريده سوف يتوليان قيادة السريا المتجهة للتعايشة (٧٤).

وبالفعل خرجت السرايا ، وما أن وصلت إلى دار بنى هلبة حتى حضر أغلب التعايشة ومن ضمنهم الغزالي وصالح وغيرهم من الرؤساء واستسلموا للسرية فطلب الخليفة التأكيد عليهم بأن من يقابلهم بالامتنال يقبلوه ويؤلفوه ومن يعرض يعاملوه بحسب حاله (٧٥).

ولم ينس الخليفة أهل عشيرته في هذه المحنة ، فسرعان ما ألقى تعليماته السابقة الواردة في كتابه إلى عثمان المؤرخ ١٩ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ٣ مارس ١٨٨٨ م والتي أباح فيها دار التعايشة للمهاجمين ، وطلب من عثمان في شوال ١٣٠٥ هـ الموافق - يونيو - يوليو ١٨٨٨ م الرفق بهم وألا يؤخذ منهم شيء من أموالهم (٧٦).

وقد حرص الخليفة على أن يؤكد الدافع الديني لترحيل جموع التعايشة من ديارهم إلى أم درمان ، فادعى أن المهدي أبلغه أن دار التعايشة لا يسكنها أصحابي إلا إذا توجهوا لغزو (٧٧).



وتحركت القبيلة نحو الشرق بكامل نسائها وأطفالها وقطعانها وفى ربيع ثان ١٣٠٦هـ كانت قد وصلت إلى ( ياره ) وقد عين الخليفة عبد البارى عبد الوكيل وشقيقه السنوسى ومحمد عثمان خالد لتسهيل عملية النقل إلى (شباشه ) على النيل الأبيض ، ومن هناك نقلتهم الواحورات إلى أم درمان (٧٨).

وبذلك لم يكن للثورة المهدية فى السودان آثار سياسية فحسب بل وأنشورجرافية أيضاً (٧٩). وقد ساعد نزوح التعايشة إلى أم درمان وخضوعهم للخليفة على تهذيب خشونتهم ، وقد أخذوا بأساليب الحضارة بدرجة تدعو إلى الإعجاب ، فشيدوا لأنفسهم مساكن لائقة ، ولبسوا أفخر الثياب ، وعمل الخليفة على صقل عاداتهم وأخلاقهم ، فاعتدلت لهجتهم ، ولم تعد مجالاً للتندر عليها والسخرية منها من جانب أولاد البلد (٨٠).

ولكن هل كان التعايشة أو بعضهم على الأقل راضين عن هذا الوضع ؟ .

تجد فى وثائق المهدية رسالة من الخليفة إلى عثمان آدم فى رمضان ١٣٠٦هـ الموافق ٣ مايو ١٨٨٩م يطلب منه البحث عن التعايشة ( الهاريين ) وإحضارهم بالقوة (٨١).

وفى رسالة ثانية ٧ ذى القعدة ١٣٠٦هـ الموافق ٦ يوليو ١٨٨٩م يقف على عزم عثمان توجيه الختيم موسى لدار التعايشة لتخريبها لكى لا يفكروا فى العودة إليها (٨٢).

وفى رسالة ثالثة فى ١٥ جماد أول ١٣٠٧هـ الموافق ٧ يناير ١٨٩٠م يعجب من أمر هؤلاء التعايشة الذين رغم إكرامهم فى أم درمان لا يزالون فى نفور وهروب إلى جهة الغرب قاصدين الوصول إلى ديارهم فاجتهد فى أمرهم وحرر للجهات بضبطهم وإحضارهم (٨٣).

والخلاصة إن سياسة الخليفة فى الداخل كانت تنحصر فى السيطرة المطلقة على أهل السودان والاحتفاظ بهذه السيطرة لنفسه ، ولتحقيق هذا الغرض كانت الخطوة الأولى فى برنامج السياسى هى تحطيم القوى التى يمكن أن يشتت منها أية معارضة لحكومته ، فقم أظافر الأشراف واستبدل العمال بآخرين من أقاربه وأتباعه الذين يثق بهم ، ثم حطم الزعامات القبلية التى يمكنها أن تنافسه معتمداً فى ذلك على ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى : قلب الشياخات القبلية المتوارثة وتعيين عمال من عنده بدلاً منها كما

فعل عندما عين ( إبراهيم صابون ) عاملاً على قبيلة المسيرية

القاعدة الثانية : إذكاء روح العداوة والمناقسة التقليدية بين زعماء القبائل للخلاص منهم.  
 القاعدة الثالثة : نقل القبائل المشكوك فى ولائها إلى أم درمان لتكون تحت رقابته  
 المباشرة (٨٤).

### ثالثاً : ثورة الأمير يوسف بن السلطان إبراهيم فى دارفور :

خلف محمد خالد فى الفاشر فى أوائل عام ١٨٨٦م الأمير يوسف بن السلطان إبراهيم عقب استدعاء الخليفة له بالحضور إلى أم درمان .

وقد تآقت نفسه إلى الاستقلال بالبلاد عن المهدية ، لذلك فإنه لما سلم المادبو على شيخ الرزيقات إلى حكومة الخليفة لم يكن ذلك عن إيمان بقضية المهدية ، بقدر لهفته على إخراج كرم الله كركساوى ، الذى جاء فى إثر المادبو من بلاده (٨٥) وكان الخليفة قد وصلته أنباء بأن يوسف جمع حوله حاشية من أعضاء البيت المالك الفوراوى السابق ، إذ كتب أبو عنجة إلى الخليفة يبلغه أن رسله الذين أرسلهم إلي يوسف عيوناً عليه بناءً على أوامر الخليفة أبلغوه أن يوسف اتخذ لنفسه لقب ( سلطان ) وأنه أعاد للبلاد نظام الحكم الذى كان سائداً أيام أجداده (٨٦). وكان محمد كركساوى شقيق كرم الله قد كتب إلى الخليفة فى فبراير ١٨٨٧م بما لا يخرج عن ذلك (٨٧).

ووجد الخليفة نفسه فى موقف بالغ الحرج ، فإن القضاء على المادبو على أفصح المجال فى دارفور ليوسف وكرم الله ، ولم يكن فى صالح الخليفة أن يوطد أحد منهما سلطته فى هذه العمالة البعيدة ، ويبدو أن الخليفة كان وقتئذ يخشى ازدياد نفوذ كرم الله فى دارفور وانفراذه بالسلطة أكثر من خشيته من استقلال الأمير يوسف ببلاد أبائه وأجداده ، والدليل على ذلك أن ( أبا عنجة ) كتب إلى الخليفة فى ٢٤ جمادى آخر ١٣٠٤هـ الموافق ٢٠ مارس ١٨٨٧م يقول إن المير يوسف شكاً إليه من أن كرم الله أثقل كاهل أهالى دارفور بالضرائب مع عدم قدرتهم على دفع أى شىء بسبب استنزاف موارد البلاد فى عهد محمد خالد ، وأنه بناءً على تفويض الخليفة لحمدان ، قد كتب إلى كرم الله يأمره برفع أياديه عن دارفور ، وأن تكون أعماله بالمشورة مع يوسف ، وأن يقتصر على العمليات العسكرية ضد قبيلة بنى هلبة الذين آورا المادبو ، وقد أيد الخليفة هذه الإجراءات (٨٨)، ولكنه مع ذلك كتب إلى يوسف يطلب منه الحضور إلى أم درمان لتجديد العهد (٨٩) ، وقد بعث يوسف رده إلى عثمان آدم يعتذر بأعذار واهية لعدم استطاعته الحضور إلى أم درمان من مضمونها خروج جهاته من يده ، وتحريك عربان



الماهرة والعريقات والمحاميد والميدوب وغيرهم ، ويرجو الترخيص له بالنضال حين نهاية هذه الحركات ورد عليه عثمان بضرورة المهاجرة إلى أم درمان فى أول شهر ذى القعدة ، وقد أيد الخليفة هذا الرد .

ولكن يوسف لم يكتف بعصيان أوامر الخليفة له بالهجرة - فإنه لما وصله كتاب من الخليفة بتاريخ ١٠ فبراير ١٨٨٧م بأن يكون على وفاق مع كرم الله الذى عينه عاملاً على (داره ) ثار يوسف وطرده كرم الله منها (٩٠). وانسحب كرم الله إلى شكا ، وبدأ يفرض الإتاوات على قبيلة الرزيقات ، فقاموا قومة رجل واحد وحاصروه هو وأخاه ( محمد شيخ محمد ) فى شكا ، بعد أن اعتدوا عليه . ولم يكن الخليفة ينوى إغاثة الأخوين كرقساوى ، لولا اهتمامه بمن تحت قيادتهم من الجهادية من ناحية ، وخوفه من أن ينضم الرزيقات من ناحية أخرى فكتب إلى عثمان يطلب منه أن يحول بينهما (٩١).

ولم يشأ الخليفة أن يقف موقف المتفرج من الأحداث الجارية فى دارفور حيث تتصارع ثلاث قوى هي : الفور والرزيقات والأخوين كرقساوى ، فأرسل إلى عثمان آدم عامل المهديّة فى كردفان فى ٩ ذى القعدة ١٣٠٤هـ الموافق ٢٩ يوليو ١٨٨٧م يبلغه إنه بسبب الحركة بين الفور وكرم الله فإن الجهة ( أى دارفور ) لا يتأتى ثباتها إلا بتعيين جيش من الأنصار فى هذه الجهة ، وفى هذا دلالة كافية على عدم ثقة الخليفة فى جيش الأخوين كرقساوى ، ولذلك كما يقول اقتضى نظرنا أن تتعين لدارفور أنت وكافة جماعتك لجل إسكات الحركات الكبابيش والذين يقرب البحر للحضور إلى الأبيض وحين يتكامل عددهم ، يوكل عنه وكيلًا بالمركز ويحضر إلى أم درمان (٩٢).

وذهب عثمان إلى أم درمان حيث تلقى تعليمات الخليفة ، وعاد إلى الأبيض فوصلها فى ليلة الجمعة ٢٧ ذى الحجة ١٣٠٤هـ (٩٣). ولاشك أن الخليفة أوكل إليه مهمة تقليص أظافر الكرقساوية والقضاء على ثورة يوسف ، كما رسم له السياسة التى ينبغى عليه إتباعها إزاء القبائل العربية فى دارفور . وقد حذر الخليفة من عربان الرزيقات والهبانية وعموم عربان هذه الجهات وأمره بالتفحص عن أحوالهم وأن يحول بين الرزيقات والفور ، وأمره بعدم انتمائهم ما لم يسلموا زمام أمرهم تسليماً لا يشوبه نفاق أما بنو هلبة والتعايشة فمأمول بهم الإنقياد وخصوصاً بنو هلبة لداعى العداوة مع الفور (٩٤).

وكان الأمير يوسف قد بعث إلى الخليفة بمكاتبات ، لا نعلم عنها شيئاً وأن كانت على الأرجح لا تخرج عن كونها تكراراً للاعتذارات السابقة عن عدم استطاعته الحضور إلى أم درمان ، ولنترك للخليفة مهمة رواية أخبارها في كتابه إلى عثمان آدم بتاريخ ٢١ ذى الحجة ١٣٠٤ الموافق ١٠ سبتمبر ١٨٨٧م الرسل القادمون من يوسف إبراهيم عامل الفاشر .... حررنا لهم رد الجوابات .... وأعلمنا يوسف بتوجيهكم إلى جهته ، رحيث أنهم متوجهون بجهتكم فينبغى أن تعملوا الطريقة التي توجب لتأخيرهم معكم حين ما تقوموا من كردفان لكي يكون ذلك بوسيلة مستحسنة لئلا يفهموا من أمركم شيئاً (٩٥).

وبمعنى آخر لم يشأ الخليفة أن يبلغ يوسف بحضور عثمان آدم مقدماً كي لا يستعد لملاقاته.

وقمت الاستعدادات للزحف الكبير في محرم ١٣٠٥هـ الموافق سبتمبر / أكتوبر ١٨٨٧م وغادر عثمان الأبيض في ٢٣ محرم ١٣٠٥هـ الموافق ١١ أكتوبر ١٨٨٧م (٩٦). متوجهاً إلى ( الأضية ) حيث اكتملت جميع قواته التي بلغت ١٢٥١٢م نفرأ والخيول ٩٤٩ والأسلحة النارية ٢٩١٠ (٩٧).

ولم تكن هناك حاجة لاستبقاء قوة في كردفان بعد أن سادها الهدوء النسبي فإن صالح الكباشي كان قد انتهى أمره وقبيلة الجوامعة تلقت أمراً بالهجرة إلى أم درمان ، أما بلاد الجمع فقد باتت خالية وفي ربيع أول ١٣٠٥هـ أي قبل وصول عثمان إلى شكا بيوم واحد ، حضر محمد شيخ محمد كرقساوي : وأطلعناه على أمركم بضمه هو وأخيه كرم الله إلينا. فقبله غاية القبول ... استلمنا البازنقر والجهادية ، ووزعناهم على رايات الجهادية لأن تركهم بمركز شكا لا نفع فيه سيما وإذا تركناهم يفرون لجهة أخرى (٩٨).

ولم يكن الخليفة في حاجة إلى إثارة عداة الأخوين كرقساوي في هذه المرحلة المرحجة ، فكتب إلى عثمان في ٢٣ ربيع أول ١٣٠٥هـ يوصيه بحسن المعاشرة مع كرم الله وأخيه (٩٩). ولم يعد الكرقساوية في الواقع قوة يخشى بأسها بعدما نزل بهم من خسائر فادحة على أيدي الرزيقات ، فقبل أن يقوم عثمان من شكا حضر كرم الله وانضم بكامل قواته إلى عثمان (١٠٠). وبلغت قوة الأنصار ١٧١٥٩ جندياً (١٠١). وسار عثمان - قاصداً داره وقعت بينه وبين جنود الأمير يوسف ثلاث اشتباكات ، سقطت داره على أثرها في أيدي الأنصار في ١١ ربيع ثان ١٣٠٥هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٨٨٧م (١٠٢).



ولما علم يوسف بسقوط داره خرج من الفاشر قاصداً الوصول إلينا ومحاربتنا ثم راجعوه جماعته ، فالتزموا له بأنهم يخرجونا عن دارهم وحلفوا له على المصحف على عدم الهروب ورجع وأرسل المخدول زايد .. وبلغ عدد جيشهم عشرين ألفاً وسلاحهم ثلاثة آلاف وخيولهم ألفين وكسور " وهزم الفور يوم السبت غاية ربيع آخر ١٣٠٥ هـ وطاردهم الأنصار وقال عثمان إنهم قتلوا منهم " زيادة عن خمسة آلاف " (١٠٣).

واشترك فى هذه المعركة التى تعرف باسم ( واقعة داره ) فى وثائق المهديّة ضمن قواد المهديّة البشارى ومحمد بشاره والختم موسى وعبد الله دليل وكرم الله شيخ محمد كركسارى. وكان الخليفة قد وجه إلى كافة أهالى دارفور عامة فى ٦ محرم ١٣٠٥ هـ الموافق سبتمبر ١٨٨٨م منشوراً يبلغهم فيه إنه بناء على ما حصل من الارتباك ، فإنه يرسل لهم عثمان آدم ليصلح أمورهم ويوقف التعدى عليهم (١٠٤).

وفى ١٢ ربيع أول ١٣٠٥ هـ الموافق ٢٨ نوفمبر ١٨٨٧م أبلغ عثمان آدم إنه بالنظر لعدم صفاء يوسف إبراهيم وكونه على الخيانة .. فقد حررنا منشوراً عاماً لكافة أهالى دارفور بعزله من الإمارة وأعلمناهم بتعيينكم عاملاً عمومياً على كافة الجهات الغربية " (١٠٥).

ورسم الخليفة لعثمان السياسة الواجب عليه اتباعها فى دارفور فأبلغه إنك نذبت لتلك الجهة لأجل هداية من فيها إلى الله تعالى فيلزم أن تشد حيلك فى ذلك وتولف على الدين وتحببهم فيك وتوصلهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتنبه على كافة الجيش بالاستقامة وملازمة الصلوات ... وعدم مد أيديهم إلى حقوق الناس (١٠٦).

وتكشف هذه الوثيقة عن أن الخليفة كان ينوى القضاء على الآثار السيئة التى خلفها كرم الله ورجاله ، واستمالة القبائل كى لا تلقى بثقلها إلى جانب الفور فى هذه الفترة الحرجة .

ثم طلب الخليفة من عثمان آدم أن يتنى بجهة داره لإصلاح جهاتها وإدخالها تحت الطاعة وتمييز الطائع من العاصى من القبائل ... ومعرفة باطن الأهالى ثم يتوجه بعد ذلك إلى الفاشر (١٠٧).

ولكن يوسف لم يسكت على الهزائم التى لحقت بجيوشه ، فخرج بنفسه لملاقاة ( عثمان ) واشتبك الطرفان فى ١١ جماد أول ١٣٠٥ هـ الموافق ٢٥ يناير ١٨٨٨م جنوبى الفاشر فى

موقعة تعرف في الوثائق المهدية بموقعة ( وادي بيره ) وفيها تمزق جيش الفور إرباً وهرب يوسف إلى جبل مرة ، الملجأ التقليدي لسلطين الفور المهزومين ، وهناك كتب إلى سلطان البرقو يطلب منه إمداده بالبارود (١٠٨).

وأرسل عثمان على الفور إلى سلطان البرقو يبلغه أخبار دارفور ويؤكد عليه بمنع دخول أحد من المنافقين في داره كالمخدول يوسف وغيره من رؤساء القبائل (١٠٩).

وأعقبت موقعة ( وادي بيره ) سقوط الفاشر في أيدي المهدية ، وطلب الخليفة من عثمان أن يضع جثته جهة الفاشر وأن الأمر في تلك الجهات أعنى دارفور ونواحيها مفوض إليه تفويضاً تاماً (١١٠).

ويادر عثمان إلى القضاء على يوسف قبل أن يستفحل أمره في جبل مرة ويجتمع عليه الفور مرة أخرى ، فخرج من الفاشر عصر الجمعة ٢٠ جماد أول ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٢/٣م قوة بقيادة الختيم موسى ومعه عبد القادر والعطا أصول وأحمد مالك وفضل الله وكيل البشاري (١١١). لمطاردة يوسف ، ورغم أن القوة لحقت به في وادي عزوم ، فإنها فيما يبدو لقيت في ذلك مشقة كبيرة بدليل أن عثمان كتب إلى الخليفة لم تذق العيش اثني عشر يوماً (١١٢). وقد بعث الخليفة إلى عثمان ٢٥ رجب ١٣٠٥ هـ الموافق ٧ أبريل ١٨٨٨م يبلغه بوصول رأس يوسف (١١٣).

وبذلك عادت دارفور مرة أخرى إلى حظيرة المهدية عام ١٨٨٨م أي في نفس السنة التي أحرز فيها أبو عنجة نصراً مؤزرًا على الأقباش .

وهكذا استطاع الخليفة القضاء على هذه الثورات في غرب السودان التي عادت إلى حظيرة الدولة المهدية لتواصل مسيرة نشر الإسلام ودعوته في هذه الجهات من غرب السودان بل وفي السودان الغربي كله .

### الخاتمة :

من العرض السابق لموقف المهدية من القبائل في السودان وخصوصاً في الغرب تتضح لنا بعض النتائج التي ترتبت على دور المهدية خاصة في عهد عبد الله التعايشي من هذه القبائل، والتي لولا هذا الدور الحازم من هذه القبائل المعارضة لفقدت الدعوة الكثير من أتباعها ، ولما



استطاعت مواصلة هذا الدور الجهادى فى غرب السودان ، ولقد ترتب على هذا الموقف من المهديّة مت يلى :

أولاً : أن الدعوة المهديّة واجهت معارضة من جانب بعض القوى التى لازالت تتمسك بالتغيرات القبليّة وترفض الانضواء تحت زعامة إسلاميّة عامّة لكن التعايشى وقف لهذه القوى بالمرصاد ، ولم يتوقف عن محاربتها وإرضائها وضمها إلى حظيرة الدولة وبالتالى نجحت الدعوة فى القضاء على هذه الثورات مهما بلغت قوتها .

ثانياً : أن الدولة المهديّة أمنت بضرورة فرض نظام واحد على الجميع دون تمييز أو محاباة ، وكل من خرج عن هذا النظام لقى مقاومة عنيفة من أتباع التعايشى الذى حافظ على الدعوة ، ولذا فإن من أهم نتائج هذا البحث التصدى لهذه القوى المعارضة والذى انتهى بإخضاعها وما كان له من أثر فى انضواء الجميع تحت لواء المهديّة وراياتها .

ثالثاً : أفادت الدراسة أن وثائق المهديّة تحوى الكثير من المراسلات والمكاتبات التى تتعلق بدقائق أمور المهديّة الداخليّة والخارجيّة ، ومن الإطلاع على هذه الوثائق الخاصّة بموقف المهديّة من ثورات القبائل أتضح الدور الكبير الذى بذله التعايشى للحفاظ على وحدة الدولة .

رابعاً : أوضحت الدراسة أن موقف الخليفة من ثورة الأمير يوسف بن السلطان إبراهيم فى دارفور تجسد الدور الكبير الذى قام به الخليفة وأتباع المهديّة للتصدي لهذه الثورة لأنه كان على علم تام أن محاولة انفصال دارفور إذا نجحت فسوف تقلص نفوذ المهديّة فى غرب السودان وهو أهم معامل هذه الدعوة ، ولذا كانت محاولات الخليفة الجادة للقضاء على هذه الثورة ، وعدم السماح للسلطان يوسف بالانفصال ونجح فى هذا بشكل أنهى الثورة ، وأوضحت الدراسة أن الدولة المهديّة حافظت على وحدتها لم تسمح لأى تأثير بالانفصال وبالطبع أدى هذا إلى تكامل وحدتها طول فترة التعايشى حتى تم القضاء عليها على أيدي الإنجليز واستشهاد الخليفة عام ١٨٩٨م .

## ملحق رقم (١)

## الحالة في السودان

أن الحالة العامة في السودان تدعو إلى إمعان النظر وطويل التفكير وتأمل التدبير ، فالشعب تكتنفه الخطار من جميع نواحيه حيث تحارب الحكومة أفرادها ، في أرزاقهم لتشغلهم بالجوع عن حل قضيتهم الوطنية فضلاً عما جرت من سياسة الإفكار والتجهيل ، ولولا إيمان عميق بالله والوطن وتعلق أكيد بعرش مصر لو هنت العزائم وخارت القوى من شدة ما تكبد حكومة السودان للشعب العزل من صفوف التشريد والتعذيب ، فالإنجليز في السودان لا يألون جهداً في رعاياتهم لذلك - والرد الطبيعي عليهم أن تقابلهم مصر بالمثل فتخير موظفيها ويتغلغلون في أوساطه يشاركونه السراء والضراء ويقاسمونهم أفراحه وأتراحه على السواء فيحرصون على تفهم رغبات وآماله وآلامه حتى يشعر السودانيون من إخوانهم المصريين في الخرطوم وغيرها أن هم الأجزاء منهم لهم رسالة وطنية غير الاعتصام بالأبراج العالية .

دار الوثائق المركزية بالخرطوم وثيقة رقم ٢٤٦ .



ملحق رقم (٢)

د فتر رقم ٢١ عابدين صادر تلفرافات

صحة التلفراف المصري الشفرة رقم ١٢٨ ص ١٢ بتاريخ ١٥ ذي  
التصدي ١٢٠٥ ارادة سنة الى حاكم السيدان بالناصر

علمنا حضرتنا منكم المورخ ١٢ شوال ١٢٠٥ اما البدايا الشال بان السير  
لا تفتقد السراج لحدادها الى امير بارقو فهدا من عانة السراجين لتسهيل امور سياحتهم  
ولا يتدبير مقدر شريفة معه كما بلغتم وعلى فرض حصول ذلك فلا يعدل عليه بانما يتممين  
لجود تملكه من غرضه في السياحة واما ما تستأذنا عنه نحو تحرير مكاتبة الى امير بارقو  
بان يدفع شي " مقرر الى الحكمة كما كان جاري مع امير دارفور سابقا في حق امير على بارقو  
هو راولا له من بعده بهدريك التوارث فهذا لا يمكن فيه كغير غايده لان بقصدنا غرضها  
في هارنو ونعمها على دارفور ليكنوا الجميع ادارة واحدة ختموها وانكم ذكروا وان بارقو  
وان ثلثت بمشيرة لكم كتيبة السمران ختمية الاراضي بكنها امير مقعدة راولا اليها  
مقدمة في المشية بفتح الخرب السوادني ثم يصير معك الفرقة المذكورة بهدريك بارقو .  
فيقتضى ان يمدل كامل بمدة في اقرب يقتضيل نزول الامطار . وان تراه لكم صلاحية في  
اجرى بمذون طرق وسايها مثل جلب اقارب امير بارقو الذي شلمه جند امير دارفور سابقا .  
الشميين طهين بارقو ودارفور وتعودهم بان القصد تسليم زمام ادارة تلك الجهة اليهم .  
وملتموا آمالهم بذلك في يخرجوا عن شاعة امير بارقو وقع الخلاف بينه وبين الاهالي ثم  
باس ان رايتم مراقة ذلك لان لا يخلو الحال من ان لها تهاج بكثرة بل يمكن ان يوجسب  
اهالي بارقو يجلون اليهم وذلك يسهل غيوطها في اقرب وقت ومدة ما يصير مكاتبة امير بارقو  
بانه لداهي تهمة بلاد مزال دارفور يجب عليه الامتنان لادامه الحكة ولاتامة غيوطها في بلاده  
وان يردى لها مبلغ جديوم مع زيادة تكليفه بامور لا يتحملها بحيث يترتب منها عدم قبول  
مجهوده على الصارية بحد ذلك تدخل الفرقة المذكورة في بلاده تمرا عنه وتجري شهد لها  
واهدا الح

ملحق بقسم ( ٤ )

محافظة ١٩ بحريه - وثيقة رقم ١٢٣ بتاريخ  
١٧ الحجة ١٢٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

انه الى من تعدلت الارحاء بشذى ثناءه وبلغ من كل وصف جميل حد انتمائه  
على المهمة ما نرى العزم في كل مهمة صاحب الدولة الميمونة والذليمة التي الى بالسمند  
مقرونة ذي المعارف التي انتعشت بها الارواح انتمائا حضرة سمادة افتد بنسبها  
الخد يوى اسماعيل بلانما جعل الله الوجود بوجوده ولا زالت مشيئة على رعاياه هياطسل  
كرمه وجوده آمين \* غبا اهداء تحيات سنبة وابداء تسليمات شذية للجناب الذي تضرع  
ايح ذكره فلم يحد به بشيئيل ولا تشهد وذلك شعوبه الفضل بال غلو ولا تعيه ونهى الى  
الحضرة انه قد ورد على الفقير الداعي لها بالخير كتاب كريم رجع من يد يد الممانى بالدر  
النظيم نورهم على الراس تعذليما واجزالا ولم يطووه احتفاء واحفالا والامر السدي  
اشارت اليه السمادة ومعدت عليه الحيادة \* هجب على الحاجز ان يستفرغ الوسع فيه وان  
يرشد اليه بعمل \* فيه قضاء لمد جب التشريف وامثالا للامر الشريف والا فمن لا يلمسك  
لشبه نفسه ولا يستطيع عذرا دقبا الى يكون مجيرا ولخيرته تسييرا خصرها في السند  
الاعوام التي يتر فيها التجاسر على الخاص والعام فالعامل من سمادة الخديرون ايد بالله  
بصير لا يتناهى مديده يميزا لا يهلى جند يده ان يروى علينا اهالى سبه ومن يرد اليها  
مأمورا من شريف د رلت لنتم بذلك ما اسداء اليها من سرايخ منته وان بعض المأمورين  
بها تفورهم بنا الاطعام فيكشون بالالحاح عن وجه السؤال القناع كما سيطلع على ذلك  
الجناب الكريم في كتبهم الصاحبة لهذا الرقيم واذا تعذر مطلوب احد هم او تعسر بعد  
بذل الجهد في تحصيله ولم يتمكن وما حبل له كدر وترقمنا منه الضرر غالموغب ما يوجب  
السلامة والراحة في ظل مد حجة العدل والسماحة هذا وبالح دعائنا بهذا على الدوام  
لسمادة الخديوة والان بال القرام والطيب السلام واسماء واكطه وانها يهدي الى تلك  
الحضرة المظلم ومن لاذ بالجناب المسجد الاسمى مالا ج بدر تمام رقا ح سمك ختام \*

ختم

محمد المهدي

مرد في ١٧ الحجة ١٢٠٥



ملحق رقم (٤)

له فتر صادر ١٢ من ٤٩ وثيقة ١٠٢ بتاريخ ١٢٠٥ من الخليفة الى يوسف  
ابن يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم . محمد فخر بن محمد بن الخليفة المهدي عليه السلام  
الخليفة بنو الله بن محمد خليفة الامير الى حبيب في الله المكرم محمد يوسف بن  
يوسف عامل المهدي على كافة برقرها ونواحيها فاعلمك الله بالخير وصرف عنك  
الهموس والظير ان الله . . . فانه كلاً من في جنب ربه رب العالمين لا سيما في  
هذا الزمن الذي جرد فيه الحق بظهر المهدي المنتظر عليه السلام وذهب الباطل  
باقامة احكام الاسام بانك صبي على علم من امر المهدي وقد كنت بادرت بالتصديق  
والادمان لا امرها الدينية وهد كتابك بذلك للمهدي عليه السلام بحضرة لديه بالقبول  
والاكرام وتتمرد لك منه بالتمسك على اقامة الدين واحياء الاثر النهرى بجهتك بيسر  
الدالين وكذا مكاتبتك الى بكبراء تيمك المحررة منكم لمحمد خالد لما كان بدار قصر بهبه  
انتظار المهدي عليه السلام بانكم مازلت على عهدكم وتتمد بقتم بالمهدي بقيامكم بما امرنا  
الرسمية وانه سترسل مخصصاً من طرفك لمقابلتنا وتجد يد المهدي لك عن يدنا قد وصلت  
بطرفنا وفيها ما ولكن من وقت ما كاتك المهدي عليه السلام بل بقت ورسول مكاتباتك  
الذ كثيرة بديلنا قد مضت مدة ولم ياتنا منك رسول ولا جواب ولا سمعنا منك بقيامك فسي  
المهدي بظاهراً عملاً بما تحرر لك في الكتاب مع انتظارنا لذلك وتوقنا لحصول ما هنالك  
فلما طان علينا المذلل واستعرضنا انقذاج اخبارك بما انى عليه من الاحوال دعانا داعسى  
السحة والخليفة بليك الى مناه لمتك ثانيا فكاتبتك في تاريخ ٢٢ شوال ١٢٠٤ بحضرة على  
القيام بامر المهدي والانتداب لاجلها السنة المحمدية وعدم انقذاج اخبارك عنا وفتح طريق  
الهجرة لكل من يرغب القدم اليها وقد مضت من ذلك مدة ولم ياتنا الرد منك وما علمنا  
المهدي الذي دعا لقطيع اخبارك عنا بالكلية مع قرب جهتك منا رجوا لاقبها لحدود المهدي  
انهم كان ذلك من عدم ورسول المكاتبات اليك ام من اعراضك عن طريق الرشاد وتلميذاتك  
كيف هذا مع انك من اهل الحق الناكب الذين يعلمون ان المعجزة بمذلل الحوائسب  
بعدم لهيك ان امر المهدي الاهى لا دلائق لاحد بمناجته ولا منه من انتظار مستطوره فسي

جميع الافاق بمقتضى قدرة الملك المثلاني فكل من ضده واعرض فقد خسره منه ثم لا يهد  
من وتواءم في القهضة واشد النكد والمناقل مقلد مع وفور مله بخزاة فهم لا يليق  
به ان يشرب منها عن القيام بالامر المهدية هوغب عن ملوك دسهمها المرضيصة  
فقد ارك اهبا الحبيب نضك قبل الثوات . . . والنذر لكرك من المثلثين لدينا  
بالخير لماسبق تمد يفتك فقد حررنا لك هذا هو ثالث مكاتباتنا فان كتبت ملى  
حسب ظننا بك فبادر باجابة الداعي وتم بتأييد امر المهدية بجهتك وفاتح طريق  
الهجرة لك من مرغها واجعل اخبارك متصلة بنا في كل وقت وحين وكل من اتسبك  
فارا من المهدية فاز تاره بجهتك ولا تشبه كائنا من كان بين اي جين يكون بالآخر  
ان كان من الفرر او المريب فاز قبله بطلقا بل اضبطه وارسله . . . فان فعلت انه لك  
فقد جرت حقا من ضمن اخوان المهدية وملت غاية الاكرام والمزية . . . وان لا بان  
اعزيت من العمل باشارتنا ايت احدا من اعداء المهدية ودكت الى مخالفتنا فانست  
الجاني على نفيتك ولا يهد من قدم حرب الله لجهتك فكن طيبك ائلك واثم من معك  
من المستخفين وهذا ما لزم اعلمك به وفيه الكفاية ولترو لنا منك عنه الافادة فلانا في  
انتظار لذلك والرجية بيننا تقوى الله والناس



ملحق رقم (٥)

مهديّة ١٤/١٤/١٩٤٠ - ١٥ صفر ١٣٠٢ - محمد احمد الى النخبة

... مهدي ان يعرف البرقاوي وان كانت هدايته لله . يسر له معلومه واعراضه  
 كغير لكنه قد له الله تعالى في كل سنة بل في كل وقت يدبر له حيله في الغش ووجوهها  
 في الخداع والمكر به، تخلف بها تقبل اهالي النربا وخدعهم ومن ذلك فانه في همدان  
 الايام قد اشاع بجهلات النربا جميعها ان ولد السنوسي ارتحل من محله بما معه  
 من الجيوش وانه قادم اليهم لاجل محاربة الانصار وانه لدى يديه فتن يجهده طماع  
 الانصار يقتله بل اشاع لهم ان ولد السنوسي قال كل من يخارب الانصار من اهل الغرب  
 قلدي ويسر له يفصل فيه ما يفصل الى غير ذلك من الارا جيبه بالاشاعات التي يرتاح بها  
 بآله لا اراحة الله تعالى ثم ان يري من تاريخه ورد لنا جواب من المكرم ادريس بن ابراهيم  
 بجهة نيره يذكر ان البرقاوي ارسل له مخلصين اثنين من تامة الاعايم ومعهما مظلوف  
 برسنا وقد حجزهم عنده وارسل لنا المظلوف ولدي الاطاريح عليه ربيدنا بضميرته انه رد  
 لجهربنا الذي حررناه له اخيرا ورجعنا صوته لجنايبكم بالبرسنة السابقة وما آن جوابه  
 الاعراض عن الدين وانه تبع الى ولد السنوسي متجبا بامر المهدي عليه السلام وناعسى  
 بعض المنافاة لما حررناه له وبالجملة فليس في جوابه ثمة من حسب المصالح لنا اكيداء ان  
 البرقاوي ارسل ذات جواباتنا لولد السنوسي ويرد له الرد من هناك وارسله اليها كما ومن  
 فتوى كل الامور يعلم انه ليس بكنام البرقاوي في ذات جوابه وايضا .

والسلام

المختم

## ملحق رقم (٨)

مهدية ١٢/١ المجلد الثاني وثيقة ٢٦ بتاريخ

١٦ رمضان ١٣٠٥

من رمضان آدم الى الظهيرة

انه قد كان اشيرناكم عنما متراى لنا في اسماعيل عهد النبي السلاتى  
 بهاسهاب تانيه من الحنجر يدلرنا وعا كاتشاء به عن طلبه عنده نا حتما فالان يحسد  
 موجهنا لداره قد حنجر المذنور بالفاشرح عدة رجل من امله ينزلوا عند الحبيب  
 عهد القاد ردليل وحنجرنا عتابلنا معه والاولى عنده نا هدم عودته في هذه الايام  
 لتفريق السرايا فان كان يوافق يغير طلبه يحطرف سوادكم حثا في عهد ان يتشرف  
 بالقبلة عما تريد مراقب وخرق فالامر له مفوض سيدى  
 والسلام



## ملحق رقم (٧)

..

مهدية ١٢/١ - العبد الثاني وثيقة ١٢٠١ - ١٢٠٥ رمضان ١٢٠٥

## من عثمان آدم إلى الخليفة

لهذا للسيادة انه قد سبق اعلانكم من عدم طرد شهر من جهة إلى ريشة  
الغازي والان مرد لنا خطاب من المكون يدكره قبيل الا واهر اليه وانسه  
قبلها غاية القبيل وامثل الامر المهدية وذكر انه على شرقها غاية القبيل  
مرد بل اولاده لمقابلتنا ونتمنى رفق منكم لزمنا وذكر انهم ارادوا أن  
ينهبوا منه نظرا لذلك منكم ثم اطلقهم وارسلهم لآخر ما ذكره  
بجانبه

## ملحق رقم ( ٨ )

مقدمة ١٢/١ المجلد الثالث شقة ٦٦ بتاريخ ٢٦ شوال ١٣٠٥  
من شأن آدم الى الخليفة.

نهدى للمباداة ان امركم الحزين في ٦ شوال ١٣٠٥ الذي اكرين به ان  
الديس القراوى اذا حضر الينا نفهكم عما نراه في احواله قد تشرفنا بحروبه وعلم  
الحال اننا كنا حريصا لمباداةكم بان المذكور قادم لنحونا بانه بالطريق وقد ذلهم  
لنا خلاف ذلك حيث لم يبق عن وطنه ولا تحرك ولا نفسه في الحضر وانما مكاتبتهم  
لنا من باب النفس بالخداع والان تواترت الاخبار من جهة بانه تجمع له حروبا وشحن  
في المضار على اطراف الديار المالية له وارسل باقى الفير للمخذولين الذين كانوا  
بالجهال، متخزين كمثل بنعمه امرو تيمسرو والوزير آدم بنوش وغيرهم من المهدية  
وحشروا اليه واتحدوا معه ولما تهالخ هذا الخبر للحيين العظما اضل وهو بجهته  
الفرعية تحرك لنحوهم يفرم على الرضيل اليهم وشربهم وكتب لنا بذلك فتمناه من  
القدوم اليهم وموقعه صار قيام الاحباب عهد القادر ليل وحامد مظهر بما نصهم من  
الاسلحة والخيول والحراية يبلغ عدد جيشهم سبعة آلاف وتسعمائة . . . وترجموا  
من شفا بهم الاثنى الموافق ٢٢ الجارى وقد منا عهد القادر ليل وامرناهم بحشد  
وسولهم للكبابة والاستكشاف من خبر القراوى واحزابه بمعرفة محل وجودهم يقصد وهم  
مضربهم وشقتوا شغلهم بعد ان يندروهم . . .



## ملحق رقم (٩)

==

منهية ١٤/١ المجلد الثاني وثيقة ١٠ بتاريخ ٨ صفر ١٣٠٢

محسود احمد الى الخليفة

..... لا يخفى عليكم ما طيه اهلالي الغرب الخمسة الذين هم القسراوى  
والتماوى والمسلاتى والسلاوى والرقاوى من النفاق والمكر والخداع والتربص بالدين  
وشدة الصداقة لاصحاب المهدي ونظرا لذلك ولما نعلمه من شدة عدائهم  
وان ما يجريه معنا من المكاتبات والمراسلات هي حيل وتدابير لقصد كشف الاخبار  
فقط ومع ذلك متوهمين بانها السبب الاكبر في عار دنياهم وتأخير الانصار منهم  
وهنا منهم باننا لا نعلم حقايقهم فقد راينا بحسب المصلحة الدينية من الواجب  
المحتم علينا قطع مواصلاتهم ومراسلاتهم وتحرير الانذارات اللازمة لهم تحريصا  
للحجة عليهم وكل من لم ينقاد وترك الضاد يهيم الايقاع به ويلاكه بقدره اللئيم  
تمالي وعلى ذلك انذارناهم جميع في هذه الايام ونحرمنا لكل منهم ما يليق بحالته  
وغيرناهم بان من لم ينقاد فلا نهد له عندنا ولا امان ثم في هذه الايام قد تأكد  
عندنا بان المسلاتى .....

## الختم

سيدي ان اهالي الغرب الذين ذكرناهم قد تحقق لنا انهم لا تنفع فيهم سننم  
المدارجات وقد عار ذكرنا نحرمهم وليس لنا تأخير عنهم الا صدق الان من جنابكم  
يمنى حصلت الاشارة فيهم ان شاء الله قريبا تتطوى جهاتهم هذه هب ما يهبها مسن  
النمائل والنمائم ..

## ملحق رقم ( ١٠ )

\*\*\*

مهديّة ١٤/١ المجلد الثاني وثيقة ١٥٥ بتاريخ ٢٧ شعبان ١٣٠٢  
من محمد أحمد إلى الخليفة

يهدى سيدى ان رؤساء الثوب المعرضين مثل القمراوى والتماوى والمسلاتى  
وغيرهم فالجريح لم يكن لاعراضهم وتعصمهم على الحرب وشدة المكر سنب سوى اغراءات  
البرقاوى مكائدهم وراسلهم ولمولا ذلك لكثيرا من مدة رجعتوا الى اتباع المهديّة واقلع  
كل منهم عن الاستعداد بهجرت ولكن البرقاوى جعل نفسه ايا لهم خاصا ومرشدا  
واضطلم بذلك ضلالا هينا كما وند لحوض القمراوى بهجة الشالين وجدنا في غزو  
مفرقات من مكائدهم الرقاوى المذكور وغيره ما كشف اسرارهم واستقصينا بمطالعتنا  
انصارهم جميعا ووجدناه يخرضهم فيها على القتال . . .



## ملحق رقم (١١)

\*\*\*

دفتر صادر ٥ الامارات ص ٦ في ٧ رمضان ١٣٨٢ هـ تحرير من  
المهدي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد  
وآله مع التسليم محمد فمن عهد ربه المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله السي  
حبه في الله وصفه دعوه على اقامة الدين حيات بن سعيد طوفه الله بكل وصف  
حبه وجعله من اهل التكرم والتجيد آمين ايها الحبيب مالك الطف سلام وشرق  
الحية وافر اكرام ثم انه لا يخفى على جليل فهمك ان ظهورنا في هذا الاوان بالمظهر  
الثوري من اعظم من الله على اهل هذا العصر فيجب على كل مؤمن ومؤمنة شكرها  
بالقيام بما يجب امرها من تمام الشكر بذل المهج والارواح معنا في نصرة الديسن  
رضاء برب العباد رضا وثقا على البر والتقوى حسبا امر الله تعالى وحيث انه تعالى  
قد اجزل عليكم النصبة بحسن اتباعنا وجمالكم من خاصة اعرافنا فيجب عليكم القيام بامر  
الله ورسوله وامرنا بهذا غاية الجهد وفي انجاز نعمتنا بالجهات الغربية واشد مبار  
الناس لاداء فريضة الجهاد والهجرة لاعلاء كلمة الله وان لال اعداء الله ولما كان ذلك  
يتوقف على تحزب المسلمين وتجمعهم واتفاق الكلمة في ما بينهم وهو يتوقف على جعل  
الامر لرجل منهم يكون اهلا لتدبير امورهم وحسن ارشادهم ويطلب مصالحهم ويدفع  
مضارهم وقد رأيتنا توفر تلك الشروط فبك فقد اخترنا تمثيلك عاملا من طرفنا على كافة  
اهل صكت الذين كانوا تابعين لجدة عثمان بن فودي رئيس الله عنه ومنتبين اليه  
بكدا على كافة من يوجب الانضمام عليك من غيرهم وارحبنا على المذكون طاعتك وامثال  
اوامرك يا امرتهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فتعمل اعباء هذا الامر واجتهد فيسند  
واستغفر الناس اليه وقد لذك في ما يمتهم بالنهاية عنا في اقامة الحمد وطلبهم  
بحسب حكم الكتاب والسنة وفي العزل والتولية كذلك وفي جهاد كل من يخالف امر  
الله ورسوله منكر مهد وثقا من محمد تقديم الانذار اليه وتكرره ان امكن وعدم حصول

الايمان منه وكل ما فيه اصلاح للدين فانت مأذون في اجراية وقد تحررت منا الاوامر  
 الكفاية لامراء صكت واتباعهم جميعا بالانذار والدعوة الى الله تعالى واخطارهم عن  
 طويبتك عاملا منا عليهم وهاهي برسوله لصركم مع صحبت رسولكم المبارك محمد العربي  
 فينبغي ايضا لها لهم وفاملتهم بموجبهها ولما ان الحبيب محمد الامين احمد قسسه  
 قائلنا وتحررنا بالامر النبوي وسحبنا حتى حسنت تربيتنا على يدنا فقد استحسننا  
 تميمته عاملا على كافة جهات ملو وحررنا له ولهم اوامر يذكرك ورازرك به نجعلنا  
 تحت امرك وشهيك ومن ضمن عمالك المتضامين اليك حيث انك عاملنا المسمى على كل  
 من اجاب دعوتنا على يدك فاسترحى بهذا الحبيب خيرا واجعله لك عوناً ومجسدا  
 وساعدا واعتد به غانا قد اثرتك به على انفسنا وليكن منكم الجعيع بذل غاية الوسع في  
 الدلالة على الله وابلاغ الدعوة لمباد الله وتسلتفارهم للهجرة اليها على حسب  
 الامكان بالغور وحاصل وصيتي لكم التقوى التي هي خير الزاد والمحاباة في الله  
 والمساعدة والمراقبة على الحق وان تكونوا على جناح السفر للدابر الاخرة وترفضوا  
 هذه الدار وتصبروا على ما فيها من العرارة والاكدار انه لا يخفى عليكم ان المزايا تعظم  
 بتحمل الهلالي ولولا ان المخاطب امثالكم لاطلت العبارة في هذا الشأن ولكن بثلثك  
 من تكفيه الاشارة ولا يحتاج الى تطويل العبارة اذ الله رشادك وختم لك بالحنس  
 زادك ووفقنا وايا على ما يرضيه به جاء سيدنا محمد واتباعه ثم ان امارتنا لك ايها  
 الحبيب انما هي على شرط اتهاج الكتاب والسنة فان غمرت او هذلت فلا اماره لك هذا  
 والسلام



## ملحق رقم (١٢)

له فتر صدره امارات ص ١٣ وثيقة ٥١ تحرر من الخليفة ... امر صورته الى  
الحبيب الله ابن فزار بتاريخ ٦ القعدة ١٣٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم محمد فمن عهد ربه خليفة  
المهدي عليه السلام الخليفة عهد الله محمد خليفة المديني الى حبيبته المكرم حبيب  
الله ابن فارتولا امين . محمد السلام عليكم ورحمة وبركاته اوصيك اولا بتقوى الله  
اعلمك ايها الحبيب انه على حسب حسن الظن بك وشاهدة الخيرة فيك وشاهدة لك  
لخليفة الله في أرضه عليه السلام وسماحك لمذاكرته ونشورات رعيته لك امير اعلم  
اهل موسى قد جعلناك اماما عليهم لتد لهم على الله وتجاهد بمن آمن منهم من كفر  
واعرض عن الانابة الى الله باتباع المهدي التي هي الدين الخالص فتوجه اليهم حبيب على  
بركة الله ووصيلك لهم ذكرهم بما معك من المنشورات وما سمعته من المذاكرة ود لهم  
الى رب البريات واخبرهم بما رايت وسمعت من الكرامات وكن فيهم حاكما بالشرع اماما  
يكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشورات المهدي التي هي عين السكينة  
التي هي ما يحتمل بالنيابة عنا فانا اذناك في ذلك ولفظ الهيعة هو ان تقول يا ايها الله  
وسوله ومهديه وخليفته على يدك على توحيد الله وان لا تشرك بالله شيئا ولا تسرق ولا  
تزن ولا تأت بهتان ولا تعصى المهدي عليه السلام وخليفته في معروف ولا تفر مسجون  
الجهاد وعلى زهد الدنيا وتركها وذل النفس والمال في سبيل الله تكن متحدا مع عاملنا  
محمد الامين احمد منضيا عليه سامعا لا يره ونبيه مستلا له في جميع اوامره وشواهده في ما  
يرضى الله وامارتنا هذه لك على شرط اتباع الكتب والسنة فان ظهرت او هذلت فلا اشارة  
لك - هذا والسلام .







## الحواشي

- ١- محمد فتّاد شكرى : مصر والسودان ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٤٢٥ .
- 2 - Dujarric. G.L'etat mahdiste du Soudan . Paris 1901, pp. 223 - 224 .
- 3 - Holt. P.M. The Mahdest state in the Sudan. Oxford, 1958, p. 134 .
- ٤ - الخليفة إلى المادبو على ٤ ذى الحجة ١٣٠٢هـ الموافق ١٨٨٥/٩/٢٢م دفتر صادر الخليفة رقم (٢) ، ص ١٣٥ وثيقة ٤٣١ .
- ٥ - الخليفة إلى محمد خالد ٢٨ شوال ١٣٠٢هـ / ١٠/٨/١٨٨٥م دفتر صادر الخليفة رقم ٢ ص ٣ ، وثيقة ٦ .
- ٦ - الخليفة إلى المادبو على ٦ ذى القعدة ١٣٠٢هـ الموافق ١٨٨٥/٨/١٧م دفتر صادر الخليفة رقم ٣ ص ٨ وثيقة ٢٣ .
- ٧ - الخليفة إلى المادبو على ٨ شوال ١٣٠٣هـ الموافق ١٨٨٥/٧/٢١م دفتر صادر الخليفة رقم ١٠ ص ٢٠ ( وثيقة ٦٦ ) .
- ٨ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢٥ رمضان ١٣٠٣هـ الموافق ١٨٨٦/٦/٢٧م المهدية ١١/١ ملف ١ وثيقة ١٩ .
- ٩ - الخليفة إلى كافة الرزيقات شوال ١٣٠٣هـ الموافق يوليو - أغسطس ١٨٨٥م ، دفتر صادر الخليفة رقم ٨ ص ٥٦ وثيقة ١٥١ .
- ١٠ - الخليفة إلى المادبو ٢ صفر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٦/١٠/٣١م دفتر صادر الخليفة رقم ٢ ، ص ١٥ ، وثيقة ٤٤ .
- ١١ - الخليفة إلى المادبو ٢ صفر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٦/١٠/٣١م دفتر صادر الخليفة رقم ٢ ، ص ١٥ ، وثيقة ٤٤ .
- ١٢ - الخليفة إلى يوسف إبراهيم ٢٥ صفر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٦/١١/٢٣م دفتر صادر الخليفة رقم ١٠ ص ٩٣ ، وثيقة ٢٥٠ .
- ١٣ - الخليفة إلى كافة قبائل دارفور ٢٦ صفر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٦/١١/٢٤م دفتر صادر الخليفة رقم ١٠ ، ص ٩٥ ، وثيقة ٢٥٨ .
- ١٤ - الخليفة إلى كافة بنى هلبة عمومّت ٢٥ صفر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٦/١١/٢٣م دفتر صادر الخليفة رقم ٣ ، ص ١٩ ، وثيقة ٥٠ .
- ١٥ - الخليفة إلى محمد كرقساوى ٦ ربيع آخر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧/١/٢م دفتر صادر الخليفة رقم ١٠ ص ١٠٨ وثيقة ٣٠٤ .



١٦ - الخليفة إلى ابن عنجة جماد آخر ١٣٠٤ هـ الموافق ١٨٨٧/٣/١ م المهدية ٢٥/١ ملف ٤ ، وثيقة ٣٢١ . وأيضًا الخليفة إلى أبي عنجة ٦ جماد آخر ١٣٠٤ هـ الموافق ١٨٨٧/٣/٢ م المهدية ٢٥/١ ملف ٤ وثيقة ٣٢٥ .

١٧ - الخليفة إلى أبي عنجة ٢٠ جماد آخر ١٣٠٤ هـ الموافق ١٨٨٧/٣/١٦ م المهدية ٢٥/١ ملف ٤ وثيقة ٣٣٢ .؛ انظر أيضًا : شقير ، نفس المرجع ، ج٣ ، ص ٤٥٤ وأيضًا :

Holt. Op. Cit. p. 135 ; Duarrec. Op. Cit., p. 329; Slatin. R.C.. Fire and Sword in the Sudan. London, 1896, p. 416 .

١٨ - أحمد أمين : المهدي والمهدوية ، القاهرة ١٩٥١ م ، ص ١٧٥ .

\* DuJarric. G.Op.Cit, p. 225 .

١٩ - العدد ٣٧٠ من جريدة القاهرة الصادرة في ٢ مارس ١٨٨٧ م.

٢٠ - انظر ملحق الوثائق .

٢١ - محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٤٢٧ .

22 - Holt, Op. Cit., p.136 .

٢٣ - تعويم شقير . تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافية - القاهرة ١٩٠٣ م ، الجزء الثالث ، ص ٤٥٦ .

24 - Ohrwalder, Op. Cit., p. 250 .

٢٥ - جريدة القاهرة ٣ فبراير ١٨٨٧ م.

٢٦ - الخليفة إلى صالح فضل الله سالم ١٠ رجب ١٣٠٣ هـ الموافق ١٨٨٦/٤/١٤ م دفتر صادر الخليفة رقم ٣ س ١٢ وثيقة ٣٧ .

٢٧ - الخليفة إلى صالح فضل الله سالم غاية صفر ١٣٠٤ هـ الموافق ١٨٨٦/١١/٢٨ م دفتر صادر الخليفة رقم ٣ ص ٢٠ وثيقة ٥١ وأيضًا الخليفة إلى صالح فضل الله ١٥ ربيع آخر ١٣٠٤ هـ / ١١/١٨٨٧ م دفتر صادر الخليفة رقم ٣ ، ص ٢٠ ، وثيقة ٥٢ .

٢٨ - الخليفة إلى كافة من كانوا من صالح ٢ شعبان ١٣٠٤ هـ ١٨٨٧/٤/٢٦ م دفتر صادر الخليفة رقم ٣ ص ٢٣ وثيقة ٥٧ ؛

Ohrwalder, Op.Cit., pp. 366 - 71; Slatin, Op. Cit., p. 417 .

٢٩ - النجومى إلى الخليفة ٢٠ شعبان ١٣٠٤ هـ الموافق ١٨٨٧/٤/٢٦ م المهدية ١/١ ملف ، وثيقة رقم ١/٦ . وقد وصل (توفلد ) إلى أم درمان في ٧ مارس ١٨٨٧ م ( طبقًا لرواية أورفالدر ) . ٧ مايو ( طبقًا لرواية سلاطين وأثبتت أوراقه أنه روسى الجنسية خريج جامعة ليبزج ) وأشيع أنه قدم لإنقاذ سلاطين مما زاد غضب الخليفة عليه ، فألقى به فى السجن أربعة أعوام ، ثم عمل فى معمل تكرير ملح البارود فى دار الإرسالية القديمة بالخرطوم وكتب عن أسره كتابه المعروف . انظر :

A prisoner of the Khaleefa. London 1899; Ohrwalder. Op. Cit., pp. 366 - 71 ; Slatin. Op. Cit., p. 417 .

٣ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢٨ محرم ١٣٠٤ هـ الموافق ٢٧/١٠/١٨٨٦م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة

. ٤٠

٣١ - الخليفة إلى عثمان آدم ٤ ربيع آخر ١٣٠٤ هـ الموافق ٣١/١٢/١٨٨٦م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة

. ٦٢

٣٢ - الخليفة إلى بن عنجة ٢٣ ربيع آخر ١٣٠٤ هـ ١٩/١/١٨٨٧م المهدية ٢٥/١ ملف ٤ وثيقة ٢٨٣ .

٣٣ - الخليفة إلى كافة قبائل حمر ١٤ رجب ١٣٠٤ هـ الموافق ٨/٤/١٨٨٧م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة

. ٩٨

٣٤ - هامش رقم ٥ ص ٣٢٧ .

٣٥ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢٣ رجب ١٣٠٤ هـ الموافق ١٧/٤/١٨٨٧م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة

. ٩٧

٣٦ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢٤ رجب ١٣٠٤ هـ ١٨/٤/١٨٨٧م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة ٩٩ .

٣٧ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٤ رجب ١٣٠٤ هـ الموافق ٨/٤/١٨٨٧م دفتر صادر الخليفة رقم ١١ ص

١٥٠ وثيقة ٤٣٣ .

٣٨ - الخليفة إلى عثمان آدم ١١ شعبان ١٣٠٤ هـ الموافق ٥/٥/١٨٨٧م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة

. ١٠٤

٣٩ - الخليفة إلى عثمان آدم ٤ رمضان ١٣٠٤ هـ الموافق ٢٧/٥/١٨٨٧م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة ١١٤ .

٤٠ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٣ رمضان ١٣٠٤ هـ الموافق ٥/٦/١٨٨٧م دفتر صادر الخليفة رقم ١١ ، ص

١٩١ ، وثيقة ٥١٩ .

٤١ - الخليفة إلى سيماوى قساح ١٣ رمضان ١٣٠٤ هـ الموافق ٥/٦/١٨٨٧م دفتر صادر الخليفة رقم ١١ ،

ص ١٩٤ ، وثيقة ٥٢٣ .

٤٢ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٣ رمضان ١٣٠٤ هـ الموافق ٥/٦/١٨٨٧م دفتر صادر رقم ١١ ، ص ١٨٩ ،

وثيقة ٥١٧ .

٤٣ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٧ ذى القعدة ١٣٠٤ هـ الموافق ٢٧/٧/١٨٨٧م المهدية ١١/١ ملف رقم ٢ ،

وثيقة ١٣٦ .

٤٤ - الخليفة إلى عثمان آدم ٥ شوال ١٣٠٤ هـ الموافق ٢٧/٦/١٨٨٧م المهدية ١١/١ ملف رقم ٢ ، وثيقة

. ١٢٠



٤٥ - زاهر رياض : السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الاستقلال ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ٥١ - ٥٣ .

٤٦ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢٥ رجب ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٤/٧م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة رقم ٧/٢٦٤ .

٤٧ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٤ جماد أول ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/١/٢٨م المهدية ١١/١ ملف ٤ وثيقة رقم ٢/٢١٣ .

٤٨ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٩ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٣/٤م المهدية ١/١ ملف ٣ وثيقة رقم ٢٨١ .

٤٩ - ميكى شبكة : السودان فى قرن ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٢٢٠ .

Ohrwalder, Op. Cit., p. 393 .

٥٠ - عثمان إلى الخليفة ٢٢ ربيع أول ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٧/١٢/٨م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة ٤٦ .

٥١ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٩ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٣/٣م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٥/٢٤٣ .

٥٢ - عثمان آدم إلى الخليفة ٢ جماد أول ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/١/١٦م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة ٦ .

٥٣ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٢/١٥م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٢١٦ .

٥٤ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٤ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٢/٢٧م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٢٢٤ .

٥٥ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٧ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٣/١م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٢٢٨ .

٥٦ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٧ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٣/١م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٣٢٨ وأيضاً ، وثيقة ٢٣٠ نفس المصدر .

٥٧ - عثمان آدم الخليفة ٨ شعبان ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٤/٢١م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة ٩٢ .

٥٨ - عثمان آدم إلى الخليفة ١٨ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٣/٢م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة ٧٢ .

٥٩ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٢ رجب ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٣/٢٥م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ١/٢٥٨ .

٦٠ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢٥ رجب ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٤/٧م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٧/٢٦٤ .

- ٦١ - لم توضع الوثيقة اسمها تمامًا .
- ٦٢ - عثمان آدم إلى الخليفة ٢٦ ذى الحجة ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٩/٤ م المهدية ١٢/١ ملف ١/٢ وثيقة ١/١٩٩ .
- ٦٣ - عثمان آدم إلى الخليفة ٢٧ ذى الحجة ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٩/٥ م المهدية ١٢/١ ملف ١/٢ وثيقة ٢/١٩٩٩ .
- 64 - Dujarric, Op.Cit, p. 222 .
- 65 - Holt, Op. Cit., p. 142 .
- 66 - Ohrwalder, Op. Cit., p. 404 .
- 67 - Holt , Op. Cit., p. 142 .
- ٦٨ - عثمان آدم إلى الخليفة ٢ جماد أول ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/١/١٦ م المهدية ١٢/١ ملف وثيقة ٦٠ .
- ٦٩ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢٠ جماد ثان ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٣/٤ م المهدية ١٢/١ ملف ٣ وثيقة ٢٤٤ .
- ٧٠ - عثمان آدم إلى الخليفة ٣ رجب ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٣/١٦ م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة ٧٣ .
- ٧١ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢٥ رجب ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٤/٧ م المهدية ١١/١ ملف رقم ٣ وثيقة ٥/٢٤٦ .
- ٧٢ - الخليفة إلى عثمان آدم ٧ ذى القعدة ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٧/١٥ م المهدية ١/١ ملف ٣ وثيقة ٢/٣٣٩ .
- ٧٣ - عثمان آدم إلى الخليفة ٨ شعبان ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٤/٢١ م المهدية ١٢/١ ملف وثيقة ٩٣ .
- ٧٤ - عثمان آدم إلى الخليفة ٨ شعبان ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٤/٢١ م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة ٩٧ .
- ٧٥ - الخليفة إلى عثمان آدم ٩ شوال ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨/٦/١٩ م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٣/٢٨٦ .
- ٧٦ - الخليفة إلى عثمان آدم شوال ١٣٠٥ هـ الموافق يونيو / يوليو ١٨٨٨ م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٣/٢٨٦ .
- ٧٧ - شقير : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٦١٤ .
- ٧٨ - الخليفة إلى أبي عنجة ٢٩ ربيع ثان ١٣٠٦ هـ الموافق ١٨٨٩/١/٢ م المهدية ٢٦/١ ملف ١/٦ وثيقة ١/٤٤٧ .



محمد بهاء الدين العمري : الحركة المهدية وانعكاساتها على العلاقات المصرية السودانية ، القاهرة ١٩٩٤م ، ص ٤٩ .

٨١ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢ رمضان ١٣٠٦هـ الموافق ١٨٨٩/٥/٣م المهدية ١١/١ ملف ٤ وثيقة ١/٣٢٩ .

٨٢ - الخليفة إلى عثمان آدم ٧ ذى القعدة ١٣٠٦هـ الموافق ١٨٨٩/٧/٦م المهدية ١١/١ ملف ٤ وثيقة ٢/٢٣٩ .

٨٣ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٥ جماد أول ١٣٠٧هـ الموافق ١٨٩٠/٧/٥ المهدية ١١/١ ملف ٥ وثيقة ١/٣٩٠ .

٨٤ - الخليفة إلى قبيلة المسيرية ٢١ جماد آخر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧/٣/١٧م دفتر صادر الخليفة رقم ٨ ص ١١٤ وثيقة رقم ٢٥٦ .

- الخليفة إلى قبيلة الرزيقات ٢١ جماد آخر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧/٣/١٧م دفتر صادر الخليفة رقم ٨ ص ١١٥ وثيقة رقم ٢٥٨ .

- الخليفة إلى قبيلة الهبانية ٢١ جماد آخر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧/٣/١٧م دفتر صادر الخليفة رقم ٨ ص ١٥٥ وثيقة رقم ٢٥٩ .

- الخليفة إلى قبيلة بنى هلبة ٢١ جماد آخر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧/٣/١٧م دفتر صادر الخليفة رقم ٨ ص ١١٥ وثيقة رقم ٢٦٠ .

- الخليفة إلى قبيلة التعايشة ٢١ جماد آخر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧/٣/١٧م دفتر صادر الخليفة رقم ٨ ص ١١٥ وثيقة رقم ٢٦٢ .

85 - Holt , Op. Cit., p. 136 .

٨٦ - الخليفة إلى أبى عنجة ٢٥ جماد أول ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧/٢/١٩م المهدية ٢٥/١ ملف وثيقة ٣١٤ .

- شوقى عطا الله الجمل : تاريخ السودان وادى النيل وعلاقاته بمصر ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٩٨٠م ، ص ١٢١ .

٨٧ - شقير : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

٨٨ - الخليفة إلى ابن عنجة غاية جماد آخر ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧/٣/٢٦م المهدية ٢٥/١ ملف ٤ وثيقة رقم ٣٤٦ ، انظر أيضاً دفتر صادر الخليفة رقم ١١ ص ١٤٥ ، وثيقة رقم ٤١٧ .

٨٩ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢٢ شعبان ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧/٥/١٦م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة ١١٠ .

٩٠ - الخليفة إلى عثمان آدم ٧ ذى القعدة ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧/٧/٢٧م المهدية ١١/١ ، ملف ٢ وثيقة ١٤١ .

٩١ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٤ صفر ١٣٠٤ هـ الموافق ١٢/١١/١٨٨٦ م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة ١٧٦ .

٩٢ - الخليفة إلى عثمان آدم ٩ ذى القعدة ١٣٠٤ هـ الموافق ٢٩/٧/١٨٨٧ م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة رقم ١٤٨ .

٩٣ - عثمان آدم إلى الخليفة ٢٧ ذى الحجة ١٣٠٤ هـ الموافق ١٦/٩/١٨٨٧ م المهدية ١٢/١ ملف ١ ، وثيقة ١٤ .

٩٤ - عثمان آدم ٢٢ ربيع أول ١٣٠٥ هـ الموافق ٨/١٢/١٨٨٧ م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة رقم ٤٦ .

٩٥ - الخليفة إلى عثمان ٢١ الحجة ١٣٠٤ هـ الموافق ١٠/٩/١٨٨٧ م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة ١٥٢ .

٩٦ - عثمان آدم إلى الخليفة ٢٢ محرم ١٣٠٥ هـ الموافق ١٠/١٠/١٨٨٧ م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة ٣١ .

٩٧ - عثمان آدم إلى الخليفة ٢٢ صفر ١٣٠٥ هـ الموافق ٩/١١/١٨٨٧ م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة رقم ٣٧ .

٩٨ - عثمان آدم إلى الخليفة ربيع أول ١٣٠٥ هـ الموافق نوفمبر / ديسمبر ١٨٨٧ م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة ٢٥ . وقد وجد عثمان هند محمد شيخ محمد كركساي : ٤٣٦ من البازنقر وأسلحتهم بأجناسها ٦٨ بندقية ، جهادية ١٧٢ وأسلحتهم ٤٧ بندقية لأن أسلحتهم أرسلت إلى القبيلة لأخوانهم المشتبكين مع الرزاقات أما أولاد العرب ٣٧ وأسلحتهم ٣٤٠ منها ١٠٠ رمتون .

٩٩ - عثمان آدم إلى الخليفة ٢٣ ربيع أول ١٣٠٥ هـ الموافق ٩/١٢/١٨٨٧ م المهدية ١٢/١ ملف وثيقة ٥٠ . وكان الخليفة قد كاتب البازنقر والجهادية الذين مع كرم الله وأخيه بالانضمام إلى عثمان كما طلب من الآخرين أيضاً. الانضمام لعثمان والانصياع لأوامره : انظر الخليفة إلى عثمان آدم ٣ محرم ١٣٠٥ هـ المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة ١٥٨ .

١٠٠ - عثمان آدم إلى الخليفة ربيع آخر ١٣٠٥ هـ الموافق نوفمبر / ديسمبر ١٨٨٧ م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة ٥٥ . وكان مع كرم الله من الجهادية ١٨٧ والبازنقر ٥٤٢ وأولاد العرب ٥٨٥ والخيول ٣٥٩ وجملته السلاح ١١٤٧ .

١٠١ - الخليفة إلى عثمان آدم غاية ربيع ١٣٠٥ هـ الموافق ١٥/١٢/١٨٨٧ م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٢٠٨ .

١٠٢ - الخليفة إلى أبي عنجة ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٧ - ١٨٨٨ م المهدية ٢٦/١ ملف ، وثيقة ٢١٣ .

١٠٣ - عثمان آدم إلى الخليفة ٢ جماد أول ١٣٠٥ هـ الموافق ١٦/١/١٨٨٨ م المهدية ١٢/١ ملف رقم ٢ وثيقة ٥٦ .

١٠٤ - الخليفة إلى كافة أهالي دارفور عامة ٦ محرم ١٣٠٥ هـ الموافق ٢٤ سبتمبر ١٨٨٧ م دفتر صادر الخليفة رقم ١٦ ص ١ وثيقة ٢ .



١٠٥ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٢ ربيع أول ١٣٠٥ هـ الموافق ١١/٢٨/١٨٨٧ م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة ١٩٣ .

١٠٦ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٢ ربيع أول ١٣٠٥ هـ الموافق ١١/٢٨/١٨٨٧ م المهدية ١١/١ ملف ٢ وثيقة ١٩٢ .

١٠٧ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٤ جماد أول ١٣٠٥ هـ الموافق ١١/٢٨/١٨٨٨ م المهدية ، ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٢١٠ .

١٠٨ - عثمان آدم إلى الخليفة جماد أول ١٣٠٥ هـ الموافق يناير / فبراير ١٨٨٨ م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة ٦٧ .

١٠٩ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٤ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ١١/٢٧/١٨٨٨ م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٢٢٤ .

١١٠ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٩ جماد آخر ١٣٠٥ هـ الموافق ١١/٣/١٨٨٨ م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٢٤٢ .

١١١ - عثمان آدم إلى الخليفة جماد أول ١٣٠٥ هـ يناير / فبراير ١٨٨٨ م المهدية ١٢/١ ملف ٢ وثيقة ٦٧ .

١١٢ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢٥ رجب ١٣٠٥ هـ الموافق ١١/٤/١٨٨٨ م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٢٦٢ .

١١٣ - الخليفة إلى عثمان آدم ٢٥ رجب ١٣٠٥ هـ الموافق ١١/٤/١٨٨٨ م المهدية ١١/١ ملف ٣ وثيقة ٢٩١ .

Slatin, Op. Cit., pp. 247 - 8 ; Cocheris, Op. Cit., p. 337; Dujarric, Op. Cit., pp. 244-5; Holt, Op. Cit., pp. 137 - 136 .

انظر أيضاً: شقير: المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٤٥٨ - ٤٦٠ .

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً : وثائق :

- الوثائق الآتية موجودة فى قسم المحفوظات بوزارة الداخلية السودانية بالخرطوم .
- ١ - المراسلات الرسمية لحكومة الخليفة فى مجموعة " المهديّة " الخليفة عبد الله إلى عبد الرحمن النجوى ٢٠٢ - ١٣٠٦ هـ المهديّة قسم ١ صندوق ١ .
  - ٢ - عبد الرحمن النجوى إلى الخليفة ١٣٠٢ - ١٣٠٦ هـ المهديّة قسم ١ صندوق ١٥ .
  - ٣ - عمر صالح إلى الخليفة ١٣٠٦ - ١٣١٣ هـ المهديّة قسم ١ صندوق ٣٣ .
  - ٤ - الخليفة إلى عثمان آدم ١٣٠٥ - ١٣٠٦ هـ المهديّة قسم ١ صندوق ١١ .
  - ٥ - عثمان آدم إلى الخليفة ١٣٠٥ - ١٣٠٦ هـ المهديّة قسم ١ صندوق ١٢ .
  - ٦ - عثمان دقنه إلى الخليفة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م المهديّة قسم ١ صندوق ٣١ .
  - ٧ - الخليفة إلى حمدان أبى عنجة ١٣٠٢ - ١٣٠٦ هـ المهديّة قسم ١ صندوق ٢٥ ، ٢٦ .
  - ٨ - دفتر صادر الخليفة ويحوى صور المراسلات الصادرة عن ديوان الخليفة من سنة ١٣٠٢ إلى سنة ١٣٠٦ ( ١٨٨٥ - ١٨٨٩ م ) وهو فى ١٧ جزء فى مجموعة المهديّة قسم ٣ .
  - ٩ - تاريخ حياة يوسف ميخائيل ملكية مجموعة Miscellaneous قسم ٢ قطعة ٤ وهو عبارة عن مذكرات لشخص عاصر الأحداث فى أم درمان أيام المهدي والخليفة عبد الله . وقد كتبها بعد سقوط حكومة الخليفة بحوالى ثلاثين عاماً .

### وثائق منشورة :

- الوثائق التى طبعت بوزارة الحربية البريطانية وهى تحوى موجزاً لكل الأحداث التى جرت فى عهد المهديّة فى كل مديرية كما كانت تضم أيضاً بعض الوثائق والرسائل والأوراق العامة ، وتحمل اسم . Abr. Ire Intellingence Report, Egypt, Nos, 1-59
- وبعد فتح السودان وسقوط حكومة الخليفة ، صارت تحمل اسم :

Sudan Intelligence Report. Nos. 60-101 ( Abbr. Sit) .

### ثانياً : المراجع العربية :

- ١ - أحمد أمين . المهدي والمهدوية ، القاهرة ١٩٥١ م .



٢ - بهاء الدين العمرى : الحركة المهدية وانعكاساتها على العلاقات المصرية السودانية ، القاهرة ١٩٩٤م.

٣ - شوقى عطا الله الجمل : تاريخ السودان وادى النيل وعلاقته بمصر ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٩٨٠م.

٤ - محمد فؤاد نكرى : مصر والسودان ، القاهرة ١٩٥٧م.

٥ - مكى شببكة : السودان فى قرن ، القاهرة ١٩٤٧.

٦ - نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافية ، القاهرة ١٩٠٣م ( ثلاثة أجزاء ) .

ثالثاً : أبحاث نشرت فى دوريات :

- جريد الأهرام سنة ١٨٨٦م.

- جريدة الأهرام سنة ١٨٨٧م.

رابعاً : المراجع الأجنبية :

1 - Dujarric. G., I'Etat Mahdiste du Soudan, Paris, 1901 .

2 - Holt. P.M. : The Mohdist State in the Sudan , Oxford 1958 .

3 - Rossignoli, p., I miei dodici anni in prigionia in mezzo ai dervisei del Sudan, Mondovi 1898.

4 - Slatin, R.C., Fire and sword in the Sudan, London, 1896.

5 - Theibald, A.B., The Mahdiya, London, 1951 .





د. مصطفى حبشى محمد زهران (\*)

## ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وموقف مصر الحيوي من حركة التحرر فى ليبيا

أ. - المقدمة :

إن مصر التى شاء لها القدر أن تكون فى أفريقيا وترتبط بها بروابط الموقع ووحدة النضال والتحرر من الاستعمار والمصلحة المشتركة ، وترتبط بأكثر أقاليمها بروابط الحنين والنبيل والحضارة والثقافة والجنس ، لذا فقد قامت مصر بواجبها نحو هذه القارة على مدار عصور التاريخ وشاركتها على الدوام الآمال والآلام .

فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون مصر فى أفريقيا ولذلك كانت ولا تزال وستظل تشعر بإفريقيتها وبالتزامها حيال تلك القارة على مدار الزمان وفى مختلف عصور التاريخ . حقاً أدخلها البحر المتوسط فى نطاقه الحضارى مدة طويلة ، كما شغلها قارة آسيا واحتوتها فى نطاقها قرونًا طويلة من الزمان ، ولكن شعب مصر كان يشعر بإفريقيته حريصاً عليها فخوراً بها . ولقد فرضت الظروف على مصر أن تتحمل أكبر العبء وأن تكون صاحبة النصيب الأكبر فى جهاد النهوض بشركائها وأشقائها فى هذه القارة ، ولقد قامت

\* - المعهد العالى للدراسات الأدبية بالإسكندرية

بواجبها نحو الوطن الإفريقى على مدار عصور التاريخ ، قامت بهذا الواجب نحو إفريقيا التى ولدت فيها من تلقاء نفسها ودون أن تهدف إلى مصلحة شخصية أو تتوخى منفعة ذاتية ، ويرجع هذا إلى روابط وثيقة العرى وأواصر بعيدة عن الانقسام تربط بين مصر وإفريقيا .

وقد دأب الاستعمار على تشكيك كل شعوب القارة فى تراثها ولغتها وآدابها ومواهبها وقواها الخلاقة متشدقاً بأنه ليس هناك لغات أو ثقافة أو شعوب أو حضارة متجددة سوى فى الغرب ، ولهذا فنجحت ثورة ٢٣ يوليو فى تفنيد تلك المزاعم حينما نجحت فى إنجاب مثقفين ثوريين اشتركوا بدور فعال فى الإعداد للثورة وفى القيام بها ، ثم فى بناء المجتمع الجديد والإنسان الجديد بعد امتزاج وانصهار أبناء القارة فى بوتقة الكفاح الوطنى .

فقامت مصر بمجهودات موفقة وأدت رسالة عجز غيرها عن أدائها . وبالتالى أعطت هذه المجهودات ثمرتها . لذا أصبح لزاماً على من يعرف أن يذكر من لا يعرف بذلك الدور المهم والمحوى الذى قامت به ثورة ٢٣ يوليو فى إفريقيا قاطبة .

وأمام ندرة المصادر والمراجع التى اهتمت بالكتابة عن تفعيل دور الثورة المصرية تجاه الشقيقة ليبيا ، فقد حاولت إثراء مادة البحث من مصادر شتى تنوعت بين الكتب والدوريات العلمية التى حوت بين طياتها سطوراً معدودة .

ورغم ذلك ، لم أتردد فى المضى فى البحث ، وشجعنى على ذلك خبرتى السابقة عن ليبيا أثناء عملى فى جامعة التحدى بسرت لمدة ثلاث سنوات يحدونى فى ذلك الواجب العلمى والشعور القومى بين مصر وليبيا .

ويتكون البحث من ثلاثة محاور رئيسة تسبقها المقدمة وتُعقبها الخاتمة ونتائج البحث .

خُصص المحور الأول عن الجذور التاريخية بين مصر وليبيا .

وتناول المحور الثانى صدى ثورة ٢٣ يولييه ١٩٥٢ على قارة إفريقيا بصفة عامة وليبيا بصفة خاصة .

وبرهن المحور الثالث على تفعيل دور الثورة المصرية على الشقيقة ليبيا فى شتى المجالات .

أما الخاتمة فقد تناولت نتائج هذه الدراسة ورصد عدد من الملاحظات .



## ب - الجذور التاريخية بين مصر وليبيا :

من المعروف جغرافياً أن إقليم غرب مصر متجانس مع ليبيا بوجه عام فى صفاته الطبيعية، وفى مميزاته البشرية ، والصلات بين سكان ليبيا وسكان مصر قديمة ترجع إلى ما قبل الأسرات. وقد عرف الفراعنة أهل ليبيا واتصلوا بهم منذ أول عهدهم سواء فى الأسرة الثالثة أو فى عهد الدولتين الوسطى والحديثة ، وتطور ذلك إلى عهد ومسيس الثالث وبعد ذلك غزا قمبيز ملك الفرس برقة بعد أن استولى على مصر ، ثم حكم البطالمة مصر وبرقة معاً، ثم انتقل القطران معاً إلى حكم الرومان فى سنة ٣١ ق.م. وقد نشأ عن الاختلاط بين المصريين والليبيين من قديم الزمان أن أصبح سكان غرب الدلتا والصحراء الغربية لا يختلفون عن سكان ليبيا نفسها (١).

ثم أن العلاقات المتصلة بين سكان الوادى وأهل الغرب الذين يسمون فى النصوص بالليبيين ، وهى علاقات سلام حيناً وعلاقات حرب حيناً آخر ، قد أدت إلى اختلاط بشرى بين المصريين وأهل المغرب ، بل أن بعض الأسر التى حكمت مصر فى العصور القديمة كانت من أولئك الليبيين ، مما يسمح لنا بأن نستنتج أن الاختلاط كان قوياً متصلاً بين الجانبين ، وإن حضارة مصر امتدت حتى شملت أولئك الأقوام ونقلتهم من البداوة الصرفة المطلقة إلى الاستقرار والسير فى مدارج العمران ، حتى بلغوا منه مبلغاً مكن لهم من إقامة الدول .

ومن الثابت - على أى حال - أن الحدود السياسية الغربية لمصر فى العصور القديمة والوسطى تصل إلى إقليم برقة ، وقد كان هذا الإقليم جزءاً من مصر إلى أواخر العصور الإسلامية استمرت هذه التبعية السياسية ، وأن خفيت فى فترات ؛ فأما الفترات التى خفيت فيها فالعصر الطولونى أو عصر دولة المماليك ، والسبب فى ذلك أن الأخطار كانت تهدد مصر من ناحية الشرق تهديداً متصلاً ، فانصرفت عن الغرب بكيانها كله انصرافاً يكاد يكون تاماً ، ولكن حكام مصر ظلوا يشعرون - مع ذلك - أن برقة جزء داخل فى مملكتهم ، بدليل أن صلاح الدين الأيوبي أرسل أحد إخوته ليستطلع الأحوال فى برقة وليمهدا له ، حتى يلجأ إليها آل صلاح الدين إذا اختلفوا اختلافاً خطراً مع نور الدين زنكى (٢).

وبعد الفتح العربى سنة ٦٤٢م تحولت كل من مصر وليبيا إلى بلاد عربية يتكلم أهلها اللغة العربية ويدنون بالدين الإسلامى ، وقد ساعدت هجرات القبائل العربية إلى كل من مصر وليبيا على تجانس القطرين إلى حد بعيد وعلى توطيد أركان العروبة بينهما .

وفى العصر العثمانى سنة ١٥٥١م ، كان القطران تحت حكم الدولة العثمانية واستمرت الروابط بينهما إلى أن احتلت إيطاليا ليبيا سنة ١٩١١م ، وعملت على فصلها عن البلاد العربية والإسلامية وخاصة مصر من أجل الإمعان فى استنزاف ثرواتها الطبيعية والبشرية<sup>(٣)</sup>.  
أيضاً كانت مصر سرقاً رائجاً لبعض المنتجات الليبية ، فكانت برقة تصدر عدداً كبيراً من الجمال إلى مصر ، وكانت تأتى الماشية إلى بنغازى عن طريق عدة طرق سواء من الساحل أو الداخل<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلط الدم المصرى بالدم الليبى بمصاهرة بعض القبائل مثل بنى هلال وبنى سليم اللتين هاجرتا من مصر إلى ليبيا فى القرن الحادى عشر بعد الميلاد ، وبعد ذلك بعدة قرون بدأت بعض فروع قبيلة بنى سليم تعود إلى مصر مرة أخرى . ومن فروع هذه القبيلة الفوايد وقبيلة الجوازي اللتان رحلتا إلى محافظة الفيوم فى مصر ومن فروعها أيضاً قبيلة أولاد على التى دخلت الأراضى المصرية وسكنت الجهة الممتدة من السلوم إلى الإسكندرية والبحيرة . لذا تكاد لا توجد قبيلة فى برقة إلا ولها فروع فى مصر<sup>(٥)</sup>.

وفى العصر الحديث توطت العلاقات بين الشقيقتين مصر وليبيا أيام السيد محمد بن على السنوسى<sup>(٦)</sup> مؤسس الطريقة السنوسية الذى انتقل إلى القاهرة سنة ١٨٢٠ أيام محمد على وأقام فى الأزهر مدة طويلة يتعلم ويعلم ويناقش ويجادل وينشر فى الناس عقيدته التى تدعو إلى إصلاح العالم الإسلامى ، وسرعان ما انتشرت بعد ذلك الزوايا السنوسية فى مصر وليبيا والتى جسدت مركز إشعاع روحى وسياسى<sup>(٧)</sup>.

وأثناء الاحتلال الإيطالى لليبيا فى نهاية سنة ١٩١١ سارعت مصر بتقديم المعونة المادية والمعنوية للبلاد ، وتشكلت اللجان المصرية العديدة لجمع التبرعات ، كما تألفت جمعية الهلال الأحمر برئاسة الشيخ على يوسف ، وقررت إنشاء عدة مصحات متنقلة داخل ليبيا .

وتبارى الشعراء فى مصر من أجل إشعال حماس أبناء البلاد فى تكثيف جهدهم وجهادهم للتصدي للعدو . واستنكرت صحافة مصر بشدة احتلال إيطاليا لليبيا ، بل تطورت تعاضيد مصر لشقيقتها ليبيا فى تدفق أبناء مصر إليها لحمل السلاح إلى جانب إخوانهم هناك ، وفى طليعة هؤلاء المصريين عزيز المصرى ومعه بعض الرموز الأخرى ، والذى عين قائداً لمنطقة بنغازى حينئذ وقد أظهر هو ورفاقه بسالة فائقة ضد الإيطاليين ، وتضخمت المسئولية أمامه عندما التف حول أبنائه وأصبح قائداً عاماً للعرب ضد الإيطاليين<sup>(٨)</sup>.



وأيضاً سطع نجم عبد الرحمن عزام الذى تجرى فى عروقه الدماء المصرية من أجل استكمال مسيرة الكفاح فى ليبيا ، حيث نجح فى استقطاب العديد من الخلايا الوطنية وتوجيه الضربات المؤلمة إلى إيطاليا ، وازداد ولاء عزام بأبناء ليبيا وتوج ذلك بتعيينه مستشاراً للجمهورية الطرابلسية التى حجّمت قوة إيطاليا فى ليبيا ، وبالتالي حصول أبناء البلاد على مكاسب كثيرة حدثت من نشاط إيطاليا الاستعماري (٩).

وظلت بعد ذلك الأسلحة المصرية تتدفق إلى ليبيا عبر الحدود المشتركة بين البلدين ، وتهيأ المصريون بتقديم النفس والنفيس لإخوانهم فى ليبيا من أجل ردع إيطاليا ، وقد تألم المصريون كثيراً لإعدام البطل الليبى عمر المختار ، وازدادت مساندتهم وتعاضدهم لأبناء ليبيا من أجل إعطائهم دماء جديدة (١٠).

وبدأت مصر فى فتح ذراعيها لاستقبال المهاجرين الليبيين الذين لجأوا إليها من قهر الإيطاليين وكان فى طبيعتهم السيد محمد إدريس السنوسى ، وذهلت مصر أمامه جميع العقبات وفتحت له قنواتها المسموعة والمقروءة لاستقطاب رأى العام حول قضية ليبيا وتبلورت فى مصر جمعية أخرى سنة ١٩٤٣ بزعامة أحمد السويحلى ، عملت على ضخ المعونات المادية والمعنوية لأبناء ليبيا ، بالإضافة إلى دورها الإعلامى الكبير من أجل مساندة الشعب الليبى ضد التعنت الإيطالى ، وازداد تفعيل الدور الإعلامى المصرى بفضل جهود الشيخ طاهر أحمد الزاوى الذى دعا إلى شحذ الهمم فى مواجهة إيطاليا ، حيث كان لدعوته صدى كبير سواء فى الداخل أو الخارج (١١).

وقد اشتعل حماس العرب عندما أصدر المهاجرون الطرابلسيون فى مصر كتاباً بعنوان "فجيعة العرب فى طرابلس الغرب" أظهروا فيه مآسى إيطاليا المتنوعة ضد أبناء البلاد ، وبالتالي تدفقت المعونات على أبناء البلاد فى مصر التى عملت على تفعيلها لخدمة الحركة الوطنية فى ليبيا بإعطاء دماء جديدة لأبناء البلاد التى أسفرت عن إخراج الإيطاليين نهائياً من ليبيا فى فبراير ١٩٤٣ وهى تجتر مرارة الهزيمة (١٢).

ويلاحظ ذلك الكبرياء الإيطالى الذى لا حد له والذى يجدد ويحيى صلف روما وقيصرتها أولئك الذين اعتبروا الأجناس الأخرى شعوباً همجية كتب عليها أن تكون فى خدمة روما وأبنائها ، فالحكم الإيطالى يفرض التسليم بلا قيد ولا شرط ويرى أن الأهالى لا يقنعهم شيء سوى استعمال القوة التى تصحبها العدالة .

وكانت فرنسا تسخر من اعتزاز الإيطاليين بأنفسهم وغرورهم البالغ وهذا واضح من كلمات جرازيانى حين استولت إيطاليا على فزان والكفرة . ونشر الفرنسيون حين استولوا على فزان عام ١٩٤٣ أشعاراً تتم عن سخريتهم من الإيطاليين الذين ولوا الأدبار يومذاك .

ويكتفى أن اقتبس عن المحاضرة سالفه الذكر ترجمة لبعض كلمات ( قولبى ) أحد القواد الإيطاليين فى حملات فزان إذ قال " إن حق إيطاليا من الناحية الدولية فى امتلاك المستعمرة حق ثابت لا نزاع فيه وأن عناد الأهالى ما هو إلا ثورة يحركها بعض الرجال المتعطشين إلى السلطة تقودهم أطماعهم الذاتية فليس هناك روح قومية أو حركة وطنية تحركها عواطف عالية أو روح جماعية وإنما هناك أطماع وأغراض وأهواء فلنضرب ضرباً قاسياً " .

وعمل جرازيانى على أن ينفذ خطته لاحتلال فزان فأعد قوات صغيرة متفرقة مستقلة وإن كانت مجموعات القوات فى النهاية تهدف لتحقيق غاية واحدة ، ويوصى بعدم السماح للعرب بالانسحاب أو الراحة . ويسخر من عزيمة العرب التى تبدو قوية فى أول الأمر ثم تضعف وتهبط فى النهاية ويرى أن العربى مقاتل بطبعه يعتمد على التضليل لتفريق قوة العدو كما تساعده الطبيعة الإفريقية التى تسبب الإعياء للجيش الأوربية .. وينقص هؤلاء العرب فى رأى القائد الإيطالى المغرور الإلمام بالوسائل الفنية العديدة التى كانت تستخدم فى الحرب الحديثة فى ذلك الوقت .

وعندما دعي جرازيانى لتولى الأعمال الحربية ترنم بمقطوعة من شعر " فيرجيل " معناها أن الشعب الرومانى يجب أن يذكر أنه سوف يدعى لحكم الشعوب فليضع عمن يدين له وليخضع القوى لسلطانه .. وهذا ترديد من روما الإلهى فى حكم الشعوب " .

وقبل أن تترك هذه الكلمات التى صارت أثراً بعيداً والتى تعدو للسخرية ولا تتفق مع أبسط الحقوق يجب أن نلاحظ أن هؤلاء المجانين بالعظمة أو هؤلاء المصابين "بالميجالومانيا " لم يكونوا شخصيات مسرحية تمثل جنون العظمة أو تمثل مأساة من مآسى أحد قياصرة الرومان، وإنما هى شخصيات كان لها واقع وكانت تقود جيوشاً وتبيد السكان العرب فى العقد الثانى والثالث والرابع من القرن العشرين .

وكان فى إمكان هؤلاء القواد الإلمام بشيء من التاريخ ليعرفوا أن هذا الشعب العربى عرف الحضارة وكان له صوت مسموع فى التاريخ وأنه ليس مجموعة من القبائل البدائية الهمجية التى تدرس كنماذج للمجتمع البدائى .. ولو أن هؤلاء القواد كانوا قد نالوا نصيباً من الثقافة



المتحررة لعرفوا أن للإنسان حقوقًا .. أن الغريب حقًا في أمر هؤلاء وأمثالهم أنهم عاشوا في العقد الثالث والرابع من هذا القرن .. ولم يكن عليهم أن ينتظروا أكثر من سنوات قليلة ليعلموا أن هناك حقوقًا ما للإنسان ، وأن الدول المغلوبة على أمرها إنما هي في وضع مؤقت وأن إدارة شئونها يعتبر مسئولية دولية بحيث ترعى رفاهية هؤلاء السكان لمنحهم الحكم الذاتي أولاً .. أقول لم يكن بينهم وبين الفترة التي أعلنت فيها هذه المبادئ أكثر من سنوات قليلة ليدركوا ما جاء بميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ ، وأن أقسى أنواع الاستعمار الحديث لم تصرح على الأقل بمثل هذه الأحاديث البشعة في حد ذاتها . وكان الاضطهاد العنصري يعمل عمله في نفوس هؤلاء الذين وضعوا الغرب في أحط مكان في إطار النظام الاجتماعي .. ولم يكن هذا الاضطهاد ناجمًا عن اللون ، وإنما من جنون العظمة الرومانى الذى سرعان ما انهار (١٣).

وتقاطر بعد ذلك أبناء ليبيا في المهجر إلى البلد الأم ، وأعقب ذلك نقل معسكرات التدريب السنوسية من القطر المصرى إلى ليبيا ، وغدت القوات السنوسية نواة لجيش وطنى استعداداً للجولة الثانية من الكفاح ضد الإدارة الإنجليزية والفرنسية التى مارست التحكم والسيطرة على البلاد (١٤).

وتجدد دور مصر مرة أخرى بالاهتمام بالقضية الليبية ، خاصة ضد العدو المشترك بينهما وهو إنجلترا ، وظهر ذلك الدور الإيجابى فى ١٢ سبتمبر ١٩٤٥م عندما قدمت مصر مذكرة إلى مجلس وزراء خارجية الدول الكبرى فى لندن طالبت فيها ضرورة تقرير مصير أبناء ليبيا ومنحهم الاستقلال الكامل (١٥).

وعلى أثر ذلك تألفت فى القاهرة فى غضون شهر مارس ١٩٤٧ هيئة من الزعماء الليبيين أطلق عليها اسم ( هيئة تحرير ليبيا ) واستقلالها بحدودها الطبيعية أى من الحدود المصرية إلى الحدود التونسية والجزائرية وإلى الصحراء الكبرى جنوباً ، والتعارن مع الجامعة العربية والتفاهم فى حل ما يحقق هذا الاستقلال ويصونه واستتباب الأمن داخل ليبيا .

وقد بسطت مصر على الوجه الأكمل أمام المؤتمر الأسانيد التاريخية والبراهين السياسية والاقتصادية التى تثبت حق شعب ليبيا فى المكان والمكانة ، وتم عرض صيغة البيان على هيئة الأمم المتحدة فى ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ التى وافقت على استقلال البلاد بالتنسيق مع دول الجوار فى فترة انتقالية أقصاها أول يناير ١٩٥٢ ، وقد باركت مصر هذا البيان بل شكلت

لجان كثيرة من أجل المساعدة فى بلورة الكيان الليبى وترسيم حدوده وتذليل العقبات مع دول الجوار (١٦).

### ج - صدى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على أفريقيا عامة وليبيا خاصة :

وجاء فجر الحرية للقارة الأفريقية يوم قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فى مصر تلك الثورة التى كانت من القوة والإحكام بحيث سببت ما يشبه الذهول للاستعمار الأوروبى فى أفريقيا كلها وكان جمال عبد الناصر عملياً منهجياً فى سياسته الأفريقية فقد مد يد العون إلى ليبيا وهو ألصق الأقاليم الأفريقية بمصر وألقى بكل ثقل الثورة فى الميزان حتى اضطرت إيطاليا للجلاء عن هذا الجزء العربى الحيوى. ومن منطلق ذلك وقف العالم كله يترقب نتيجة الصراع المحتمى بين هذه الثورة الوليدة وبين الاستعمار وأنصت الأفريقيون إلى جمال عبد الناصر وهو يقول فى قوة لم يألّفوها من قبل " على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل وإلا فليقاتل حتى الموت دفاعاً عن بقائه " .

وفى ذلك تحدت رسالة مصر الثورة نحو أفريقية عامة وليبيا خاصة ووضعت معالمها ورسم الرئيس خطوطها العريضة فى كتابه فلسفة الثورة فقال ( لن نستطيع بحال من الأحوال حتى لو أردنا أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى أعماق أفريقية، لا نستطيع لسبب هام وبديهي هو أننا فى أفريقيا ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع إلينا نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نتخلى عن مسئوليتنا فى المعاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق القارة " (١٧).

عندما زحفت قوات ( الضباط الأحرار ) من معسكراتها الصحراوية فى فجر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واتخذت القاهرة رأس جسر لتحرير مصر ثم لتحرير الأشقاء من دول القارة خاصة ليبيا بحكم الامتداد الطبيعى والتجاور المكانى والمجال الحيوى بينهما بالإضافة إلى الروابط الأيدولوجية والجنسية (١٨).

لذا لم تكن أفريقيا فى ذلك الحين خامدة مستكنة للاستعمار بل كانت الروح الوطنية تغلّى فى أعماق الغابات وعلى قمم الجبال وعلى رمال الصحراء الليبية وبذلك غدا الشمال الأفريقى يهتز بما فوقه من بنيان ضد الحكم الإمبريالى بفضل سواعد أبناء أفريقيا (١٩).



ومع بداية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أخذ الموقع الجغرافى لمصر فى أفريقيا أبعادها الجيوبوليتيكية والفكرية وبالتالي جاءت كلمات فلسفة الثورة لتقول ( إننا فى أفريقيا ونحن الذين نحرس الباب الشمالى للمقارة نجسد همزة الوصل بالعالم الخارجى كله ، إن النيل شريان الحياة لوطننا تضخ ماءه من قلب أفريقيا وإن ليبيا الشقيقة تتأخم مصر من حيث الموقع وتربطنا بها جذور تاريخية ضاربة منذ القدم ) (٢٠).

وقد كانت الحركات الثورية المنبثقة من ثورة يوليو والتي اجتاحت القارة الأفريقية من أدناها إلى أقصاها لم توجد بمحض المصادفة وإنما سبقتها مراحل طويلة من التهيؤ النفسى والنضج العاطفى والتصور الخيالى والتخطيط العقلى الذى امتزج بالتفاعل مع روح الثورة (٢١).

ولأن ثورة يوليو الأفريقية قد ولدت ونشأت ونمت وترعرعت بين التجارب والمحن فى الماضى ، فإنها أدركت تمام الإدراك ضخامة مهمتها وأهمية دورها الذى يجب أن تقوم به فى تحقيق أهداف أبناء القارة وسلكت روح الثورة أساليب شتى لمواجهة الاستعمار الأوروبى فى أفريقيا من واقع التجربة والممارسة ، ووفقاً لمتطلبات حركة التحرير الأفريقية قلباً وقالباً ، وتنوعت هذه الأساليب بالدعوة السلمية الموجهة إلى الدول الإمبريالية تارة ، وشحذ الهمم بالكفاح المسلح تارة أخرى والذى يعقبه ممارسة الضغوط الفعالة على المستعمر بحمل عصاه الغليظة والرحيل من الأراضى الأفريقية . ومن هذه الروافد المنبثقة عن ثورة يوليو المصرية تكون نهر متدفق بالتقاء أبناء القارة معاً تحت مظلة الكفاح الثورى ذات المدى الواسع ، وأضحت تلك الروافد ظواهر تاريخية ضخمة شاخصة إليها الأبصار بما كان لها من صدى إقليمى وعالمى (٢٢).

وتتويجاً لذلك فقد فتحت مصر أبوابها للقادة الوطنيين من أبناء ليبيا فاتخذوا منها ملجأً وملاذاً ، لذلك وجد السنوسيون فى مصر ما افتقدوه فى بلادهم من معطيات الأمن والأمان ، بالإضافة إلى الدعم المادى والمعنوى ، وظلت مصر بذلك مركز إشعاع للمقاومة الوطنية للبيين ، فيها يعقدون مجالسهم الوطنية ، وقيمون معسكرات التدريب للخلايا الوطنية استعداداً لسحق الجيوب الإمبريالية من البلاد ، زد على ذلك موقف مصر الرائد فى اجتماعات الجامعة العربية ولجانها ، وأيضاً فى هيئة الأمم المتحدة وتوجت تلك المواقف الإيجابية إلى فتح أبواب الاستقلال أمام ليبيا (٢٣).

ويؤكد الرئيس عبد الناصر على ذلك قائلاً : " لابد أن تبقى فعالية الثورة الأفريقية وحيويتها المتوهجة نبراساً لشتى أبناء القارة لرفع هاماتهم بين الأمم " (٢٤).

وانطلق أبناء أفريقيا في مقاومة الاستعمار بأقلامهم وأجسامهم وحناجرهم يقتحمون طريق الشوك بأقدامهم العارية للقضاء على معاقل الاستعمار في كل صوب وحدث ، لذا كان الفتى صاحب الجسم النحيل ، والعينين المتوقدتين ، والعزيمة القوية ، وهو السنوسى الذى وضع أمام عينيه ضرورة تخليص ليبيا من بين أنياب الإمبريالية الأوروبية حتى لا تظل بلاده منبطحة تحت أقدام الهيمنة الغربية التى سبق لها تشتيت الشباب الوطنى بين المعتقلات والمنفى ، وتلا ذلك الإمعان فى استنزاف ثروات البلاد الطبيعية والبشرية ، وبالرغم من ذلك لم تنطفئ شعلة الكفاح الوطنى ، فقد نبتت فى كل مدينة ليبية خلایا وطنية تستلهم روح المقاومة من الشرارة المصرية (٢٥).

وبالتالى لاحت بواذر الزحف الوطنى من برقة بحكم التجاور مع مصر ، ثم تغلغلت فى طرابلس وفزان ، وعلى الفور سُمعت هدير الأحداث فى تلك المدن ، فلاتت قبضة المستعمر تدريجياً ، وتعانقت الكوادر الوطنية المبعثرة يجمعها هدف واحد هو تحرير البلاد (٢٦).

لذا كانت هذه هى الخطوة البارزة لتعظيم دور الثورة المصرية حينما اندلعت شرارتها من الباب الشمالى للقارة الأفريقية ، واقتحم الباب جمال عبد الناصر ورفاقه الذين اشرأبت أعناقهم نحو النصر ، وتفجرت بعد ذلك مبادئ التحرر من الظلم والتأخر على المستوى الداخلى والخارجى فى أفريقيا (٢٧).

وبالتالى تعد إمكانيات مصر العسكرية أحد مقومات سياستها تجاه أبناء القارة ، خاصة أشقائها سواء فى الشرق أو الغرب ، ولذا لم تتردد مصر فى تقديم النفس والنفيس لهؤلاء الأشقاء بعد أن أصبحت مصر مركز إشعاع ثورى بما لها من ثقل كبير فى مجال تصفية الاستعمار فى قارة أفريقيا (٢٨).

إن الثورة المصرية قد بدأت من الأرض الأفريقية ، لذا أصبح الطريق أمامها ثابتاً مهدداً فسيحاً ، وقد فعلت ذلك على مرأى من شقيقاتها فى القارة الأفريقية ، وبالتالى نهج أبناء القارة نفس المسلك ، لأن ثورة ٢٣ يوليو فى مصر لم تكن منذ نشأتها بمعزل عن الشعوب التى تجمعها أرض أفريقيا وعن الآلام التى تقاسيها تلك الشعوب (٢٩).



ولن تكن الثورة رغم ما كان يحيط بها من أعداء ، وما يكتنفها من أخطار تكتفى (بالمشاركة الشعبية ) مع الشعوب الأفريقية ، وإنما كانت تؤمن منذ البداية بوحدة النضال الأفريقى وقد عبر عن ذلك جمال عبد الناصر فى كتابه فلسفة الثورة حينما قال ( إنه لا يستطيع أن يقف موقف المتفرج فى الصراع الدائر بين خمسة ملايين أوروبى دخيل ومائتى مليون أفريقى متأصل ) (٣٠).

وكان جمال عبد الناصر عملياً منهجياً فى سياسته الأفريقية ، فقد مد يده إلى ليبيا بحكم التجاور المكاني والروابط الأزلية بين القطرين من أجل زلزلة القواعد الأجنبية الجاثمة على صدر البلاد ، لذا أصبحت ليبيا فى طليعة الدول الأفريقية المستقلة الثلاث فى عام ١٩٥٢م.

وظلت الثورة المصرية تضخ مبادئها على شتى ربوع القارة من أجل تحطيم الحواجز البالية المصطنعة التى أقامتها الدول الاستعمارية لتفريغ وإجهاض قواها الوطنية ، وكان لتلك المبادئ صدى كبير سرى بين شتى ربوع القارة ، إلا أن المستعمر وأعوانه المأجورين نبذوا تلك المبادئ السامية للثورة (٣١).

وعندما فتحت مصر ذراعيها لشتى أبناء القارة من أجل مباركة وتأييد زعيم الثورة ، تقاطرت على مصر العديد من الرموز الأفريقية التى تشبعت بأفكار الثورة المصرية المتوثبة ، وبالتالي نقل تلك الأفكار إلى بلادهم للسير على منوالها حتى ظلت تلك المبادئ تجسد معول هدم للأنظمة الإمبريالية ، خاصة المحاولات المسمومة التى يتقرب بها أذنان الاستعمار وفى طليعتهم إسرائيل من أجل الهيمنة على شعوب القارة (٣٢).

#### د. - تفعيل دور الثورة المصرية فى ليبيا :

ليس هناك ما هو أصدق من حديث التاريخ ، فإذا أدركنا فكرنا إلى أبعد نقطة فيه وجدنا عملية امتزاج رائع بين القطرين (مصر - ليبيا ) وعملية انعطاف ضاربة الجذور فى أعماق الحياة هنا وهناك فنحن إذا تتبعنا التاريخ وجدنا مقدار هذا الانعطاف والترابط بين القطرين (٣٣).

وبعد أن قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر زادت الروابط وتوثقت العلاقات بينها وبين ليبيا لدرجة كبيرة ومن مظاهر ذلك عقد اتفاقية ثقافية بين البلدين فى ٢٥ يونيو ١٩٥٣ وقد تبودلت وثائق التصديق على هذه الاتفاقية بالقاهرة فى ١٧ يونيو ١٩٥٤ وأهم ما فيها المادة الثالثة التى تنص على الآتى :

نظراً لأن الطرف الثانى ( ليبيا ) طبق مناهج التعليم المصرية فى بلده لذا يتولى الطرف الأول ( مصر ) تقديم المعونة الفنية اللازمة لتمكين الطرف الثانى من تحقيق سياسته التعليمية فيما هو آتى :

١ - يتعهد الطرف الأول بتزويد الطرف الثانى بما يحتاج إليه من المدرسين والأساتذة الفنيين لمختلف المعاهد التعليمية العامة والفردية التى يتفق عليها الطرفان على أن يخطر الطرف الثانى الطرف الأول باحتياجاته قبل بدء العام الدراسى بمدة ستة أشهر ، ويعير الطرف الأول الطرف الثانى اثنين من الموظفين ليرأسا البعثة التعليمية المصرية فى ولايتى طرابلس وبرقة على أن يتحمل الطرف الأول المرتب الأسمى المقرر لها بمصر ويتحمل الطرف الثانى المرتبات الإضافية التى تمنح للموظفين المنتدبين للعمل بليبيا وفقاً للقواعد التى يتفق عليها بين الطرفين .

٢ - يقبل الطرف الأول الطلاب والتلاميذ الليبيين فى معاهده وكلياته الجامعية بالفرق الدراسية المناسبة وفقاً لشروط الالتحاق بتلك المعاهد والكليات مع منحهم مجانية التعليم على أن يبلغ الطرف الأول قبل بدء العام الدراسى الجديد بستة أشهر لتدبير الأماكن اللازمة .

٣ - يمد الطرف الأول الطرف الثانى بالمعونة الفنية التى يطلبها لتنظيم امتحاناته العامة وعلى هذا الأساس ، ونظراً لأن مناهج الدراسة ومدتها ونظام الامتحانات موحدة فى بلاد الطرفين المتعاقدين ولاشتراك المدرسين المصريين المنتدبين فى الامتحانات العامة التى يعقدها الطرف الثانى ، فإن الطرف الأول يعترف بمعادلة الشهادات العامة التى يمنحها الطرف الثانى لنظائرها من شهادات حكومته .

٤ - يقوم الطرف الأول بتيسير تزويد الطرف الثانى بما يحتاج إليه من الكتب الدراسية والثقافية المطبوعة فى مصر ، وكذلك بالأدوات والأجهزة المصنوعة بها على أن يخطر الطرف الأول بالعدد اللازم من كل كتاب قبل أول يناير من كل سنة ، وتنفيذاً لهذه المعاهدة ترسل مصر كل عام عدداً كبيراً من أساتذتها ومدرسيها للتدريس فى جامعات ومعاهد ومدارس ليبيا كما يلتحق كل عام عدد كبير من الطلاب الليبيين بالجامعات والمعاهد المصرية

وتدعيماً للمصلات الثقافية بين مصر وليبيا ، أنشأت وزارة التربية والتعليم فى عام ١٩٥٥ مركزاً ثقافياً فى كل من بنغازى وطرابلس ، يضم كل مركز مكتبة حديثة تحوى آلافاً من الكتب العلمية والثقافية والفنية ، وقاعة للمحاضرات والندوات العلمية والعروض السينمائية وقاعة للأطفال وأخرى للموسيقى .



ولاشك أن هذه المراكز قد أدت رسالة ثقافية مهمة ، وعُدَّت تنويراً لتدعيم أواصر الصداقة بين الشقيقتين ( مصر - ليبيا ) وتفعيلاً للدور الإيجابي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وما لبث أن سارعت مصر بعقد اتفاق تجارى مع حكومة ليبيا وقع بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٥٦ وسرى مفعوله فى ١٤ فبراير ١٩٥٧ ، وتخفض عنه زيادة صادرات مصر إلى ليبيا خاصة من المنسوجات القطنية (٣٤).

وسارعت الشقيقة ليبيا بالوقوف بجانب مصر عندما وقع عليها العدوان الثلاثى فى أكتوبر ١٩٥٦ ، فأصدر وزير الخارجية الليبى بياناً أشار فيه إلى أن ليبيا ستتخذ جميع الإجراءات الكفيلة بمنع استخدام القواعد البريطانية فى ليبيا ضد مصر .

وعلى الفور اتصلت الحكومة الليبية بالحكومة البريطانية وحصلت منها على تأكيد بذلك ، كما احتجت الحكومة الليبية على هذا الاعتداء ، وبعث رئيس الوزراء رسالة إلى رئيس الوزراء البريطانى يطالبه بالإقلاع عن العدوان الآثم على الشقيقة مصر .

وتضمن خطاب العرض الذى ألقى فى افتتاح البرلمان الليبى يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦ ما يلى : " إن حكومته قد أبدت استنكارها الشديد للعدوان الذى تعرضت له مصر الشقيقة ، وتؤكد إنها لا تدخر وسعاً فى تأييد أى دولة عربية فى نضالها من أجل حماية استقلالها وكرامتها ، وأشار الخطاب إلى منع استخدام القواعد البريطانية فى ليبيا للعدوان على مصر ، واستمراراً لذلك تعمقت الروابط والصلات بين القطرين الشقيقتين ( مصر - ليبيا ) بفضل معطيات ثورة ٢٣ يولييه ١٩٥٢ المتدفقة والمتجددة (٣٥) .

## نتائج البحث :

١ - ألقى هذا البحث الضوء على هوية مصر الأفريقية ومدى تعانقها وترابطها بأبناء القارة من قديم الأزل . بل أن تلك الروابط قديمة قدم التاريخ ذاته فكان لمصر النصيب الأكبر فى جهاد النهوض بشركائها فى هذه القارة .

٢ - تناول هذا البحث مدى الترابط بين الشقيقتين ( ليبيا - مصر ) على مر العصور التاريخية من تلقاء نفسها وبفطرتها التى يراها الله عليها .

٣ - أبرز هذا البحث مدى الانصهار والامتزاج الكامل بين القطرين ( المصرى - الليبى ) والذى سبقه شدة وصلابة تأصلهما فى الموقع الجغرافى الفريد وهو فى حد ذاته رأس مال ضخّم لكليهما .

٤ - برهن هذا البحث على نجاح ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ سواء على المستوى الداخلى أو الخارجى والذى يعدّ تنويجاً لتحرير الإرادة العربية والأفريقية من التبعية الأوروبية . بعد أن جسدت تلك الثورة مشعل النور للشعوب الأفريقية قاطبة .

٥ - أكد هذا البحث على عزيمة الضباط الأحرار القوية وعلى رأسهم الرئيس جمال عبد الناصر قائد الثورة فى تفعيل دور الثورة على مختلف ربوع القارة الأفريقية . وبالتالى تجاوزت أصداء الحرية فى شتى جنبات القارة فاستمعت النداء وهبت شعباً بعد آخر تلحق الركب .

٦ - أثبت هذا البحث مدى عمق واتساع مبادئ الثورة المصرية التى نجحت فى سحب البساط من تحت أقدام الإمبريالية بعد أن أصبحت تجسد معول هدم فى تفتيت صروحها وتبديد أحلامها . وبالتالى أصبحت مع الحرية على الاستعمار بعد أن ساندت كل وثبة تحرر فى أفريقية وكانت وراء أكثر أحداث القارة التحررية .

٧ - برهن هذا البحث على تعاظم دور ثورة يوليو فى التفاعل الحقيقى والاحتكاك الإيجابى قلباً وقالباً بين أبناء أفريقيا بصفة عامة والشقيقتين ( ليبيا - مصر ) بصفة خاصة . بحكم التجانس فى الزمان والمكان وبالتالى تأييد مصر حكومة وشعباً بقوة وإصرار الشعب الليبى .

٨ - أكد هذا البحث على دور ثورة يوليو المصرية فى تأصيل ذاتية أبناء القارة بعد استقطابهم فى بوتقة النضال من أجل تحقيق هدف واحد وهو الحرية . حيث أنها لم



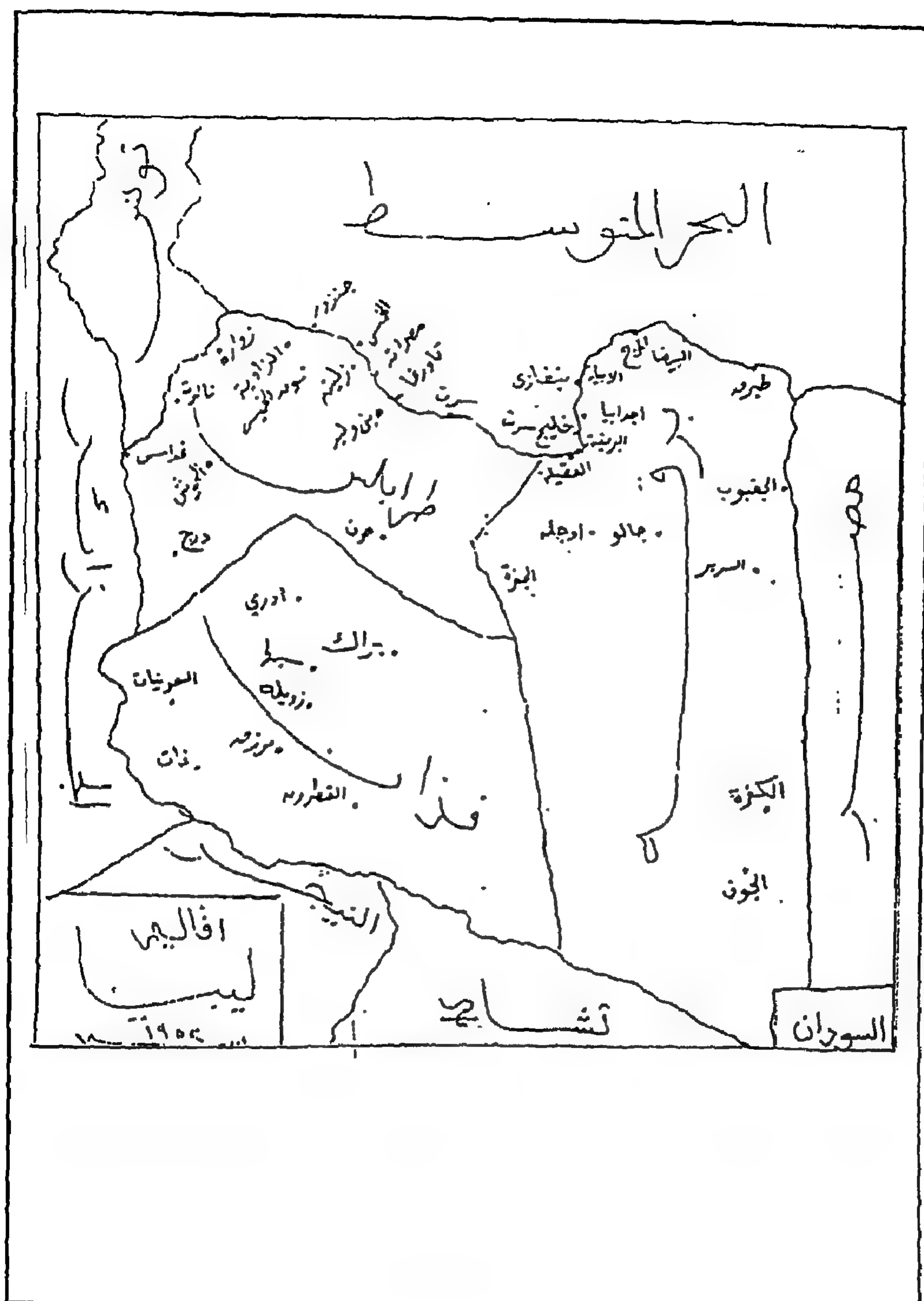
تبخل بأن تعطى غيرها مما عندها من معطيات الحرية بتضافر شتى القوى المادية والمعنوية .

٩ - عالج هذا البحث مدى اعتناق أبناء ليبيا لمبادئ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بعد أن أضحت مرآة صادقة لهم بلورت آمانيهم وحقت أحلامهم . بحكم كونها السند القوى والقاعدة النضالية الكبرى بعد أن بدأت مراحل الثورة تغلى ونداء الكفاح يعلو فى أفريقية الأمر الذى جعل الاستعمار يخضع مرغماً تحت وطأة الكفاح المشترك .

١٠ - أثبت هذا البحث دور الثورة الحيوى والفعال فى النهضة الشمولية التى تغلغت داخل الكيان الليبى خاصة تحجيف منابع الإمبريالية التى داست حرمة البلاد .

١١ - ألقى البحث الضوء على الكوادر والكيانات الوطنية فى كلا القطرين ( المصرى - الليبى ) والذين جرت فى عروقهم الدماء الأفريقية بعد أن سعوا سعياً حثيثاً من أجل النهوض ببلادهم على ضوء فعاليات الثورة المصرية .

١٢ - تناول البحث النجاح المتدفق لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر وليبيا بعد أن أصبحت سلاح حيوى وفعال اشترأت إليه الأعناق خاصة فى إبرام المعاهدات بين مصر وليبيا بحكم كوننا جزء لا يتجزأ من غرب أفريقية أو هو جزء منا بل إننا وإياه جزء من الوطن العربى الكبير ونحن أيضاً أخوة لأب وأم تفرق بنا المكان وجمعتنا وحدة العاطفة ووشيجة النسب وأصرة الدين ولحمة اللغة حتى غدا الباب مفتوحاً بين القطرين .



## أقاليم ليبيا



## الهوامش

- ١- حسين مؤنس ، مصر ورسالتها ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٢ .
- ٢ - مصطفى عبد الله بغير : تاريخ ليبيا - القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٢ .
- 3 - Harris, Norman, Europe and Africa, London 1927, p. 10 .
- ٤ - حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص ٧ .
- ٥ - محمد بن مسعود ، ليبيا الحديثة ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٢٢ .
- ٦ - إدريس السنوسى : ولد قى ١٢ مارس عام ١٨٩٢ فى ولاية جغبوب على الحدود المصرية الليبية وقد ولد جده الشيخ محمد على بن السنوسى فى الجزائر حيث أسس الأسرة السنوسية عام ١٧٨٨ - ١٨٦٠ . والسنوسيون لهم أصول فى الجزيرة العربية ، وقد جاؤا إلى الصحراء وحطوا رحالهم فيها ، ثم استقروا بين الواحات المنتشرة فى الداخل . وعندما أصبح محمد إدريس السنوسى شابًا يافعًا أرسله أبوه إلى المدرسة ، بعدما حفظ القرآن . وقام إدريس برحلة إلى السودان فى قافلة كبيرة من الجمال وهناك يجهته خبر وفاة والده فيحزن لذلك كثيرا ثم يتوجه إلى الأراضى الحجازية مع بعض أعوانه لأداء فريضة الحج . وعاد إدريس إلى ليبيا مارًا بمصر . وفى الإسكندرية قضى وقتًا طويلاً . وقد أصبح إدريس السنوسى خليفة للسنوسيين المنتشرين فى الصحراء بعد وفاة والده . وعندما قامت الحرب العالمية الأولى حارب السنوسيون إلى جانب الأتراك والألمان ، أى ضد الإيطاليين وظلت الحرب مشتتة الأوار لمدة سنوات . وبعدما انتهت الحرب حاول الإيطاليون استمالة إدريس السنوسى فدعوه فى عام ١٩٢٠ إلى روما لحضور حفل تتويج الملك إيمانويل ولكن الفاشية بقيادة موسلىنى استولت على الحكم فى إيطاليا . وكان موسولىنى يطمح فى إحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة وكان هذا يعنى ببساطة السيطرة على الساحل الآخر من حوض البحر المتوسط سيطرة كاملة . وحينما تمكنت القوات الإيطالية من احتلال ليبيا خرج السنوسى منها وعاش فى مصر ٢١ عامًا كاملة . وخلال الحرب العالمية الثانية وقف إدريس السنوسى مع الحلفاء ضد المحور . فلما انتهت هذه الحرب بهزيمة إيطاليا وألمانيا كان من الطبيعى أن يعود السنوسى إلى ليبيا . وفى الثانى من ديسمبر عام ١٩٥٠ نودى بإدريس الأول ملكًا على ليبيا ثم ارتقى العرش رسميًا فى عام ١٩٥١ . انظر : مجلة نهضة أفريقيا ، القادة الأتارقة ، العدد ٦٢ ، مارس ١٩٧٠ ، ص ٣٩ .

7- Bartlett, Vernon, Struggle for Africa, London, 1953, p. 8 .

٨ - محمد عبد العزيز الحق : هذه هى ليبيا ، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد ٢٤ نوفمبر ، ١٩٥٩ م ، ص

٩ - محمد بن مسعود ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

10 - Harris, Norman, Op.Cit. p. 13 .

١١ - محمد فؤاد شكرى ، تاريخ ليبيا العام ، طرابلس ١٩٦٠ ، ص ٣٦ .

12 - Writing Clork, After independence in Africa, Africa affairs, Volume. 61, No. 243, April, 1962, p. 126 .

١٣ - المسألة الليبية : تقرير مجلس الدول العربية ، مارس ١٩٥٠ ، ص ١٢ ، ص ١٣ .

١٤ - عبده بدوى ، أضواء على ليبيا المعاصرة ، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد الرابع عشرة ، يناير ١٩٥٩ ، ص ٢٤ .

١٥ - عبده بدوى ، المرجع السابق ، ص ٣٤ .

١٦ - محمد مصطفى بازامة ، الاحتلال الإيطالى لليبيا ، سلسلة التاريخ الليبى ، بنغازى ١٩٦١ ، ص ٨٤ .

١٧ - الرئيس جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة ، القاهرة ١٩٥٤ .

١٨ - على إبراهيم عبده ، مصر وأفريقيا فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٧٥ .

١٩ - عبد المنعم الحضرى ، الشعوب الأفريقية ، مجلة أفريقيا ، العدد ٤٨ ، أكتوبر ١٩٦١ ، ص ٦ .

20 - Willing. Clark, op. cit. p. 127 .

٢١ - عبد المنعم الحضرى ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

٢٢ - هدى هنرى ، أفريقيا فى القاهرة ، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد ٤٨ ، أكتوبر ١٩٦١ ، ص ٤٢ .

23 - Bartlett, Vernon, Op. Cit, p. 15 .

٢٤ - محمد عبد العزيز إسحق ، ثورة ٢٣ يوليو فى أفريقيا ، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد ٢٧ ، ١٩٦٢ ، ص ٢٩ .

٢٥ - عبد المنعم الحضرى ، مرجع سابق ، ص ٩٠٨ .

26 - Crabites, Pierre, the winning of The Libya, London, 1960, p. 5 .

٢٧ - محمد عبد العزيز إسحق ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

٢٨ - شوقى عطا الله الجمل ، دور مصر فى أفريقيا ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٣٣ .

٢٩ - على إبراهيم عبده ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

٣٠ - محمد عبد العزيز إسحق ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

31 - Willing, Clark, Op. Cit, p. 128 .



- ٣٢ - عبد العزيز كامل ، الرئيس يتحدث عن أفريقيا ، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد ١٨ ، مايو ١٩٥٩ ، ص ٦ .
- ٣٣ - محمد مصطفى بازامة ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .
- ٣٤ - وزارة الخارجية المصرية ، محاضر المحادثات السياسية والمذكرات المتبادلة بين الحكومة المصرية والحكومة الليبية ، مارس ١٩٥٦ ، نوفمبر ١٩٥٧ ، رقم ٧٧/٥ .
- ٣٥ - المصدر السابق .

## ثبت المصادر والمراجع

### أولاً : وثائق منشورة :

- ١ - وزارة الخارجية المصرية - محاضر المحادثات السياسية والمذكرات المتبادلة بين الحكومة المصرية والحكومة الليبية ( مارس ١٩٥٦ - نوفمبر ١٩٥٧ ) ، رقم ٧٧/٥ .
- ٢ - تقرير مجلس جامعة الدول العربية ، المسألة الليبية ، مارس ١٩٥٠ .

### ثانياً : مراجع عربية :

- ١ - جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ٢ - حسين مؤنس ، مصر ورسالتها ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ٣ - شوقي عطا الله الجمل ، دور مصر في أفريقيا ، القاهرة ١٩٨٤ م.
- ٤ - على إبراهيم عبده ، مصر وأفريقيا في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٦٢ م.
- ٥ - محمد بن مسعود ، ليبيا الحديثة ، القاهرة ١٩٥٧ م.
- ٦ - محمد فؤاد شكرى ، تاريخ ليبيا العام ، طرابلس ١٩٦٠ .
- ٧ - محمد مصطفى بازامة ، الاحتلال الإيطالى لليبيا ، بنغازى ١٩٦١ .
- ٨ - لجنة الثقافة والإعلام ، أضواء على أفريقيا ، القاهرة ١٩٦٠ م.

### ثالثاً : مراجع أجنبية :

- 1 - Bartlett, Vernon, Struggle for Africa, London, 1953 .
- 2 - Crabites, Pierre, The winning of the Libya, London, 1960 .
- 3 - Harris, Norman, Europe and Africa, London, 1927 .

### رابعاً : أبحاث منشورة فى دوريات علمية باللغة العربية :

- ١ - عبده بدوى ، أضواء على ليبيا المعاصرة ، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد الرابع عشر ، يناير ١٩٥٩ .
- ٢ - عبد العزيز كامل ، الرئيس يتحدث عن أفريقيا ، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد ١٨ ، مايو ١٩٥٩ .
- ٣ - عبد المنعم الحضرى ، الشعوب الأفريقية ، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد ٤٨ ، أكتوبر ١٩٦١ .



٤ - محمد عبد العزيز إسحق ، هذه هي ليبيا ، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد ٢٤ ، نوفمبر ١٩٥٩ .

٥ - محمد عبد العزيز إسحق ، ثورة ٢٣ يوليو في أفريقيا ، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد ٣٧ ، يناير ١٩٦٢ .

٦ - هدى هنرى ، أفريقيا في القاهرة ، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد ٤٨ ، أكتوبر ١٩٦١ .

**خامساً : أبحاث منشورة في دوريات علمية باللغة الأجنبية :**

1 - Willing, Clark, After independence in Africa, Africa affairs, Volume 61 , No. 243, April, 1962 .





د. عائشة عبد العزيز محمد التهامي (\*)

## الكتابات العربية على بعض شواهد وتراكيب القبور العثمانية

مما لا شك فيه أن دراسة شواهد القبور الإسلامية قد كشفت النقاب عن أهميتها الكبرى في علم الآثار ، حيث أنها تُعد بحق توثيقاً تاريخياً وتسجيلاً أثرياً ، لكل بلد من بلدان العالم الإسلامي ، ومن ثم فهي أصدق قِيلاً وأقوى دليلاً ، في تمثيل حضارة كل عصر من العصور الإسلامية بجميع جوانبه السياسية والاجتماعية والدينية (١) .

وقد تميزت مصر على مر عصورها التاريخية والإسلامية ، بكثرة ما عُثر عليه من شواهد قبور (٢) بباطن أرضها ومن خلال حفائرها . وتلك الشواهد هي الألواح الحجرية أو الرخامية التي تُوضع فوق القبر للدلالة على من يرقد في هذا القبر أو من دُفن في هذا اللحد ، ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، بأقدم شاهد قبر من الحجر الجيري ، نُقش عليه كتابة باسم ابن حجر ومؤرخ سنة ٣١١ هـ ، وهو يمثل أقدم كتابة علي الحجر في مصر الإسلامية (٣) .

وبالرغم من إجماع أراء الفقهاء ، واتفاق أغلبية العلماء على كراهية العناية بتشديد القبور والكتابة عليها ، والتألق بها من الناحية الزخرفية ، فإن المسلمين لم يلتزموا بما

\* - كلية السياحة والفنادق - جامعة القاهرة - فرع الفيوم .

رسمه لهم علماء الإسلام ، وفقهاء الدين ، على العكس زادت عنايتهم ، بزخرفة الشواهد (٤) حتى أنها تُعد بحق - بما نُقش على ألواحها ، وكُتب على تراكيبها - سجلاً حافلاً بالأحداث التاريخية والحياة السياسية والمكانة الاجتماعية والقوة الاقتصادية ، والنصوص التذكارية ، والعبارات الدعائية ، والألقاب الفخرية ، والأنساب العائلية ، ومن ثم أثر كل هذا وانعكاسه على الناحية الفنية (٥) .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، بمجموعة كبيرة من شواهد القبور الإسلامية التي ترجع إلى عصور مختلفة ، بينما يظهر جلياً واضحاً التآلق الزخرفى والثراء المادى ، فى تلك الألواح الرخامية (٦) ، لشواهد القبور العثمانية ، وسوف أتناول ثلاثة نماذج منها ، بالبحث والدراسة ، حيث يحتوى على كتابات بخط الثلث ، باللغة العربية وبعض الكلمات التركية .

وخير مثال لشواهد القبور العثمانية التي أرخت النصف الثانى من القرن ١٢هـ / ١٨م ، تاريخياً وسياسياً وانعكاس هذا فنياً ، هو تلك المقبرة بتركيبتها (٧) ، والمكونة من أربعة شواهد رأسية ذات أشكال مختلفة وزخارف متنوعة ( لوحة ١ ) .

وقد لعبت الكتابة بخط الثلث دوراً رئيساً فى زخرفة شواهد وتركيبه تلك المقبرة العثمانية وخاصة الخط الجلى أو الجليل الذى تداخلت حروفه بامتداد وتشابكت كلماته باستطالة ، وهذا النوع من الخط يدل على مدى ما وصل إليه الفنان العثمانى من اهتمام كبير ، وعناية فائقة فى تحسين فن الخط ومزاويلته بتعظيم وتكريم وقدسية ، لما له من مكانة سامية ، عند الخطاطين العثمانيين (٨) ، وبالفعل أن فن الخط لم ينل عند أمة من الأمم من العناية والتقدير بقدر ما ناله عند المسلمين عامة والعثمانيين خاصة (٩) .

ويذكر أن واحداً من هؤلاء الخطاطين العثمانيين جمع كل ما تخلف من برى أقلامه طوال حياته وأوصى أن تحرق هذه البقايا ويُغلى على نيرانها الماء الذى يُعد لغسله بعد مماته ، كل هذا يعطى دلالة واضحة على أن الفنان والخطاط العثمانى اعتبر الخط فناً قدسياً ، لا يقدم عليه إلا إذا تطهر وتوضأ ، ولا سيما إذا كان مقبل على كتابة أسماء الله (١٠) .

ويتجلى فن هذا الخط واضحاً وأنامل ذلك الخطاط ظاهرة فى سطور شاهد هذا القبر الرأسى المستطيل الشكل ، حيث نُقشت كلماته فى خمسة أسطر ، داخل بحور صغيرة مستطيلة الشكل أيضاً ( لوحة ٢ ) .

السطر الأول : هذا قبر المرحوم محمد جلى



السطر الثاني : ابن المرحوم رضوان كتخدا (١١).

السطر الثالث : عزبان (١٢) جلفى (١٣) توفى إلى

السطر الرابع : رحمة الله فى ٢٢ شهر

السطر الخامس : رمضان سنة ١١٧٢

وبلاحظ أن هذا الشاهد ينتهى من أعلى بعقد ثلاثى مفصص ، يتدلى من أعلاه زخرفة نباتية قوامها زهرة اللالة Lale أو شقائق النعمان Tulip التى أكثر الأتراك العثمانيون من استخدامها فى موضوعاتهم الزخرفية ، وخاصة شواهد القبور ، لما لها من مكانة دينية ومعتقدات قدسية ، حيث أن شكلها يتكون من نفس حروف لفظ الجلالة " الله " تلك الزهرة التى كثر استخدامها فى القرن ١٢ هـ / ١٨م وتنوعت أشكالها وتباينت أحجامها (١٤).

وبلاحظ أن هذا الشاهد ينتهى من أسفل بعنصر زخرفة الزهرية التى يخرج منها أفرع تحمل أوراق نباتية ، كما تحمل الأفرع أزهاراً ، منها زهرة القرنفل Koranfil ، التى عشقها الأتراك عشقاً مما جعل الفنانين ، يرسمونها على جدران مساجدهم ومشاهدهم وأضرحتهم وقبورهم ، إلى جانب زهرة اللاله (١٥).

ومما هو جدير بالذكر أن عنصر زخرفة الزهرية أو المزهرية ظهر على معظم الفنون المعمارية والتحف التطبيقية فى مصر فى العصر العثمانى (١٦)، بينما ترجع أصول هذا العنصر لزخرفة الزهرية التى يخرج منها أفرع نباتية وأوراق تنتهى بزهور ، لبداية العصر الإسلامى وأقدم مثال لها ظهر على زخرفة فسيفساء قبة الصخرة (١٧) سنة ٧٣ هـ / ٦٩١ - ٦٩٢ م .

وخلاصة الأمر أن هذا الشاهد ، لقبر المرحوم محمد جلى ابن المرحوم الأمير رضوان كتخدا عزبان الجلفى الذى قيل فى مدحه الكثير من كلمات الشعر وبديع النظم يذكر منها الجبرتى (١٨) هذه المقامة البديعة :

نسجت بمنوال البديع مقامه وتزركشت بالحسن والإبداع رقت

حواشيها ووشى طروزها بجواهر الترصيع والإبداع

رغدت بحلى مديح رضوان العلى طرل المدى تجلى على الأسماع

كما تتجلى فى نقوش هذا الشاهد المثلث الشكل لتلك المقبرة أيضاً تسعة أسطر من الكتابة بخط الثلث مؤرخ منها ألقاب وأنساب بعض أمراء نهاية القرن ١٢هـ / ١٨م ، وهى:-

السطر الأول : أمير اللواء (١٩) عليك أهلك قد بكت

السطر الثانى : والصبر ناء والمنام قليل

السطر الثالث : والدمع سال على الحدود من الجفا

السطر الرابع : والجسم من داء الفراق عليل

السطر الخامس : لكن لك العفو العميم مؤرخ

السطر السادس : قد قر فى الجنات إسماعيل (٢٠)

السطر السابع : أخى المرحوم (أ)مير اللواء على بيك (٢١)

السطر الثامن : أمير الحاج (٢٢) سابقاً توفى

السطر التاسع : فى شهر رمضان سنة ١١٩١

وبما هو جدير بالذكر أن أسطر شاهد قبر أمير اللواء إسماعيل ، أخو اللواء على بيك أمير الحاج ، جاءت مؤثرة ومفعمة بالكثير من كلمات الرثاء والصبر والإناء ، ونحيب البكاء وسيل الدموع وداء الجسد من علة فراق الأهل ، ولكن سلواهم أنه فى جنات الخلد ، ونعيم الآخرة وعفو المولى عز وجل ، ويزخرف نهاية هذا الشاهد أوراق نباتية وزهرة القرنفل ، وتنتهى قمته بشكل مقبب ، أما قاعدته يزخرفها ورقة ثلاثية مقلوبة لأسفل وزهرة اللاله .

وبلاحظ أن كلمات رثاء هذا الشاهد المؤرخ سنة ١١٩١هـ ، قد أرخت حروفها بحساب الجمل والسنين كما يلى :-

$$\text{قد ( ق = ١٠٠ + د = ٤ ) = ١٠٤ .}$$

$$\text{قر ( ق = ١٠٠ + ر = ٢٠٠ ) = ٣٠٠ .}$$

$$\text{فى ( ف = ٨٠ + ى = ١٠ ) = ٩٠ .}$$

$$\text{الجنات ( ا = ١ + ل = ٣٠ + ج = ٣ + ن = ٥٠ + ت = ١ + د = ٤٠٠ ) = ٤٨٥}$$



إسماعيل ( ١=١+٦٠=م+٤٠=١+١=ع+٧٠=١+١٠=ل+٣٠ ) ٢١٢

بحساب الجمل يكون المجموع = ١١٩١

ويتفق هذا التاريخ لوفاة اللواء إسماعيل بحساب الجمل مع تاريخ ما نُقش على شاهد قبره وتُعد كلمات هذا الشاهد مختلفة كثيراً عن الشاهد السابق ، فى رثاءها وأنينها ووصف حالة الأهل ، بالإضافة إلى التاريخ وحساب جملها ، بينما كان شاهد قبر المرحوم محمد جلى (أى الرجل المتصوف الفقير إلى الله ) مجرد إشارة ، إلى قبر صاحبه دون أى رثاء أو خلافة ، ولكنهما كانا متفقان فى نسبة الأول إلى أبيه ونسبة الثانى إلى أخيه دلالة على أن كل منهما ، نسب نفسه سواء إلى الأب أو الأخ لشهرة الأب والأخ ، ومكانتهما الاجتماعية فى الدولة آنذاك ، لذا فقد نُسبا إليهما زيادة فى التعريف بشخصيتهما .

وهناك شاهدان رأسيان آخران (٢٣). لنفس المقبرة سابقة الذكر ، ولكنهما يحملان أدعية قرآنية وعناصر زخرفية (لوحة ٣) فالشاهد الثالث يقع مائلاً أمام الشاهد الأول ، وهو ذو أربع أوجه مستطيلة الشكل ، يزخرف الجزء العلوى منه رسم على هيئة غطاء رأس عثمانى ذو زخارف هندسية بسيطة ، تُلف حول عُمامة (٢٤) مطوية بشكل يبدو طبيعياً بزخارف نباتية ، أما الجزء السفلى - وهو يمثل ثلثى ارتفاعه - من الوجه الداخلى يزخرفه شكل مشكاة ، يتدلى من أعلاها سلسلتان تحصران بينهما وريده ، وتنتهى ببدن على هيئة مشكاة مملوكية (٢٥) تتكون من كتابة متعاكسة ، تُقرأ طرداً وعكساً لعبارة البسملة " بسم الله الرحمن الرحيم " وهذا النوع من الخط المثنى أو الكتابة المعاكسة قد عُرف وانتشرت طريقة تقابله أى " طرد وعكس " منذ العصر المملوكى فى عمائره ، وأشهر ما نُفذ منها على العمائر، تلك الموجودة داخل محراب مدرسة الأمير قجماس الأسحاقى (٨٨٦هـ / ١٤٨١م) ، بالدرب الأحمر بصيغة " عمل عبد القادر النقاش " (٢٦).

ويكشف هذا الخط الذى يسميه العثمانيون " اينه لى " أو الكتابة المراتية ، عن مهارة الخطاط العثماني وعبقريته ، إذ هو يكتب العبارة الواحدة مرتين بحيث يمكن قراءتها من اليمين إلى اليسار ، ومن اليسار إلى اليمين (٢٧) ، فهو يمزج بين حروفها ، بحيث يخرج من هذا المزج شكلاً زخرفياً جميلاً ، بالرغم من أن البعض يرى أن هذه صورة معقدة للخط العربى ، ولكنها ذات رؤية جمالية وأصول فنية (٢٨).

ونخلص من هذا أن الخطاط قد بلغ حداً كبيراً من التمكن فى كتابة الخط الثلث رغم أن هذا الخط يخضع لمعايير فنية ونسب ثابتة وقواعد دقيقة فى كتابة حروفه ، وقد أراد الخطاط أن يُعلن عن مهارته ، رغم كل هذه القيود ، بالجمع بين أصول وقواعد هذا الخط وبين الطابع الزخرفى الجمالى (٢٩).

وكما وُجدت هذه الخطوط الكتابية المتعاكسة ، بشكل زخرفى وجمالى على شواهد القبور العثمانية ، فقد استخدمت أيضاً فى زخرفة الفنون التطبيقية والعمائر الاجتماعية ، وخير مثال لظهورها فى التحف التطبيقية ، تلك القطعة من نسيج الحرير - التى يحتفظ بها متحف الفن الإسلامى بمدينة القاهرة من العصر العثمانى - ذات الكتابة المتعاكسة بعبارة " وهو الحى الباقى سبحان الله " فى شكل مشكاة تتدلى سلاسلها من أعلى عقد مذهب (٣٠).

وخير مثال لاستخدام تلك الكتابة المتعاكسة فى العمائر الاجتماعية للأسبلة العثمانية بحراب سبيل السلطان محمود ( أثر رقم ٣٠٨ ) ، حيث شكل الخطاط المشكاة التى تتدلى من عقد المحراب من أحرف كتابية متعاكسة ، عبارة البسملة " بسم الله الرحمن الرحيم " مكررة مرتين (٣١).

أما الشاهد الرابع الذى يقع ماثلاً أمام الشاهد الثانى ، تنتهى قمته بشكل مخروطى ، أسفله أشكال هندسية بسيطة ، ويتدلى من أعلى بدن الشاهد - من جهة الداخل - سلاسل لمشكاة ذات خطوط متعاكسة لعبارة " وما توفيقى إلا بالله " فى الجزء العلوى للمشكاة بينما الجزء السفلى لبدن المشكاة ، زخرف بخطوط متعاكسة لعبارة البسملة " بسم الله الرحمن الرحيم " ، كما فى الشاهد الثالث .

بيد أن الجهات الثلاث للشاهدين الثالث والرابع ، زُخرفت ببعض الأدعية الدينية بخط الثلث نقرأها فى أربعة أسطر كما يلى :

السطر الأول : لا إله إلا الله محمد رسول الله

السطر الثانى : كل من عليها فان

السطر الثالث : ويبقى وجه ربك ذو ١

السطر الرابع : لجلال والإكرام

بينما نقرأ نفس العبارات الدينية فى الشاهد الثالث فى ثلاثة أسطر بخط الثلث أيضاً

وهى:



السطر الأول : لا إله إلا الله محمد رسول الله

السطر الثانى : كل من عليها فان ويبقى وجه ربك

السطر الثالث : ذو الجلال والإكرام

أما تركيبة المقبرة (٣٢) التى تحمل هذه الشواهد الأربعة ( لوحة ٤ ) ، فإن النحات لم يغفل نحتها وزخرفتها بثلاث مناطق عرضية ، زُخرفت الوسطى منها بخطوط كتابية لآية الكرسي داخل بحور صغيرة ، يفصل بين كل بحرین زخرفة نباتية ، ملتفة بالجوانب الأربعة للتركيبة ، يعلو هذه المنطقة الكتابية ، منطقة أقل عرضاً ، عبارة عن إطار أو شريط رفيع تحتوى على زخرفة نباتية لزهرة اللاله متكررة بشكل منتظم ، ملتفة أيضاً بالجوانب الأربعة.

أما المنطقة السفلى فهى الأكبر وتحتوى على ثلاث دوائر مندمجة ، داخل كل منها رسم وريده ، مركزية ثمانية البتلات ، تتداخل مع أخريتين متفرعتين ، يتوسط كل دائرتين من الدوائر الثلاث السابقة ، مزهرية أو شكل فازه تخرج منها أفرع نباتية تحمل أزهار اللاله والقرنفل وعباد الشمس وأوراق رمحية بأسلوب واقعى قريب من الطبيعة محفوراً حفرًا بارزاً على الرخام (٣٣).

ومما هو جدير بالذكر ، أن تلك الرسوم النباتية بعناصرها الزخرفية ، كانت محببة للفنان العثمانى فى زخرفة رسوم جدران مساجده ومشاهده وأضرحته وقبورهِ ، نخلص من هذا بأن الفنان اختار من مملكة الأزهار ، زهرة القرنفل وزهرة اللاله ، ومن أوراق الشجر اختار الشكل لرمحى (٣٤).

أما الجانب الأيمن لتركيبة المقبرة ، فقد نُحت على شكل عقد مدبب ( لوحة ٥ ) ، ذو إطار زخرفى رفيع ، لزهرة اللاله متكررة بانتظام ، وأسفل هذا الإطار مساحة عقد ، نُقش داخلها عبارة تُناسب مقولة " لكل مقام مقال " وهى " كل شىء هالك إلا وجهه " ، على أرضية خضراء يليها المنطقة الوسطى الرئيسية ، نُقش عليها بداية آية الكرسي " بسم الله الرحمن الرحيم " " الله لا إله إلا هو الحى " داخل بحرین صغيرين بينهما زخرفة نباتية بسيطة.

ويوجد أسفل الجانب الأيمن لتركيبة تلك المقبرة ، منطقة عريضة يتوسطها دائرة ، نُقش داخلها عبارة " أقبلت على رب كريم " ، مكررة ثلاث مرات بانتظام ، حيث تتقابل ألفاتها

ولاماتها في مركز الدائرة ، مما أضفى على الخطوط شكلاً جمالياً مريحاً للعين ، حيث أن كلماته تتناسب مع موضعها ومكانها ، بينما على جانبي هذه الدائرة ، عنصر زخرفة المزهريه بنفس مكوناتها .

أما الجانب الأيسر لتركيبية المقبرة السابقة ( لوحة ٦ ) ، فإن زخرفتها تماثلت تماماً مع الجانب الأيمن اللهم إلا في عبارة مساحة العقد العلوي ، فقد كتبت باللغة التركية ، وهي " روحبكون فاتحة " ، تنتهي حروفها ببعض الزخارف النباتية البسيطة ، وتلك العبارة تُعنى الفاتحة على روحه والمنطقة الوسطى لذلك الجانب نُقش عليها آخر آية الكرسي " يعلم ما بين أيديهم " وما خلفهم ولا يحيطون " ، داخل بحرين صغيرين بينهما زخرفة نباتية بسيطة .

وخلاصة القول بعد استعراضنا لشواهد القبور الثلاثة موضوع الدراسة نستنتج أن : -

- تعد دراسة شواهد القبور العثمانية بتراكيبها الرخامية توثيقاً تاريخياً وتسجيلاً أثرياً ، حيث حفلت بالأحداث السياسية والأوضاع الاجتماعية والحياة الاقتصادية لفترة زمنية مؤرخة ومعلومة .

- على الرغم من إجماع أراء الفقهاء واتفاق معظم العلماء ، على كراهية العناية بتشيد القبور والكتابة عليها والتأنيق في زخرفتها ، إلا أن المسلمين من فنانين وخطاطين وخاصة في العصر العثماني ، حرصوا في تشيد شواهد قبورهم وتراكيبها على التأنيق الزخرفي والتشكيل الجمالي .

- سجلت شواهد القبور العثمانية الكثير من النصوص التذكارية ، والعبارات الدعائية ، والألقاب الفخرية والأنساب العائلية .

- يعتبر خط الثلث الأب أو الجد لكل ما جاء من أنماط الخطوط العثمانية ، وقد اقتصر استخدامه على العبارات الدعائية والآيات القرآنية والأعمال الدينية في شواهد القبور ، وبلغ أكمل وجه وأكمل مرحلة في القرن ١٠هـ / ١٦م .

- لعبت الزخرفة النباتية دوراً مكماً ومُجَمِّلاً للخط الثلث على شواهد القبور العثمانية ، ممثلة في أزهار اللوتس والمراوح النخيلية والأفرع والأوراق النباتية ، وأزهار القرنفل والورود وزهرة الرمان والسوسن .



- لقد استعمل الفنان فى زخارفه لشواهد القبور العثمانية وتركيباتها الرخامية الأسلوب الواقعى من حيث العناصر النباتية الممثلة طبيعياً أصدق تمثيل ، هذا إلى جانب أسلوبهم المحور الممثل فى زخارف الطراز الرومى والهاتى .

- لقد لعبت المزهرية ( الزُهرية ) المثلثة بالأزهار الطبيعية كالورود وزهرة اللاله والقرنفل والبراعم والنوار دوراً رئيساً فى زخرفة التراكيب الرخامية لشواهد القبور العثمانية علاوة على صور المناظر الطبيعية مما شاع فى فنى الباروك والركوكو ذو التأثير الأوروبى.

- لقد استخدم الفنان حساب الجُمل فى تأريخ شواهد القبور العثمانية ، إلى جانب ذكر التاريخ الهجرى ، وأحياناً يكتفى بكتابة تاريخ الوفاة فقط .

- لقد لعبت زخرفة العُمامة دوراً مهماً فى معرفة نوع شاهد القبر فى العصر العثمانى ، فشاهد قبر السيدة يُرمز له بشكل عمامة أنثوية ، وشاهد قبر الرجل يُرمز له بشكل عُمامة أكبر ، وخاصة لو كانت لرجل دين ويشغل منصباً وظيفياً مهماً كالقاضى والمفتى .

- لقد تبوأَت الآيات القرآنية ممثلة فى آية الكرسي والأدعية الدينية ممثلة فى طلب الرحمة والمغفرة لصاحب المقبرة ، إلى جانب العبارات الرثائية ، ممثلة فى الدمع والصبر والسلوان والفراق والنحيب .

- لقد لعبت زخرفة الخطوط المتعاكسة ممثلة فى البسمله و " أقبلت على رب كريم " و " هو الحى الباقي سبحان الله " ، بتداخل على هيئة مشكاة مملوكية ، دوراً جمالياً وشكلاً فنياً ، أضفى نوعاً من الترابط والتعاقب بتوظيف الخطوط فى الأشكال الجمالية التى تُناسب المكان ، وكذلك نوع من الرمزية فى المشكاة التى هى مصدر النور والضوء من وحشة القبر وأنس المكان.

- زخرفة الكتابة المتقابلة فى مركز الدائرة بأسماء الخلفاء الراشدين ، هذا علاوة على اسم الرسول (ص). أضفى على زخرفة الشاهد جلالاً فنياً وبعداً جمالياً .

## الهوامش

- ١- مصطفى شيخه ، شواهد قبور إسلامية ، ص ٩ .
- ٢ - بما هو جدير بالذكر أن لفظ مشاهد ( مشهد ) قد استخدم لأول مرة عند الشيعة منذ مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما ، حينما أخفوا الرأس لكى لا تستخدم فى التشهير بالخليفة يزيد بن معاوية ، ومن ثم ثار باقى آل بيت الإمام على ضد خلفاء بنى أمية ، وخشى آل بيت على أن يظهروا قبورهم حتى لا تنبش ، ولهذا أخفوها ، فلما هدأت الأمور أظهر الشيعة قبور الأئمة السابقين ، وسموها مشاهد لأن الجميع شهدوا على صحة دفن الإمام فى هذا المكان ، ومن هنا جاءت تسمية مشهد على القبور . مصطفى شيخه ، المرجع السابق ، ص ١٠ .
- ٣ - سعاد ماهر ، مدينة أسوان وآثارها فى العصر الإسلامى ، ص ٢٢ ، لوحة ٤ .
- ٤ - مصطفى شيخه ، نفس المرجع السابق ، ص ١٠ - ١١ .
- ٥ - مايستو داود ، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية ، ص ٧٧ .
- ٦ - والرخام Marble ضرب بلورى من الحجر الجيرى متماسك مذكور لدرجة تسمح بصقله صقلاً شديداً ، ويكون عادة أبيض أو رمادياً ، ويقتصر وجود الرخام فى مصر فى الصحراء الشرقية ، كما سُجل وجوده فى عدة أماكن فى هذه الصحراء ، وفى موضع قريب من ساحل البحر الأحمر يوجد نوع من الرخام الرمادى السكرى اللون ، وأيضاً فى جبل الرخام الذى يقع شرق أسنا فى الطريق بين النيل والبحر الأحمر يوجد نوع من الرخام عديم اللون استعمل فى العهد الإسلامية .
- لوكاس ، المواد والصناعات ، ص ٦٦٦ .
- ٧ - رقم السجل : ٦٨٩٨ ، طول تركيبة المقبرة : ١٣٩ سم ، ارتفاعها من الجهة الأمامية : ٥٠ سم ، ارتفاعها من الجهة الجانبية : ٦٦,٥ سم . شاهد قبر المرحوم محمد جلى ، طوله : ٤٠ سم ، ارتفاعه ٢٠,٥ سم ، شاهد قبر المرحوم اللواء إسماعيل ، طوله : ١٢٠ سم ، ارتفاعه : ٦٠ سم . لم يسبق نشره .
- ٨ - اعتماد يوسف المصرى ، مساجد بغداد فى العصر العثمانى ، ص ١٥٧ ، ١٥٣ .
- ٩ - محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، ص ١٦٧ - ١٧٧ .
- 10 - Arsevan, Les Arts Decoratifs Turce, p. 336 .
- ١١ - كتخدا ، بفتح الكاف وسكون التاء وضم الحاء فى التركية ، كتخدا من الفارسية كد خدا ، والكلمة الفارسية من كلمتين " كد " بمعنى البيت و " خدا " بمعنى الرب والصاحب ، فالكِتخدا هو فى الأصل رب البيت ، ويطلقها الفرس على السيد الموقر وعلى الملك ، ويطلقها الأتراك على الموظف المسئول والوكيل المعتمد فى خدمة الباشا وصحبته ويذكر أحد الرحالة الفرنسيين بمصر آنذاك عن الكِتخدا



(الكخيا) " بأنه هو رئيس الحزب وأنه كان له نفوذ كبير فى القاهرة ولايد لآى أوروبى أو أجنبى أن يحصل على إذن من كخيا الحزب " .

- شفيق غريال ، ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية ، ص ١٥ ؛ أحمد السعيد سليمان ، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، ص ١٧٦ ؛ Oliver, Voyages Dan's L'empire Ottoman ؛ L'Egypte, p. 225 ؛ إلهام الذهبى ، مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، ص ١١٢ - ١١٣ .

١٢ - عزبان ، من العربية عزب من لزوج له ، صارت فى التركية اسم جمع وعلماً على طائفتين من الجند العثمانى أحدهما بحرية " عزبلر " والأخرى برية ، وكانوا يؤخذون فى القرنين ٩-١٠هـ / ١٥-١٦م ، من بين أشداء الشباب الترك بمعدل شاب من كل عشرين أو ثلاثين بيتاً ، وكانوا يتولون أداء خدمات التشريف للباشا وحراسة القلعة .

- شفيق غريال ، المرجع السابق ، ص ١٨ ؛ أحمد السعيد سليمان ، المرجع السابق ، ص ١٥١ - ١٥٢ ؛ Granger, Le Sieur : Relation du Voyage fait en Egypte, p. 18 .

١٣ - رضوان كتحدا الجلفى ، هو مملوك على كتحدا الجلفى ، تقلد كتحداية باب عزبان بعد قتل أستاذه بعناية عثمان بيك ذو الفقار ، وهو الذى عمر باب القلعة الذى بالرميلة المعروف بباب العزب ، وتولى رضوان بك إمارة الحج ، بعد أن صفا له الجور . الجبرتى ، تاريخ الجبرتى ، ج١ ، ص ٢٥١ ؛ جرجى زيدان ، مصر العثمانية ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

١٤ - سعاد ماهر ، الخزف التركى ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ .

١٥ - سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص ١١٨ .

١٦ - ربيع خليفة ، البلاطات الخزفية فى عمائر القاهرة العثمانية ، ص ٢٨٧ ؛ محمود الحسينى ، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

17 - Papadopoulo, El Exandre, Islam and Muslim Art, p. 65, Pl. 14 .

١٨ - الجبرتى ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٨٨ .

١٩ - أمير اللواء ، الأمير فى اللغة ذو الأمر والتسلط ، وهو من ألقاب الوظائف ، التى استعملت كذلك كألقاب فخرية ، ويرجع استعماله كاسم وظيفة إلى عصر النبى (ﷺ) ، وقد أطلق أمير اللواء فى العصر العثمانى بمصر على من تسهل التجاريد وقاد العسكر ، انظر : حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ؛ محمد أبو بكر الرازى ، مختار الصحاح ، ص ٦٠٩ .

٢٠ - ويذكر الجبرتى فى أحداث ١١٩١هـ ، بأنه فى هذه السنة قد مات الأمير إسماعيل بيك الصغير ، وكان له خمسة أخوة على بك وإسماعيل بك هذا وسليم أغا وعثمان وأحمد ، ولما تأمر على بك كان أخوته بإسلامبول وعندما تسامعوا بإمارة أخيه بمصر ، حضر إليه إسماعيل وأحمد وسليم ، وعمل إسماعيل عند أخيه على بك وقد كان إسماعيل بك عاقلاً حكيماً كوالده قاسم عيواظ بك ، الذى كان

حاكمًا عادلاً وأبًا حكيماً . تاريخ الجبرتي ، ج ٢ ، ص ٢٥ ؛ جرجي زيدان ، مصر العثمانية ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

٢١ - بيك ، لفظ تركي بمعنى الكبير ، ويلاحظ أن استعمال " بك " كلقب كان يلحق بالاسم ، وبك لقب أو رتبة ظهرت في العصر العثماني ، وكان يبلغ عدد بكراة مصر في ذلك العصر اثنا عشر ، كان ثلاثة من هؤلاء البكراة فقط هم الذين لهم حق حضور ديوانى الحكومة وهم الكتخدا ، وأمير الحج ، والدفتر دار .. ويذهب ابن بطوطة بأن معنى بك هو الملك . ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٢٨٤ ؛ حسن الباشا ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

٢٢ - أمير الحاج ، اسم وظيفة عرفت منذ عهد النبي (ﷺ) وسار الخلفاء والولاة على هذه السنة ، وعرفت في العصر العباسي باسم أمراء الحاج ، وهذا الاسم مؤلف من مقطعين ، أمير بمعنى رئيس أو قائد ، وحاج وهو قاصد مكة المكرمة مستولاً عن الحاج في أثناء موسم الحج ، وعرفت هذه الوظيفة في العصر الفاطمي بصيغة " أمير الحج " ، وقد برزت هذه الوظيفة في مصر في العصر العثماني ، وكانت من أجل الوظائف الدينية . انظر : شفيق غريال ، المرجع السابق ، ص ١٥ ، ٦١ ؛ حسن الباشا ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

٢٣ - الشاهد ذو العمامة الملفوفة طوله : ٧٩ سم ، قطره : ٥١ سم - الشاهد ذو العمامة المدببة ، طوله : ١٢٨ سم ، قطره : ٦١ سم .

٢٤ - عمامة : لقد عرف العرب العمامة منذ القدم ، ويذكر مؤلف مجهول في مخطوطة " أن السنية في القلنسوة كونها منخفضة لا مرتفعة كما يلبسها بعض المتكلمين ، ويذكر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها " أن الرسول ﷺ ، كان يلبس قلنسوة بيضاء لا طئة أى ملاصقة للرأس " ، ويذكر أدى شير عن القلنسوة فيقول : يحتمل أن يكون مُعرية عن الفارسية لكلمة بوش وهو مركب " كله أى رأس ، ومن " بوش " أى غطاء ، والقلنسوة مأخوذة عن الفرنسية Qulunse ، وعن الفارسية كلاه . مؤلف مجهول ، رسالة بدعة القلنسوة ، ورقة ٧٨ ؛ أدى شير ، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، ص ١٢٨ ؛ دوذى ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ص ٢٥١ .

٢٥ - مشكاه ، جمعها مشكاوات ، وهى الكوة فى الجدار ، وكان يوضع فيها وسيلة الإضاءة من مسرجة أو قرابة أو شمعة أو مصباح ، وهى كلمة حبشية من الألفاظ غير العربية ، لذلك فهى تُجمع بطريقتين لكونها أعجمية فتجمع جمع مؤنث سالم على " مشكاوات " كما تجمع جمع تكسير " مشاكى " ، وقد كان سلاطين المماليك وأمرأؤهم وأثريأؤهم يهدونها إلى المساجد ، لتزين وتضىء تلك المنشآت الدينية تقريباً إلى الله ، بل لعل الفنان المسلم أراد أن يُجسم ما جاء فى سورة النور آية ٣٥ ، من قوله تعالى (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ) . ابن سيدة ، المخصص ، مج ٥ ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

٢٦ - حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .



- ٢٧ - محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، ص ١٧٨ - ١٨٠ .
- ٢٨ - هدايت تيمور ، جامع الملكة صفية ، ص ١٠٩ .
- ٢٩ - مایسة داود ، الكتابات العربية على الاثار الإسلامية ، ص ٦٨ .
- ٣٠ - عائشة التهامى ، النسيج فى العالم الإسلامى ، ص ١٧٢ ، صورة ٢٩ .
- ٣١ - محمود الحسینى ، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ، ص ١١٣ ، لوحة ١٣٩ .
- ٣٢ - طول ترکیبة المقبرة : ١٣٩ سم ، ارتفاعها من الجانبین : ٦٦,٥ سم ، ارتفاعها من الواجهة : ٥٠ سم.
- ٣٣ - لقد وجد شكل الفازة أو المزهرية بهذا الأسلوب الواقعى فى زخرفة مجموعة من الأسبلة العثمانية من أمثلتها :
- \* سبیل السلطان مصطفى ( أثر رقم ٣١٤ ) لوحة ١٥٢ ، ١٥٣ .
- \* سبیل السلطان محمود ( أثر رقم ٣٠٨ ) . لوحة ١١٧ .
- \* سبیل رقية داود ( أثر رقم ٣٣٧ ) لوحة ١٥٧ .
- محمود الحسینى ، المرجع السابق ، ص ١٠٥ .
- ٣٤ - محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .

## مراجع الدراسة

أولاً : المصادر المخطوطة والمطبوعة :

- مؤلف مجهول : رسالة فى بدعة القلنسوة ، مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية ، رقم ١٧٦ ، ورقة ٧٨ ، رسالة رقم ١٠٧ .

- ابن بطوطة : الرحلة ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

- الجبرتى : تاريخ الجبرتى ، أربعة أجزاء ، دار الأنوار المحمدية بالقاهرة ، بدون تاريخ .

ثانياً : المراجع العربية :

- أحمد السعيد سليمان (دكتور) : تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، دار المعارف ، ١٩٧٩م .

- أحمد مطلوب (دكتور) : معجم الملابس فى لسان العرب ، مكتبة لبنان ناشرق ، ١٩٩٥م .

- ابن سيدة : المخصص ، مجلد ٥ .

- أدى شير : كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، بيروت ، ١٩٠٨م .

- اعتماد يوسف لقصيرى (دكتور) : مساجد بغداد فى العصر العثمانى - مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨١م .

- إلهام محمد على ذهنى (دكتور) : مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، تاريخ المصريين ٥٢ ، ١٩٩٢م .

- الفيروز آبادى : القاموس المحيط ، ج٤ .

- جرجى زيدان : مصر العثمانية ، تحقيق د. محمد حرب ، كتاب الهلال ، العدد ٥١٧ ، ١٩٩٤م .

- حسن الباشا (دكتور) : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٦-٦٥م .

- الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، الدار الفنية للنشر ، ١٩٨٩م .

- حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، جزآن ، ١٩٤٦م .



- دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة د. أكرم فاضل ، بغداد ، ١٩٧١م.
- ربيع خليفة (دكتور) : فنون القاهرة فى العهد العثمانى ، نهضة الشرق ، ١٩٨٥م.
- سعاد ماهر (دكتور) : مدينة أسوان وأثارها فى العصر الإسلامى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية ، ١٩٧٧م.
- الخزف التركى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية ، ١٩٧٧م.
- شفيق غربال (دكتور) : ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية ، مجلة كلية الآداب ، مج ٤ ، ج ١ ، مايو ١٩٣٦م.
- شمس الدين سامى : قاموس تركى ، دار سعادت ، ١٣١٧هـ / ١٣١٥ ( ورقة )
- عائشة التهامى (دكتور) : النسيج فى العالم الإسلامى منذ القرن (٨-١١هـ / ١٤-١٧) ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٩٤م.
- عبد السميع الهراوى : لغة الإدارة العامة فى مصر فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٦٣م.
- قاموس اللغة الفارسية : الدر أرى اللامعات فى متخبات اللغات ، جمعه ورتبه محمد على الإنسى .
- لوكاس ( الفريد ) : المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة د. زكى إسكندر ، مكتبة مديولى ، القاهرة ١٩٩١م.
- مأير (ل.أ) : الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م.
- مایسة داود ( دكتور ) : الكتابات العربية على الآثار الإسلامية من القرن الأول حتى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة (٧-١٨م) ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩١م.
- محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور) : الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م.
- محمد أبوبكر الرازى : مختار الصحاح ، القاهرة ١٩٩٢م.

- محمود الحسينى ( دكتور ) : الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ، مكتبة مديولى ، ١٩٨٨م.
- مصطفى بركات (دكتور) : الألقاب والوظائف العثمانية ، دراسة فى تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثمانى لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية ( من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات ) ١٥١٧ - ١٩٢٤م ، دار غريب ٢٠٠٠م.
- مصطفى عبد الله شبيحه ( دكتور ) : شواهد قبور إسلامية من جبانة صعده باليمن ، مكتبة مديولى ، القاهرة ١٩٨٨م.
- هدايت تيمور : جامع الملكة صفية ، مخطوطة رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٧٧م.

### ثالثاً. : المراجع الأجنبية :

- Arsevan, Les Arts Decoratifs Turc .
- Ashtor, Histoire des prix et des salaries, dans L'Orient Medivale.
- Granger, Le sieur : Relation du Voyage fait en Egypte par le sieur Granger de l'annee 1730, Paris 1765 .
- Olivier, C. Voyages dans l'empire Ottoman, de L'Egypte.
- Papadopoulo, El Exandre, Islam and Muslim Art, London, 1982 .
- Wiet, Catalogue du Musee Arabe du Cairo, 1930 .



د. كمال عنانى إسماعيل (\*)

## السيوف الأندلسية فى ضوء المصادر العربية وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية

ازدهرت صناعة السيوف فى بلاد الأندلس وبخاصة فى مدينة برذيل (١) والمرية (٢) علاوة على مدينة طركونة التى اقتصت بإنتاج نوع من السيوف يعرف باسم القلجورية يتميز بوزنه الخفيف الذى لايزيد عن رطلين .

كما اكتسبت مدينة طليطلة شهرة واسعة فى صناعة السيوف لاسيما فى عصر الطوائف فى ظل حكم بنى ذى النون ، حيث صار إنتاجها يصدر إلى كافة أنحاء أسبانيا الإسلامية والمسيحية (٣).

وجدير بالذكر أن نشاط مدينة طليطلة فى مجال السيوف كان امتداداً لما كان عليه هذا النشاط فى فى العصر القوطى السابق على الفتح الإسلامى . حيث يشير المقرئ إلى ما أصابه طارق بن زياد عند فتحه لهذه المدينة من مغانم بقوله : " ورأيت فى بعض كتب التاريخ أنه وجدت فى طليطلة حين فُتحت من الدخائر والأموال ما لا يحصى ، فمن ذلك وجد فيها ألف سيف ملوكى " (٤).

---

\* - أستاذ مساعد بقسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية.

وعلى الرغم من أنه لم يصل إلينا أية نماذج من السيوف الأندلسية قبل عصر بنى نصر إلا أن ما زودتنا به المصادر العربية من أوصاف لها ، فضلاً عن صورها الممثلة فى صور المخطوطات والرسوم الجدارية وعلى بعض الفنون التطبيقية مثل العلب العاجية يكفى لإعطاء صورة واضحة لما كانت عليه مكونات وأشكال السيوف فى تلك الفترة السابقة على عصر بنى نصر .

فبالنسبة لمكوناتها فهى تتألف فى الغالب من جزئين رئيسيين هما النصل والمقبض . والمقصود بالنصل هو البدن الفولاذى الحاد الذى يطعن به . أما المقبض فهو ما يقبض به على السيف ، ويعلمه فى الغالب قطعة من الحديد تعرف بالقبيعة ، وهى التى تكسبه الشكل المقبول وتزيد من ثقله وتجعله متزنًا فى قبضة المحارب ، ويدنوه قطعة أخرى من الحديد معترضة على قم الغمد لها طرفين ينتهيان بقطعتين بارزتين ، وتسمى هذه القطعة الشاربان أو واقية السيف حيث تقى المحارب من طعنات الخصم . هذا عن مكونات السيوف بشكل عام .

أما عن أشكال السيوف وزخارفها فى بلاد الأندلس ، فتوضح الصور المرسومة لها بأنها اتخذت فى عصر الخلافة صورتين : الأولى (٥) . ظهرت فى الفترة من عام " ٣٥٩ هـ - ٣٦٠ هـ / ٩٦٩ - ٩٧٠ م " . أى فى عهد الخليفة الحكم المستنصر وفيها يتميز السيف بنصله العريض والمستقيم فى استطالة (٦) وقبيل نهايته يتحول هذا النصل إلى حدين (٧) ، ويتوسط صدره شطبة واحدة (٨) تبدأ من أسفل واقية المقبض بمسافة قليلة وتنتهى قبل الثلث الأخير من نهاية النصل . أما المقبض فيتكون من قبيعة كروية تتصل بشاربين أو واقية هلالية الشكل عن طريق حديدة ملفوفة المقطع تمثل موضع قبضة اليد . أما الصورة الثانية لأشكال السيوف فترجع إلى نهاية عصر الخلافة حيث انتشرت فى الفترة من عام " ٣٩٥ - ٣٩٦ هـ / ١٠٠٤ - ١٠٠٥ م " وفيها نلاحظ أن النصل قد صار أقل طولاً وطرفه أكثر تدبياً (٩) . ومع استمرار السيوف ذوات الشطبة الواحدة خلال تلك الفترة . إلا أن الجديد الذى نلاحظه أن الفنان زود بعض الأنصال أحياناً بشطبتين تمتدان مباشرة أسفل الواقية ، وأن تميزت بأنها أقل امتداداً من نظائرها فى أنصال السيوف ذات الشطبة الواحدة حيث نراها هنا تنتهى فى امتدادها عند منتصف النصل تقريباً . أما واقية المقبض فقد حافظت على شكلها الهلالى وإن كانت القبيعة لم تعد كروية الشكل بل اتخذت هيئة قلب . وبمقارنة أشكال السيوف الخلافية بنظائرها المسيحية المصنوعة على شاكلتها نجد ثمة تشابه واضح بينهما لاسيما من حيث شكل النصل



العريض والواقيات الهلالية ، وهو الأمر الذى يؤكد صحة ما ذكرته بعض المصادر من أن السيوف الإسلامية الأندلسية قد صممت على غرار السيوف المسيحية (١٠)، ويؤكد هذا التشابه نموذج مرسوم لأحد السيوف المسيحية موضح فى شكل (٣) وإذا كانت المصادر العربية قد أغفلت ذكر نوعية المواد التى كانت تصنع منها السيوف الأندلسية ، إلا أنه بالقياس يمكن أن نرجح بأن مواد تلك السيوف الأندلسية كانت تصنع من نفس نوع مواد صناعة السيوف المسيحية التى كانت تصنع من نوعين من الحديد هما الحديد الصينى الشرقاى والرفاهية (١١).

هذا عن أشكال السيوف فى عصر الخلافة ؛ أما عن زخارفها فلم تسعفنا الصور المرسومة بأى نماذج لها . ومع ذلك فإن أوصاف ابن حيان المقتضبة لتلك الزخارف تشير إلى مدى الاعتناء بترصيعها بالأحجار الكريمة والشرائط الذهبية والفضية حيث أشار فى أكثر من موضع إلى تلك الزخارف بقوله : " الحلية المرصعة بالجواهر الفاخرة و «ثقل الحلية» (١٢) و « حلية فاخرة » (١٣) و « حلية ذهب » و « حلية فضة مذهب » و « فضة مذهب مزينة بنيل » (١٤) . ولاشك أن ما نقله ابن حيان عن زخارف تلك السيوف هو أصدق صورة وضعت عنها لأن ابن حيان كان معاصراً لزمان إنتاج تلك السيوف وهو عصر الخلافة . فضلاً عن أن أوصافه مع اقتضاها تشير إلى تنوع الأساليب الزخرفية المستخدمة فى تحلية سيوف هذا العصر . فقد نفذت تلك الزخارف بطرق متعددة منها: الترصيع بالأحجار الكريمة والتكفيت والتنزيل بالذهب والفضة والتطعيم بمادة النيلو .

كما زخرفت بعض مقابض السيوف فى عصر عبد الرحمن الناصر بتشكيلات نباتية قوامها قشور الصنوبر المنفذة بأسلوب الحفر الغائر . ونستدل على استخدام هذه الزخرفة بما ذكره المقرئ نقلاً عن الحجارى عن بعض سيوف عبد الرحمن الناصر بقوله : " وبعض سيوف الأندلس محفورة صدر الرأس على صورة قشور الصنوبر إلا أن تلك ناتئة وهذه محفورة " (١٥).

وإلى جانب الأوصاف التى زودتنا بها المصادر العربية لزخارف تلك السيوف أمدتنا أيضاً بتعابير دقيقة لأنواعها المختلفة مثل " سيف صارم " (١٦) و " سيف ضروب " (١٧) كما نعتت أغمارها بأوصاف تنم عن نوعيتها مثل " غمدة سفن " (١٨) و " سفن حوت بنصل " (١٩).

أما عن سيوف عصر الطوائف فلم يصلنا من رسومها الأمثال واحد يرجع إلى أواخر ذلك العصر (٤٨٤ - ٥٠٣ هـ / ١٠٩١ - ١١٠٩ م) (٢٠)، ومن خلال هذا الرسم يمكن القول بأنه على الرغم من أن سيوف عصر الطوائف تعتبر استمراراً للطابع الخلفى ، إلا أنها تميزت

باستطالة نصولها وتدبب أطرافها بحيث اتخذت شكل مثلث أضلاعه الجانبية تميزت بشدة استطالتها مع ملاحظة أن تلك الاتصال ذات شطبة على غرار نظائرها التي ترجع إلى بداية عصر الخلافة .

ويمثل مقابض السيوف في عصر الطوائف أحد العناصر الرئيسية التي نلمس فيها مدى تطورها عن مثيلاتها الخلافية . ويتجلى هذا التطور في نزعة الفنان نحو التماس القيم الجمالية في تشكيل تلك المقابض حيث عمد إلى تشكيل القبيعة في هيئة زهرة لوتس ثلاثية البتلات تقوم على قاعدة مستطيلة . أما الواقعية فلم يلتزم فيها الفنان بالشكل الهلالي التقليدي ، إنما جعلها مستطيلة أطرافها تتجاوز قليلاً النصل .

وإذا انتقلنا إلى عصر دولتي المرابطين والموحدين نجد أن سيوف هذين العصرين قد اختلفت عن نظائرها السابقة التي ترجع إلى عصرى الخلافة والطوائف حيث تميزت بأربع أنماط أو طرز رئيسية . الأول يمثل في شكل ( ٥ ) ويظهر فيه النصل مثلث الشكل مستقيم الهيئة ذات حدين وطرفه شديد التدبب . ومن أهم مظاهر التطور في أنصال هذا الطراز اشتمالها على ثلاث شطب في أحد وجهيه موزعة اثنين جانبيين يمتدان مع بدن النصل كما لو كانت أطراف مزدوجة . أما الشطبة الثالثة فمركزية متموجة .

والواقع أن تعدد شطب نصل السيف في هذا الطراز يدل على مدى العناية بجعله متيناً فمن المتفق عليه فنياً أنه كلما تعددت الشطب قل وزن النصل وزادت قوته (٢١) .

ويمتاز مقابض هذا الطراز بروعة تكوينها الزخرفي فالقبيعة اتخذت شكل رأس طائر أشبه برؤوس النسور رقبتة التي تمثل موضع قبضة اليد تتدرج نحو الداخل في انحناء مقعر . بحيث تؤلف في جملتها مع الواقية شكل منشوري، أما الطراز الثانى الممثل في شكل (٦) . فيظهر فيه النصل سميك وعريض وذو حدين وشطبة واحدة متموجة تمتد من قم الغمد إلى الثلث الأخير من طرفه الذى ينتهى برأس أقل تدبباً من نظائرها في النماذج السابقة .

أما المقبض فيمتاز ببساطة تكوينه فقبيعته تتخذ شكل كروى أما واقيته فهي على فط الواقيات الخلافية هلالية الشكل ، وأن تميزت هنا بأنها مفلطحة .

أما الطراز الثالث الممثل في شكل (٧) فيختلف عن الطراز الثانى في ضيق مساحة النصل وقلة سمكه وفي اشتماله على شطبة واحدة مستقيمة وليست متموجة . أما مقبضه



فرغم احتفاظه بالشكل الكروي للقبعة التي ظهرت في الطراز الثاني . إلا أن واقيته اتخذت شكل اسطوانى مجوف يتفق مع حركة معصم اليد أثناء الطعن .

وفى الطراز الرابع والأخير الممثل فى شكل (٨) نلاحظ أن أوجه الخلاف بينه وبين أشكال السيوف فى الطرز السابقة تنحصر فى أن نصله تحول إلى نصل طويل شديد الاستطالة لاسيما فى النصف الثانى المتصل بالواقية . وفى أن طرفه ازداد حجماً ومال إلى الاستدارة بدلاً من الشكل المدبب . كما نلاحظ أيضاً أنه على الرغم من اتساع سطح النصل ذى الحدين وازدياد سمكة فى هذا الطراز إلا أنه لم يشتمل على أى شطب أو قنوات .

أما عن زخارف السيوف التى ترجع إلى عصرى المرابطين والموحدين فلا نستطيع التعرف عليها . لأنه لا المصادر العربية ولا صورها المرسومة تفصح عن ما كانت عليه زخارف تلك الفترة.

### سيوف عصر بنى نصر :

يعتبر عصر بنى نصر العصر الذهبى لصناعة السيوف الأندلسية إذا امتدت شهرة سيوف هذا العصر إلى جميع أنحاء أسبانيا المسيحية والإسلامية ، فأقبل ملوك قشتالة على اقتنائها حيث أكدت المدونات المسيحية ، على أنها كانت من أفضل ما يهادى به ملوك بنى نصر نظائهم من ملوك قشتالة ؛ فالسلطان محمد الرابع أهدى الملك ألفونسو الحادى عشر بمناسبة عقد معاهدة سلام بينهما سيف محفوظ فى غمد مطلى بالذهب .. ، كما أرسل السلطان يوسف الثالث إلى خوان الثانى جملة هدايا كان من أبرزها سيوف مصنوعة من الفضة الخالصة (٢٢) . وقد وازب ملوك أسبانيا المسيحية على اقتناء تلك السيوف والاحتفاظ بها جيلاً بعد جيل حتى بداية القرن الحالى وهو الأمر الذى يوضح نظرة هؤلاء الملوك لتلك السيوف لا باعتبارها أداة للقتال وإنما بما تمثله من قيم ومعان فضلاً عن ثمانية مادتها وليس أدل على ذلك من أن جميع السيوف التى وصلتنا كانت بحوزة عدد من الملوك المسيحيين مثل الملك ديجو فرنانديث ملك قرطبة فضلاً عن عدد كبير منها قد احتفظ بها ملوك قطالونية ونسبوها لأنفسهم وظلت محفوظة لديهم حتى عام ١٩٠١م بدير Nevada إلى أن انتقل بعضها فى عام ١٩٠٦م إلى المتحف الحربى ، وظل بعضها محفوظاً لدى ابن الملك ألفونسو الثالث عشر إلى أن تم نقلها إلى القصر الملكى بمدريد عام ١٩٢٧م (٢٣) .

ولاشك أن الفنانين في عصر بنى نصر قد شاهدوا ما أحرزته صناعة السيوف خلال هذا العصر من تنوع وازدهار فأعجبوا بها وراق لهم استعمالها كأحد الوسائل الزخرفية لتزيين جدران بعض قاعات وقياب قصورهم على نحو ما نراه في قاعة الملوك بقصور الحمراء وفي أحد قاعات قصر البطل (٢٤).

والواقع أن لهذه الرسوم أهمية كبيرة في دراستنا للسيوف الغرناطية فمن خلالها يمكن القول أنه على الرغم من احتفاظ السيوف الغرناطية في شكلها العام بما كانت عليه سيوف العصور السابقة . إلا أن تفاصيل مكوناتها قد طرأ عليها تطوراً واضحاً لاسيما في أشكال الشوارب أو الواقيات التي اتخذت أشكالاً منحنية متجاوزة لنصف الدائرة ، وقد امتدت العناية بأشكال السيوف الغرناطية إلى الاهتمام بزخرفتها بشتى أنواع الزخارف حيث أكدت حوليات الفونسو الحادى عشر رقم (٢٣٥) أن أكثر السيوف الغرناطية كانت مزدانة بخيوط الذهب والفضة ومرصعة بأجمل أنواع المينا الزجاجية (٢٥).

ولحسن الحظ وصلت إلينا مجموعة من سيوف عصر بنى نصر أبدت ما ورد بشأن زخارفها المدونة سالفة الذكر حيث استخدم في تحليلتها أساليب كثيرة كالتكفيت بخيوط الذهب والتطعيم بالنيلو والطلاء بالمينا والتخريم والطرق والترصيع بقطع من العاج (٢٦). ووقد أطلق مؤرخو الفن الأوربيون على هذه المجموعة من الأسلحة اسم *espadas de Jinetas* بمعنى سيوف الفرسان (٢٧). كما اشتهرت أيضاً في معظم المراجع الأوربية والعربية الحديثة باسم سيوف أبو عبد الله . ولاتزال هذه التسمية معتمدة إلى الآن في المتاحف المحفوظة بها . غير أن هذه التسمية الأخيرة التي تنسب تلك المجموعة من السيوف إلى السلطان أبى عبد الله آخر ملوك بنى نصر لا تقوم على أى سند تاريخى أو فنى . فلم تشر المصادر العربية إلى أن هذا السلطان كان له سيوف خاصة به أو سيوف دُعيت باسمه . كما أن تلك السيوف المنسوبة إليه تخلو من أية نقوش تشير إلى أن هذا السلطان قد أمر بصناعتها أو أنها قد صنعت في عهده. علاوة على ذلك فإن عهد هذا السلطان لم تتألق فيه الفنون الصناعية أو المعمارية على أى وجه من الوجوه بل على العكس كان عهد ركود فنى وانقسام ونزاع بين أفراد البيت النصرى (٢٨) وعلى هذا فإننى استبعد تسمية تلك السيوف بسيوف أبو عبد الله . وأرجح أن السبب في اشتهاها بهذه التسمية يرجع إلى أنها سلبت جميعاً في عهد هذا السلطان في مرقعة اللسان (٢٩). كما أرجح أيضاً أنها صنعت في الفترة الممتدة من القرن ٨-٩ هـ /



١٤-١٥م. على أساس أن معظمها يشتمل على شعار بنى نصر الكتابى "ولا غالب إلا الله تعالى" والذي ظهر خلال تلك الفترة فى معظم إن لم يكن فى كل المنشآت المعمارية والفنون الصناعية الى ترجع إلى عصر بنى نصر (٣٠). ولذا فإننى أرى أنه من المناسب تسمية تلك المجموعة من السيوف باسم سيوف بنى نصر أو السيوف النصرية علاوة على تسميتها بسيوف الفرسان على أساس أنها تحمل شعار أسرة بنى نصر سالف الذكر. وأنها من النوع الذى كان يستعمله الفرسان على النحو الذى سوف نوضحه فيما بعد.

والنماذج التى وصلت إلينا من تلك السيوف يبلغ عددها عشرة نماذج علاوة على نموذج من النوع المعروف بسلاح الشيش. وهى موزعة على عدد من متاحف أسبانيا وخارجها مثل متحف مدينة كاسل والمكتبة الوطنية بباريس.

وفى نطاق تتبعى لتلك المجموعة من السيوف النصرية التى وصلت إلينا لاحظت أنها مرت بسلسلة من التطور خلال عصر بنى نصر الذى امتد لفترة تقترب من قرنين من الزمان أو أكثر قليلاً، ولذا فقد قمت بتقسيمها إلى ثلاث مجموعات تمثل طرز فنية مختلفة من حيث أساليب تشكيلها ووسائل زخرفتها. وأوضحت خصائص كل مجموعة على النحو التالى.

#### أ. - المجموعة الأولى :

تضم هذه المجموعة أربعة سيوف وقبل أن نتناول كل منها بالدراسة ينبغى الإشارة إلى أنها اتسمت بعدة خصائص فنية نوجزها فيما يلى :

١ - تمتاز هذه المجموعة بنصولها العريضة التى تشتمل على شطبات يتراوح عددها ما بين شطبة واحدة إلى ثلاث شطبات.

٢ - تتخذ الواقية بشواريها أو ذراعيها الممتدين أسفل فم الغمد شكل حدوى ينبت من قلب أو صدر الواقية الذى يتخذ شكل هندسى مخموس، رأسه مفصصة يبلغ عدد فصوصها خمسة فصوص، أوسطها أكبرها وهو على شكل عقد شديد الانكسار؛ أما الفصوص الأربعة الجانبية الموزعة بمعدل فصين فى كل جانب، فقد اتخذ كل منهما شكل ربع دائرى بحيث تؤلف الفصوص فى مجموعها شكل عقد خماسى الفصوص من النوع الذى انتشر فى عمائر بنى نصر لا سيما فى قصور الحمراء.

٣ - تشكلت جوانب الواقية يمينًا ويسارًا من رأس حيوان خرافى فمه مفتوحة أشبه بشكل التنين ، بدنه يمثل ذراعى شوارب الواقية التى تنتهى بلفيفة دائرية ، وقد امتازت رؤوس الحيوان هنا بطابعها التجريدى المحور عن الطبيعة بحيث بدت كما لو كانت عنصر زخرفى وليس تشكىلى .

٤ - تمتاز الجوانب الداخلية لأذرع الشوارب أو الواقية المحصورة بين النصل والذراع بأنها مشكلة من أسلاك رفيعة رمادية اللون رتبت فى شكل شبكة مفرغة العيون .

٥ - امتازت القبعة أو الطربوش فى مقابض تلك المجموعة بأنها دائرية المقطع ومسطحة البدن، يتوسطها إطار مركزى يعرف بالزر أو الكبسولة Boton اعتاد الصناع شغله بنص كتابى وطلاء أرضيته بالمينا الرمادية أو السوداء اللون . وغالبًا ما يتوج القبعة أو الطربوش فى طراز هذه المجموعة سن قصير شبه دائرى المقطع أو منشورى .

٦ - على عكس معظم مقابض السيوف المشرقية منها و المغربية التى كانت تصنع فى الغالب من العاج أو الأبنوس أو الخشب النفيس (٣١). نجد أن جميع مقابض سيوف تلك المجموعة مصنوعة من المعدن الخالص . وقد أولى الصانع موضع قبضة اليد عناية خاصة فجعلها لوزية الشكل ناعمة اللمس بحيث تؤدى وظيفتها على نحو جيد فى قبضة المحارب .

٧ - من المرجح نسبة تلك المجموعة من السيوف إلى منتصف القرن ٨هـ / ١٤م . ويحملنا على هذا الظن مقارنتها بأشكال السيوف المرسوم على جدران قصر البرطل (٣٢) المؤرخة بتلك الفترة حيث تكشف تلك المقارنة عن تطابق كل منهما من حيث الشكل. فضلاً عن اشتغالها على شعار بنى نصر الكتابى " ولا غالب إلا الله تعالى " الذى شاع ظهوره فى تلك الفترة على كافة الفنون المعمارية والصناعية التى تنسب إلى عصر بنى نصر .

٨ - أما عن أمثلة السيوف الأربعة الى تضمها تلك المجموعة والتى تمثلت فيها الخصائص سالفة الذكر فهى :

١ - سيف محفوظ فى المكتبة الوطنية بباريس (٣٣). وقد كان هذا السيف قبل أن يجد طريقه إلى مكان حفظه الحالى بحوزة إسكافى من أهل غرناطة ابتاعه لشخص يدعى دبيان Debiyen الذى أهداه إلى المكتبة المذكورة فى عام ١٨٦٢م (٣٤).



ويتألف السيف من نصل طويل مصنوع من الفولاذ يبلغ طوله ٩٥,٧ سم وهو من النوع المستقيم ذى الحدين ينتهى بطرف قصير مدبب جوانبه مقوسة تقوساً طفيفاً ، وتتميز صفحتى النصل باشتمالهما على ثلاث شطب علاوة على الجوهر (٣٥) الذى يتألف من بقع سوداء على شكل النسيج الشبكى فوق أرضية ملونة بلون سماوى بدرجته الفاتح والداكن على نحو يذكر بالجوهر الذى يشغل أنصال السيوف الدمشقية . ويستوقف النظر هنا وجود رسم أسفل أحد شطب النصل الثلاثة قوامه رأس كلب صغير ذو رقبة صغيرة بمؤخرتها وبأعلى الرأس خطوط إشعاعية قصيرة . ويمثل هذا الشكل رنك أو شارة صانع غرناطى يدعى خوليان كان متخصصاً فى صناعة السيوف (٣٦).

هذا عن نصل السيف ، أما عن مقبضه فمصنوع من الفضة ومعلى بعدة أساليب فنية منها التطعيم بالنيلو (٣٧) والترصيع بفصوص المينا (٣٨) ذات ألوان متباينة تتراوح ما بين اللون الأبيض والرمادى والبنى الداكن .

ومن حيث زخارف هذا المقبض فقد بالغ الفنان فى تفاصيل عناصره الزخرفية الموزعة بانتظام بوجه وظهر أجزاء المقبض . فالقبة تزدان من خارجها بعناصر نباتية متماثلة تظهر فى شكل لفائف متماسة بداخلها عناصر نباتية دقيقة التكوين تتخذ شكل محارة مضلعة لولبية . وفى قلب القبة إطار دائرى بداخله شعار بنى نصر الكتابى " ولا غالب إلا الله تعالى " موزعاً بوجهى القبة . وقد نفذ على أرضية نباتية مطلية بمينا سوداء ، ويزدان سطح السن أو السفود الذى يتوج رأس القبة أو الطربوش بنفس العناصر النباتية التى تزين جوانب القبة ، وأن ظهرت اللفائف هنا متشعبة ومتراكبة فى خط أفقى . أما عن موضع قبضة اليد فيشغله نص كتابى بالخط النسخى نطالع فيه شعار بنى نصر الكتابى " ولا غالب إلا الله تعالى " على مهاد من التوريقات النباتية المرسومة فوق أرضية مطلية بالميناء السوداء . ومن أهم ما يميز حروف كتابة هذا الشعار كبر حجمها مع المبالغة فى إضفاء الطابع الزخرفى فى رسم بعض الحروف . ونذكر منها على سبيل المثال والتخصيص حرف الواو الذى أفرغ فيها الخطاط عبقريته الفنية فبدت فى صورة زخرفية بحتة فاتخذت شكل حرف U ونفس الشئ نجده أيضاً فى حروف اللام التى حرص فيها الخطاط على مد قائمة ساق الحرف امتداداً رأسياً بحيث ظهر الحرف مشابهاً لرقم ٧ . مع ملاحظة أن كل من قائمى الحرف قد انتهى من أعلى بحد واحد مما يعبر عن حرص الخطاط على أحداث التناسق والتعادل فى توزيع سيقان الحروف ، كما زاد من

جمال هذا الحرف أنه اشتمل بداخله على زهرة نباتية محورة عن الطبيعة تشبه بقية التوريقات التى تتخلل أرضية الحروف فقد ملأت تلك التوريقات الفراغات واتخذ بعضها أشكال مراوح نخيلة من شحمتين امتازت بطابعها التجريدى (٣٩). أما عن زخارف القسم الأوسط من المقبض فقوامها خطوط من فصوص المينا البيضاء تتداخل فيما بينها بحيث ينتج من هذا التداخل أشكال من أطباق نجمية بداخلها تشكيلات نباتية تسود فيها أوراق محورة عن الطبيعة .

أما عن واقية المقبض أو شواربه فقد ازدانت بمجموعة من العناصر الزخرفية المنفذة بأساليب متعددة منها فصوص المينا ذات اللون البنى والأسود والأبيض ، والتى نظمها الفنان بأسلوب هندسى قوامه تشكيل رباعى يتألف من أربع خطوط منحنية تضم بداخلها زهرة أشبه بزهرة اللوتس تثبت من ساق مستقيمة قصيرة . وقد انتشر هذا التشكيل على نطاق واسع بمسطح بدون قلب الواقية بحيث اختلط التوريق والتزهير بالضلوع والدوائر التى اتخذت شكل فروع نباتية شبه مستديرة . كما شغل الفنان قلب الواقية بشعار بنى نصر الكتابى الذى نراه محصوراً داخل مستطيل ، أرضيته مطلية بالمينا السوداء .

وأما عن زخارف ذارعى الواقية اللذان يتخذان شكل جناحى طائر فقد أظهر الفنان براعة فائقة فى تزيين هذا الجزء من الواقية . فزخارف الشبكية اتخذت تشكيلاً قوامه حلقات دائرية (٤٠) بداخلها أزهار محورة متعددة البتلات تتفق فى تشكيلها الدائرى مع صور الحلقات المحصورة بداخلها كما ازدانت الجوانب الخارجية لأذرع الواقية بأشكال معينة من فصوص المينا البيضاء يملأها حلقات مفرغة مترابطة أشبه ببراعم دائرية تتوزع فى انتظام ومقابل داخل أشكال المعينات . ونفس الشئ يتكرر فى العديد من أجزاء الواقية ، وقد اتخذت جوانب الواقية هيئة رأس كائن خرافى ، ورغم التجريد الواضح فى تشكيل هذا الكائن فإن الفنان استفاد من مهارته فى فنون الترصيع والتنزيل والتكفيت فى تجسيد بعض أعضاء هذا الكائن . فشكل أسنانه بفصوص من المينا البيضاء وقصص شفته السفلى وذهب حدقة عينيه وزود فكه السفلى بفص من المينا اتخذ شكل قريب من أشكال قرون الفلفل التى تمتد لتنتهى من أسفل بسن مذهب (٤١) .

ولهذا السيف جراب (٤٢) مصنوع من الخشب مكسو بالجلد طوله ٩٥ سم ويحلى بدن هذا الجراب أربع قطع من الفضة موزعة واحدة فى كل من طرفاه العلوى والسفلى وثلثان قرب



منتصف الجزء الأوسط العلوى من الجراب (٤٣). وقد ازدانت تلك القطع بزخارف متنوعة قوامها أنصاف مراوح نخيلية تقوم على ساق رأسية قصيرة، ينبثق منها فصان غير متماثلين العلوى يتميز باستطالته وانثناء طرفه العلوى فى شكل عكاز والسفلى اتسم بقصره . وتترابط الفصوص العكازية فى أوضاع متقابلة بحيث تؤلف أشكال تشبه فى استدارتها صور بيض النعام التجريدية ، وعلاوة على تلك المراوح ظهرت سيقان نباتية ملفوفة تمتد فى شكل قلوب نباتية تتألف من أنصاف مراوح نخيلية مجوفة تتفرع فى شكل باقة تتخذ فى أعلاها شكل عقد منكسر متجاوز . وتتوزع تلك الزخارف على كل من جانبي القطع المعدنية يمينا ويسارا بحيث تحصر مثلثه يضم بين رؤوسها المدببة شكل مستطيل قاعدته بداخله شعار بنى نصر الكتابى موزع على صفحتى الجراب على النحو التالى ( ولا غا ) فى الصفحة الأولى . وفى الصفحة الثانية ( لب إلا الله تعالى ) . وقد نفذت حروف هذا الشعار على أرضية نباتية مطلية بالمينا السوداء . واستكمالا لزخارف تلك القطع استعان الفنان بشبكة من أسلاك الفضة المنفذة بأسلوب التكفيت تتألف من أشرطة متموجة مجدولة، تنتصب رأسيًا وتمتد أفقيًا داخل جامات بيضية بحيث تكون حروف شعار بنى نصر الكتابى " ولا غالب إلا الله تعالى " . ويسترعى النظر فى القطعة الثانية من أعلى من مجموع القطع الأربعة سائلة الذكر وجود حلقتين الغرض منهما تعليق السيف حول الرقبة بحيث يتدلى على الصدر عن طريق شريط من الحرير ينفذ فى تلك الحلقات على نحو يذكر برسوم صور الأشخاص الممثلة فى قبة قاعة الملوك بقصر الحمراء .

٢ - سيف محفوظ فى المتحف الوطنى بمدينة كاسل بألمانيا (٤٤) ويبلغ طول السيف بما فى ذلك مقبضه ٩٧ سم ، ويتألف من نصل مصنوع من الفولاذ ومقبض من البرونز المذهب والمطعم بفصوص المينا متعددة الألوان . ويتسم السيف بجلال الشكل وجمال النسب فنصله من الجواهر الذى يتميز بخطوطه الملونة بلون رمادى داكن على غرار جواهر السيوف الهندية والفارسية ، ويتشكل جواهر هذا السيف من خطوط ناعمة متداخلة على شكل النسيج الشبكى الذى يقسم صفحتى النصل إلى مسافات قصيرة متساوية ترسم بقع عريضة مستطيلة . ويتحول نصل هذا السيف قبيل الطرف إلى نصل ذى حدين طرفه مدبب وعليه شطبة واحدة عريضة . كما يشتمل هذا النصل قرب الثلث العلوى منه على ختم دائرى يتضمن نقش كتابى موزع على أربعة

خطوط أفقية ، وحروف هذا النقش غير مقروءة لدقتها وصغر حجمها . وربما يمثل هذا الختم شعاراً للصانع أو المصنع الذى أنتج هذا السيف .

أما عن مقبض هذا السيف فلا يكاد يختلف فى تفاصيل تكوينه عن مقبض السيف السابق ، وإن كانت زخارفه قد تميزت بسيادة الأشكال النجمية مثمثة الرؤوس<sup>(٤٥)</sup> . المموهة بينا مختلفة الألوان يغلب فيها اللون الأسود مع اللونين الأحمر والأخضر ، وتتجلى سيادة تلك الأشكال فى كل من قلب الواقية وعلى موضع قبضة اليد المخروطية ، وفى الإطار الدائرى المركزى للقبعة الأسطوانية المسطحة ، وتظهر تلك الأشكال النجمية مترابطة فيما بينها عن طريق أشكال نجمية مثمثة الرؤوس أيضاً . ولكنها مذهبة مما أحدث تناوباً رائعاً فى ألوان تلك التشكيلات النجمية ، التى ازدانت أحياناً بأزهار نباتية ذات برعم دائرى أو لوزى مغلق ، وأحياناً أخرى بنوع من الجمامات رباعية الفصوص . ويستلقت النظر فى زخارف هذا المقبض أيضاً أن شواربه قد تشكلت من أسلاك ملفوفة تميزت بتعددتها وتراكبها بحيث رسمت فى مجموعها وحدات زخرفية متماثلة قوامها . تفريعات نباتية مفرغة . كما ازدانت الجوانب الخارجية من الشوارب أو ذراعى الواقية بلفائف رقيقة نقشت عليها أوراق تتخذ شكل أنصاف مراوح نخيلية رقيقة تمتد من أعلى اللفائف بحيث تبدو كما لو كانت مستقلة عنها . كما ازدانت تلك اللفائف أيضاً بتشكيلات هندسية مجدولة وعناصر ملتوية خطافية الشكل . وقد نفذت كل هذه الزخارف على أرضية مموهة بالمينا .

ولهذا السيف جراب طوله ٨٥,٥ سم<sup>(٤٦)</sup> مصنوع من الخشب المكسو بالجلد والمحلى بقطع برونزية مذهبة ملبسة فى طرفى الجراب وفى الثلث الأخير منه . فضلاً عن دلالة من نفس المادة البرونزية ، وكل هذه القطع مموهة بالمينا السوداء . ومع أن كسوة هذا الجراب جاءت عاطلة من الزخارف فإن الفنان وفق فى إحداث تناوب بين لون هذا الجراب المصبوغ باللون البنى الفاتح المائل للإصفرار وبين ألوان الحليات البرونزية المذهبة الملبسة بكسوة الجراب الجلدية . كما وفق أيضاً فى جعل زخارف تلك الحليات وألوانها شبيهة إلى حد التطابق بألوان وزخارف مقبض السيف . وأن تميزت تلك القطعة بأن ثنتان منها قرب الثلث الأخير من الجراب ينتهيان من أعلى وأدنى بأسلاك مزدوجة من البرونز المذهب ، تتألف من عدة فصوص متراكبة تقوم على إطار من أسلاك مصفورة تدور باستدارة بدن الجراب ، ويشغل ما بين الفصوص ويتصل بها أسلاك مجدولة تحصر بينها توريقات نباتية تتلاقى عند برعم كمثرى ، وتتفرع من ساق



قصيرة من وسط هذا البرعم بحيث يتعذر على غير المدقق تميز شكلها الحقيقي . ويستلفت النظر فى شكل هذه الزخارف أنها قد نفذت فى مجموعها على نحو يقر بها إلى شكل شجرة الحياة ، ومالت فى معظمها نحو الاستدارة والدقة والاتقان فى تنفيذها بحيث كونت فى مجموعها شكلاً زخرفياً رائعاً أهم ما يتميز به التماثل والتعقيد المبالغ فيه . ويستلفت النظر فى حلقات هذا الجراب وجود أربع حلقات تتصل بالقطعتين اللتين تحليان الثلث العلوى من الجراب عن طريق اللحام معلق فيها حلقات فى شكل دبلّة كان يوضع فيها دلايات معدنية من نفس مادة حلقات الجراب تبقى منها واحدة تميزت بشراء زخرفى رائع ، فبدنها محلى بأشكال نجمية مشمئة على غرار الأشكال التى تسود جميع القطع المعدنية فى الجراب ، وفى مقبض السيف كما تميزت أيضاً بأن حافتها الخارجية قد تشكلت من أسلاك مزدوجة ملفوفة تنتهى من أعلاها ببراعم مفصولة ثلاثية ومزدوجة تنبثق من سيقان تلتف داخل الأسلاك الملفوفة التى تميزت بأن لفائفها المستديرة قد حوت بداخلها توريقات نباتية أطرافها شبه مغلقة تتفرع على جانبى ساق رأسى محورى .

وتشهد زخارف تلك القطع فى مجموعها على مدى ما وصلت إليه زخارف الحلقات المعدنية فى عصر بنى نصر من تعقيد وتطور كما ساعدت بعض زخارف هذا السيف وجراجه على تأريخه ، ففى رأى أحد مؤرخى الفن أن الأشكال النجمية الموزعة بجميع القطع المعدنية تشبه نظائرها التى ظهرت فى شبكات المعينات الجصية المفرغة ببهو الأسود بقصور الحمراء (٤٧) ، وعلى هذا يمكن القول بأن هذا السيف يرجع إلى عهد السلطان محمد الخامس الفنى بالله الذى تنسب إليه مجموعة مبانى بهو الأسود .

٣ - سيف مصنوع من الفضة المذهبة محفوظ فى كنيسة سان تيلمو دى سان سبستيان (٤٨) . وفيه نلاحظ تشابه واضح بينه وبين النموذجين السابقين لاسيما النموذج الأول . فالواقية اتخذت فى تشكيلها طابعاً له ذاتيته بحيث يمكن أن يطلق عليه الطابع النصرى ، ويتميز هذا الطابع بأن الواقية تشكلت فى هيئة رأس لحيوان خرافى يتدلى من فمه المفتوح إحدى ذراعيها ، وتشكيل الواقية على هذا النحو يمثل نموذجاً ظل متبعاً فى تشكيل مقابض السيوف النصرية على هيئة رؤوس لحيوانات خرافية أو حقيقية . تزدان فى كل من جانبى ذراعيها برأس لحيوان خرافى يتدلى من فمه المفتوح أحد أذرع الورقية . كما أن طربوش الواقية اتخذ الشكل الأسطوانى المألوف ذى الإطار المركزى . أما النصل فعريض ذى حدين ،

وعلى صفحته شطبة واحدة عريضة (٤٩). وعلى غرار النموذجين السابقين تركزت زخارف هذا السيف فى مقبضه وجرابه ، فالمقبض ازدان بتوريقات نباتية ممهوه بمينا متعددة الألوان وزعت بانتظام على قلب الواقية وموضع قبضة اليد والتشبيكات المفرغة المحصورة بين ذراعى المقبض والنصل . ويحتفظ هذا السيف بجرابه المصنوع من الخشب والمكسر بالجلد والمحلّى بقطع معدنية مزدانة بتوريقات نباتية قوامها أنصاف مراوح نخيلية مصبغة تدور فى تلاحم بأعلى وأدنى تلك القطع . وقد نفذت كل هذه الزخارف سواء على النصل والمقبض أو الحليات المعدنية بأسلوب الطرق .

٤ - سيف محفوظ فى متحف المتروبوليتان بنيويورك (٥٠) ينسب إلى آخر أمراء بني سراج (٥١) ويختلف هذا السيف عن النماذج سالفة الذكر فى أن نصله مصنوع من النحاس المذهب ، ويتميز هذا النصل بأنه طويل ومستقيم يتحول قبيل الطرف إلى نصل ذى حدين وعليه ثلاث شطب . ومقبض هذا السيف من البرونز وعليه آثار تذهيب ، وفيه زخارف من فروع نباتية مطلية بالمينا ذات لون أزرق على أرضية سوداء ، ويخرج من تلك الفروع أزهار مطلية باللونين الأبيض والأحمر الشفاف . وتمتد هذه الزخارف لتكسو قبعة المقبض وواقيته والجزء المركزى منه فضلاً عن شريط كتابى يدور حول زهور متعددة البتلات مطلية بلونين أبيض وأحمر قاتم ، وإلى جانب هذه الزخارف النباتية والكتابية ظهر أيضاً فى زخارف ذراعى الواقية حلقات دائرية مطلية بلون أسود تتضمن زهيرات مذهب ومكفّنة بالفضة . وإذا انتقلنا إلى جراب هذا السيف نجد أن معظم هذه الزخارف قد تكررت على الحليات النحاسية المذهبة الموزعة على بدن ذلك الجراب .

### المجموعة الثانية :

يمثل هذه المجموعة سيفين تميزا بعدة خصائص فنية نوجزها فيما يلى :

١ - تتسم أنصال تلك المجموعة باستطالتها واتساعها وانتهائها برأس مفلطح يحمل حدين كما تشتمل على شطبة واحدة عريضة تبدو فى شكل قناة شديدة الانحدار تجاوزت فى امتدادها منتصف بدن النصل الذى تميز بشكله المسحوب بحيث يتضخم بدنه المستطيل من أعلى ويستدق من أسفل .

٢ - تميزت الواقية فى مقابض هذه المجموعة بأنها أقل حجماً وأكثر دقة من مثيلتها فى المجموعة الأولى . كما اختلفت عنها فى تفاصيل مكوناتها ، ويتضح وجه الخلاف بينهما فى



أنها هنا اتخذت شكل حرف U مقلوب منتظم الجوانب بدلاً من الشكل الحدودي الذي يميل في انحناء نحو الخارج ، الأمر الذي ترتب عليه أن أصبحت المسافة المتروكة بين النصل وذراعى أو شوارب الوراقية فى المجموعة الأولى أكثر اتساعاً مما هو عليه فى المجموعة الثانية التى بدت لشدة استقامتها كما لو كانت ملتصقة بحدى النصل . كما نلاحظ أيضاً أن قلب الوراقية هنا اتخذت شكل معين ضلوعه مسننة أو مفصصة بدلاً من الشكل الخموس فى المجموعة الأولى .

٣ - استبدلت رؤوس الحيوانات الخرافية فى هذه المجموعة ، التى كانت تمثل رأس تنين بجوانب الوراقية فى المجموعة الأولى برؤوس فيلة، يتدلى من قم كل منها زلومة تمثل إحدى ذراعى الوراقية .

٤ - انتقلت الشبكات السلكية المفرغة فى هذه المجموعة إلى خارج الأذرع أو الشوارب فى حين كانت من المجموعة الأولى محصورة بين النصل والأذرع من الداخل .

٥ - اتخذت القبيعة أو الطربوش فى مقابض هذه المجموعة شكل كرورى بدلاً من الشكل الاسطوانى المسطح . واتسمت رؤوس تلك القبيعات بشكلها المخروطى الذى يستدق من أعلى ويتضخم فى استدارته من أسفل بدلاً من الشكل المنشورى فى المجموعة الأولى .

٦ - استحدث الفنان أسلوباً جديداً فى زخرفة موضع قبضة اليد، يعتمد على تطعيم القسم الأوسط منه بالعاج فى حين كانت تخلو نماذج المجموعة الأولى من هذا الأسلوب .

٧ - اعتمدت مقابض هذه المجموعة فى زخارفها على أسلوب التكفيت بخيوط الذهب بدلاً من أسلوب الترصيع والطلاء بالمينا، الذى اعتمدت عليه زخارف نماذج المجموعة الأولى، وقد تجسدت تلك الخصائص فى نموذجين من السيوف النصرية هما :

١ - سيف محفوظ فى المتحف الحربى بمدينة مدريد (٥٢) ينسب إلى الأمير على العطار (٥٣). يتألف من نصل مستقيم يتميز باستطالته وانتهائه برأس عريض، يتحول قبيل الطرف إلى نصل ذى حدين، بحيث يضمن سلاح جيد للقطع والظعن معاً وعلى هذا النصل شطبة واحدة عريضة مجوفة .

وقد أولى الفنان زخارف مقبض هذا السيف عناية خاصة، بحيث يمكن القول بأن مقابض السيوف فى تلك المجموعة اتجهت فى تطورها نحو الزخرفة البحتة ، ويلاحظ هذا التطور فى تطعيم موضع قبضة اليد بكسوة عاجية، احتشدت بعناصر زخرفية عديدة، قوامها أنصاف

مراوح نخيلية، تتألف من فصين متفرعين على نحو متماثل من ساق لولبية الشكل تحصر بداخلها شكل هندسى مسنن أشبه بأشكال التروس . وعلى جوانب تلك التشكيلات المروحية تتفرع خطوط دقيقة، تحيط بأوراق مستديرة وأزهار مدببة الشحومات، موزعة بالتناوب داخل وخارج الفصوص المروحية، فبدت فى شكل شبكة زخرفية مفرغة . وعلاوة على تلك الزخارف النباتية التى غلب عليها الطابع الهندسى والمنفذة بأسلوب الحفر البارز توجد أشرطة كتابية محصورة داخل أطر بطاقية، نطالع فيها بالخط النسخى عبارة ( الملك الدائم والعز القائم ) . ونفس هذه الزخارف نجدها تزين كل من قلب وذراعى الواقية فضلاً عن بدن القبيعة مع اختلاف بسيط يتمثل فى أنها نفذت بأسلوب التكفيت بخيوط الذهب بدلاً من أسلوب الحفر البارز . كما اتخذت جوانب أذرع الواقية صورة رأس فيل زلومته تمثل شوارب أو ذراعى الواقية .

٢ - سيف محفوظ فى مجموعة بيدال (٥٤) يتكون من نصل عريض ذى حدين يشبه فى تكوينه نصل السيف السابق ، وإن اختلف عنه فى بعض التفاصيل من حيث أن الجواهر قد ظهر على نصل هذا السيف على هيئة خطوط دقيقة سوداء وأن شطبه بدت عريضة مسطحة وليست مجوفة .

ويستلفت النظر فى هذا النصل وجود رنك يتكون من حلقتين متداخلتين، تضمان حروف وطلاسم الغرض منها على الأرجح هو حفظ السيف وحمايته من الضياع ولكى يؤدى عمله فى يد صاحبه على خير وجه . وفى رأى أحد مؤرخى الفن أن هذا الرنك من نوع الرنوك الشخصية التى تشير إلى صانع يدعى خوليان كان متخصصاً فى صناعة السيوف زمن بني نصر (٥٥) .

أما عن مقبض هذا السيف فمصنوع من الفولاذ المذهب ، ورغم احتفاظه فى شكله العام بنفس مكونات مقبض السيف السابق ، إلا أنه يختلف عنه شكلاً وزخرفة ، فبالنسبة للشكل نجد أنه يميل فى مجموعه إلى الضخامة، كما أن موضع قبضة اليد تحولت إلى قطعة واحدة مركبة فى قم الغمد، تأخذ شكل مخروطى مسطح عاطل من الزخرفة . أما بالنسبة للزخرفة فأقل ثراء وتنوعاً وجمالاً من نظائرها على مقبض النموذج السابق (٥٦) . حيث تغلبت البساطة على الحلية التى أصبحت خالية من التكلف ، واقتصرت الزخارف على أشرطة متداخلة فى أوضاع أفقية ورأسية، تؤلف فى مجموعها أشكالاً دائرية مفصصة على الواقية وأخرى دائرية بالقبيعة . ويشغل منتصف بدن القبيعة شريط كتابى بالخط النسخى نطالع فيه شعار بني نصر



الكتابى " ولا غالب إلا الله تعالى " وتمتاز حروف هذا النقش بأنها منفذة داخل إطار مستطيل قاعدته مثلثة .

ومن العناصر التشكيلية المهمة فى زخرفة هذا المقبض جوانب واقبته المشكلة على هيئة رؤوس فيلة أفواهاها فاعرة يتخللها لفائف من أسلاك دقيقة . فضلاً عن الاهتمام بتزيين الشبكية التى تمثل امتداداً لزلومة رأس الفيل بأشرطة متقاربة قوامها حلقات مشقوقة تشكل بقعاً مستديرة أو مستطيلة وخطوط قصيرة ومتوازية مدهونة بلون رمادى يميل إلى البياض .

### المجموعة الثالثة :

تضم هذه المجموعة أربعة سيوف تتلخص سماتها الفنية فيما يلى :

١ - تعد أنصال هذه المجموعة بوصفها آخر المجموعات التى تتناولها الدراسة استمراراً وافياً للشكل الذى ظهرت عليه أنصال السيوف الأندلسية منذ عصر الخلافة وحتى نهاية عصر بنى نصر من حيث المحافظة على الشكل المستقيم ذى الحدين والطرف المدبب أو نصف الدائرى ، ومع ذلك وعلى الرغم من الإبقاء على الروح المحافظة التى جمعت بين فنون الأندلس فى مجال صناعة السيوف فإن الصانع النصرى المعروف بمهارته الفنية قد أدخل بعض التحسينات فعلى عكس النماذج السابقة تميزت أنصال تلك المجموعة بخفة وزنها بما أضفى عليها مظهراً من الرشاقة .

٢ - طرأ تطور واضح فى شكل وزخرفة مقابض هذه المجموعة إذ استدارت شواربها واستعرضت فى انتظام بدلاً من الشكل الملفوف . كما اشتقت منها عناصر زخرفية متعددة تنوعت أشكالها واختلفت مواضع توزيعها عن نظائرها السابقة . فالعنصر الحيوانى الذى ظل يمثل عنصراً رئيساً فى زخرفة شوارب الواقية انتقل من جوانبها إلى نهاية أطرافها واتخذ صورة جديدة قوامها شكل حية كاملة ملفوفة تضم بين بدنها ورأسها من الخارج الشبكية .

٣ - امتازت الواقية فى سيوف هذه المجموعة بجمالها ودقة تنفيذها مع إبرازها فى صورة جديدة قوامها شكل جامة مفصصة فصوصها موزعة ضمن تشكيل هندسى رائع تنتظم بداخله فى تناسق وتوازن وحرية وحدات زخرفية متنوعة تتسم بتعدد عناصرها وتداخلها فيما بينها سعياً لشغل الفراغات العارية .

٤ - على الرغم من أن قبيعات تلك المجموعة ظلت محتفظة بشكلها الكروى الذى ساد فى مقابض المجموعة الثانية . إلا أنها هنا جنحت فى تشكيلها نحو الزخرفة الخالصة فبدت

أكثر ثراء . أما الحلية البارزة التى تتوج قمة القبعة فقد تميزت ببدنها المستدق الذى يميل إلى الاستطالة .

٥ - اعتمدت زخارف مقابض هذه المجموعة على تطعيم بعض أجزائها بالعاج فضلاً عن ترصيعها بمعظم ألوان المينا التى تميزت بدقة تفاصيلها وتنوع موضوعاتها الزخرفية . أما عن أمثلة السيوف التى تتمثل فيها السمات سالفة الذكر فهى :

١ - سيف محفوظ فى المتحف الحربى بمدريد ينسب إلى السلطان محمد الثانى عشر المعروف بأبى عبد الله (٥٧) .

ويبلغ طول هذا السيف بما فى ذلك مقبضه ٦٧ سم . يتكون من نصل مستقيم يحمل جوهر يتألف من حبات دقيقة متقاربة المسام ألوانها رمادية تميل إلى اللون الأبيض الفاتح على نحو يذكر بشكل الجواهر الدمشقى الذى شاع ظهوره على أنصال السيوف الإسلامية (٥٨) . ويتوسط نصل هذا السيف شطبة واحدة تميل فى انحدار نحو الداخل ، وتمتد من أعلى النصل لتتجاوز منتصف البدن بقليل ، كما تشتمل أيضاً على رنك على شكل حرف S محصور داخل نصفى دائرة يمثل طابعاً محبباً استهواه صناع السيوف النصرية فى تزيين أبدان أنصالهم مع تنوع مظهر هذا الرنك من نموذج إلى آخر .

أما المقبض فيحف به يميناً ويساراً واقية فى شكل جامه مفصصة، تقتصر فصوصها على ثلاث جوانب أما الجانب الرابع الذى يمثل قاعدة الواقية فعبارة عن حشوة مستقيمة مسطحة، ويعكس هذا الشكل الزخرفى للواقية وشواربها - التى بدت فى شكل خطافى أو لولبى رشيق لم يلتزم فيه الفنان بالشكل المعهود فى شوارب الواقيات السابقة - مدى التطور الذى تعرضت له مقابض هذه المجموعة إذ تألفت من بدن أفعى ذى عنق غليظ وفم مفتوح، وفق الفنان فى تشكيلها فى وضع يوحى بالحياة والحركة بحيث تجذب النظر برشاقتها وتدرجها فى توازن وقاسك مع البدن الأوسط من المقبض، الذى يمثل موضع قبضة اليد المطعم بحشوة من العاج يعلوها إطار هرمى منشورى الشكل ويدنوها آخر أسطوانى . وينتهى المقبض بقبعة أو طربوش كروى يتوجه سن أو رأس أنبوى مستدق للغاية .

أما عن زخارف هذا السيف التى تتركز بصفة أساسية كما هو مألوف فى مقبضه، فقد تعرضت لتطور واضح المعالم، فالفنان انتهج نهجاً جديداً فى تقسيم سطح المقبض إلى حشوات زخرفية تجمع بين الانسجام والتنوع ما بين عناصر نباتية وهندسية وكتابية ورسوم من الكائنات الحية المتمثلة فى شكل الأفعى ، وقد رصعت جميعها بفصوص المينا متعددة الألوان التى



يسود فيها اللون الأبيض والأحمر والأخضر، فضلاً عن اللون الأسود الذي استعان به الفنان كمهاد لتلك الزخارف .

ومن خلال الدراسة التحليلية لزخارف هذا المقبض نلاحظ رغم اختلافها لكنها تنبثق من فكرة فنية واحدة قوامها تفوق العناصر الهندسية على ما عداها من عناصر نباتية وكتابية وصور الكائنات الحية حيث تألفت تلك الزخارف من صلبان ذات مربعة كبيرة الحجم، احتشدت أرضيتها بخطوط دقيقة نفذت بطريقة التطعيم بالمينا وتقوم على سيفان رفيعة متموجة تتفرع منها ثمار وأزهار تملأ الفراغات التي تخلفت من تقاطع ضلوع المصليب<sup>(٥٩)</sup> بحيث تؤلف تشبيكة رائعة متكررة . وفي مركز تلك الصلبان الكبيرة صلبان صغيرة تظهر في شكل معين أضلاعه غير مترابطة بحيث تتحول صورة الشكل المصليب إلى شكل حرف V معتدلاً ومقلوباً بالتناوب . وبالإضافة إلى أشكال الصلبان نرى أيضاً عناصر نجمية تتألف من ثمانية رؤوس وأخرى سداسية الرؤوس نفذت في مجموعها على نحو يقربها من شكل جامة تألفت من ستة رؤوس مدببة . وهكذا لعب هذا التكوين النجمي ذا الرؤوس المدببة دوراً مهماً في زخرفة الواقية وامتاز بتنوع صورته حيث ظهرت صور أخرى له شواربها بدت في بعضها مكونة من ثلاثة أرباع نجمة خماسية الرؤوس تقوم على قاعدة أفقية مستقيمة وفي بعضها الآخر تألف من أنصاف نجوم خموسة الرؤوس تتفق في شكلها مع صورة أنصاف الجمامات المفصصة ، وتضم كل هذه التشكيلات الهندسية بداخلها توريقات نباتية يغلب عليها الطابع التجريدي حيث استعان بها الفنان كأطر تحصر بداخلها وتمتزج معها الزخارف الهندسية مع مراعاة الانسجام القائم على التماثل بين فصوص الأوراق النباتية التي اكتسبت رقة ورشاقة من انثناءاتها وانتصابها وتقابلها وتدابرها . وقد زاد من جمال تلك الزخارف أنها جميعاً مطلية بألوان المينا المتباينة التي تميز فيها بوضوح اللون الأبيض والأحمر والأخضر على أرضيتها السوداء .

وتمتزج الزخارف الكتابية مع التشكيلات الهندسية بما تضمنه من زخارف نباتية فتملأ فضاء منحنياتها داخل أطر بطاقية تمتد رأسياً وأفقياً لتضم بداخلها نقش كتابي بالخط النسخي نطالع فيه سورة الإخلاص . وبالتدقيق في حروف هذا النقش نلاحظ أنها تتسم بقصرها واستقامتها وامتدادها في زوايا حادة يابسة على نحو يقربها من حروف الخط الكوفي: وهي على هذا النحو تبدو أقل ثراء وتنوع في حركاتها من نظائرها المثلثة على مختلف المنتجات الفنية والمعمارية التي ترجع إلى عصر بني نصر فنهايات الحروف لا أثر فيها

للزخرفة كما أن بعضها مفقودة أو مشوه النهايات ، وربما جاء ذلك نتيجة حرص الخطاط على تنفيذها بحيث تخضع لاتجاهات الأشرطة البطاقية المحصورة داخلها رأسياً وأفقياً .

وتزدان الشبكة الزخرفية المفرغة التي تؤلف جوانب ذراعى الواقية بزخارف نباتية قوامها سيقان ملفوفة فى شكل أنصاف دوائر لولبية، تخرج منها أنصاف مراوح نخيلية مطلية باللونين الأحمر والأبيض على غرار السيقان الملفوفة التي تنبت منها . ويستوعب النظر فى تلك التشكيلات النباتية أنها منفذة بأسلوب هندسى حيث استفاد الفنان من اللقائف والتفريعات النباتية فى إحداث تشكيلات هندسية عبارة عن حلقات دائرية بداخلها أزهار وتوريقات نباتية موزعة على نحو متماثل فى أوضاع متقابلة ومتدايرة .

أما القسم الأوسط من المقبض والذي يمثل موضع قبضة اليد فمطعم بحشوة عاجية منقوشة بزخارف رائعة (٦٠) . نميز من بينها أشكال جامات سداسية الضلع (٦١) معقود الرؤوس . وتتقاطع تلك الجامات فى إداها مع أطر تتألف من خطوط مزدوجة منكسرة ، وقد تولد من هذا التقاطع أشكال بطاقية تملأها عبارات كتابية لا تؤلف صيغ متكاملة فهى ذات طابع زخرفى بحت . ويلتف حول تلك الجامات بداخلها وخارجها صور زخرفية متنوعة فمن الداخل نرى ورقات أكنش تتألف من أربع شحومات مفصصة تتفرع من ساق محورية منشئية وتضم بداخلها جامة رباعية الفصوص تشغلها من الداخل محارة مفصصة تتخذ شكل مروحي يشبه شعاع الشمس . وفى خارج تلك الأطر والجامات نلاحظ وجود أنواع أخرى من أزهار نباتية تتألف من ثمان بتلات وأخرى ثلاثية . فضلاً عن ثمار الخرشوف . كما يدور بتلك الحشوة العاجية من أعلاها وأدناها خطوط هندسية متداخلة تؤلف فيما بينها خراطيش بطاقية تتضمن نقوش كتابية بالخط النسخى (٦٢) . فضلاً عن أقراص دائرية من الفضة تكسو سطوحها زخارف منفذة بأسلوب الحفر ، ومطلية باللون الأبيض والأحمر والأسود ، وقوام تلك الزخارف فى الطوق العلوى سيقان نباتية متموجة تمتد على شكل قلوب نباتية يتوسطها نقش كتابى حروفه منفذة باللون الأحمر على أرضية مطلية باللون الأخضر نطالع فيه سورة الإخلاص موزعة على النحو التالى :

( قل هو / الله / أحد الله / الصمد لم ) يليها على التناوب

( لم يلد ولم يولد ولم ي... لم ي... / ... كن له كفواً أحد )

أما الطوق السفلى فتكسوه تشكيلات نباتية نفذت بشكل جديد يتميز بوضوح فى الصورة ورشاقة الحركة ، فالتكوين النباتى تفرع من ساقين ملفوفين فى تموج يرتبطان عن طريق عقد



صغيرة أقرب ما تكون إلى الخواتم الدائرية ، وقد ضمت تلك السيقان داخل لفائفها وعلى كل من جانبيها توريقات مختلفة عني بها الفنان عناية خاصة إذ أضاف إليها العديد من الحزوز والتفصيلات التي تتمثل في أشكال الثمار الرمحية والمستديرة والبراعم الرقيقة المرتبطة بتوريقات صغيرة مستوحاة من سعف النخيل وأزهار عباد الشمس ، ولم يكتف الفنان بما أضفاه على السيقان من تنوع في تموجاتها بل نوع كذلك في شكل تلك السيقان التي ظهرت مشدوخة الوسط ، ويتخلل زخارف التوريقات الرمحية التي تؤلف فيما بينها أشكال قلوب نباتية أو حنايا مجوفة نقوش كتابية نطالع فيها عبارة ( الله خير حافظ ) .

أما قبعة هذا السيف فتعد من الأمثلة الرائعة التي استخدمت كعنصر تشكيلي وزخرفي في آن واحد حيث اتخذت هي والسن أو السفود المخروطي الذي يتوجها شكل قنبلة رشيقة الشكل رائعة الزخرفة حيث ازدانت بكل أنواع التزيق من أدناها إلى أعلاها ، وتعتبر العناصر الهندسية من العناصر الملفتة للنظر في زخارف هذه القبعة ، ففي كل جانب من جوانبها شكل نجمي مثنى الرأس يضم بداخله توريقات نباتية تشبه مثيلتها بالواقية إلى حد التطابق . ويحف بهذا الشكل النجمي من الخارج خطوط معقوفة تؤلف شكل رقم ٧ أو حرف ٧ موزعة في زوايا القبعة الأربعة تزدان بعناصر نباتية تشبه نظائرها في صلبان الواقية ، وقد امتلأ الفراغ الواقع بين هذه الوحدات الهندسية بأطر بطاقية عبارة عن حشوات لولبية يشغلها نص كتابي مكرر نطالع فيه سورة الإخلاص على أرضية من حبيبات صغيرة مذهبة . أما السفود أو السن الذي يتوج القبعة فقد احتشد بتوريقات نباتية متموجة تتناوب فيما بينها داخل سيقان زجاجية حفر بداخلها شعار بنى نصر الكتابي " ولا غالب إلا الله تعالى " .

ومن الملاحظ أن الفنان جنع في تشكيلاته النباتية نحو التجريد فبعدت عن أصولها وظهرت في هيئة أشربة وبراعم مطلية باللون الأبيض تدور في جميع الاتجاهات بحيث لا تترك فراغاً دون أن تملأه بالتفريعات الموزعة في اتزان وتعادل بشكل يوحى بشجرة الحياة ولكن بصورة تجريدية (٦٣) .

ولا يزال هذا السيف محتفظاً بجرابه أو غمده المصنوع من الخشب المكسو بالجلد ويبلغ طوله ٧٧ سم ، وقد حلى بأربع قطع من الفضة المذهبة مطلية بمينا متعددة الألوان وزعت على البدن . علاوة على قطعتين من الفضة تتدليان من كل من جانبي الجراب تقوم أحدهما وهي السفلية بدور زخرفي والأخرى تستخدم في تعليق شريط من الحرير يدور بالكتف والرقبة ، وقد ازدانت

جميع هذه الحليات بعناصر هندسية متنوعة وكسيت الفراغات الواقعة بينها بصفائح من الفضة تلتف في شكل صفائر مزدانة بعناصر زخرفية قوامها أوراق تمثل ثمار الخرشوف وأنصاف مراوح نخيلية صيغت بصورة تجريدية وخطوط هندسية متقاطعة .

## ٢ - سيف محفوظ في المتحف الوطني بمدريد (٦٤):

مصنوع من الفولاذ مقبضه من اللاتون ويبلغ طوله بما في ذلك مقبضه ٩٥ سم ، وأول ما نسجله من ملاحظات على نصل هذا السيف أن شطبتة العريضة تبدأ من منتصف البدن وتصل إلى نهاية طرفه المدب ، وقد نقش عليها خاتم يمثل شعار للصانع خوليان<sup>(٦٥)</sup> مشكل على هيئة حلقتين متداخلتين حفرت عليهما نقوش تمثل علامات أو إشارات ليس لها أى معنى ، وتخلو من أى طابع زخرفى . ويبدو من أسلوب توزيع تلك النقوش أنها من نوع الشعارات الخاصة ذات الدلالة الرمزية أو الوظيفية التى شاع ظهورها على التماثيل والتعاويذ الأندلسية منذ عصر الإمارة وحتى نهاية عصر بنى نصر (٦٦) .

أما المقبض فتتمثل مكوناته مرحلة مهمة من مراحل تطور أشكال مقابض السيوف فى عصر بنى نصر . فواقيته رغم أنها تحتفظ فى شكلها العام بالشكل الذى ظهرت عليه فى المثال السابق غير أنها اختلفت عنها فى شكل الفصوص التى تكتنف جوانب قلب الواقية حيث نلاحظ أنهما يتفقا فى القاعدة العامة للتشكيل أى من حيث وجود فصوص متتالية تدور بجوانب قلب الواقية ولكنهما يختلفان فى بساطة تكوين الفصوص وتماثلها فى واقية هذا السيف كما نلمس فى ذراعى هذه الواقية تطوراً واضحاً فى شكل الشبكية التى ظهرت هنا لأول مرة مكونة من أسلاك دائرية مفرغة فى تراكب بحيث اتخذت فى مجموعها شكل مثلث مدرج كأسنان المنشار ، وهى على هذا النحو تختلف عن كل أشكال شبكات الأذرع السابقة واللاحقة عليها . ويضاف إلى ذلك أن أذرع الواقية نفسها التى تحتضن الشبكية من الخارج قد اختلفت عن نظائرها السابقة فى أنها أصبحت أقل حجماً وأكثر نحافة ، وتميزت بأنها اتخذت شكل خطافى مجوف الوسط ومدبب الرأس . أما عن بقية أجزاء المقبض الممثلة فى موضع قبضة اليد والقبضة فتتشابه إلى حد التطابق مع نظائرها السابقة وإن كانت هنا قد تميزت بأن موضع قبضة اليد قد خلت من الكسوة العاجية ومالت فى شكلها العام إلى الشكل اللوزى المخروطى المقطع . وقد اختلفت أيضاً زخارف أجزاء هذا المقبض عن نظائرها فى أجزاء المقبض السابق من حيث أسلوب تنفيذها وعناصرها الزخرفية فهى منفذة هنا بأسلوب



التطعيم بخيوط مذهبه ومموهة بالمينا التى يغلب عليها اللون الأزرق والبني. أما عناصرها فقد عمد الفنان إلى الاستعانة بحلقات دائرية متقاطعة تربطها عقد صغيرة بحيث تبدو كما لو كانت أشرطة مجدولة من الدوائر الموزعة فى أوضاع أفقية ورأسية وقد تولد من تقاطع تلك الدوائر أشكال معنيات مسننة الرؤوس . ويشغل تلك الحلقات الدائرية نقوش كتابية بالخط النسخى موزعة على النحو التالى : فى منتصف قبضة اليد نطالع عبارة ( الملك القايم / والعز الدائم ) . وفى الطوق الهرمى العلوى منها عبارة ( لا بقاية / إلا بالله / العالى ) . وفى الطوق الأسطوانى السفلى نقراً ( القيمة كلها لله هو العلى ) . أما القبيعة فنطالع فيها عبارة ( لا بقاية إلا بالله القايم ) . وتقوم كل هذه الزخارف الهندسية والكتابية على مهاد من التوريقات النباتية المحورة عن الطبيعة فميز من بينها أنصاف مراوح نخيلية وأزهار الزنبق (٦٧).

٣ - سيف محفوظ فى المتحف الحربى بمدريد (٦٨) كان قبل أن تنتقل ملكيته إلى المتحف المذكور من مقتنيات الكردينال دون فرناندو شقيق الملك فيليب الرابع . وقد اصطلح على تسمية نصل هذا السيف بين بعض مؤرخى الفن اسم الفلامنكو Flamenco (٦٩)، والواقع أنه ليس لهذه الكلمة أى مدلول فنى . كما أن معناها اللغوى فلمنكية غجرى أو مكتنز اللحم متورد الخد (٧٠). لا يضيف شيئاً من شأنه أن يعيننا على معرفة المقصود من هذه التسمية . وفى تصورى أن هذه التسمية ربما قصد بها أن نصل هذا السيف هو الوحيد من بين جميع الأنصال الأندلسية الذى يتميز بأن صفحته منقوشة بخطوط متداخلة متباينة فى تموجات هندسية تؤلف فى مجموعها شكل النسيج الشبكى . وعلى هذا فربما استخدم هذا المصطلح للتعبير عن تلك الظاهرة من الخطوط ، والإشارة إلى ما يمتاز به نصل هذا السيف من ضخامة على اعتبار أن كلمة فلمنكة تعنى الشىء المكتنز كما سبقت الإشارة .

وعلى أية حال فإن تلك الخطوط تعد من الظواهر الفريدة التى انفرد بها نصل هذا السيف من بين النصال السابقة كما اختلفت عنها فى عدم اشتمال صفحته على أية شطبات ، وإن اتفق معها فى أنه من نوع النصال العريضة المستقيمة ذى الحدين . وفى اشتماله على رنك أو خاتم الصانع خوليان الذى ظهر على نصل السيف السابق ، وإن تميزت الحلقتان الدائرتان اللتان تمثلان هيئة هذا الشعار بكبر حجمهما واتساعهما .

أما عن مقبض هذا السيف فرغم وجود أوجه شبه وثيقة بينه وبين مقبض السيف السابق من حيث التزام الفنان بتشكيل جوانب الواقية على هيئة فصوص متعددة غير أن أشكالها هنا قد

بدأت في صورة زخرفية بحتة لا تعدو أكثر من خط ملتوى مقسم إلى عدة فصوص تنتهي في أدناها بخط مثلث وفي أعلاها بقاعدة مستطيلة ، وهكذا اتجهت راقيات السيوف في عصر بنى نصر في تطورها نحو الإشراف والتفنن في استخدام الفصوص المتباينة كحليات زخرفية . ونفس الشيء أيضاً بالنسبة لذراعى الواقية فيبعد أن كانت كما في المثال السابق مجرد بدن مسحوب خطافي يتضخم في أعلاه ويستدق في أدناه وينثنى في طرفه أصبحت هنا عبارة عن سيقان مستقيمة تنحني جوانبها الخارجية وتنبت منها ورقتين ثلاثيتا الشحومات تمثل أنصاف مراوح نخيلية . وفي ذلك تأكيد على الاتجاه الزخرفي الذي سارت فيه مكونات مقابض السيوف حيث استلهم الفنان صورها من عناصر هندسية ونباتية تميزت برشاقتها ودقة تنفيذها على عكس صورتها في بعض الأمثلة السابقة التي استوحاها الفنان من صور الكائنات الحية .

ومن مظاهر التطور التي نلمسها في تشكيل مقبض هذا السيف أن موضع قبضة اليد قد اختلفت من حيث الشكل عن كل نظارها من السيوف السابقة . ويلاحظ هذا الاختلاف في أن الصانع عمد إلى تجزئتها إلى ثلاثة أجزاء أسفلها قاعدة ناقوسية وأعلاها غطاء ناقوسي أيضاً ثم يصل بين الجزئين بدن كروي مفتوح بعد أن كانت تتألف في معظم المقابض السابقة من قطعة واحدة لوزية أو مخروطية . أما عن زخارف مقبض هذا السيف فقد تفوقت فيه الزخارف النباتية حيث سادت فيه أشكال سيقان متداخلة بداخلها توريقات نباتية متراكبة في أوضاع متقابلة ومتدايرة ، وقد تشابكت تلك الوحدات النباتية فيما بينها داخل إطار واحد محزوز ، وإلى جانب تلك الزخارف النباتية نلاحظ وجود عناصر هندسية اقتصر ظهورها على قلب الواقية وهي عبارة عن حلقة دائرية كبيرة مكونة من أسلاك ملفوفة تحصر بداخلها أربع دوائر مفتوحة قليلاً تكاد تكون مغلقة موزعة في تراكب بحيث تشبه في مجموعها شكل السلسلة المجدولة . وقد نفذت كل هذه الزخارف بأسلوب الحفر البارز وطلبت باللون الأحمر والأزرق والأخضر فضلاً عن اللون الأبيض الذي طلبت به النجمة سداسية الرؤوس في مسطح وجه القبيعة والتي فقدت طابعها حيث استدقت رؤوسها وأصبحت أقرب إلى شكل الترس وتوزعت حول رؤوس هذا الشكل النجمي زهور أو بتلات ملساء تجريدية مدهونة بنفس اللون .



٤ - سيف محفوظ فى مجموعة الكونت لوس ماركيس دى كومينتيخار (٧١) يبلغ طوله بما فى ذلك مقبضه أم (٧٢). ويتكون من نصل مستقيم ذى حدين مصنوع من الفولاذ يحمل توقيع أو شعار الصانع خوليان ومقبض مصنوع من الفضة .

وأهم ما يستلفت النظر فى هذا السيف أن مقبضه قد انفرد بثلاث ظهور فنية غير مسبوقة أولها الاستعانة لأول مرة بصورة الكائنات الحية كعنصر زخرفى ضمن عناصره الزخرفية حيث ازدان كل من قلب الواقية وذراعيها بأشكال طواريس ظهرت على قلب الواقية فى هيئة طاوسين متدابرين يفصل بينهما حلقة دائرية مزيلة بزيل بيضى وعلى ذراعيها صورة طاوسين ظهورهما متدابة .

والظاهرة الثانية تشهد على أن صناع السيوف النصرية قد أصابوا أبعد حدود التوفيق فى تنويع عناصرها الزخرفية . ويتجلى ذلك فى الاستعانة بكتابات تشبه خط الطغراء تشغل كل من الطوقين المعدنين اللذين يكتنفا موضع قبضة اليد وربما تشير تلك الكتابات إلى توقيع الصانع خوليان الذى تكرر على وتيرة واحدة على سطح الطوقين المعدنين .

أما الظاهرة الثالثة فتتمثل فى الشبكة المفرعة التى تحيط بذراعى الواقية فمع أن الشكل العام لها به ثمة شبه بأشكال الشبكات السابقة ، إلا أن الفنان أتبع طريقة جديدة فى تشكيلها تقوم على تقسيمها إلى قسمين الأدنى أصم يقوم على توريق نباتى مروحى الشكل والعلوى مفرغ فى شكل عيون صغيرة . كما يظهر الفرق جلياً بين زخارف أجزاء هذا المقبض وأجزاء المقابض السابقة فى تزيين قبعته بإطار دائرى مطلقى باللون الأسود يضم شريط مجدول فى هيئة عيون صغيرة نفذت بأسلوب ينم على أن فن التخريم غير المثقوب قد اكتمل نضجه الفنى فى المخرمات الدقيقة التى احتشدت بها معظم أجزاء المقبض فى رشاقة لا نظير لها . كما ازدان السفور البارز الذى يتوج تلك القبيعة بأشرطة مشدوخة على هيئة رقم (٧) .



شكل (١)

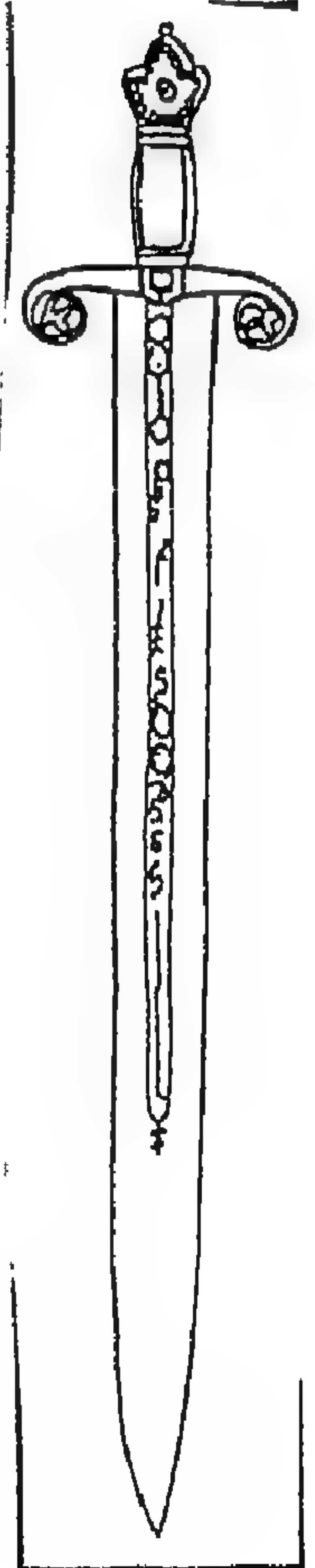
رسم توضيحي لفارس يحمل  
سيف يزين علبة من العاج  
الأندلسي ( مؤرخ بسنة  
٣٥٩ - ٣٦٠ هـ / ٩٦٩ -  
٩٧٠ م . (عن توريس  
فرناندس)

شكل (٢)

رسم توضيحي لمحارب بأزياء حربية  
يحمل سيف يزين علبة من العاج تنسب  
إلى عبد الملك بن المنصور مؤرخة بسنة  
٣٩٥ - ٣٩٦ هـ / ١٠٠٤ - ١٠٠٥ م (عن  
توريس فرناندس)

شكل (٣)

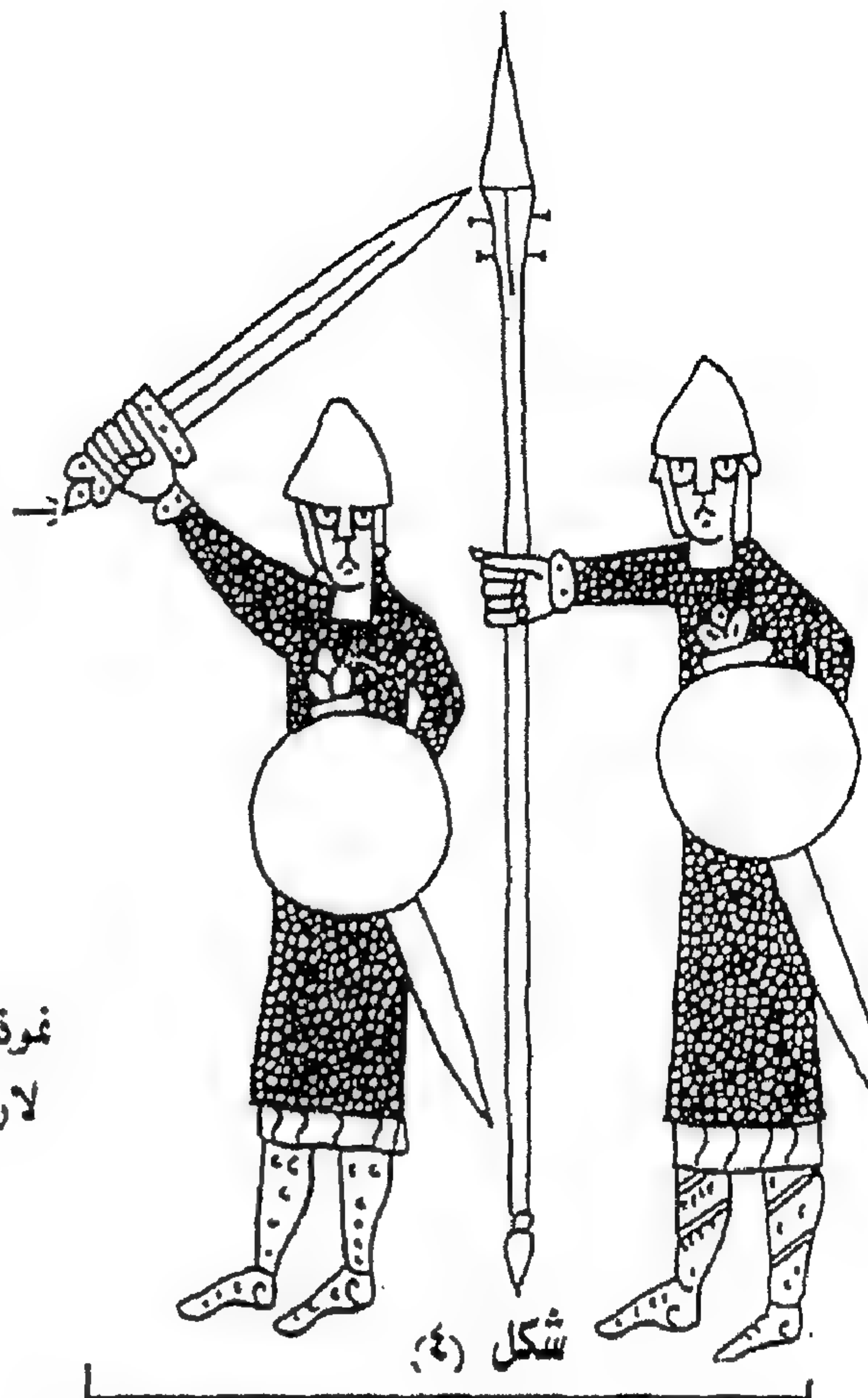
رسم توضيحي لسيف يمثل الشكل العام للسيوف المسيحية ، حوالى  
القرن ٧ هـ / ١٣ م . (من مخطوط مدونات ألفونسو العاشر (عن  
توريس فرناندس)





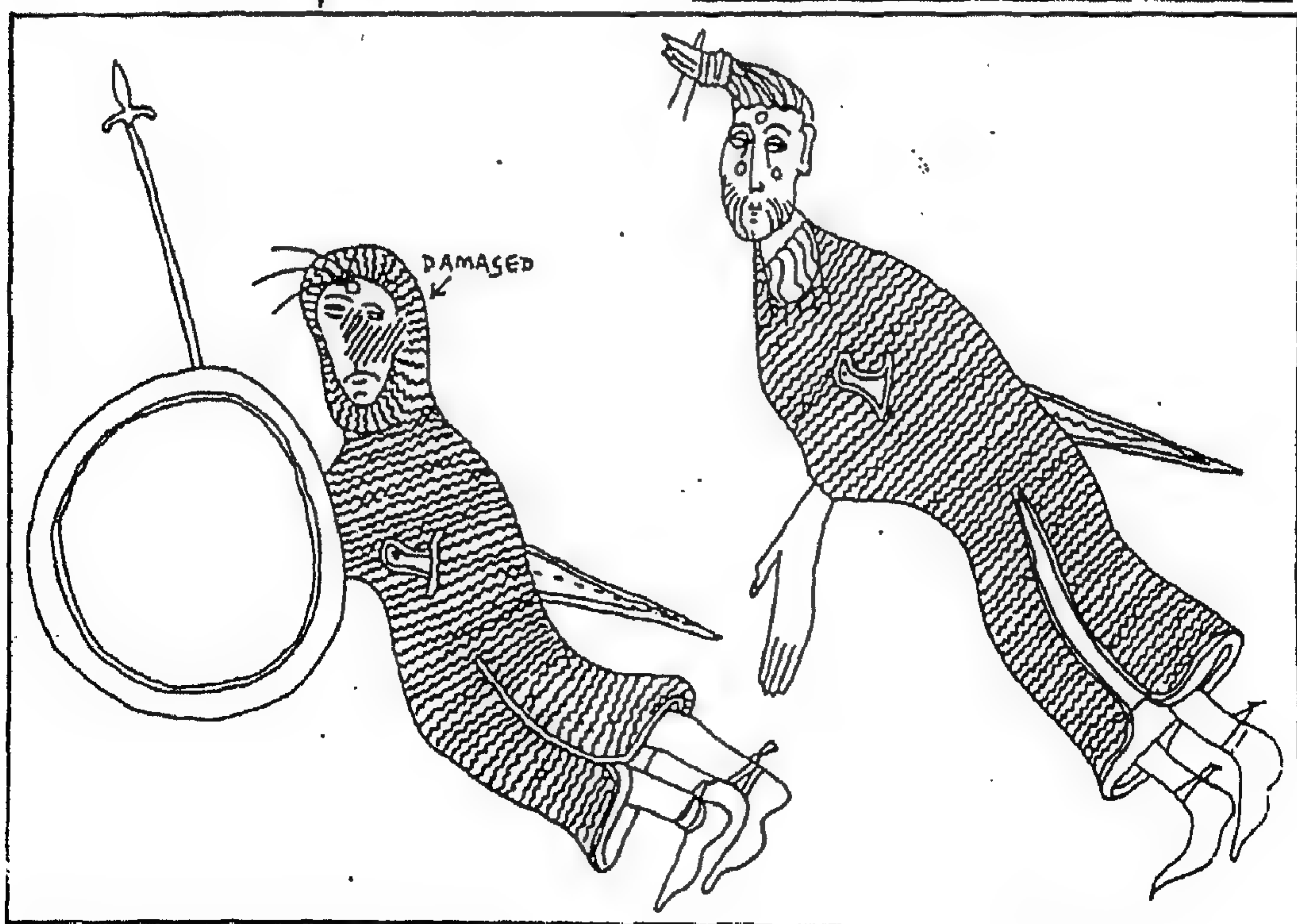
## شكل (٤)

رسم توضيحي لجندى فى ثياب حربية  
يزين قطعة من نسيج الحرير محفوظة  
فى المتحف البريطانى . بلندن من  
صناعة الأندلس . القرن ١١/١٠م  
(عن توريس فرناندس)

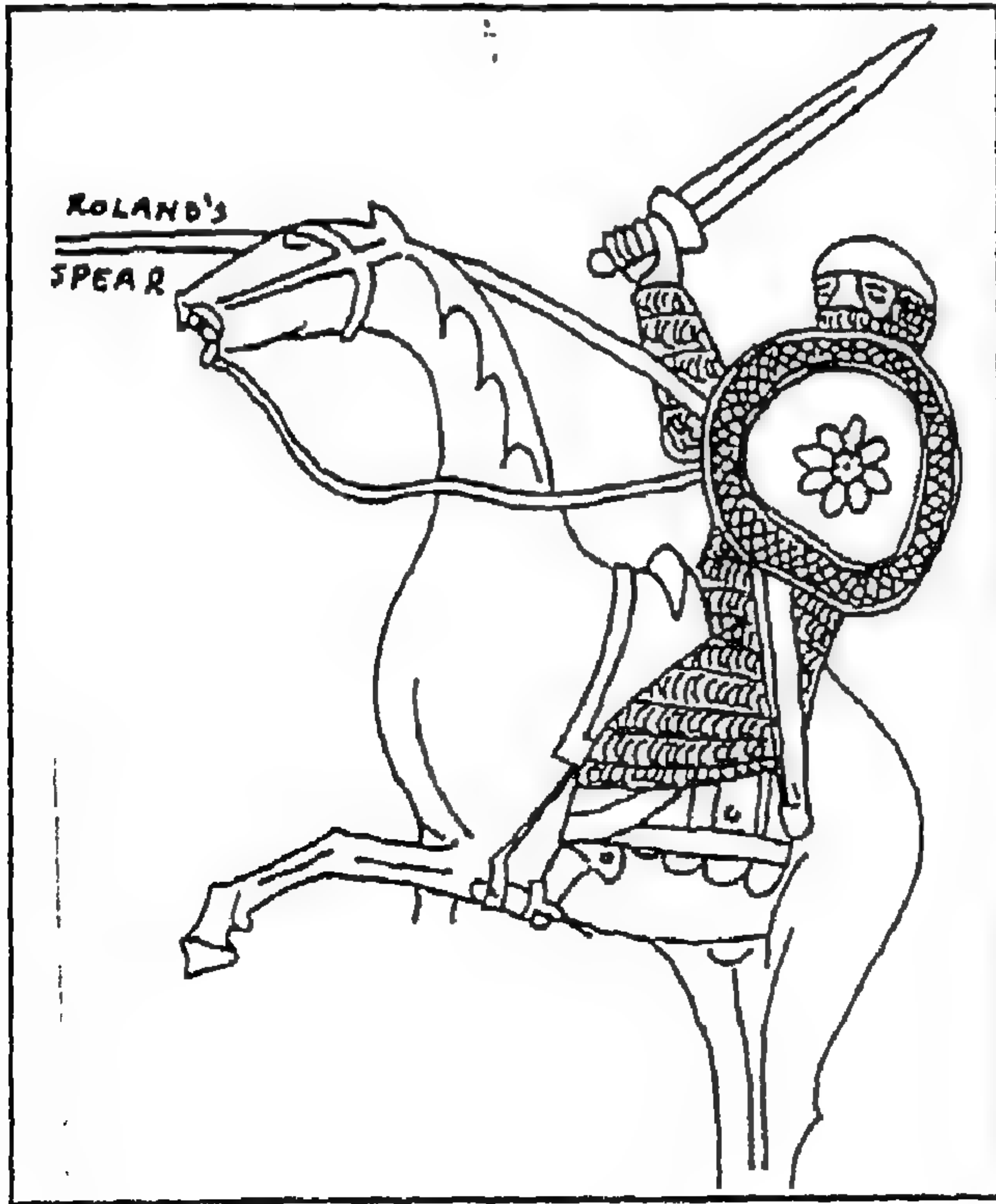
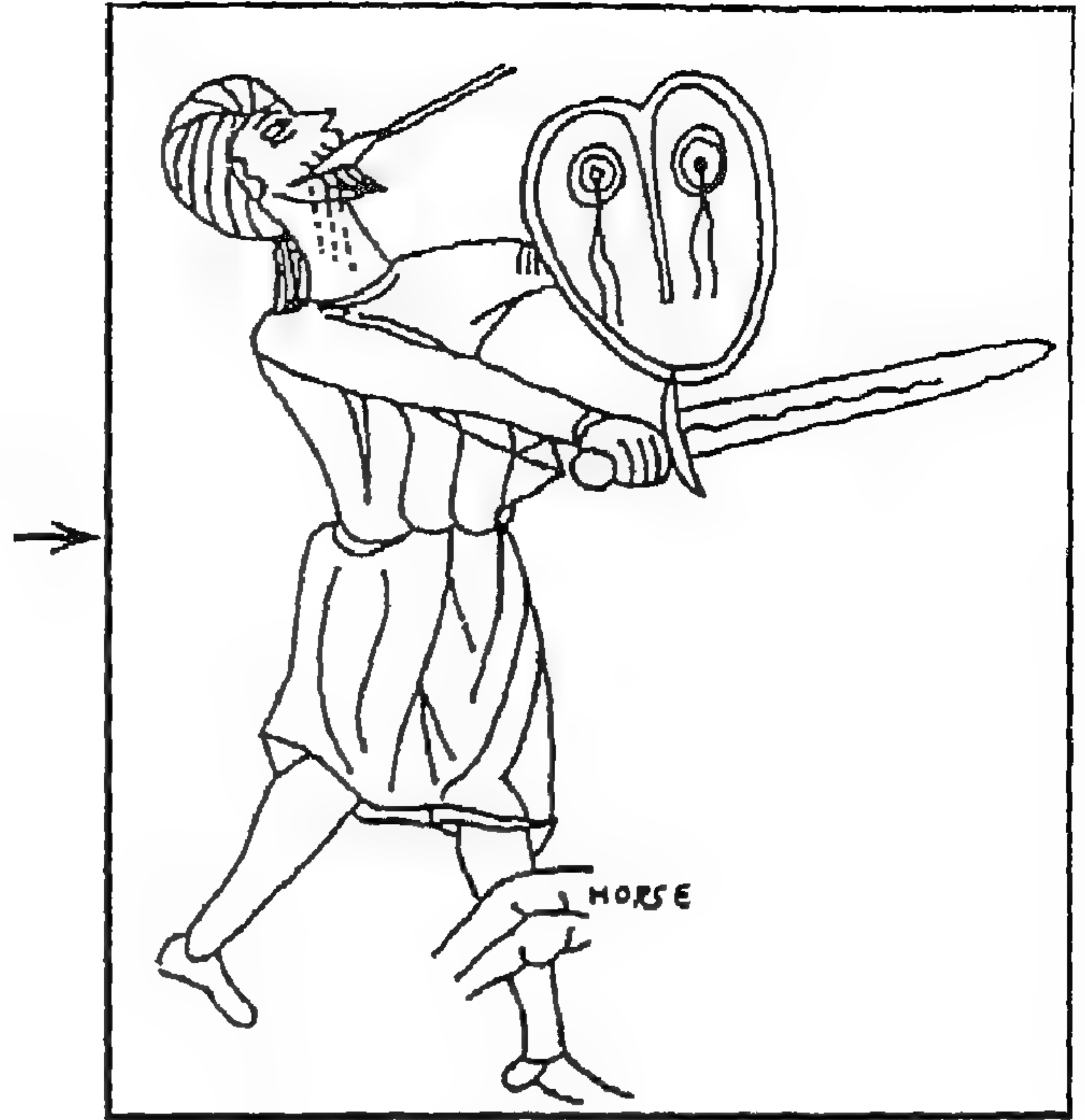


## شكل (٥)

نموذج لزيخارف جدارية كشفت عنها حفائر مدينة  
لارده . محفوظة فى متحف الفن القديم بمدينة  
لارده . القرن ١٢/١١م . (عن باقون)

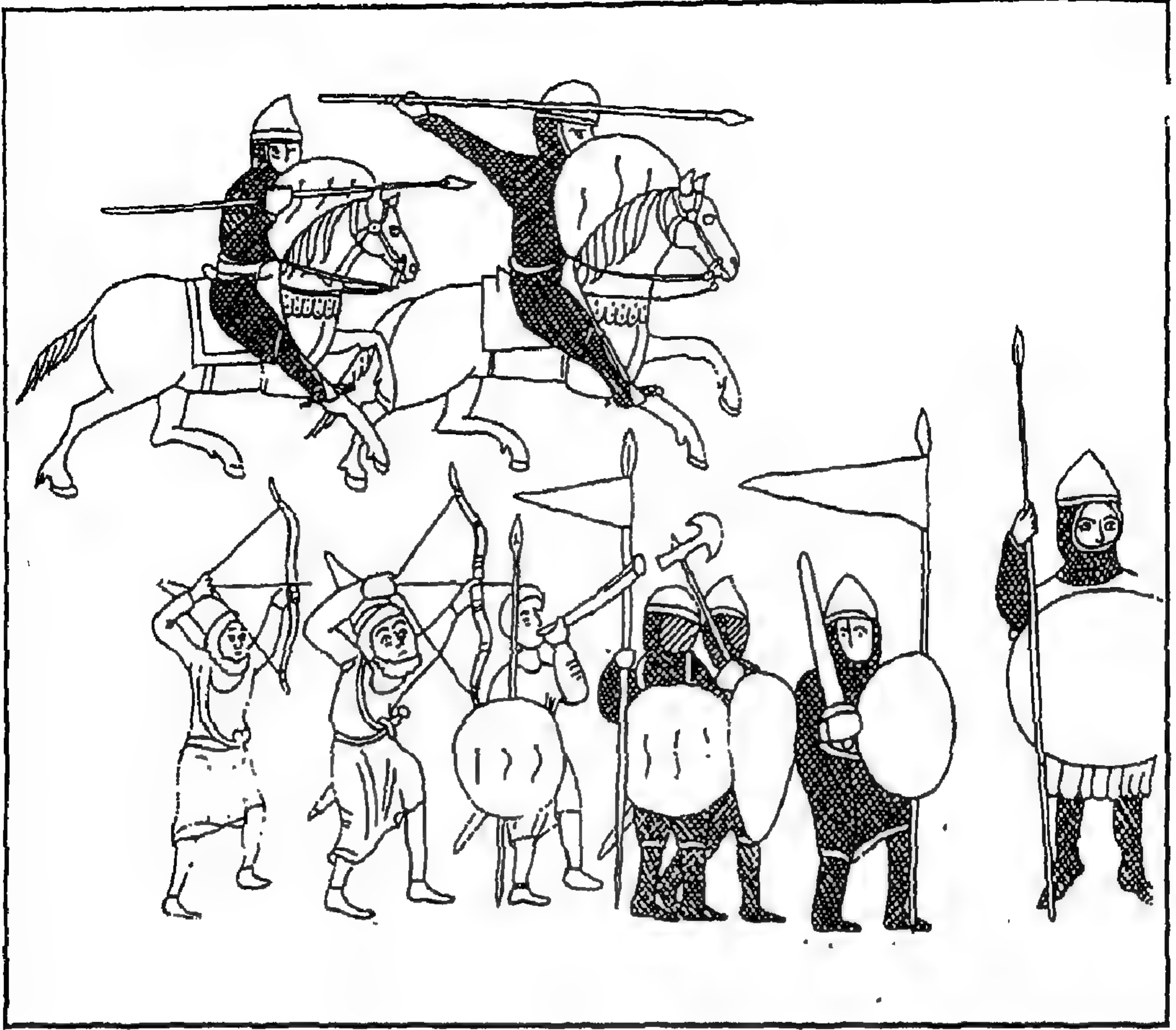


شكل (٦)  
رسم توضيحي لمحارب جدارية يشهر  
سيفه يزين جلدة مخطوط محفوظ في  
مكتبة الأسكوريال بمدريد  
(عن توريس فرناندس)



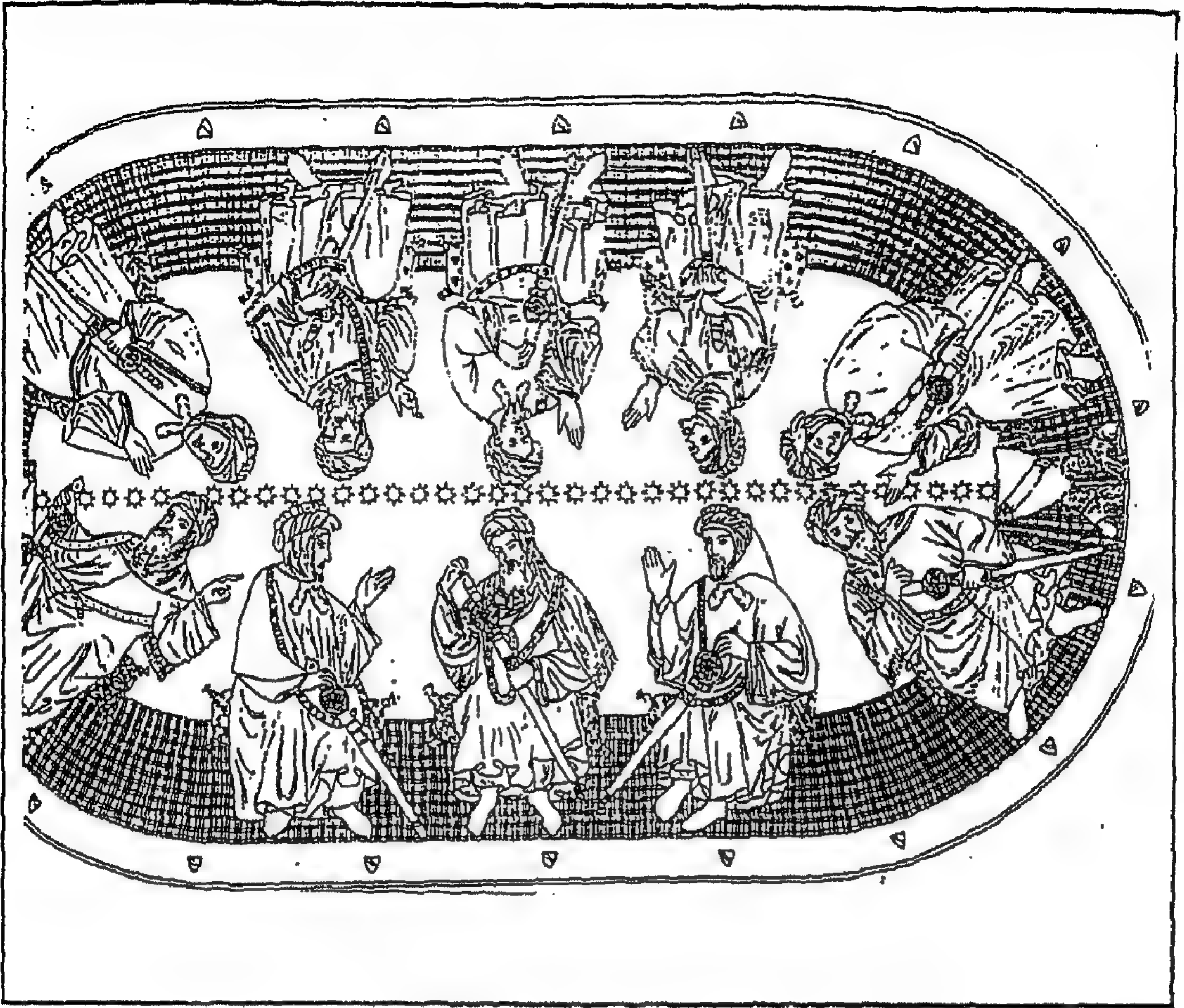
شكل (٧)  
رسم توضيحي لفارس يمتطي ويشهر سيفه  
يزين أحد تيجان الأعمدة المحفوظة في كاتدرائية سارنكة  
( القرن ٦هـ / ١٢م ) (عن بورتس)





## شكل (٨).

صورة تمثل منظر الخروج لأحد المعارك الحربية من محفوظ ألفونسو العاشر  
 المحفوظ في مجموعة مرجان بمتحف المتروبوليتان بنيويورك  
 القرن (٦هـ / ١٢م). (عن توريس فرناندس )



### شكل (٩)

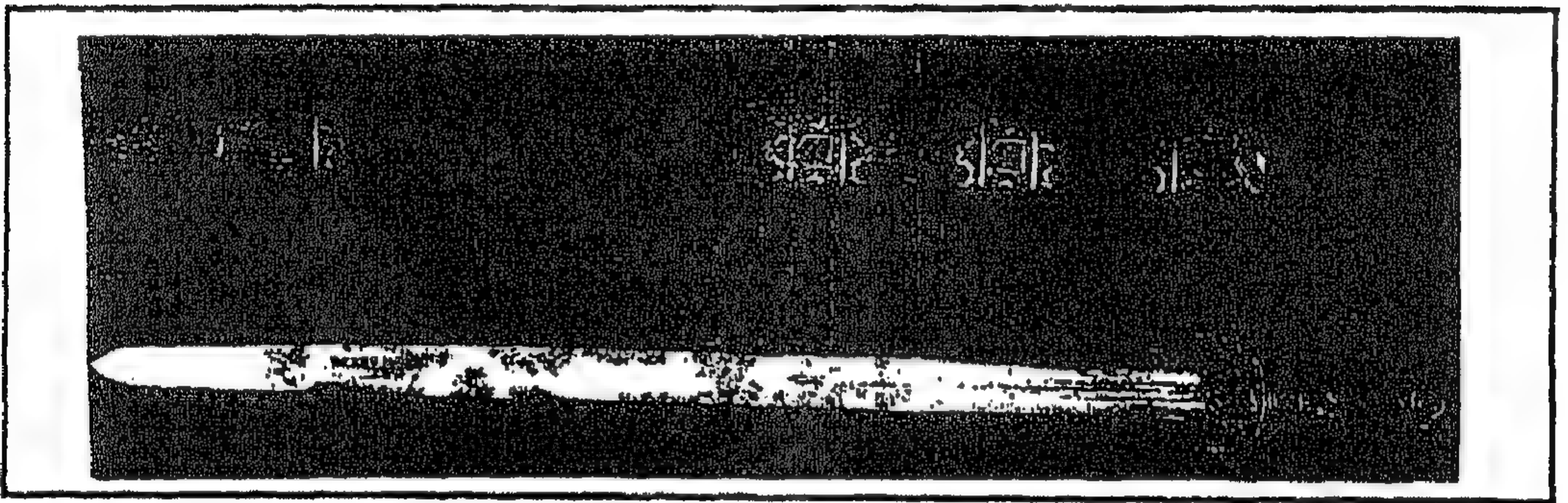
صورة تمثل عشرة من ملوك بني الأحمر في مجلس حرب بأزيائهم الحربية  
تزين قبة قائم الملوك بقصر الحمراء  
(عن مورينو)



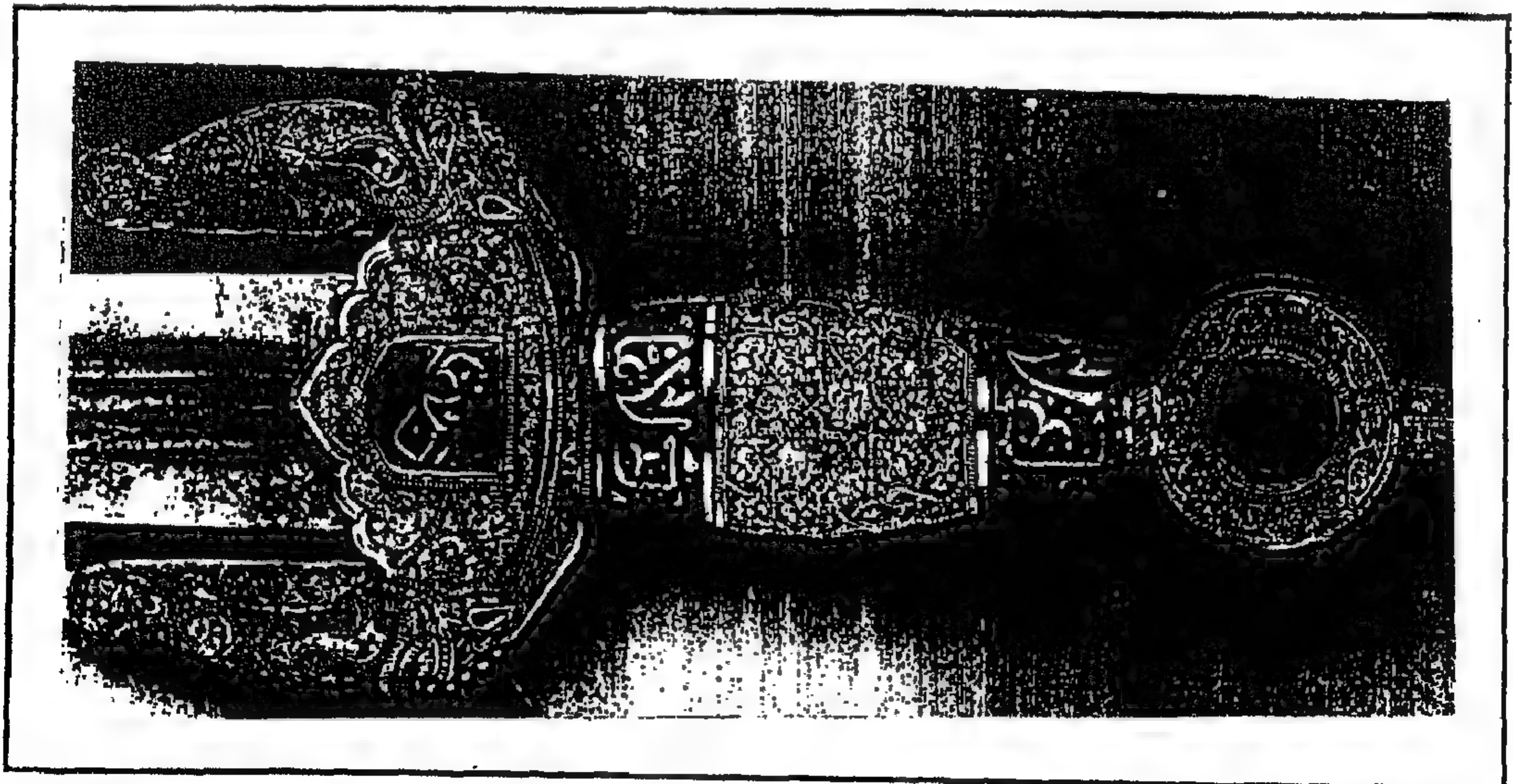


شكل (١٠)

رسم تفصيلي يمثل مشهد لحملة حربية تزين جدران قصر البرطل



لوحة (١ - أ)



لوحة (١ - ب)

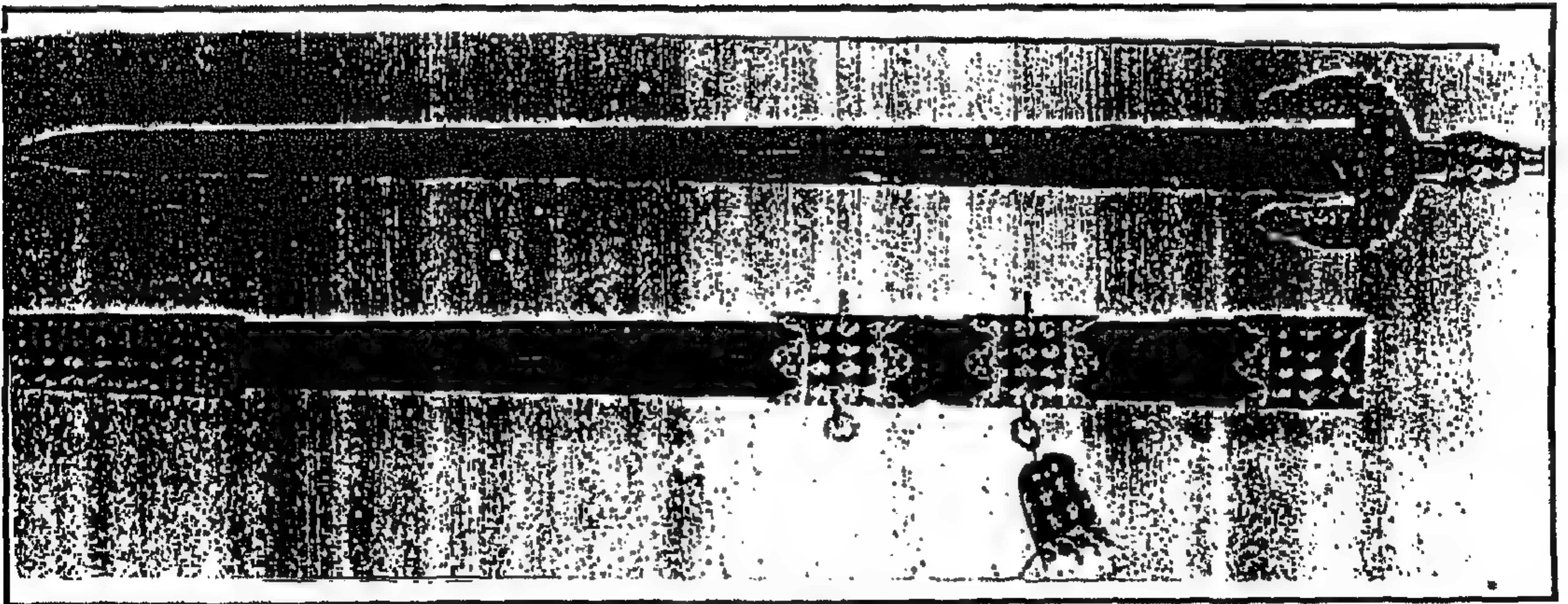
سيف محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس ( عن كتالوج الأندلس )





لوحة (٢)

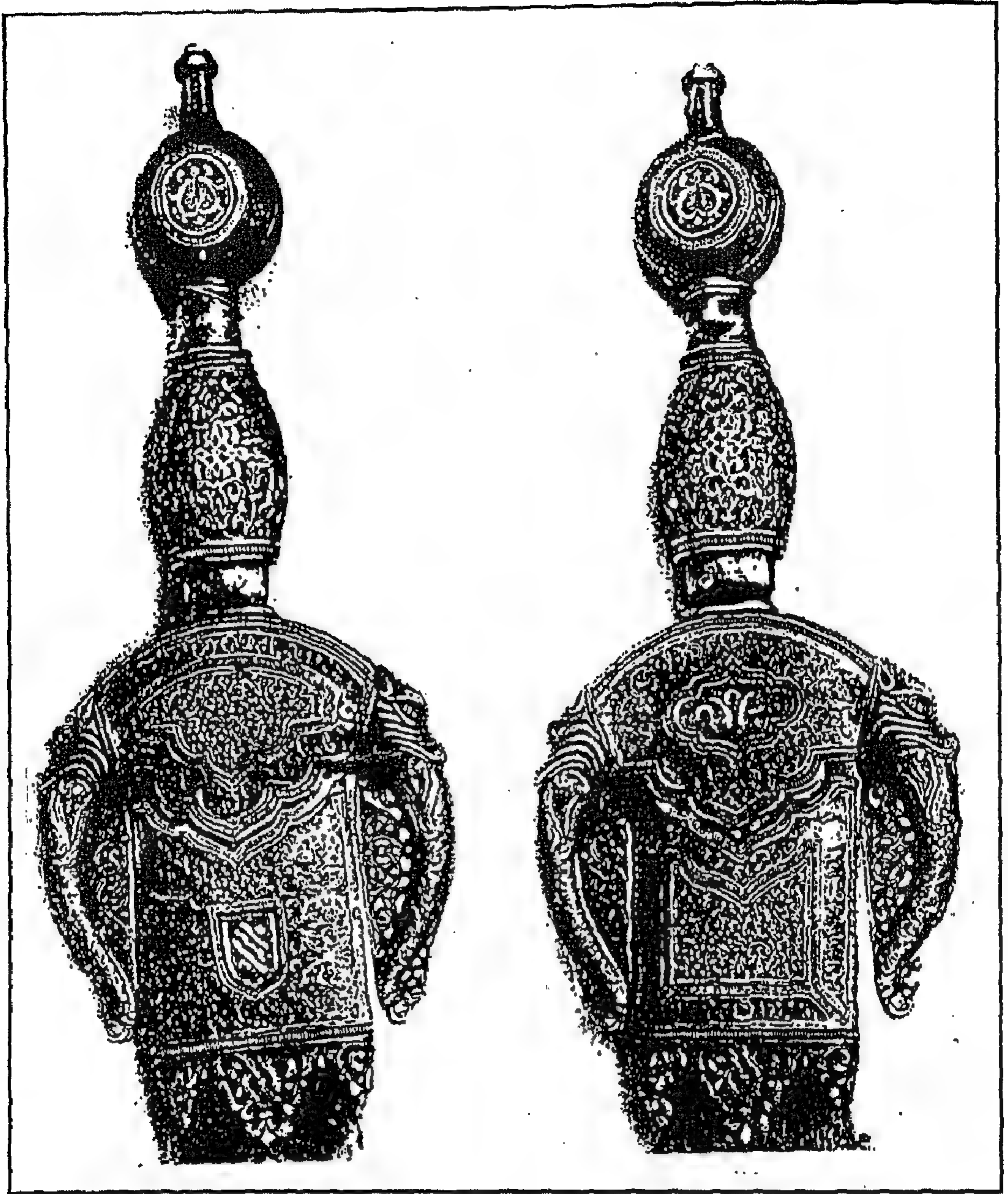
جراب السيف المحفوظ في المكتبة الوطنية بباريس (عن كتالوج الأندلس)



لوحة (٣)

سيف محفوظ في المتحف الوطني بمدينة كاسل بألمانيا (عن كتالوج الأندلس)

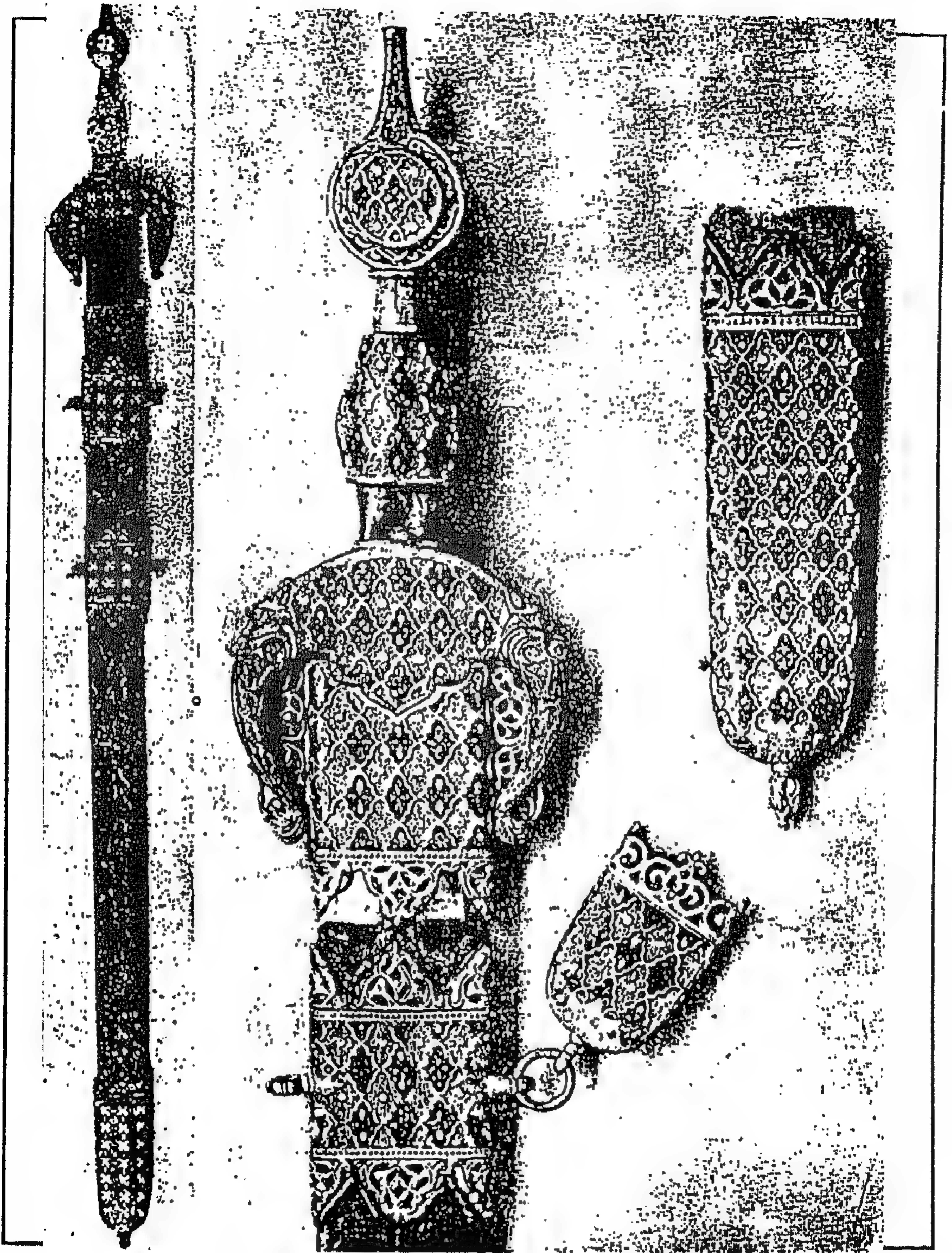




### لوحة (٤)

سيف مصنوع من الفضة المذهبة محفوظ في كنيسة  
سان تيلمودي سان بستان عن عوريس فرناند



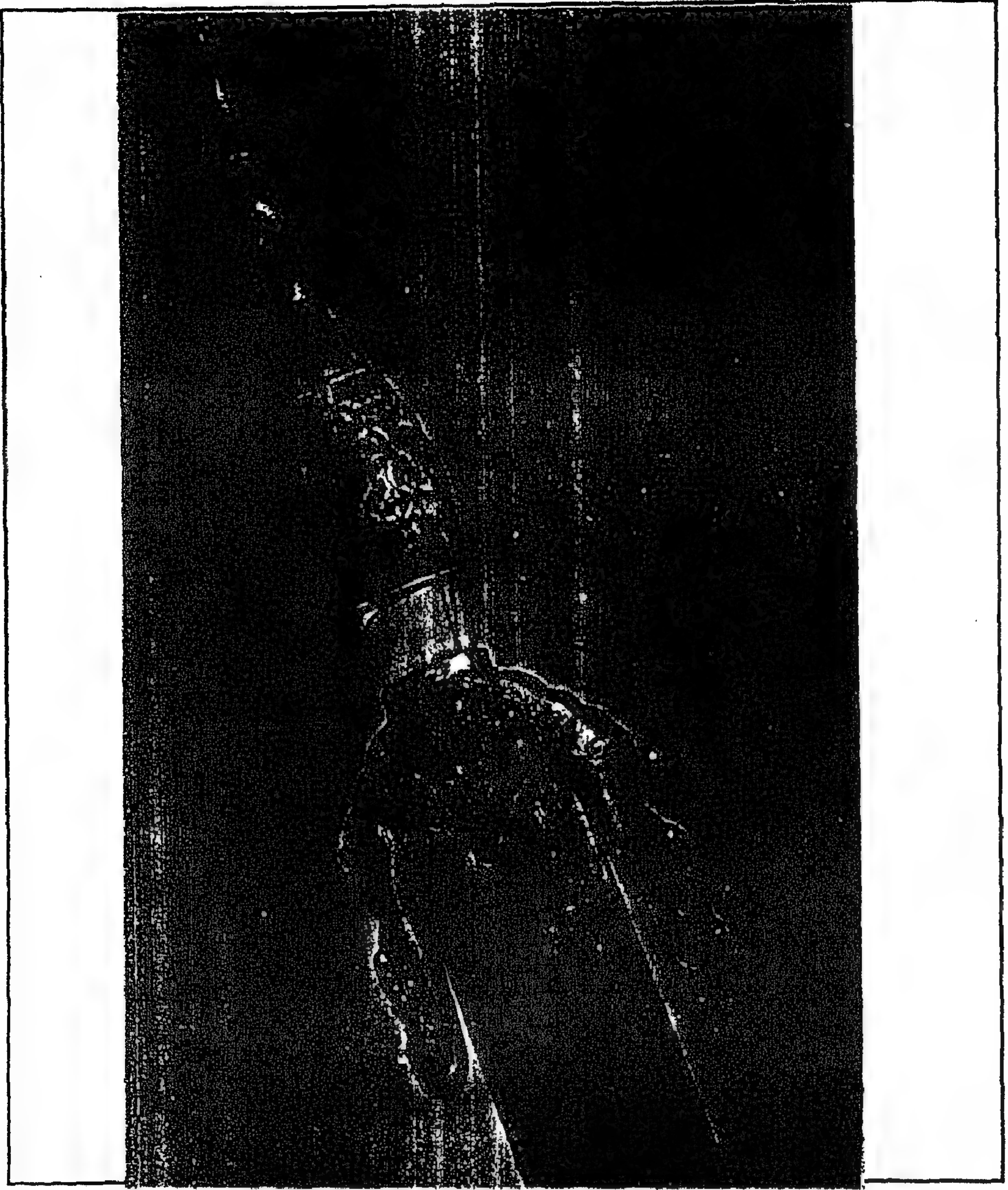


لوحة (٥)

سيف محفوظ في متحف المتروبوليتان بنيويورك

(عن توريس فرناندس)

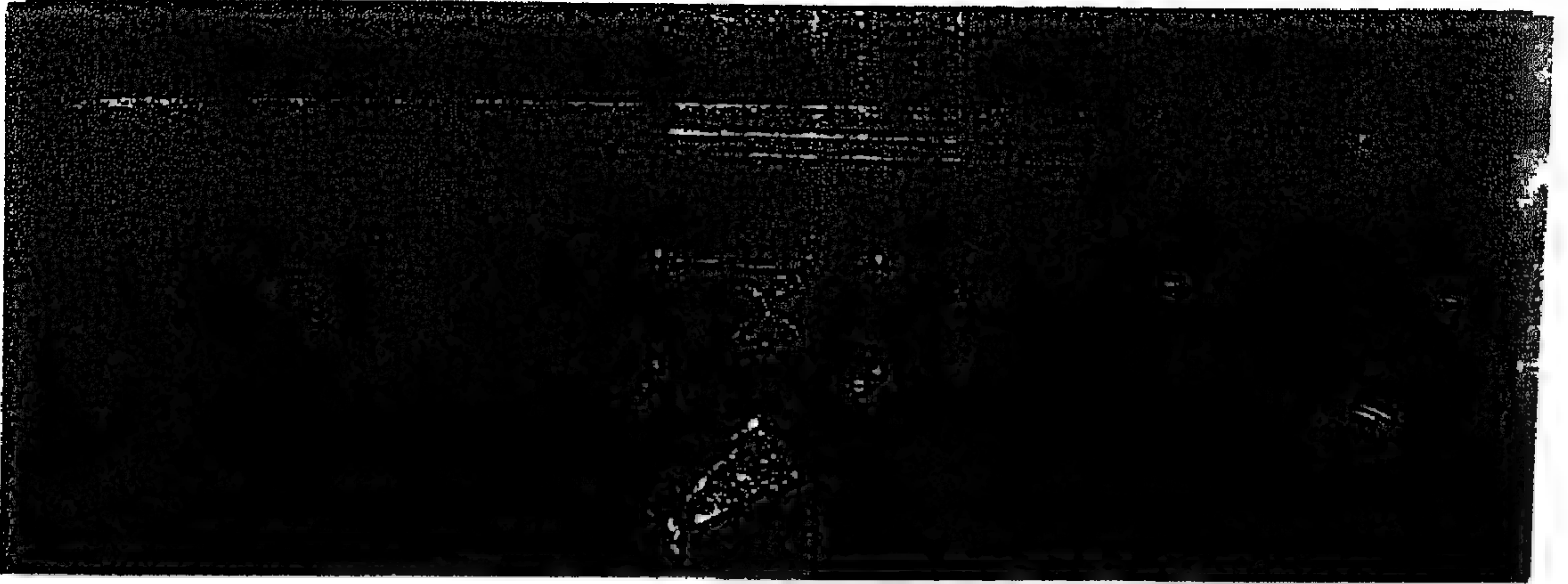




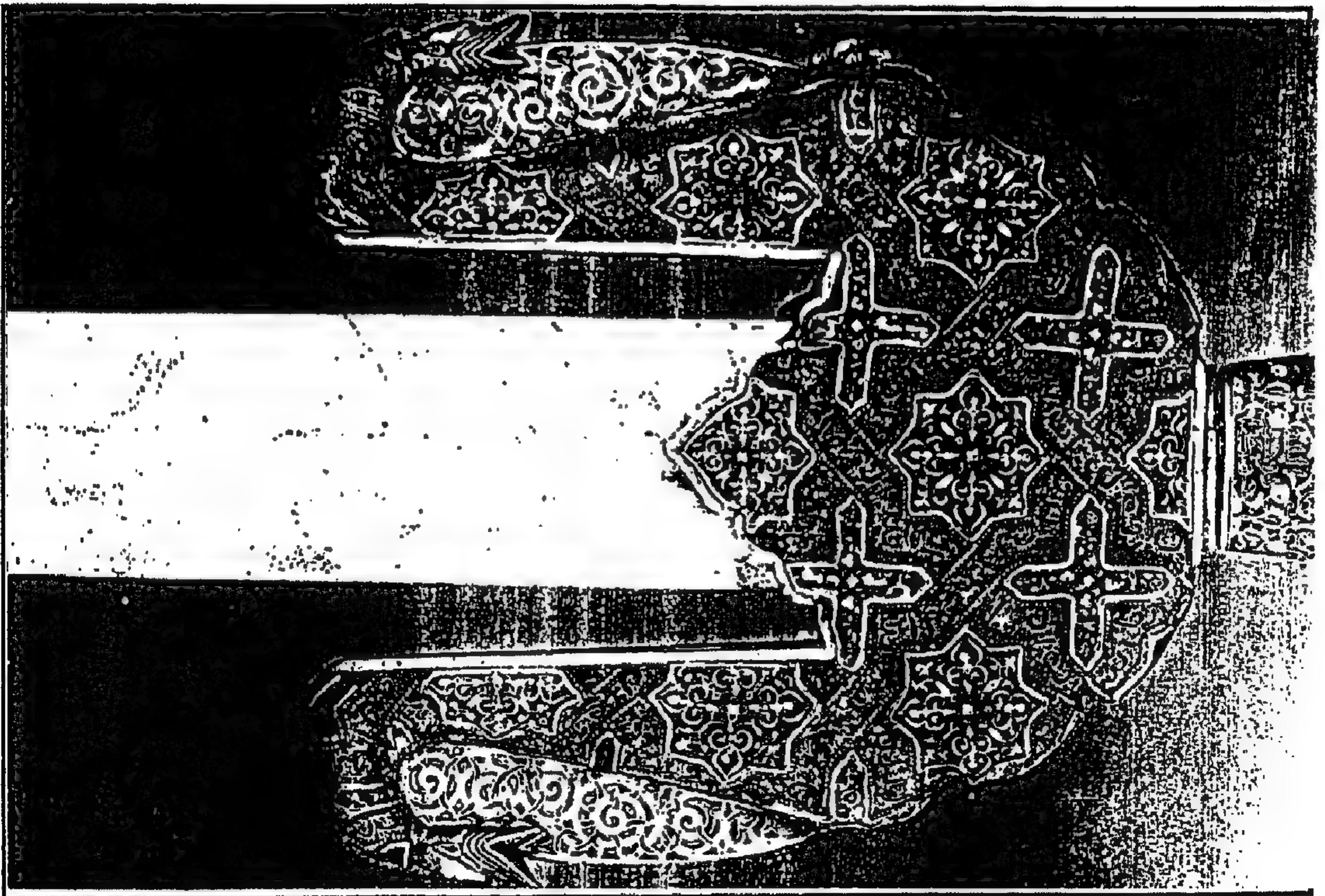
لوحة (٦)

سيف محفوظ في المتحف الحربى بمدينة مدريد  
( تصوير الباحث )



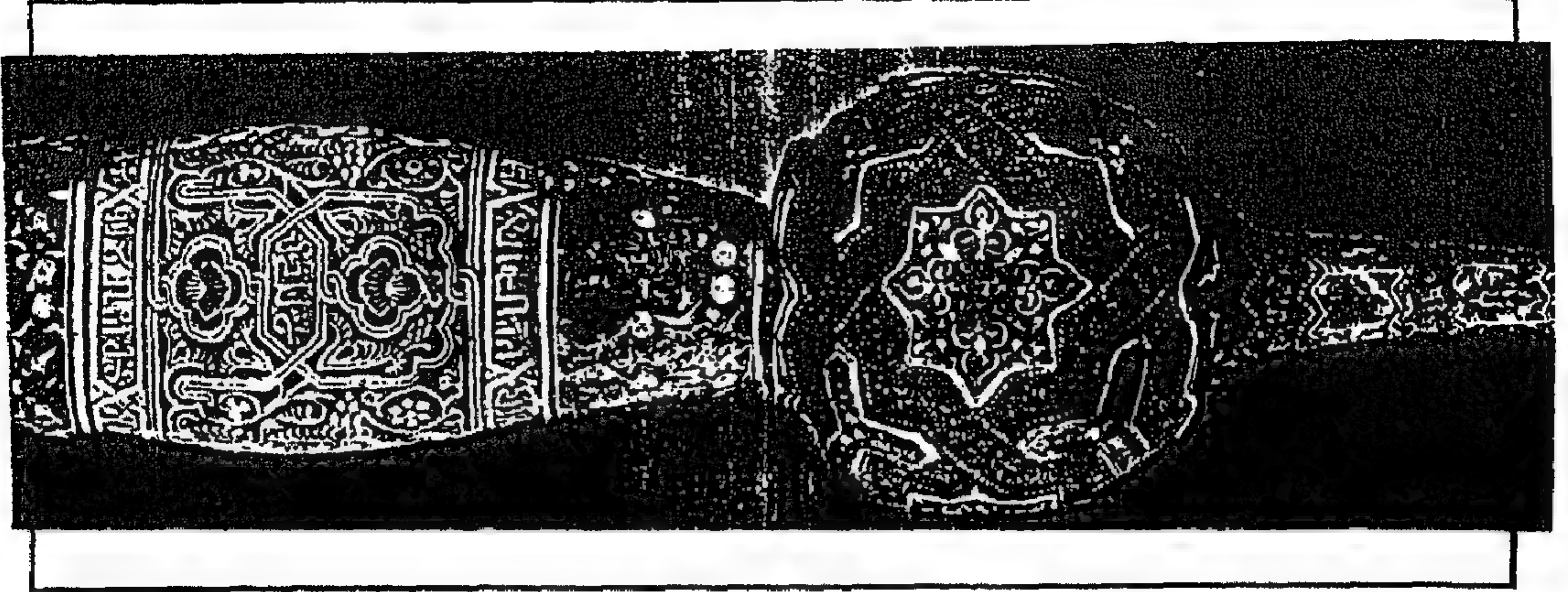


لوحة (٧ - أ.)



لوحة (٧ - ب.)





لوحة (٧-ج)

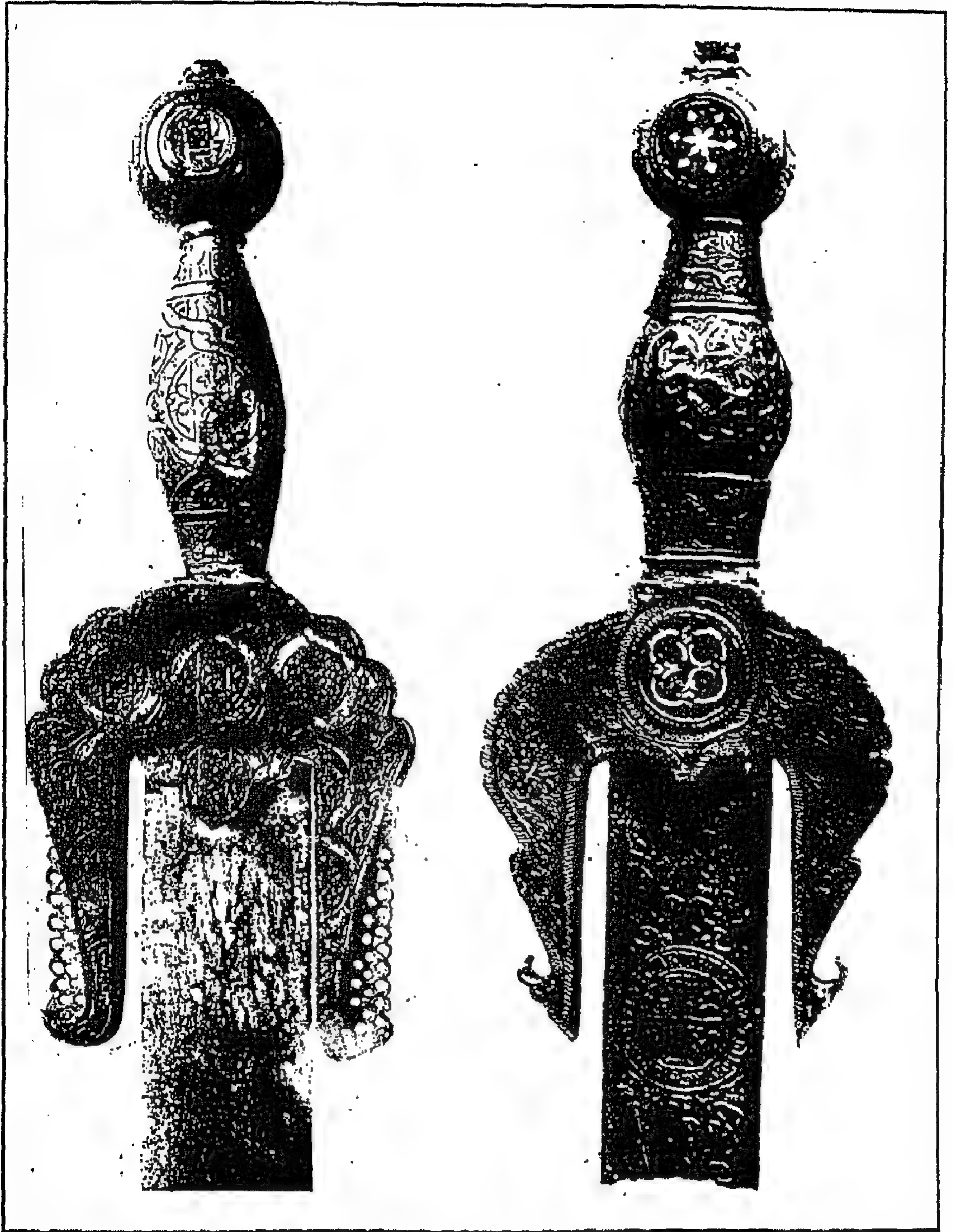
سيف محفوظ في المتحف الحربي بمدريد ينسب إلى السلطان أبي عبد الله  
(تصوير الباحث)



لوحة (٨)

سيف مصنوع من الفولاذ محفوظ في المتحف  
الوطني بمدريد  
(تصوير الباحث)

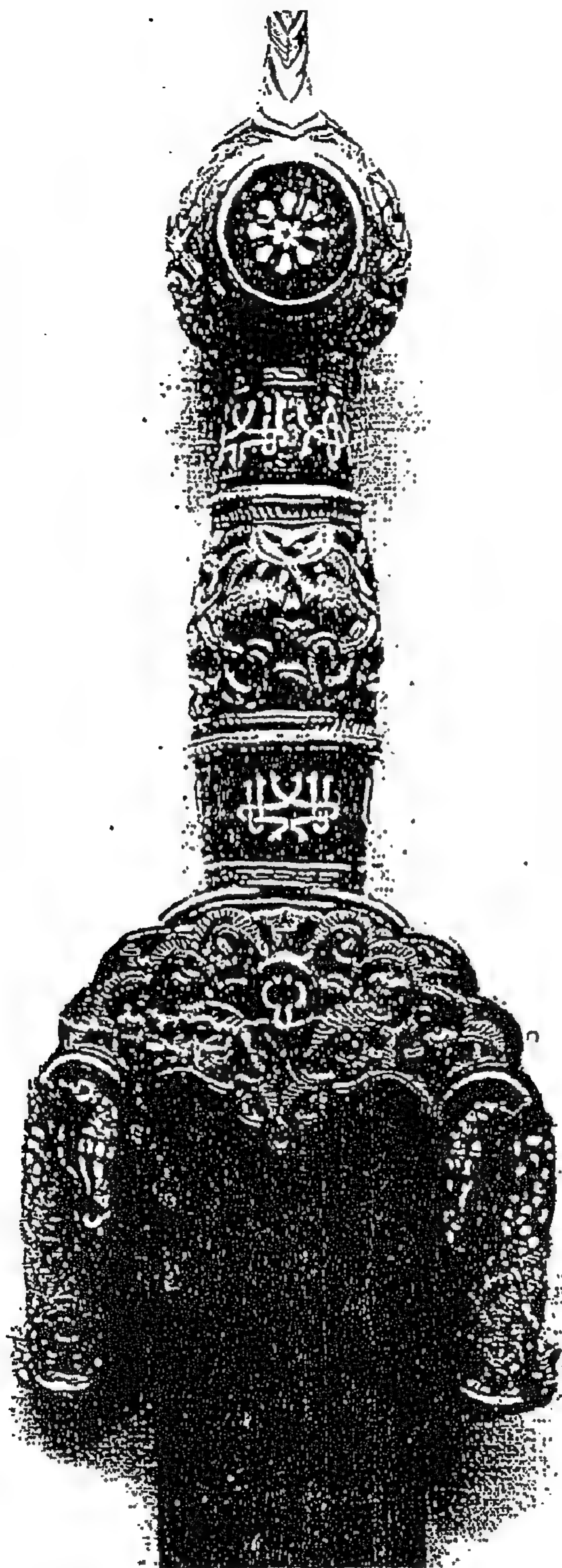




### لوحة (٩)

سيف محفوظ في متحف الحربى بمدريد . والمعروف باسم فلامنكو  
(عن تورييس فرنانديس )





لوحة (١٠)

سيف محفوظ في مجموعة الكونت لوس ماركيس دي كومنتخار  
(عن توريس فرناندس)

## الهوامش

١- المقرئ ( أحمد بن محمد ) : نفع الطبيب من غصن الأندلس الرطب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٦م ، ج١ ، ص ٢٠٢ حيث الإشارة إلى ما اكتسبته مدينة برذيل من شهرة في صناعة السيوف البرذليات المشهورة بالجودة .

٢ - ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف حيان القرطبي : المقتبس من أنباء أهل الأندلس . تحقيق : بدرو بور شاليتا و كورينطي ، محمود صبح . نشر المعهد الأسباني العربي ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ٢٢٣ ؛ ابن الخطيب ( لسان الدين أبو عبد الله محمد ) : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ، مجموعة من رسائله ، نشر د. أحمد مختار العبادي ، مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية ١٩٨٠م ، ص ٨٢ - ٨٣ .

٣ - عبد المجيد نعمي : الإسلام في طيطيلة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٢٣ . وما كان سيساعد هذه الصناعة على التقدم وفرة المواد الأولية في الجبال القريبة من مدينة طيطيلة لاسيما الحديد والنحاس . وهما معدنان أساسيان لصناعة السلاح ( راجع : الإدريسي « الشريف محمد بن عبد العزيز » : صفة المغرب والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، نشر المكتبة الثقافية الدينية ، بورسعيد ، بدون تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٥٢ .

٤ - المقرئ : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٨٩٦ .

٥ - شكل (١) = شكل

٦ - أنصال السيوف إما مستقيمة أو مقوسة ، وقد عرف الساسان ٢٢٦م - ٦٣٦م السيوف المستقيمة كما استعملت في العصر الجاهلي ، وفي صدر الإسلام . ومن الراجع أنها قد نشأت في آسيا وأن شعوبها ذات الحضارات القديمة مثل الآشوريين والبابليين قد استعملوها ، وكان يبلغ طول الواحد منها ثلاثة أقدام بما فيه المقبض ( سعاد ماهر : الفنون الإسلامية ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦م ، ص ١٤٠ .

٧ - كما تنوعت أشكال السيوف تنوعت أطرافها فهي إما ذات حد واحد أو حدين ، والمقصود بالأولى أن نصل السيف يتحول قبيل الطرف إلى نصل ذو حدين بزاوية واضحة ، وأن طرفه يزداد تدريجياً . ( أما الثاني فيكون حده مساوياً لامتداد نصله مع مراعاة أن انحناء خط النصل يتفق مع حركة معصم اليد ) سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ١٤١ - ١٤٢ ، الأسلحة الإسلامية " السيوف والدروع " ، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤١١هـ ، ص ٢٠ .

٨ - الشطبة وجمعها شطب ، وهي طرائق السيف أو قنواته وقد فسرهما البيروني بقوله ( والشطب من السيوف الذي فيه طرائق ، كالجداول معمولة فريما كانت مرتفعة وربما كانت منحدره . وهذا الانحدر



الذى ذكر لا يكون إلا إذا كانت الجدول واحداً . وأما إذا كانت الجداول أكثر من واحد فالمرتفع هو بين كل جدولين ( البيرونى أبو الريحان محمد بن أحمد ) : الجماهر فى معرفة الجواهر ، بيروت ، عالم الكتب ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج ١٢ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

- ويبدو أن الهدف من عمل هذه الشطوب أو القنوات فى نصل السيف هو تخفيف لبنته وتقليل وزنه مع زيادة قوته فكلما ضاقت الشطوب أو القنوات كان النصل متيناً ( عبد الرحمن زكى ، السيف فى العالم الإسلامى ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٥٧م ، ص ١٧٧ ) .

٩ - شكل ٢ .

١٠ - ابن حيان ( أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبى ) : كتاب المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، ج ٥ ، تحقيق بدرو شالميتا ، كورينطى ، د. د. محمود صبيح : نشر المعهد الأسباني العربى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط ، مدريد ١٩٧٩م ، ص ٢٦٨ .

١١ - عبد الرحمن زكى : أنواع السيوف الإسلامية ومميزاتها عند المؤلفين العرب ، مجلة المعهد المصرى ، المجلد الخامس ، العدد ( ٢٢١ ) مدريد ١٩٥٦م ، ص ٥٣ .

١٢ - ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

١٣ - ابن حيان : المقتبس ( القطعة الخاصة بعصر الحكم المستنصر ، نشر عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٨٣م ، ص ١٢٨ .

١٤ - نفس المصدر ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

١٥ - المقرئ : ج ٣ ، ص ٥٨٥ .

١٦ - ابن حيان : المقتبس ، نشر الحجى ، ص ١٤٣ .

١٧ - نفس المصدر ، ص ١٢٨ ، ٢٨٠ .

١٨ - نفس المصدر ، ص ١٣٢ .

١٩ - نفس المصدر ، ج ٢ ، نشر بدرو شالميتا ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ؛

- Garcia Gomez (Emilio) : Notas Sobre la Topografia Cardobesa en Las anales de Al Hak-am, II, Parisa Raz. Al-andalus, Vol, III, 1965, Fasc, 2 , p. 164 .

٢٠ - شكل رقم (٤) .

٢١ - الأسلحة الإسلامية ، معرض مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ص ٢٧ .

22 - Balbas (Leopoldo Torres) : Ars Hispaniae T.IV: Art Almohade, arte Nasari, arte Mude-jar, Madrid, 1949, p. 231 .

- السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية ١٩٨٥ ، ص ٢٧٣ .

23 - Migon ( Gaston) : Manuel d' art Musulman, Les arts Plastiques et Industriels. Tom. I, Paris, 1927. pp. 240-242 .

#### ٢٤ - شكل ( ٩ )

25 - Torres ( J. Ferrandis) : Espadas Granadinas De La Jineta ( Archivo Espanol de Art. N, 55. Enero, Febrero, Madrid, 1943, p. 142 .

26 - Torres Ferrandis, Op. Cit, p. 152 .

27 - Soler (Alvaro) : Conservador Meal Armeria, Madrid, Catalogue Alandalus, The Metropolitan Museum of Art, New York, 1992, p. 288 .

٢٨ - تعاقب على عرش غرناطة بعد وفاة السلطان محمد الخامس فى عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩١م عدد من السلاطين الضعاف اضطرت خلال عهودهم الأوضاع الداخلية لمملكة غرناطة بسبب الثورات المتكررة والانقلابات السياسية وقد بلغ من سوء الأوضاع السياسية فى مملكة غرناطة أنه قد تعاقب على عرشها خلال القرن ٩ هـ / ١٥م ما يقرب من اثنا عشر سلطاناً ( أحمد محمد الطوخي : مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر . نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧م ، ص ٤٤ ) .

٢٩ - فى عام ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣م وقع السلطان أبو عبد الله بن محمد أسيراً فى يد الأسبان بعد هزيمته فى موقعة اللسانة التى دارت بين المسلمين والنصارى ثم أطلقوا سراحه بعد أن قضى فى أسره فى بلاط الملكين الكاثوليكين زهاء ثلاثة أعوام وعاد إلى غرناطة بعد أن أملاوا عليه كل شروطهم . وربما أخذ منه سلاحه وثيابه الملكية يومئذ عنواناً لظفر النصارى وتذكيراً من هذا الأسير الملكى (لمزيد من التفاصيل . راجع مؤلف مجهول " نبذة العصر فى أخبار ملوك بنى نصر أو تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب . تحقيق . ألفريد البستاني ، وترجمة كارلوس كيروس ، العرائشى ، ١٩٤٠م ، ص ١٠ - ١٢ كذلك راجع عبد الحميد العبادى . المجلد فى تاريخ الأندلس . القاهرة ١٩٥٨م ، ص ١٩٢ ، محمد بن عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال : القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٦م ، ص ٢٦٤ .

30 - Puertas ( Antonio Fernandez) : La Fachada del Palacio de Comares. Granaa, Mcmlxxx. P. 84 .

٣١ - عبد الرحمن زكى : النقوش والكتابات على السيوف . مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الخامس ، ص ٢٣٨ .

#### ٣٢ - شكل ( ١٠ )

- اسم البرطل الذى أطلق على هذا القصر يعنى الظلة التى تقوم على بانكته الراقعة بين برج السيدات والمصلى الصغير الملحق به ( Torres Balbas Las Casas del Partal de la Alhambra de Granaa ) ويؤكد الأستاذ-توريس بلباس على أن هذا القصر وبرجه المعروف



ببرج السيدان قد شيئا في عهد أبى الوليد إسماعيل خامس سلاطين بنى نصر ( ٧٢٣ - ٧٢٥ هـ / ١٣١٤-١٣٢٥ م) أو قبل عهده بسنوات قليلة (Torres Balbas : Cronlogia Real de La Alham- bra. Alandalus, V. XXIV, 1959, p. 402 ) وتمثل الزخارف المذكورة على إحدى دور ثلاثة كانت تتصل بقصر البرطل ، والتي اصطلح علي تسميتها بين مؤرخي الفن باسم قاعة الرسومات نسبة لـزخارفها الجدارية المرسومة والتي تصور موضوعات متباينة بعضها يسجل مناظر من الحياة اليومية وبعضها الآخر يمثل مشهداً لـحملة حربية . وتعد هذه الزخارف من بين الموضوعات الزخرفية المختلفة التي انتقلت إلى الأندلس من المشرق . - Torres Balbas: Las Casas del Partal, p. 190; Ibid: Ars Hispiani- ae, T, IV; Arte Almohade, art Nasari, art Mudejar. P. 124 .

- ولزبد من التفاصيل عن هذا القصر راجع : كمال عناني إسماعيل : عمارة القصور الإسلامية في الأندلس وتطورها . مخطوط رسالة دكتورة ، إسكندرية ١٩٩٥ م ، ص ٢٢٨ - ٢٣٠ .

### ٣٣ - لوحة ( ١ - أ )

34 - Babelon (Ernest) : Guide illustre Au Cabinet de Medailles et Antiques de La Biblio- theque Nationale, Paris, 1900, p. 276 ; Ferrandis Torres: Op, Cit., p. 157 ; Tarres Balbas: Op. Cit., p. 233 .

٣٥ - الجوهر مصطلح فني يستخدم في مجال صناعة أنصال السيوف للتعبير عن ظاهرة الخطوط المتداخلة والمتباينة الألوان والأشكال والأوضاع على صفحات النصول فهي خطوط ناعمة متداخلة على شكل النسيج الشبكي أو هي على شكل يقسم النصل إلى مسافات قصيرة متساوية أو على شكل عقد متناسقة متقاربة . وربما تكون على شكل خطوط عريضة تشكل بقعاً مستديرة أو مستطيلة وأحياناً خطوط متعرجة أو متوازية . ويرجع هذا الاختلاف ، إما إلى التغير في نسب الشوائب الداخلة في الخليط الفولاذي للنصل أو إلى التغير في الطرقت الحرارية من أسقاء أو إحماء وتبطين وتحكم في درجات حرارة كل منها ، وينقسم الجوهر إلى ثلاثة أنواع رئيسة هي الجوهر الدمشقي والجوهر الفارسي والجوهر الهندي ... ولكل نوع منها سمات تميزه عن الآخر . ( لمزيد من التفاصيل ، راجع : الأسلحة الإسلامية ، معرض الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ص ١٦ - ١٨ ) ؛ سعاد ماهر : السيف المنسوب إلي الرسول ﷺ ، والموجود بمشهد الإمام الحسين رضوان الله عليه ، مجلة كلية الآثار . جامعة القاهرة . يناير ١٩٧٦ م ، ص ٢٣ .

36 - Ferreandis Torres: Op. Cit, p. 152 .

٣٧ - النيلو عبارة عن مادة معدنية سوداء تتكون من مسحوق الرصاص والنحاس والبورق والكبريت وملح النشادر ويتم مزج هذه المواد معاً على هيئة سائل يصب وهو ساخن في الأماكن المحفورة من التحفة ثم يتم صقلها فيظهر لمعانها .

- راجع : زكي حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٠ م ، ص ٢٣٢ ، وقد ظهر أسلوب الزخرفة بالنيلو في الأندلس لأول مرة على التحف المعدنية في منتصف

القرن ٤هـ / ١٠م أى فى عصر الخلافة . ومن الغريب أن هذا الأسلوب فى الزخرفة اختفى من زخارف المعادن لاسيما البرونزية قرابة ثلاثة قرون ونصف ثم عاد للظهور فى عصر بنى نصر بنفس خصائصه الفنية التى كان عليها فى عصر الخلافة ( حنان عبد الفتاح مطاوع : التحف والصناعات المعدنية فى الأندلس منذ قيام الدولة الأموية وحتى سقوط مملكة بنى الأحمر : مخطوط رسالتدكتوراة. إسكندرية، ١٩٩٦م، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .

٣٨ - المينا : مادة كالزجاج نصف شفافة تستخدم فقط لزخرفة المعادن وتتركب من مسحوق الرصاص والنحاس والبورق والكبريت وملح النشادر تمزج معاً فيتكون منها سائل يصب وهو ساخن فى الأماكن المحفورة على التحفة . وإذا ما برد لونها الأسود يصقل حتى يظهر لمعانه : محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، القاهرة ١٩٨٧م ، ص ١٤٩ . ويمكن إعطاء المينا ألواناً مختلفة بأن يضاف إليها بعض الأكاسيد فنستطيع مثلاً أن نحصل بأكاسيد القصدير على المينا البيضاء ، وبأكاسيد الكوبالت على المينا الزرقاء ، بأكسيد النحاس على المينا الخضراء ( كريستان أرنولد بريجز : الفنون الإسلامية الفرعية وتأثيرها فى الفنون الأوروبية : ترجمة د. زكى حسن . ( من بحوث كتاب تراث الإسلام ج١ ، القاهرة ١٩٨٣م ، ص ٣٥ حاشية (١) ، وقد بدأ استعمال المينا فى زخارف التحف المعدنية الأندلسية لاسيما الذهبية منها فى منتصف القرن ٤هـ / ١٠م . راجع : حنان مطاوع : المرجع السابق ، ص ٤٠٤ ) .

٣٩ - حظيت أشكال المراوح النخيلية بنوعيتها البسيط والمركب بتقبل واسع النطاق لدى فناني عصر بنى نصر ، وبرزت فى زخارف المعادن على نحو رائع وبصورة متطورة عن صورتها فى كل العصور السابقة حيث ظهرت لها أشكال متنوعة بلغت اثني عشر شكلاً مرت خلال مراحل تطورها بسبع مراحل ( لمزيد من التفاصيل عن المراحل التى مرت بها أشكال المراوح النخيلية على التحف المعدنية فى عصر بنى نصر ، راجع : حنان مطاوع : المرجع السابق ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، وتمثل الزخرفة الموجودة على مقبض هذا السيف المرحلة السابعة من مراحل تطور المراوح النخيلية والتى جنحت فيها نحو التجريد الواضح حيث بلغت أقصى درجات تعافتها وأصبحت تشير بشكلها إعجاب المتأمل فيها . ويجدر بنا الإشارة إلى أن هذا النوع من الزخرفة النباتية لاقى رواجاً كبيراً فى زخارف المنشآت والتحف الأندلسية . ومن المحتمل أنه انتقل إلى الأندلس مباشرة من الفنون المشرقية الإسلامية الأموية والعباسية أو عبر القيروان فى عصر الأغالبة .

40 - Maldonado ( Basilio Pavon) : Influencias Occidentales en el arte de Califato de Cordoba.

Alandalus, V, XXXIII, 1967, p. 219 .

٤١ - لوحة ( ١ - ب ) .

٤٢ - لوحة ( ٢ )

43 - Alvaro Soler : Conservador Real armeria Madrid, (Catalogue Alandalus), p. 286. No



٤٤ - لوحة (٣) .

٤٥ - شغلت الأشكال النجمية مكاناً مهماً في زخارف المعادن الأندلسية ، وامتازت بتنوع صورها وتعدد رؤوسها التي تراوحت ما بين خمسة إلى عشرة رؤوس ، وقد ظهر هذا التكوين النجمي الذي يتألف من ثمانية رؤوس لأول مرة على المعادن الأندلسية في عصر الطوائف ولم يتابع ظهوره إلا في عصر بني نصر وخلال هذا العصر طرأ تطور واضح على هذا التشكيل النجمي حيث ظهرت النجمة المشتملة مفرغة داخل شكل نجمي ثلاثي أو رباعي الرؤوس أو داخل خطوط مزدوجة مترابطة تؤلف في مجموعها شكلاً شبيه بطبق نجمي ( حنان مطاوع : المرجع السابق ، ص ٤٦١ .

46 - Alvaro Soler : Conservado real armeria , pp. 286 - 287 .

47 - Ferrandis Torres : Espadas Granadinas, p. 162 .

٤٨ - لوحة ( ٤ ) .

49 - Ferrandis Tarres: Op. Cit., p. 162 .

٥٠ - لوحة ( ٥ ) .

51 - Cossan (Le Barande) : Le Cabinet d'armes de Maurie, de Talleyrand, Perigord, Duc.

De Dimo, Paris, 1901, p. 53 .

- وينو سراج Abencerrages ينسبون في الأصل إلى قبيلة قضاة اليمانية ، وقد عهد إليهم الأمويون حراسة سواحل إقليم بجاية في شرق الأندلس وقد ظهر اسم هذه الأسرة في القرن ٩ هـ / ١٥ م حينما لعبت المنافسة بينهم وبين أسرة الثغريين دوراً خطيراً في سياسة غرناطة . أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٧ م ، ص ٢٣٢ (حاشية ٣) .

٥٢ - لوحة (٦٠) .

٥٣ - الأمير على العطار الذي ينسب إليه هذا السيف هو بطل من أبطال الصراع الأخير بين المسلمين والنصارى وكان يرتبط بملك غرناطة السلطان أبي عبد الله برباط المصاهرة إذ كان السلطان متزوجاً بابنته مريم . وقد أبدى القائد على العطار بسالة نادرة في الدفاع عن مدينة لوشة التي كان قائداً لحاميتها عندما هاجمها النصارى في عام ١٤٨٢ م ، وكان يومئذ في الثمانين من عمره ، ورغم شيوخته كان أشجع وأبرع فرسان الأندلس . وقد أخذ السيف المذكور في معركة اللسانة التي خاضها ضد النصارى مع السلطان ابن عبد الله وأسر فيها معه .

(Fernandez) Francisco Gonzalaz: Espadas Hispano - arabes en Museo Espanol de Autigueda des Vol, 5. Madrid, 1875, p. 390 ; Torres Balbas: Ars Hispaniae, p. 233 .

محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٦٤ ؛ عبد الرحمن زكي : صناعة السيف الإسلامي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمديرد ، المجلد الثاني ، ص ١١٨ .

وإذا كان عدداً من مؤرخي الفن قد اتفقوا على أن هذا السيف ينسب إلى القائد على العطار الذي سلبه منه النصراني في معركة اللسانة فإن الأستاذ فرناندس توريس يرى أنه لا ينسب إلى القائد المذكور وأن شخص يدعى لوكاس أورتادو قد عثر عليه بالقرب من منطقة بنميا Benamey وسلمه لشخص آخر يدعى لوريس فرنانديث الذي قام بتسليمه إلى دير سان خرنيمو بقرطبة ثم انتقل هذا السيف بعد ذلك إلى المركز القومي للعلوم والفنون وظل به حتى عام ١٨٤٣م ثم انتقل أخيراً إلى المتحف الوطني بمدريد .  
Ferrandis Torres : Espadas Granadinas de La Jineta, p. 156 .

٥٤ - صاحب هذه المجموعة هو القائد دون بيدرو بيدال Don Pedro Pidal وإليه ينسب هذا السيف الذي أهداه إليه الملك فرناندو الكاثوليكي عام ١٥١٣م .

- Ferrandis Torres : Espadas Granadinas, p. 158 ; Torres Balbas : Ars Hispaniae, p. 233 .

55 - Ferrandis Torres : Op. Cit., p. 159 . fig .

56 - Torres Balbas : Op. Cit., p. 233 .

٥٧ - لوحة ( ٧ أ ) .

٥٨ - تنقسم الجواهر إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي الجواهر الدمشقي والفارسي والهندي ولكل نوع منها عدد من الأنواع . وكان الأوروبيون قد شاهدوا أثناء الحروب الصليبية النصول الإسلامية المجوهرية في أسواق دمشق ، وكان من بينها النصول الدمشقية والفارسية والهندية غير أنهم أطلقوا اسم الجواهر الدمشقي Wave Damask على كل هذه الجواهر ظناً منهم أنها تصنع جميعاً بدمشق ، ولكن لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة سمات خاصة يتميز بها ، فالجواهر الدمشقي يتسم بكثرة قوچاته التي تشبه البقع الهندسية المحكمة وألوانه المائلة إلى البياض وعدم قابليته للصدأ ولدانته وتركيبه الذي يتألف من حبوب ناعمة متقاربة المسام رمادية اللون مع ميلها إلى البياض كما أنه إذا طرق نصله ظهر فيه الجواهر حسناً عكس الأنواع الأخرى فإنه كثيراً ما يحى ( الأسلحة الإسلامية : معرض مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ص ١٦ - ١٨ ) .

٥٩ - كانت الصليبان المعقوفة من الموضوعات الزخرفية المهمة في الفن الإغريقي والروماني والساساني والبيزنطي ( فريد شافعي : العمارة العربية في عصر الولاة ( ٣٤٤ هـ - ٣٥٨ م ) ( ٦٣٩ هـ / ٩٦٩ م ) . نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م ، ص ٢١٧ .

- وقد انتقل هذا الشكل الزخرفي إلى الفن الإسلامي المشرقي حيث نراه في زخارف قصر خربة المفجر ومنه انتقل إلى الأندلس حيث تمثل بصورة واضحة في زخارف تشبيكات النوافذ وواجهات الأبواب بجامع قرطبة التي ترجع إلى عصر الإمارة كما لاقى هذا التشكيل الزخرفي رواجاً كبيراً في عصر الخلافة حيث نراه بكثرة في زخارف عقود مدينة الزهراء واستمر عنصراً شائعاً في الزخارف الأندلسية حتى عصر بني نصر إذ نراه ممثلاً في زخارف قصر الحمراء .



- Pavon Maldonado : el arte Hispano Muslman en su decoracion Geometrica. Instituto Hispano arabe de Cultura, Madrid, 1975, Table I.

- وقد واصلت أشكال الصليبان المعقوفة فى الزخارف الهندسية الأندلسية تطورها وتنوعت صورها بحيث فقدت صلتها بأصولها القديمة من ذلك على سبيل المثال هذا الشكل الذى يبدو فيه الصليب وقد احتوى بداخله على أشكال مربعات كما ظهر بشكل معين بداخله معين أصغر تأخذ ضلوعه شكل متدرج ويعلو رأسه ويزين قاعدته الشكل المعقوف الذى يبدو على هيئة حرف V معدولاً ومقلوباً على التناوب . وهذا الشكل المعقوف الذى شاع ظهوره فى فنون الأندلس منذ عصر الخلافة وحتى نهاية عصر بنى نصر انتقل إلى مصر فى العصر الفاطمى ممثلاً فى زخارف إحدى نوافذ جامع الأزهر بصورة تشبه صورته التى ظهر عليها فى إحدى تشبيكات النوافذ بقبة المحراب وبنىقات عقود جامع قرطبة وإن كان فى هذه الأمثلة الأندلسية قد تناوبت فيه قطع الحجارة وقوالب من الآجر .

- Salem (Alsaid Abdel Aziz) : De Nuevo Sobre La influencia de la Andalus el arte Muslman de Egipto Cuadernos de La Alhambra 1979 - 1981, Vol, 15p, 12 .

- وفى رأى الأستاذ جورج مارسيسه أن أصل هذا الشكل كان بالعراق نظراً للتشابه الواضح بينه وبين نماذج أسفر عنها البحث الأثرى فى مدينة القسوط .

- Marcais (Gorges) : Manuel d' art. Muslman, T, I, Paris, 1926, p. 285 .

- فى حين يرى الأستاذ مالدونادو أن أصل هذا التشكيل الزخرفى يرجع إلى الفن الرومانى والبيزنطى وأنه انتقل إلى الفن الأندلسى وانفرد به دون الفن الأموى المشرقى والعباسى وأن ما كشفت عنه حفائر القسوط مجرد نماذج أندلسية ترجع إلى القرنين السادس والسابع للهجرة أى أن هذا الشكل انتقل إلى القسوط من الأندلس .

- Maldonado : Op.Cit., p. 45 .

- حنان عبد الفتاح مطاوع : الزخارف المحفورة على الحجر رخام فى عصر الدولة الأموية بالأندلس وعصر دويلات الطوائف . مخطوط رسالة ماجستير ، الإسكندرية ١٩٩١ م ، ص ٦٨ - ٦٩ .

٦٠ - لوحة ( ٧ ب ) .

٦١ - تمثل هذا العنصر فى زخارف المعادن الأندلسية على صورتين الأولى ظهر فيها فى شكل جامة سداسية الاضلاع ترتبط من أعلى وأسفل عن طريق رأس مثلث متساوى الاضلاع . وقد تجلى ذلك فى التحف المعدنية التى ترجع إلى أواخر عصر الطوائف وبداية عصر المرابطين أما الصورة الثانية فيظهر فيها على شكل خراطيش بطاقية تتألف من خطين متوازيين ينتهى الطرف العلوى لكل منهما بخط مائل بحيث يلتقيان فى نقطة مدببة تمثل رأس المثلث . وقد تمثلت تلك الصورة على المعادن الأندلسية لأول مرة فى القرن ٦ هـ / ١٢ م ولم تواصل ظهورها إلا فى القرن ٨ هـ / ١٤ م وأوائل القرن ٩ هـ / ١٥ م (راجع حنان عبد الفتاح مطاوع : التحف والصناعات المعدنية فى الأندلس ، ص ٤٢٦ ) .



٦٢ - نطالع في الخراطيش الأربعة العلوية منها ما نصه ( بسم الله القدوة لله ولا إله إلا هو الغبطة لله الواحد ) . وفي الأربعة السفلية منها ( لله لأنه / أول مره لا يعلمون بالله الجاهلون / ونذرهم في طغيانهم ) وأهم ما نسجله من ملاحظات علي هذا النقش أن الفنان الذي نفذ حروف الكتابة قد نظمها على نحو يفتقر إلى الدقة حيث وقع في أخطاء لغوية كثيرة . أما نتيجة حرصه على الناحية الجمالية وقد وفق في هذا على حساب أخطائه اللغوية التي تتمثل في فصل حروف الكلمات وعدم وجود ترابط في معاني الكلمات نتيجة عدم درايته بقواعد الكتابة الصحيحة وهو الأمر الذي يرجح بأنه لم يكن عربياً حيث شاع في الفنون النصرانية بوجه عام وفن صناعة السيوف بوجه خاص الاستعانة بفنانين من غير العرب في صياغة فنون العصر النصري .

- Ferrnandez Y Gonzalez : Espadas Hispano arabes, p. 395 ; Ferrandis Torres : Espadas Granadinas, p. 159 .

٦٣ - لوحة ( ٧ ج ) .

٦٤ - لوحة ( ٨ ) .

65 - Fernandez Y Gonzalez : Museo Espanol de antiguedades, T, V, p. 398 .

٦٦ - لعل النشاط الخاص بصياغة هذا النوع من التعاويذ أو التماثيل قد بدأ منذ عهد الإمارة حيث امتدنا حفائر مدينة البيرة بنموذج منها في شكل طلسم مصنوع من الرصاص عبارة عن لوح دائري قطره ١٠ سم.

- Manual Gomez Moreno : Casas Grandas de art Y Arqueologio. Granada. Sin Fecha. p. 209 Not, 216 .

- ولدى المتحف الأثري بقرطاجة قيمة برونزية دائرية الشكل منقوشة بكتابات سحرية ترجع إلى عصر بني نصر . . حنان عبد الفتاح مطاوع : التحف والصناعات المعدنية في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بني الأحمر ، ص ٨٧ .

٦٧ - لعبت الدوائر المتقاطعة دوراً رئيساً في مجال الزخارف الهندسية الإسلامية في شرق وغرب العالم الإسلامي وهذا التشكيل يرجع إلى أصول رومانية بيزنطية ، كما عرفه الفن القبطي والفن الإسلامي في المغرب الأوسط زمن الرستميين .

- Torres Balbas : Art Hispano Musulman Hasta LA Caída del Cali Fato de Cordoba: en Historia de Hispana dirigida Por don roman Mendez Pidal, T,V Madrid, 1957, p. 409 .

- وقد انتشر هذا التشكيل على نطاق واسع في الفنون الأندلسية منذ عصر الدولة الأموية وحتى نهاية عصر بني نصر . . وخلال تلك الفترة تنوعت صورته من ذلك صورته التي تألفت عناصر التشكيل الهندسي من دوائر متقاطعة تربطها عقد دائرية صغيرة تبدو كما لو كانت أشرطة مجدولة من الدوائر

Maldonado : La decoracion Geometrica, pp. 88 - 89 ، وهذا الشكل المعقد للدوائر يرجع في أصله



إلى الفن البيزنطى ومنه انتقل إلى الفن الأموى حيث نشهده فى زخارف قصر خربة المفجر وقصر الطوية  
ثم انتشر فى الأندلس فى عصرى الإمارة والخلافة حيث تمثّل فى إحدى تشبيكات النوافذ بباب استيبان  
بجامع قرطبة . Torres Balbas: Op. Cit., p. 40 - fig 211 ، وقد بدأ ظهور هذا النوع من الحلقات  
الدائرية المعقودة على المعادن الأندلسية منذ القرن ٣هـ / ٩م وحتى القرن ٨هـ / ١٤م ( حنان مطاوع :  
التحف والصناعات المعدنية ، ص ٤٥٧ - ٤٥٨ ) .

٦٨ - لوحة (٩) .

69 - Valencia de Don Juan : Catalogo Historica des Criptivo de La Mealarmeria, Madrid,  
1898, p. 210 ; Ferrandis Torres : Espades Granadinas, p. 156 .

70 - F. Carrient : Nuevo Diccionario Espanol - arabe. Madrid, 1988. p. 579 .

٧١ - لوحة ( ١٠ ) .

72 - Ferrandis Torres : Op. Cit, p. 157 .

